

رسائل البلغاء

تحتوى على ما عرف لعبد الله بن المقفع من الأدب الصغير والأدب الكبير
وغيرهما وما لعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والنتف والحكم
وعلى الرسالة العذراء فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة لأبى اليسر
ابراهيم بن محمد بن المدير ورسالة أبى حسن على بن منصور الحلبي المعروف
بأبى القارح إلى أبى العلاء المعري وملق السبيل للمعري ورسائل الانتقاد
لأبى شرف القيرواني وكتاب العرب لأبى قتيبة ورسالة رشيد الدين
الوطواط فيما جرى بينه وبين الزمخشري ومنتهى من عهد ازديشير فى السياسة
وكتاب الادب والمروءة لصالح بن جناح الربيعي

عني بجمعها محمد كرد علي

صاحب مجلة المقتبس

طبع بمطبعة

دار الكتب العلمية

على نفقة أصحابها

(مصطفى الباقى الحلبي وأخوه بكرى وعيسى بمصر)

سنة ١٣٣١ - ١٩١٣

حقق إعادة الطبع محفوظة

مقدمة الطبعة الثانية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ تَقْتِي ﴾

نشرت القسم الاول من رسائل البلقاء وفيه ما عرف لعبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والحكم لأول مرة سنة ١٣٢٦ هجرية فوقعت موقع الاستحسان من رجال العلم والادب وجهابذة النوق السليم في كلام العرب وأقبل المتأدبون عليها حتى نفذ المطبوع منها في مدة وجيزة وها قد صحت العزيمة الآن على اعادة طبعها في هذا المظهر مضافا اليها ثمانى رسائل نادرة جعلت القسم الثانى من الرسائل وكانت نشرت أيضا في مبنى مجلة المقتبس السبع الاولى ومنها ما نشره كاتب هذه السطور والآخرا لبعض مؤازرى هذه المجلة من الاعلام . وقد نظر الاستاذ سليم أفندى البخارى الدمشقى في رسالة الادب الصغير واليتمية لابن المقفع وعلق عليها حواشى وفوائد فعظم الحواشى التى عليها هي له وعارضت الادب الصغير على الطبعة التى نشرها منها في العام الماضى الاستاذ أحمد زكى باشا المصرى معتمدا فيها على مخطوطين منها عثر عليهما فى احدى مكاتب الاستانة وأثبت فى الهامش الاختلاف بين النسخة البعلبكىة والنسخة الامتانبولية أما الرسائل الاخرى فان الرسالة العذراء لابن المدير ورسالة ابن القارح هما مما أسعدنى الحظ بنشره ورسالة ملقى السبيل لابی العلاء المعرى ورسائل الانتقاد لابن شرف القيروانى نشرهما الاستاذ السيد حسن حسنى عبد الوهاب التونسى وكتاب العرب فى الرد على الشعوبية لابن قتيبة نشره الاستاذ الشيخ جلال الدين القاسمى الدمشقى ورسالة رشيد الدين الوطواط والمنتخب من عهد ازديشير فى السياسة نشرهما الاستاذ أحمد بك تيمور المصرى وكتاب الادب والمروءة لابن جناح الربى نشره الاستاذ الشيخ طاهر الجزائرى

الجزائري الدمشقي . ورجائي أن تحل هذه المجموعة من نفوس عشاق البلاغة عملها
من القبول اللاتق بها فهي خير مثال ينسج عليه من تسمويه الهمة الى الاخذ
بمذاهب أئمة الانشاء . لاجرم انه من يلقي نظرة تدبر على رسائل البلغاء يحكم بانها أوراق
قليلة تغني عن أسفار طويلة وكم من سطور أغنت عن كتب وان من يكتب له تدبر ما جاء
فيها جد التدبر تكفيه في احكام الاسلوب العربي وتلقنه شطرا صالحا من الحكمة العالية
التي لا يبلى جديدها ففيها مادة للدرس وأخرى لصلاح النفس . نفع الله بها من
يحرصون على تحسين ملكاتهم العربية والاحتفاظ بأخلاقهم القومية ويسر للباحثين
المحققين احياء غيرها من آثار الماضين بحوله وطوله

القاهرة في ٩ شوال سنة ١٣٣٠ - ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٢

محمد كرى على

مقدمة الطبعة الاولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كلمات للنشر)

خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من أهل القرون الأولى . وقد وقع الاجماع على ان عبدالله بن المقفع وعبدالحيد بن يحيى الكاتب كانا من زعماء هذا الشأن وان اسلوبهما أحسن اسلوب في احكام ملكة البيان كانت حكم ابن المقفع أول ما كتبلى الوقوف عليه من رسائل هذين الامامين عثرت عليها في قسم المجاميع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية في مجموع كتب سنة ٨٤٤ فنشرتها في مجلة المقتبس ثم نشر فيه استاذى العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائرى كتاب الادب الصغير لابن المقفع أيضا ظفر به في مجموع عند أحد أعيان بعلبك من بلاد الشام

ووقفت على الاثر في كتاب المنشور والمنظوم لاحد بن أبى طاهر طيفور المحفوظ في قسم علم الادب بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) المنقول عن نسخة محفوظة في إحدى مكاتب المدينة الى المنشور على رسالة لابن المقفع في الصحابة وعلها رسالته المشهورة في السياسة وعلى رسالة سماها اليقظة وعلى رسالة عبدالحيد الكاتب في نصيحة ولى العهد وتعبية الجيش الى غير ذلك من الرسائل البديعة التى أوردتها صاحب المنشور والمنظوم هذين الكاتبين فنشرتها كلها وأضفت اليها الدررة اليقظة لابن المقفع ورسالة عبدالحيد الى الكتاب وما أثر لهذا من رسائل صغيرة قليلة

ولعلبة

والغلبة التحريف على كتاب المنشور والمنظوم اضطررت مرة الى حذف جل برمتها
والاشارة اليها أو أبقيتها على علانها وأشرت اليها بعلامة استفهام اذا كان يفهم مع
التحريف حاصل المعنى الان الغلط وقع في الاكثر في رسالة الصحابة وولى العهد
واليقيمة الثانية

وكننت أو دلوقيض الى الرجوع الى الاصل الذى نقلت عنه نسخة المنشور والمنظوم
لاعارض عليها ما أنشره اليوم في هذا المجموع عساقى أسقط فيها على ما فات الناسخ
الثاني ولعل ما تعذر على اثبات محته من عبارات ذيك الصديقين المتقدمين يتيسر لغيري
من الباحثين العارفين فيرشدونى الى أصل آخر أو يهتدون الى وجه الصواب في هذا
الكلام الطيب

وانى لأرجو أن تكون هذه الاوراق خير مثال يحتذيه المتأدبون في كتابتهم وأن
يقم فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على ما يتم بعض الاحكام على الحضارة العربية
وان يستخدمها الدعاة لاصلاح الاخلاق خير ذريعة يعالجون بها ادواء النفوس فيكون
منها عموم النفع كلما كررتها ألسن الامام وكثرت عليها الاعوام والايام

القاهرة في ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٢٦ وفى ٢٩ مايس سنة ١٩٠٨

محمد كردى على

منشئ المقتبس

عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى

﴿ نقلنا عن المقتبس ﴾

نشأ للعربية في أوائل القرن الثاني للهجرة كاتبان بليغان يصح أن يدعى واضع
أساس الانشاء العربي وناهجى طريقة الكتابة المرسلة فكانا مناراً يهتدى به الى يوم
الناس هذا ونعنى بهما عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب . ظهر هذان
الامامان واللغة في نضرتها الاولى فكان لهما من فطرتهما السليمة أعظم مساعداً
على النبوغ وزادت شهرتهما لاتصالهما بالتحلفاء والامراء ومرائهما على الكتابة
في الاغراض الكثيرة التي كانت تطلب اليهما فيخوضان عابها بمجلىين مبرزين
نشأ ابن المقفع في العراق على ما ينشأ عليه أبناء اليسار وكان والده ينتحل نخلة مجوس
الفرس ولحقه خراج فارس للحجاج بن يوسف الثقفي في الدولة الاموية . ولقب بالمقفع
لان الحجاج ضربه فتفقت يده أى تشبعت لمدها لاختلا الاموال على ما يقال . وروى
ابنه عبد الله تربية اسلامية وأولع بالعلم وهو مكفى المؤنة فجاء منه في سن العشرين
ما يشد ان يكون مثله لابناء الاربعين والحسين . واتصل بعيسى بن على عم السفاح
والمصور الخليفين الاولين من بني العباس وكتب له واختص به وأراد ان يدين بالاسلام
فجاء الى عيسى بن على وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي وأريد أن أسلم على يدك .
فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحض من القواد ووجوه الناس فإذا كان الغد فاحضر .
ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس
فقال له عيسى : أنزِمزم وأنت على عزم الاسلام فقال : أكره أن أبيت على غير دين .
فلما أصبح أسلم على يده فسمى بعبد الله وكنى بابي محمد .
أهم كتب ابن المقفع التي طار ذكرها كتاب كذبة ودمنة الذي نقله عن الفارسية
ورسائله المعروفة بالتيمة في طاعة السلطان . قال القفطى وهو أول من اعتنى في اللغة
الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابن جعفر المنصور وترجم كتب ارسطوطاليس
المنطقية

المنطقية الثلاثة وهي كتاب قاطيغوريوس وكتاب باري أرمينياس (أوبارميناس) وكتاب انالوطيقا وذكر أنه ترجم إيساغوجي تأليف فرغوريوس الصوري . والارجح أنه نقل هذه الكتب عن الفارسية أو نقلها له ناقل عن اليونانية وصاغها هو في قالب عربي فنسبت له إذ لم يثبت أنه كان يعرف غير الفارسية من اللغات . وعبارة ابن أبي أصيبعة في تاريخ الأطباء تشبه قول القفطلي في تراجم الحكماء والغالب أنهما نقلتا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف في عبارتهما

قال ابن النديم : واسمه بالفارسية روزبه وهو عبد الله بن المقفع ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو فلما أسلم اكتبني أبي محمد والمقفع بن المبارك أنما تقفع لان الحاجب بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتججه من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتفقت يده وأصله من خوز مدينة من كور فارس وكان يكتب أولاداً وبن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي على كرمان وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً وهو الذي عمل شرط عبد الله بن علي المنصور ونصب في احتياطه فيه فأحفظ ذلك أبا جعفر فلما قتله سفيان بن معاوية حرقاً بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطلب بثاره وطل دمه وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطرباً بالاعتين فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب خدائنامه في السير كتاب آيين نامه في الإصر كتاب كاييه ودمنة كتاب مزدك كتاب التاج في سيرة أنوشروان كتاب الآداب الكبير ويعرف بمافراحييس كتاب الادب الصغير كتاب اليتيمة في الرسائل .

وقال ان ابالجاموس ثور بن يزيد أعرابي كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له وقال: بلغاه الناس عشرة عبد الله بن المقفع . عمارة بن حزة . عجير بن محمد . محمد بن حجر . أنس بن أبي شيخ . وعليه اعتمد أحمد بن يوسف الكاتب . سالم، مسعدة الحريري . عبد الجبار بن عدي . أحمد بن يوسف . وذكره في الشعراء الكتاب فقال أنه مقل وقال : وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية فنقل ذلك إلى العربي عبد الله بن المقفع

وغيره وقال في الكتب المصنفة في الاسماء والخرافات ان عبد الله بن المقفع من جلة من كان يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم .

والراجع ان الحسد غلت مر اجله في صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حومان فانسوا اليه ما نسبوا من الزندقة لقصورهم عن بلوغ شأوه أو لغرض في أنفسهم قال ابن خلكان نقلا عن الجاحظ : ان ابن المقفع ومطيع بن اياس وبجي بن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم : كيف نسي الجاحظ نفسه . قلنا وعبرة الجاحظ في بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره في علم الكلام فقط فانه قال :

فصل ومن الملعنين ثم من البلاء المتأدين عبد الله بن المقفع ويكنى أبا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدما في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السبر وكان جوادا فارسا جيلا وكان اذا شاء أن يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لاقلي لا ولا كثيرا وكان ضابطا لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غرامتر ووثق الوثائق واذا أردت أن تعبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر بذلك بان تنظر في آخر رسالته الهاشمية فانك تجد جيدا الحكاية لدعوى القوم ردىء المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شيء الا بعد به اه

لاجرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه في المعتزلة دعاء أحدا ثمها الى ان يصدر عليه هذا الحكم الغريب ولكن الجاحظ أيضا على ثبوت تدينه لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت . وان مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها في معظم الاحوال أبرياء والافكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل . وليست الزندقة بحاشا مما يضره الانسان في نفسه لان مثل هذا لا يطاع عليه الا الله تعالى ويكنى أن يقال هلا شققت عن قلبه . بل الزندقة التي تذكر في الكتب وترتب عليها الاحكام ويسوغ أن يقال عن فلان انه زنديق أمور تقوم عليها بنات ظاهرة من أقوال وأفعال وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى لك من رسائله

ولو كان ثم سبيل لما ينسب اليه لاسيما مع غضب المنصور عليه لكان الاقرب أن يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيه ما فيه من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينتقم منه مع اسقاطه ولا يعدم المنصور حينئذ حيلة في قتله جهارا بهذه التهمة . اما اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فيتصرف على القاعدة في اتهامه بالزندقة وما نظن القاضي عياضا والباقلاني الاناقلين عن أناس من أهل السداجة ومع ذلك فاهما قالا انه أناب .

التهمة بالزندقة أمر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي كان أعظم أنصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي ألفه في الرد على أولئك الذين نسبوا اليه ما نسبوا فان فيه الغناء وأغرب من ذلك القيام على أبي حاتم (١) ابن حبان البستي امام المحدثين في عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب الممتعة الكثيرة واستحصال الامر بقتله لولم ينج من ذلك بعوارض لا تخطر في البال

ومعارضة القرآن أكثر ما نسب لازندقة المشهورين بالادب والفضل يشيع ذلك اناس يقصدون اهلاك عدوهم بأي وسيلة كانت أو اناس هم أقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها حتى ان أبا العلاء المعري على اضطراب الاقوال في نهاية أمره مع ما علم به من أحواله قد عزي اليه كتاب كان معروفا في بلاد المغرب يسمى بالفصول والغايات ولا يتوقف من كان قريب العهد من عصره في انه عمله في معارضة السور والآيات وكان كثير من يميلون الى أبي العلاء المعري من أهل المغرب يحبون مما وقع فيه من سخافة القول الذي ينحط عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد في الكتابة كما علم من كتاب سر القصاحة وكلامه في رسالة الغفران ينادي بخلاف ذلك (٢)

(١) راجع ترجمته في معجم البلدان لياقوت في مادة بست

(٢) قال المعري في رسالة الغفران عند كلامه على ابن الراوندي الزنديق الذي صنّف في الرد على القرآن : بشئ ما نسب الى راوند فهل قدح في ديانته اتمعتك قيصه وأبان للنناظر خيمه وأجمع ملحد ومهتد وما كب عن الحجة ومقتد ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولقي عدوه بالأرجاز ما حذى على مثال ولا أشبه

وهي الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المقفع لا تثبت بوجه من الوجوه التي تعقل في اثباتها
واذا نظرنا الى ما يتعلق بالغيب فالحكم الشرعي انه هو والناسبون اليه جميعا في معرفة
ما ينطوون عليه سواء لانهم يذهب أحد الى ان الايمان يتيسر اثباته بالبرهان الا اذا ورد
عن الشارع في شخص معين اثبات الايمان أو لوازمه لرجل بعينه .

وتهمة الزندقة الشنعاء كثيرا ما يتهم بها المشتغلون بالفلسفة أمثال ابن رشد والفارابي
وابن الصائغ وابن سينا . ونسب لهذا انه عارض القرآن وقد كتب رسالة في رد افتراء من
افتري عليه ذلك . ومن هنا تظهر لك حسن سياسة المأمون لان فتح باب البحث عن
الزندقة قد أوجب من المضار ما لا يحصى كما يعلم من التواريخ نورا بما كان عصر المأمون
أقرب الى قلة الزندقة في الحقيقة من العصور التي كثرت اتهام معظم المفكرين بها وغيرهم
عن يراد الانتقام منهم

عرفت بهذا ان كلام القائلين بزندقة ابن المقفع مع ما عرف من كلامه هو من ذلك
الباب . قال المرتضى في أماليه روى ابن شبة قال: حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر بي بيت
نار للجوس بعد ان أسلم فأمحه وتمثل

يا بيت عاتكة الذي أنعزل * حذر العدى وبك الفؤاد موكل

اني لا منحك الصدود واني * قسما ليك مع الصدود لأميل

وقال صاحب الاغانى نقلا عن الجاحظ : كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس ومنقذ بن
عبد الرحمن الهلالي وحص بن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وسجاد عجرد وعلى

غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا شاعرا كل
خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوى الارب وجاء كالشمس الملائحة نورا للسرة والباشعة
لوفهمه المضرب الراكد تصدع أو انوعول العصمة لراق الفادرة والصدع وتلك الامثال
نضربها للناس لعلمهم بتفكرهم وان الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر
عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب
ذات نسق فتبارك الله أحسن الخالقين

ابن الخليل وحجابه بن أبي ليلى الراوية وابن الزرقان وعمارة بن حزمة ويزيد بن الفيض وجبل
ابن محفوظ وبشار المكنث وابان اللاحق ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر
ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضا ولا عمدوا كلهم منهم في دينه . قلنا واجتماع
المتشاكين قديم في الناس والغالب انهم يتخرجون من ادخال من ليس على شاكلتهم
في زميرهم فيتهمون بما هم منه براء كما هم جماعة أبي حيان التوحيدي الذي نقل بعض
مجالسهم الفلسفية في مقابساته وكانوا من أهل التحل المختلفة تجمع بينهم جامعة العلم
والفلسفة كما جئت بين ابن المقفع وأصحابه جامعة الادب فقالوا انهم كانوا يجتمعون على
شراب واتهموهم بالمرق . وفي كتاب البيان والتبيين لا يحاذر كراما كانوا شديدي
التصافي والاتحام مع شدة التباين في المذاهب .

اما كيفية مقتل ابن المقفع فقد أجمع مترجوه على انه كان بسبب كتابته أمانا لعبد الله
ابن علي قال فيه : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمة عبد الله فمساؤه طوائق ودوابه حديد
وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر
البيعة وكتب الى سفيان بن معاوية المهلب وهو أمير البصرة من قبله فقتله . وكان
سفيان هذا شديدا لخلق عليه لان ابن المقفع على ما يقال كان ينال منه ويستغف به حتى
عزم على أن يغتاله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله سرا في داره ويقال انه عاش ستا وثلاثين
سنة . وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليما ولم يخرج منها فاصابه
الى المنصور وأحضراه اليه مقيدا وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج
فأقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور : انا أنظر في هذا الامر ثم قال لهم : رأيتم
ان قتلتم سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت وأشار الى باب خلفه وخطبكم ما ترون في
صانعكم أقتلكم بسفيان . فرجعوا كلهم عن الشهادة وأضرب عيسى وسليمان
عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضا المنصور

ولابن المقفع شعر قليل ولكنه جيد نقله صاحب الحاشية ثلاثة أبيات . يقال انه
رثى بهاء بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه رثى بهاء بن أبي العوجاهي

رزقنا بأبائهم وولاهم مثلهم * فقلت ريب الحادثات بمن وقع

فان لك قد فارقتنا وتركنا * ذوى خلة ما في اندادها طمع

لقد جوفنا فقدنا لك اننا * أمانا على كل الرزايا من الجزع

قال نعلب البيت الاخير يدل على مذهبه في ان الخير عجز وج بالشر والشر عجز وج بالخير

فتأمل .

وعما يذكر عن ابن المقفع ما رواه صاحب الاغانى وغيره قال حدثني اليزيدى قال حدثني

عمى عبيد الله قال حدثني أحمد قال سمعت جدي أبا محمد يقول : كنت ألقى الخليل بن أحمد

فيقول لي أحب أن يجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع فجعلت بينهما فرفلنا أحسن محاس

وأكثره علما ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له : يا أبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك قال

: ماشئت من علم وأدب الا ترى رأيت علما أكثر من عقله ، ثم لقيت ابن المقفع فقلت له :

كيف رأيت صاحبك قال : ماشئت من علم وأدب الا أن عقله أكثر من علمه . وقال المرتضى

ان من جمعهما كان عباد بن عباد الهلبي فتحدثنا ثلاثة أيام ولياليهن .

قال الاصمعي : قيل لابن المقفع من أدبك فقال : نفسي اذا رأيت من غيرى حسنا أتيت

وان رأيت قبيحا أتيت ، ودعاه عيسى بن علي لاجتماع فقال : أعز الله الامير لست يومى للكرام

أكيلا قال : ولم ؟ قال : لاني من كرم والزكاة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار .

ومن كلامه : شربت من الخطب ربا ولم أضبط طارويا ففاضت ثم فاضت فلاهى نظاما

وليس غيرها كلاما .

وعما يؤثر عنه وهو ما يدل على رأيه في الانشاء انه قال لبعض الكتاب : اياك والتتبع

لوحشى الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو الى الاكبر . وقال لآخر : عليك بما

سهل من الالفاظ مع تجنب الالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال : التي اذا سمعها

الجاهل ظن انه بحسن مثلها .

وفي البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن قوه انه قال : لم يفسر البلاغة تفسير

ابن المقفع أحد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه

كثيرة

كثيرة . فمنها ما يكون في السكوت . ومنها ما يكون في الاستماع . ومنها ما يكون في الإشارة . ومنها ما يكون في الحديث . ومنها ما يكون في الاحتجاج . ومنها ما يكون جوابا . ومنها ما يكون ابتداء . ومنها ما يكون شعرا . ومنها ما يكون سجعا وخطبا . ومنها ما يكون رسائل . فعمامة ما يكون من هذه الابواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى والابحاز هو البلاغة .

فاما الخطب بين السامعين وفي اصلاح ذات اليبين فالأكثر في غير خطب والاطالة في غير املال . قال : وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خيرايات الشعر اليبين الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيه . كانه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصالح وخطبة الموالى كى حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لاخير في كلام لا يدل على معنك ولا يشير الى مغزك . والى العمود الذى اليه قصدت والغرض الذى اليه نزع .

قال فقيل له : فان مل المستمع الاطالة التى ذكرت انها حق ذلك الموقف قال : اذا أعطيت كل مقام حقه وقت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلاتهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهم لا يرضيه مائى واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شئ لا تناله وقد كان يقال رضا الناس شئ لا ينال

وقال عبد العظيم بن أبى الاصبع فى تحرير التحبير فى البديع فى باب التهذيب والتأديب : فمدان المتقدمون لا يحفلون بالجمع جملة ولا يقصدونه بته الامانت به الفصاحة فى أثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا كغيب وان كانت كلماتهم متوازنة وألفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم راقية وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الامام على عليه السلام ومن اقتفى أثر من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون وأبى عثمان الجاحظ وغير هؤلاء من الفصحاء والبلاء

وقال الامين المحبى فيما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه : يتيمة ابن المقفع - يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها وهى رسالة فى نهاية الحسن تشتمل على محاسن من الادب

وقد ذكرها أبو تمام وأجواها مثلاً في قوله للحسن بن وهب

ولقد شهدتك والكلام لآلى * تؤم فبكرك في الكلام وثيب

فكأن قسافي عكاظ يحطّب * وكأني ليلي الأخيلى تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب * وابن المقفع في اليدمة يسهب

وقال جلال الدين في المزهرة نقل عن أبي الطيب عبد الواحد اللغوي في مراتب النحويين قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل ابن أجد ولا أجمع ولا كان في الهجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع

وقال المعري في عبث الوليد : كان المتقدمون من أهل العلم يشكرون إدخال الألف واللام على كل وبعض وروى الأصمعي أنه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أرفها الحنا إلا في موضع واحد وهو قوله : العلم أكبر من أن يحاط بكلمة نفذوا البعض

وروى ابن بعضهم ذكر ابن المقفع فقال : ألفاظه معان ومعانيه حكم فصل خطابه شفاء وخصل بيانه كفاء . وسمع أبو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال : كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح كأن بيانه لو أن منشور وروض بمطوره وقال جعفر بن يحيى : عبد الحميد أصل وسهل بن هرون فرع وابن المقفع عمر وأحمد بن يوسف زهر .

وعبد الحميد هذا هو الذي يضرب به المثل في البلاغة حتى قيل فتمتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان أحمد بن يوسف يقول في رسائل عبد الحميد ألفاظ محكمة وتجارب محكمة . قال صاحب الوفيات وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب أماً وهو من أهل الشام وكان أولاً معلماً صبية ينتقل في البلدان وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموه وآثاره اقتفوا وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائله مقدار ألف ورقة

وقال ابن نباتة : إنه البالغ إلى أعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال إنه كان في أول عمره معلماً صبياناً بالكوفة ثم اتصل بمرwan الجعدي قبل أن يصل إلى الخلافة وصحبه وانقطع إليه فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مرwan وسجد أصحابه إلا عبد الحميد فقال له مرwan : لم لا

سجدت فقال : ولم أسجد على ان كنت معنفا طرت عنا معنى بالخلافة فقال : اذا طير
معى قال : الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته

وهو أول من أخذ التعميدات من فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الایجاز
البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال . فن الایجاز ان بعض عمال مروان
أهدى اليه عبد أسود فأمره بالاجابة ذاماً مختصراً فكتب : (لو وجدت لونا سراً من السواد
وعدا أقل من الواحد لاهدته) . واما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة
بنی العباس كتب اليه عن مروان كتابا يستميله ويضمنه ما لوقرى لا وقع الاختلاف بين
أصحاب أبي مسلم وكان من كبر حجه يحمل على جل ثم قال مروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه
بطل تديره فان يك ذلك والافلا هلاك فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه وأمر منار
فأحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محال سيف أسطار البلاغة واتضح * عليك ايوث الغاب من كل جانب
ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد : القوم محتاجون
اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم اى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بي
فلعلك تنفعنى فى حياتى أو بعد مماتى فقال عبد الحميد

أمر وفاء ثم أظهر غدره * فن لى بعذر يوسع الناس ظاهره
ثم قال يا أمير المؤمنين ان الذى أمرتني به أنفع الامر من اليك وأقبحهم بى ولكنى أصبر
حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمز عليه بالجزيرة
عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما فى بيت فقال الذين دخلوا : أيكأ عبد
الحميد فقال كل واحد منهما : انا خوفا على صاحبه الى ان عرف عبد الحميد فاخذ وسلمه
السفاح الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمى له طشتا ويضعه على رأسه الى ان مات سنة
اثنين وثلاثين ومائة . وقيل انه قتل مع مروان فى مصر قال المسعودى انه رأى له عقبا
بسطاط مصر يعرفون ببنى مهاجر وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون . وكان أبو
جعفر المنصور يقول : غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء بالحاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكي .

وقيل لعبد الحميد : ما الذى مكنتك من البلاغة قال : حفظ كلام الاصلع يعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وقيل له أيا أحب اليك أخوك أم صديقك قال : إنما أحب أخى إذا كان صديقى : وقال اكرموا الكتاب فان الله تعالى أجور الارزاق على أيديهم . وقال : القلم شجرة ثمرتها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه خير الكلام ما كان لفظه خلا ومعناه بكرة

قال صاحب وفيات الاعيان وكان كثير ما ينشد :

إذا خرج الكتاب كانت دويهم * قسيأوأقلام الدوى لها نبلا

ومما نقله عنه انه سافر يوما مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها فى ملكه فقال له مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال : يا أمير المؤمنين ان من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها فقال له : فكيف سيرها فقال : همها أمامها وسوطها عنانها وما ضربت قط الاظلماء

ولعبد الحميد كصديقه وضريعه عبد الله بن المقفع شعر نادر فنه

كنى حزنا نأى أرى من أحبه * قريبا ولا غير العيون تترجم

فأقسم لو أبصر نناحين نلتقى * ونحن سكوت خلطنا تكلم

هذا ما وصلنا من أخبار هذين الامام بن ونحن نعلم ان ترجمتهما على ما أثبتناها هنا ليست مستوفاة من عامة وجوهها ولكن تلاوة كلامهما أحسن مترجم عنهما إذ كلام المرء قطعة من عقله .

القسم الاول

الادب الصغير

— لابن المقفع —

نشره الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري
(نوطئة للنشر)

من أعظم ما تدعو الحاجة اليه علم تهذيب الاخلاق لتوقف نجاح الامم عليه وهو فن ذوا فنان نحتاج اليه الافراد على اختلاف طبقاتها . ومع قلة ما انتشر من كتبه في جلها من عدم التنقيح وانسجام العبارات ما يصد كثيرا من الطالبين عن الاقبال عليها . ومن ثم كثر بحثنا عن كتب نفى بهذا المطلب مع رشاقة مبانيها التكون الفائدة مزدوجة وهو أقصى آمال الذين يسعون في احياء اللغة العربية واعادتها الى ما كانت عليه في عهدها الاول . ولما ذهبت الى مدينة بعلبك سنة ١٣٢٣ رأيت عند بعض الافاضل الواردين عليها مجموعا استعاره من بعض اعيانها فرأيت فيه الضالة المنشودة وهي رسالة الادب الصغير لعبد الله بن المقفع الكاتب الذي يضرب ببلاغته المثل فكسبتها بخطي في نحو يوم وأرجو أن يسر لنشرها من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله الموفق

وهذا بيان الرسائل التي في المجموع المذكور (١) كتاب عجائب أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو في نحو ثلاث كراسات يشتمل على ما نقل عنه من بدائع الاحكام (٢) ذكر الاخلاص وعنوان المعارف تأليف صاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد

أوله (الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الاهل قد أسعفتك بالمجموع الذي التمسته في نسب النبي عليه السلام وبنيه وبناته وأعمامه وعماته وجل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك) وهواثنتا عشرة ورقة وفي آخره وكتب في رجب سنة عشرين وأربعمائة (٣) رسالة إلى أحمد بن أبي دؤاد في فضل العلم وهي ٣ أوراق وفي آخرها وكتب في شهر ربيع الاول سنة عشرين وأربعمائة (٤) وبتلوها كتاب الادب الصغير الذي نقلناه وهو في الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابته في التاريخ المذكور ولم يذكر في آخرها تاريخ (٥) وبتلوها كتاب ذخائر الحكمة تأليف أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي وهو في نحو ثلاث وعشرين ورقة (٦) مختصر من كتاب جويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف أحمد بن مسكويه وهو في أكثر من كراس .



﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ حَاجَةً ^(١) وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غَايَةً وَلِكُلِّ غَايَةٍ سَبِيلًا وَاللَّهُ وَفَّقَ لِلْأُمُورِ أَقْدَارَهَا وَهَيَّأَ إِلَى الْغَايَاتِ سُبُلَهَا وَسَبَّبَ الْحَاجَاتِ بَيْلَاعَهَا فَغَايَةُ النَّاسِ وَحَاجَتُهُمْ صَلَاحُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ . وَالسَّبِيلُ إِلَى دَرَكِهَا ^(٢) الْعَقْلُ الصَّحِيحُ . وَأَمَارَةُ ^(٣) صِيحَةِ الْعَقْلِ اخْتِيَارُ الْأُمُورِ بِالْبَصَرِ . وَتَنْفِذُ ^(٤) الْبَصَرِ بِالْعَزْمِ . وَلِلْعَمَلِ سَجِيَّاتٌ ^(٥) وَغَرَائِزُ بِهَا تَقْبَلُ الْأَدَبَ ^(٦) وَبِالْأَدَبِ

(١) الحاجة المأربة والحاجة الاحتياج، والغاية مدى الشيء ونهايته وجمعها غايات وغلَى، والسبيل الطريق يذ كر ويؤث ويجمع على سبل بضمين ، والتوقيت تحديد الاوقات وكل شيء قدرته له حيناً فقد وقته توقيتاً وكذلك ما قدرته له غاية ، والوقت مقدار من الزمان مفروض لأمرتاً، والامور جمع أمر بمعنى الحال والشأن، وهياً بمعنى أصلح وأعد، والاقدار جمع قدر بفتح الدال وسكونها وقدر الشيء مبلغه والقدر أيضاً ما يقدره الله تعالى من القضاء ويحكم به من الامور ذكره ابن سيده ، وفي الاساس: والامور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره واقداره ومقاديره اه فقوله وقت للامور اقدارها معناه انه تعالى جعل لهذه الحاجات أوقانا محدودة لاتعدها بمعنى انه خصص لكل حاجة وقتاً معيناً محدوداً وحالاً مخصوصاً لا يكاد يجاوزه كما قال تعالى: انا كل شيء خلقناه بقدر (٢) الدرك بفتح الراء وسكونها الادراك (٣) الامارة بالفتح العلامة (٤) أى امراره وامضاؤه ، والعزم عقد الضمير على فعل الشيء (٥) جمع سجية، والغرائز جمع غريزة ، والسجية والغريزة والسليقة بمعنى الطبيعة (٦) فى اللسان الادب الذى يتأدب به الاديب من الناس، سعى أدبا لانه يأدب الناس الى المحامد وينهاهم عن القبائح ، وأصل الادب الدعاء، والادب الظرف وحسن التناول . وفى المصباح أدبه أدبا من باب ضرب علته رياضة النفس ومحاسن الاخلاق ، قال أبو زيد الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان

تَنسِي (١) الْعَمَلِ وَتَزَكُو فَكَمَا أَنَّ الْحَبْسَةَ الْمُدْفُونَةَ فِي الْأَرْضِ لَا تَقْدِرُ (٢) عَلَى أَنْ تَخْلَعَ يُبْنَهَا وَتُظَاهِرَ قُوَّتَهَا وَتَطْلُعَ فَوْقَ الْأَرْضِ بِزَهْرَتِهَا وَتَضْرِبَهَا (٣) وَرَبْعَهَا وَنَمَاتِهَا إِلَّا بِعُمُودَةِ الْمَاءِ الَّتِي يَنْوَرُ إِلَيْهَا فِي مُسْتَوْدَعِهَا فَيَذْهَبُ عَنْهَا أَذَى الْيُبْسِ وَالْمَوْتِ وَيُحْدِثُ لَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ الْقُوَّةَ وَالْحَيَاةَ فَكَذَلِكَ سَلِيقَةُ الْعَقْلِ مَكْنُونَةٌ فِي مَغْرَزِهَا (٤) مِنَ الْقَلْبِ لَا قُوَّةَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ بِهَا وَلَا مَنَفَعَةَ مِنْهَا حَتَّى يَسْتَلِمَهَا (٥) الْأَدَبُ الَّذِي هُوَ نَمَاتُهَا (ب) وَحَيَاتُهَا وَلِقَاحُهَا وَجُلُّ الْأَدَبِ بِالْمَنْطِقِ (٥) وَكُلُّ (ج) الْمَنْطِقِ بِالْفَهْمِ لَيْسَ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفٍ مُنْجِيَةٍ وَلَا اسْمٌ مِنْ أَنْوَاعِ أَسْمَائِهِ إِلَّا وَهَرٌ مَرْوِيٌّ مُتَعَلِّمٌ مَا خُرِذَ عَنْ إِمَامٍ سَابِقٍ مِنْ كَلَامٍ أَوْ كِتَابٍ وَذَلِكَ ذَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا (٦) أُصُولَهَا وَلَمْ يَأْتَهُمْ عِلْمُهَا إِلَّا مِنْ قَبْلِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ

فَإِذَا (د) خَرَجَ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَمَلٌ أَصِيلٌ وَأَنْ يَقُولُوا قَوْلًا بَدِيحًا فَلْيَتَعَلَّمُوا الْوَاصِفُونَ الْمُخْبِرُونَ أَنَّ أَحَدَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنَ وَأَبْلَغَ لَيْسَ زَائِلًا عَلَى

فِي فَضِيلَةٍ مِنَ الْفَضَائِلِ، فَلَا دَبَّ اسْمٌ لِنَاسِكَ وَالْجَمْعُ آدَابٌ، وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ الْخَلْقَ فِي اللُّغَةِ هُوَ مَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْآدَابِ لِأَنَّهُ يَصِيرُ كَالْخَلْقَةِ فِيهِ فَأَمَّا مَا طَبَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْآدَابِ فَهُوَ الْخَلْقُ وَهُوَ بِالْكَسْرِ السَّجِيَّةُ وَالطَّبِيعَةُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ فَيَكُونُ الْخَلْقُ الطَّبِيعُ الْمُسَكَّنُ وَالْخَلْقُ الطَّبِيعُ الْغَرِيزِيُّ اهـ (١) أَيْ تَكَثَّرَ مِنْ بَابِ رَمَى يَرْمِي، وَتَزَكُو بِمَعْنَاهُ أَيْضًا (٢) التَّضَرُّعُ الْحَسَنُ وَالرُّونْقُ، وَالرَّيْعُ الْخَمَاءُ وَالزِّيَادَةُ، وَالْمُسْتَوْدَعُ الْمَكَانُ الَّذِي وَضَعْتَ الْحَبَّةَ فِيهِ (٣) الْمَغْرَزُ بِالْكَسْرِ الْمَكَانُ الَّذِي غَرَزْتَ وَأَنْبَتَ فِيهِ (٤) الْإِعْتِمَالُ الْإِعْتِمَالُ مِنَ الْعَمَلِ يَفِيدُ مَعْنَى الْإِضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ فِيهِ (٥) مَعْدَرِمِيٌّ وَرَادِبُهُ هُنَا الْحَاصِلُ بِالْمَصْدَرِ وَهُوَ الْكَلَامُ (٦) الْبَدِيدُ الْخَطَرُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثَالٌ

(١) نَسْخَةُ أَحْمَدَ زَكِي بَاشَا: لَا تَقْدِرُ أَنْ تَخْلَعَ (ب) خُ تَمَارِهَا (ج) خُ وَجَل (د) خُ فَادَا

أَنْ يَكُونَ كَصَاحِبِ فُصُوصٍ ^(١) وَجَدَ يَاقُوتًا وَزَبَرْجَدًا وَمَرْجَانًا فَتَظَلَّمَهُ فَلَا تَدَّ
وَسُوءُطًا وَأَكَالِيلَ وَوَضَعَ كُلَّ فَصٍّ مَوْضِعَهُ وَجَعَ إِلَى كُلِّ لَوْنٍ شَبَهَهُ بِمَا
يَزِيدُهُ بِذَلِكَ حُسْنًا فَسُمِّيَ بِذَلِكَ صَانِعًا ^(٢) رَافِقًا ^(٣) — وَكَصَافَةً ^(٤)
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَنَعُوا مِنْهَا مَا يُعْجِبُ النَّاسَ مِنَ الْحُلِيِّ ^(٥) وَالْآيَةِ — وَكَالْتَحْلِ
وَجَدَتْ ثَمَرَاتٍ أَخْرَجَهَا اللَّهُ طَلِبَةً وَسَلَّكَتْ سُبُلًا جَعَلَهَا اللَّهُ ذُلًّا ^(٦) فَصَارَ
ذَلِكَ شِفَاءً وَطَعَامًا وَشَرَابًا مَذْشُوبًا إِلَيْهَا مَذْكَورًا بِأَمْرِهَا وَصَنَعَتْهَا فَمَنْ جَرَى
عَلَى لِسَانِهِ كَلَامٌ يَسْتَحْسِنُهُ أَوْ يُسْتَحْسِنُ مِنْهُ فَلَا يُعْجَبُ ^(٧) بِهِ إِعْجَابَ الْمُخْتَرَعِ
الْمُبْتَدِعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا ^(ب) اجْتَنَاهُ ^(٧) كَمَا وَصَفْنَا

وَمَنْ أَخَذَ كَلَامًا حَسَنًا عَنْ غَيْرِهِ فَتَكَلَّمَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ ^(ج) عَلَى وَجْهِهِ
فَلَا يُرَيْنَ ^(د) عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ضَوْلَةٌ ^(٨) فَإِنَّهُ مَنْ أَعْيَنَ عَلَى حِفْظِ قَوْلٍ ^(٩)
الْمُصَيِّبِينَ وَهُدًى لِلْإِقْتِدَاءِ بِالصَّالِحِينَ وَوُفَّقَ لِلْأَخْذِ مِنَ الْحُكَمَاءِ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ
^(١) جَمْعُ فَصٍّ وَهُوَ حَجَرُ الْخَامِ ، وَالْقَلَانِدُ جَمْعُ قَلَادَةٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الطُّوقُ الَّذِي يَعَاقِفُ
الْعُنُقَ ، وَالسُّمُوطُ جَمْعُ سَمَطٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الْقِلَادَةُ ، وَالْأَكَالِيلُ جَمْعُ أَكَالِيلٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ
شَبَهُ عَصَاةٍ تَزِينُ بِالْجَوَاهِرِ وَالْأَكَالِيلُ أَيْضًا التَّاجُ ^(٢) الرِّفِيقُ ضِدُّ الْإِخْرَاقِ وَالْإِخْرَاقُ هُوَ
الَّذِينَ لَا يَحْسِنُ الْعَمَلَ ^(٣) جَمْعُ صَانِعٍ وَزَانِ كَلَّةٍ وَكَامِلٍ وَهُوَ الَّذِي يَجِيءُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ عَلَى
مِثَالِ مُسْتَقِيمٍ وَحِفْظِهِ الصَّيَاغَةُ ^(٤) الْحُلِيُّ مَا تَزِينُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ مَصْوَغِ الْمَعْدِنِيَّاتِ أَوِ الْحِجَارَةِ
وَاحِدُهُ حُلِيٌّ ، وَالْآيَةُ جَمْعُ آثَاءٍ كَوَعَاءٍ وَزَنَاوَعْنِي ^(٥) جَمْعُ ذُلُولٍ وَهُوَ السَّهْلُ الْإِلَيْنَ الَّذِي
لَيْسَ بِصَعْبٍ ^(٦) بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ يُقَالُ أَعْجَبَ زَيْدٌ بِنَفْسِهِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ أَيْضًا إِذَا تَرَفَّعَ
وَتَكَبَّرَ ^(٧) اصْطِفَاءً وَاخْتَارَهُ ^(٨) الضُّوْلَةُ مَصْدَرٌ ضَوْلٌ رَأَيْهِ يَضْوُلُ مِنْ بَابِ كَرَمٍ يَكْرَمُ
إِذَا صَفَرَ وَالضُّوْلَةُ الْهَزَالُ وَالنَّحَافَةُ

(١) خ صَانِعًا (ب) خ اجْتَنَاهُ (ج) خ موضعه وعلى وجهه (د) خ فلا ترين
(٩) خ كلام

لَا يَزْدَادُ قَدْرَ بَلَّغِ الْغَايَةِ وَلَيْسَ يَنْقُصُهُ فِي رَأْيِهِ وَلَا (أ) يَنْقُضُهُ (١) مِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يَكُونَ هُوَ اسْتَحْدَثَ ذَلِكَ وَسَبَقَ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا حَيَاةُ (ب) الْعَقْلِ الَّذِي يَسْتَمُّ بِهِ وَيَسْتَحْكِمُ خِصَالُ سِتٍّ : الْإِنْتَارُ (٢) بِالْمَحَبَّةِ . وَالْمَبَالِغَةُ فِي الطَّلَبِ . وَالتَّثَبُّتُ فِي الْإِخْتِيَارِ . وَالْإِعْتَادُ لِلْخَيْرِ . وَحُسْنُ (ج) الْوَعْيِ (٣) . وَالتَّهَمُّدُ لِمَا اخْتِيرَ وَاعْتُمِدَ . وَوَضَعَ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ قَوْلًا وَعَمَلًا .

أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَإِنَّمَا يَبْلُغُ (د) الْمَرَّةَ مَبْلَغَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حِينَ يُؤْتَرُ بِمَحَبَّتِهِ فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ أَمْرًا (٤) وَلَا أُخْلَى عَنْهُ مِنْهُ . وَأَمَّا الطَّلَبُ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُغْنِيهِمْ حُبُّهُمْ (٥) مَا يُحِبُّونَ وَهَوَاهُمْ مَا يَبْوُونَ عَنْ طَلَبِهِ وَابْتِغَائِهِ وَلَا يُدْرِكُ لَهُمْ بَغْيَتُهُمْ نَفَاسَتُهَا فِي أَنْفُسِهِمْ دُونَ الْجِدِّ وَالْعَمَلِ .

(١) عطف تفسير لناقصه اسم فاعل من غاض الشيء يفيض أى نقص يستعمل لازما ومتعديا (٢) مصدر آخر بمعنى أكرم وفضل واختار (٣) الوعى الحفظ والتعهد التحفظ (٤) اسم تفضيل من مرؤ الطعام مرؤ امرأة صار مرثا أى هنيئ الحجة المعبية لا يشغل على المعدة بل ينحدر عنها طيبا (٥) حبهم مصدر مضاف الى فاعله ، واما اسم موصول بمعنى الذى محله النصب مفعول المصدر ومثله وهواهم ما يهوون ، والضمير فى طلبه راجع الى ما فى الموضعين ، وقوله وابتغائه هو بمعنى الطلب أيضا ، والادراك اللحاق ، والبغية بضم الباء وكسر هاء الحاجة والضمير فى نفاستها راجع للبغية ، ونفاستها فاعل لا يدرك لقدم المفعول عليه لان اتصال ضميره به ، وقوله دون الجد والعمل حال من فاعل يدرك أو استثناء منقطع ، والمعنى لا يدرك لهم بغيتهم نفاستها حال كونها مجاوزة الجد والعمل أرلا يدرك لهم ذلك غير الجد والعمل لكن الجد والعمل هو الذى يدرك لهم بغيتهم ، قال أبو البقاء دون ظرف مكان مثل عند لكنه ينفى عن دنو أى قرب كثير وانحطاط قليل يوجد كلاهما فى قولهم أدنى مكان من الشيء ثم اتسع فيه واستعمل فى انحطاط محسوس لا يكون فى المكان كقصر

(أ) خ بفارطه (ب) خ احياء (ج) خ الرعى (د) خ قائما تبلغ

وَأَمَّا التَّنَبُّتُ وَالتَّخْيِيرُ فَإِنَّ الطَّلَبَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَعَهُ وَبِهِ فَكَمَ مِنْ طَالِبٍ
رَشِدٍ ^(١) وَجَدَهُ وَالنَّيَّ مَعَ قَاصِطَتِي مِنْهُ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ وَأَلْفَى الَّذِي إِلَيْهِ سَعَى .
فَإِذَا كَانَ الطَّالِبُ يَجْوِي غَيْرَ مَا يُرِيدُ وَهُوَ لَا يَشْكُ بِالظُّفْرِ فَمَا أَحَقَّهُ بِشِدَّةِ التَّنَبُّتِ
وَجُسْنِ الْإِتِّفَاعِ . وَأَمَّا اعْتِنَادُ الشَّيْءِ بَعْدَ اسْتِبْطَائِهِ فَهُوَ مَا يُطْلَبُ مِنْ إِخْرَازِ
الْفَضْلِ بِدَمْعِهِ . وَأَمَّا الْحِفْظُ وَالتَّعَهُدُ فَهُوَ تَمَامُ الدَّرَكِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُوَكَّلٌ
بِهِ النَّيَّانُ وَالْفَتْنَةُ فَلَا بُدَّ لَهُ إِذَا اجْتَبَى ^(٢) صَوَابَ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ مِنْ أَنْ
يَحْفَظَهُ عَلَيْهِ ذِهْنُهُ لِأَوَانِ حَاجَتِهِ . وَأَمَّا الْبَقَرُ بِالْمَوْضِعِ فَإِنَّمَا تَصْيِيرُ الْمَنَافِعِ
كُلِّهَا إِلَى وَضْعِ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا وَإِنَّا إِلَى هَذَا كَلِمَةٌ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ فَإِنَّمَا لَمْ نُوضِعْ
فِي الدُّنْيَا مَوْضِعَ (١) غَنَاءٍ ^(٣) وَخَفَضٍ وَلَكِنْ مَوْضِعَ فَاقَةٍ وَكَثِيرٌ لَسْنَا إِلَى مَا بَيْنَكَ
بِأَرْمَاقِنَا مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ بِأَخْوَجَ مِنَّا إِلَى مَا يُثَبِّتُ عَتُونَنَا مِنَ الْأَدَبِ الَّذِي
يُرْتَفِئُ الْعُقُولُ . وَلَيْسَ غِذَاءُ الطَّعَامِ بِأَسْرَعَ فِي نَبَاتِ الْجَسَدِ مِنْ غِذَاءِ الْأَدَبِ

القائمة مثلا ثم استعير منه للنفقات في المراتب المعنوية تشبها لها بالمراتب المحسوسة وشاع
استعماله فيها أكثر من استعماله في الأصل فقل زيد دون عمرو في الشرف ثم اتسع في هذا
المستعار فاستعمل في كل تجاوز حد وتخطى حكم إلى حكم وإن لم يكن هناك تفاوت
وانحطاط وهو في هذا المعنى مجاز في المرتبة الثالثة وهذه المعنى قريب من أن يكون بمعنى
غير كونه أداة الاستثناء نحو لا تتخذوا من دونه أولياء (١) الرشد الصلاح وهو صابة
الصواب ضد التي وهو الضلال والخيبة والتي منصوب معطوف على ضمير وجده البارز ،
واصطنق بمعنى اختار رأى اختار من الرشد والتي التي منه هرب لامن غيره وهو التي ،
وألقي أي ألقي وأبطل الذي إليه لا إلى غيره مسمى وهو الرشد وسبب ذلك عدم التثبت (٢)
أي اصطنق (٣) الغناء باند والفتح النفع ، والخفض السعة في العيش والفاقة الفقر والسكد
الشدة في العمل وطلب الكسب ، والارماق جمع رمق محتتين بقية الحياة

في ثبات العقل . وأسنا بالكثرة في طلب المتاع ^(١) الذي يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضَّرِّ
والعَيْلَةِ (١) بِأَحَقِّ مَتَابِ الْكَثَرِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا
وَقَدْ وَضَعْتُ فِي هَذَا الْمِكَتَابِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ الْمَحْفُوظِ حُرُوقًا ^(٢) فِيهَا
عَوْنٌ عَلَى عِمَارَةِ الْقُلُوبِ وَصِقَالِهَا وَتَجَلِيَةِ أَبْصَارِهَا وَإِخْبَاءِ لَتَفْسِكِ الْكِبَرِ وَإِقَامَةِ
لِلتَّذْيِيرِ وَدَلِيلٌ عَلَى تَحَامِيدِ الْأُمُورِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
الْوَاصِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْعَارِفِينَ . وَالْعَارِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَاعِلِينَ .
فَلْيَنْظُرْ أَمْرُوهُ أَيْنَ يَضَعُ نَفْسَهُ فَإِنْ لَيْسَ لَهُ أَمْرٌ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ آفَةٌ نَصِيبًا مِنَ
الْأَلْبِ ^(٣) يَمِيشُ بِهِ لَا يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا تَمَنَّا . وَلَيْسَ كُلُّ ذِي نَصِيبٍ
مِنَ الْأَلْبِ بِمُسْتَوْجِبٍ أَنْ يُسَمَّى فِي ذَوِي الْأَلْبَابِ وَلَا أَنْ يُوصَفَ بِصِفَاتِهِمْ .
فَمَنْ رَامَ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ لِلذَّكَاءِ الْإِمْنِ وَالْوَصْفِ أَهْلًا فَلْيَسْأَلْ خُذْ لَهُ عِتَادَهُ ^(٤)
وَلْيَبْدَأْ لَهُ طَوْلَ أَيَّامِهِ وَلْيُوَثِّرْهُ عَلَى أَهْوَايِهِ فَإِنَّهُ قَدْ رَامَ أَمْرًا جَسِيمًا لَا يَصْلُحُ
عَلَى الْفَضْلَةِ وَلَا يُدْرِكُ بِالْمَعْجَزَةِ ^(٥) وَلَا يَصِيرُ عَلَى الْأَثَرَةِ وَلَيْسَ كَسَائِرُ أُمُورِ
الدُّنْيَا وَسُلْطَانُهَا وَمَالُهَا وَزِينَتُهَا الَّتِي قَدْ يُدْرِكُ مِنْهَا التَّوَانِي ^(٦) مَا يَفُوتُ الْمُنَابِرَ
وَيَصِيبُ مِنْهَا الْعَاجِزُ مَا يُخْطِئُ الْحَازِمُ

(١) ما يجتمع به من الحوائج ، والعيلة الفقر (٢) للحرف عدة معان منها الطرف وحروف
الهجاء والناقصة الضامرة ويستعمل في معنى السكامة وهو المراد هنا (٣) اللب بالضم
العقل ووجه الباب ولم يذكر في القرآن إلا جمده (٤) العتاد كسحاب العدة بالضم يقال
أخذت لأمر عتاده وهو مائة من السلاح والعدوَاب وآلة الحرب (٥) أي العجز (٦)
أي القصر والمنابر المواظب والحازم الصابط لأمره الأخذ بالثقة والمعنى إن العاجز الضعيف
(١) خ دفع الضرر والغلبة

وَيَعْلَمُ أَنَّ عَلَى الْعَامِلِ (١) أُمُورًا إِذَا ضَيَعَهَا حَكَمَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ قَارِنَةً
الْجَهْلِ فَسَلَى الْعَامِلُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ مُشْتَرِكُونَ مُسْتَوُونَ فِي الْحُبِّ لِمَا
يُؤَاقِقُ وَالْبُغْضِ لِمَا يُؤْذِي وَأَنَّ هَذِهِ مَنَزِلَةٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْحَقَمِيُّ (٢) وَالْأَكْبَاسُ
ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَهَا فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ هُنَّ جِمَاعُ (٣) الصَّوَابِ وَجِمَاعُ الْخَطَأِ
وَعِنْدَهُنَّ تَفَرَّقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهْلَاءُ وَالْحَزَمَةُ وَالْمَجْزَةُ

❦ الباب الأول من ذلك ❦

أَنَّ الْعَامِلَ يَنْظُرُ فِيمَا يُؤْذِيهِ وَفِيمَا يَسُرُّهُ فَيَعْلَمُ أَنَّ أَحَقَّ ذَلِكَ بِالطَّلَبِ إِنْ
كَانَ يَمَّا يُحِبُّ وَأَحَقُّهُ بِالِاتِّقَاءِ إِنْ كَانَ يَمَّا يُكْرَهُ أَطْوَلُهُ (٤) وَأَدْوَمُهُ وَأَبْنَاهُ
فَإِذَا (٥) هُرُ قَدْ أَبْصَرَ فَضْلَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا وَفَضْلَ مُرُورِ الْمُرُوءَةِ عَلَى لَدَةِ
الْهَوَى وَفَضْلَ الرَّأْيِ الْجَامِعِ الْعَامِّ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الْأَنْفُسُ وَالْأَعْيَابُ عَلَى
حَاضِرِ الرَّأْيِ الَّذِي يُسْتَمْتَعُ بِهِ قَلِيلًا نَمَّ يَضْمَحِلُّ وَفَضْلَ الْأَكْلَاتِ عَلَى الْأَشْكَالَةِ
وَالسَّاعَاتِ عَلَى السَّاعَةِ

❦ (وَالْبَابُ الثَّانِي) ❦ أَنْ يَنْظُرَ فِيمَا يُؤْثُرُ مِنْ ذَلِكَ فَيَضَعِ الرَّجَاءَ وَالْخَوْفَ فِيهِ
مَوْضِعَهُ فَلَا يَجْعَلُ اتِّقَاءَهُ لِنَظِيرِ الْخَوْفِ وَلَا رَجَاءَهُ فِي غَيْرِ الْمُدْرِكِ فَيَنْزِلَ (ب)
عَاجِلَ الْفَدَاتِ حَالِبًا لَا جَلِيلًا وَيَحْتَمِلُ قَرِيبَ الْأَذَى تَوَقُّيًا لِبَعِيدِهِ فَإِذَا صَارَ إِلَى

قَدْ بَدَرَكَ مِنَ الدُّنْيَا مَا لَا يَدْرِكُهُ الْحَازِمُ (١) جَمْعُ أَحَقٍّ وَهُوَ فَاسِدُ الْعَقْلِ وَالْأَكْبَاسُ
جَمْعُ كَيْسٍ اسْمُ فَاعِلٍ وَزَانٌ جَيِّدٌ وَأَجْيَادٌ وَهُوَ ضِدُّ الْإِحْقِ (٢) جِمَاعُ الشَّيْءِ
بِالْكَسْرِ جَمْعُهُ وَالْحَزَمَةُ جَمْعُ حَازِمٍ وَالْمَجْزَةُ جَمْعُ عَاجِزٍ (٣) خَبْرَانُ فِي قَوْلِهِ إِنْ أَحَقَّ
ذَلِكَ بِالطَّلَبِ (٤) إِذَا هُنَا لِلْفَاجِئَةِ فَتَخْتَصُّ بِالْجَلِيلَةِ الْأَسْمِيَةِ وَلَا تَحْتَاجُ لْجَوَابٍ وَلَا تَقَعُ

(١) خ العاقل (ب) خ فيتنو

الْعَاقِبَةُ بِدَلَالَةِ أَنْ فِرَارَهُ كَانَ تَوَرُّطًا ^(١) وَأَنَّ طَلَبَهُ كَانَ تَتَكَبُّبًا ^(٢)

(والباب الثالث من ذلك) هُوَ تَنْفِيزُ الْبَصَرِ بِالْعَزْمِ بِدَلَالَةِ الْمَعْرِفَةِ بِفَضْلِ
الَّذِي هُوَ أَذْوَمُ وَبَعْدَ التَّنَبُّثِ فِي مَوَاضِعِ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ فَإِنَّ طَالِبَ الْفَضْلِ
يَغِيرُ بَصَرَهُ ثَانَةً حَذِرَانُ وَمُبْصِرُ الْفَضْلِ يَغِيرُ عَزْمَ دُورِمَانَةٍ ^(٣) مَحْرُومٌ .
وَعَلَى الْمَاقِلِ مَخَاصِمَةٌ نَفْسِيَّةٌ وَمُحَاسِنَتُهُا وَالْقَضَاءُ عَلَيْهَا (١) وَالْإِبَانَةُ ^(٢) لَهَا
والتنكيلُ بِهَا

أَمَّا الْمُحَاسِنَةُ فَحَاسِبُهَا بِسَالِمِهَا فَإِنَّهُ لَا مَالَ لَهَا إِلَّا أَيَّامُهَا الْمَعْدُودَةُ الَّتِي مَازَهَبَ
مِنْهَا أَمْ يَسْتَخْلِفُ كَمَا تَسْتَخْلِفُ النُّفُوسُ وَمَا جَعَلَ مِنْهَا فِي الْمَاطِلِ لَمْ يَزَجْجِ إِلَى
الْحَقِّ فَيَتَنَبَّهُ لِهَذِهِ الْمُحَاسِنَةِ عِنْدَ الْحَوْلِ إِذَا حَالَ وَالشَّوْرِ إِذَا اقْتَضَى وَالْيَوْمِ إِذَا
وَلَّى فَيَنْظُرُ فِيهَا أَفْنَى مِنْ ذَلِكَ وَمَا كَسَبَ لِنَفْسِهِ فِيهِ وَمَا كَتَسَبَ ^(٤) عَلَيْهَا فِي
أَمْرِ الدِّينِ وَأَمْرِ الدُّنْيَا فَيَجْمَعُ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ فِيهِ إِحْصَاءُ وَجَدٌ وَتَذَكُّيرٌ (ب)
وَتَبْكَكِيَّةٌ لِنَفْسٍ وَتَذَلِيلٌ لَهَا حَتَّى تَعْتَرَفَ وَتُذْعِنَ

فِي ابْتِدَاءِ الْكَلَامِ وَمَعْنَاهَا الْحَالُ كَذَا فِي الْقَامُوسِ (١) أَيْ وَقَعُوا فِي أَمْرِ شَاقٍ يَعْسُرُ
التَّخْلُصَ مِنْهُ (٢) أَيْ تَحْذِرُهَا وَعَدُّهَا عَنْ مَنَهِجِ الصَّوَابِ (٣) الزَّمَانَةُ السَّكَاحَةُ وَرَجُلٌ
زَمَنَ أَيْ كَسَبَ مَقْعَدَ (٤) الْإِبَانَةُ الْإِظْهَارُ وَالْكَشْفُ أَيْ أَنْ يَظْهَرَ وَيَكْشَفُ لَهَا مَا سَلَفَ
مِنْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ثُمَّ يَسْرُهَا أَوْ يَمَاقِبُهَا وَيُوجِّهُهَا (٥) الْكَسْبُ وَالْإِكْتِسَابُ الْجَمْعُ وَالرَّجْعُ
كِلَاهُمَا مُسْتَعْمَلٌ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَقَدْ يَخْصُ الْكَسْبُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ وَالْإِكْتِسَابُ فِي عَمَلِ
الشَّرِّ وَذَلِكَ عِنْدَ تَقَارُفِهِمَا فَتُسْتَعْمَلُ الْإِلَامُ فِي الْأَوَّلِ وَعَلَى فِي الثَّانِي لِأَنَّ الْإِلَامَ لِلْخَيْرِ وَعَلَى
لِلضَّرِّ فِي الْكَثَرِ وَإِنَّمَا خَصَّ الْإِكْتِسَابَ بِالشَّرِّ لِأَنَّهُ فِيهِ اعْتِمَالٌ وَالنَّفْسُ تَشْتَهِي الشَّرَّ
وَتَجْتَذِبُ إِلَيْهِ فَكَانَتْ أَجَدَ فِي تَحْصِيلِهِ

(١) خ الْإِبَانَةُ (ب) خ وَتَذَكُّيرٌ لِلْأُمُورِ

وَأَمَّا الْخُصُومَةُ فَإِنَّ مِنْ طِبَاعِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالشَّرِّ أَنْ تَدَّعِي الْمَعَافِيرَ ^(١)
فِيهَا مَضَى وَالْأَمَانِيَّةُ ^(٢) فِيمَا بَقِيَ قَبِيرُهَا عَلَيْهَا مَعَافِيرُهَا وَعِلَلُهَا وَشَبَّاهُهَا
وَأَمَّا الْقَضَاءُ فَإِنَّهُ يَحْكُمُ فِيمَا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى السَّيِّئَةِ بِأَنَّهُ قَاضِيَةٌ
مُرْدِيَةٌ ^(٣) مُوَبِّقَةٌ وَلِلْحَسَنَةِ بِأَنَّهُ زَائِنَةٌ مُنْجِيَةٌ مُرَبِّعَةٌ . وَأَمَّا الْإِبَانَةُ وَالنَّاسِكِلُ
فَإِنَّهُ يَسْتُرُ نَفْسَهُ بِتَذَكُّرِ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ وَيَرْجُو ^(٤) عَوَاقِبَهَا وَتَأْمِيلَ فَضْلِهَا
وَيُقَارِبُ نَفْسَهُ بِالتَّذَكُّرِ لِلْسَّيِّئَاتِ (ب) وَالْبَشْعُ ^(٥) بِهَا وَالْإِقْشِيرَارُ مِنْهَا وَالْحُزْنُ لَهَا
فَأَفْضَلُ دَوَى الْأَلْبَابِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ بِهَذَا أَخْذًا وَأَقْلَمُ عَنْهَا فِتْنَةً . وَعَلَى
الْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِكَيْلَ أَنْ يَمُرَّ إِذَا ذَكَرَ أَيَّامَهُ الْقَبُولَ
وَيَقْدَحُ ^(٦) الطَّمَّاحُ فَإِنَّ فِي كَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ عِصْمَةً مِنَ الْأَشْرِ ^(٧) وَأَمَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْهَلَكِ

(١) أى ما تقدر به جمع معنرة على غير قياس وقيل ليست جمع معنرة بل اسم جمع
لهوا ونحوه الما كيرى المنسكر ، وفي القاموس المعافير جمع معذار تكسر الميم وهى
الستور والحجج (٢) جمع أمنية بضم الهمزة ما يتمناه الانسان ويشتهي وتأتى بمعنى الكذب
ولمعى القراءة وايضا بمرادين هنا والياء فيها مشددة ومخففة والجمع تابع لطاى التشديد
والتخفيف (٣) أى مهلكة من أوداه ، وموَبِّقَةٌ أى مهلكة أيضا (٤) البشع
والإبشاعة مصدر بشع كفرح يقال طعام بشع فيه كراهة ومراة ، ورجل بشع
إذا تغيرت ريع فيه ويقال بشع بالأمر كفرح إذا ضاق به ذرعا (٥) فى
القاموس قدعه كتنعه رماه بالفحش وسوء القول كأكذعه وبالعما ضربه ،
والطاماح ككتاب النشور والجراح ولا يناسب الطاماح من معانى القدح الا الاخير
على بعد والا قرب أن يكون قدح بالدار المهملة يقال قدعه منعه وكفه ، وقدح فرسه
كبحه فتأمل (٦) الاشر البطر ، أو الهامح الخشن الجزع الذى هو ضد الصبر

(١) خ رجاء (ب) خ التبشع بها

وعلى الماقل أن يُخصى على نفسه مساوياً في الدين وفي الرأي وفي الأخلاق وفي الآداب فيجتمع ذلك كله في صدر أو في كتاب ثم بكثرة عرضة على نفسه أو بكثرة صلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلقة^(١) أو الخلقين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر فكلما أصلح شيئاً محمداً وكلما نظر إلى (١) ثابت اكتساب^(٢)

وعلى الماقل أن يتقن تحاسن^(٣) الناس ويحفظها ويخصيها ويصنع في توظيفها على نفسه وتمهيداً بذلك مثل الذي وصفنا في إصلاح الماوى وعلى الماقل أن لا يتحادن^(٤) ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع إلا إذا فضل في الدين والعلم والأخلاق فيأخذ عنه أو موافقاً له على صلاح ذلك فهو يزد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل فإن انخصال الصالحة من البر^(٥) لا تنجها ولا تنسى إلا بالمواقفين والمهذبين والمؤيدين وليس الذي الفضل قريب ولا حميم^(٦) هو أقرب إليه وأحب بمن وافقه على صالح انخصال فزاده وثبته ولذلك زعم بعض الأولين أن صفة بلدي نشأ مع العلماء أحب إليهم من صفة ليبي نشأ مع الجهال

وعلى الماقل أن لا يحزن على شيء فاته من الدنيا أو تولى وأن يميز ما أصاب (ب)

(١) الخصلة (٢) حزن واغم (٣) جمع حسن باضم على عبر قياس ، والماوى النفاص والعيوب جمع مساء (٤) أى يصادق والخذن الصديق (٥) البر بالكسر الخير والطاعة والصدق والاتساع في الاحسان (٦) جهنك قريبك الذي تهتم لأمره ، والحميم الماء الحار والماء البارد

(١) خ نظر الى محو استبشر وكلما نظر الى (ب) خ ما أصابه

مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ مَنَزَلَةٌ مَالِمٌ يُصِيبُ وَيُنْزِلُ مَا طَلَبَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ
يُنْزِرْ كُهُ مَنَزَلَةٌ مَالِمٌ يَطْلُبُ وَلَا يَدْعُ حَظَّهُ مِنَ الشُّرُورِ بِمَا أَقْبَلَ مِنْهَا وَلَا
يَبْلُغُنَّ (١) سُكْرًا وَلَا طُغْيَانًا فَإِنَّ مَعَ السُّكْرِ الذِّسْيَانَ وَمَعَ الطُّغْيَانِ النَّهْوَ
وَمَنْ نَبَى وَتَهَاوَنَ خَسِرَ

وعلى العاقل أن يؤنس ذوى الألباب بنفسه ويهجرهم عليها حتى يصيروا
حرماً على سمعه وبصره ورأيه فيستنسبهم إلى ذلك ويريج له قلبه ويعلم
أنهم لا يفعلون عنه إذا هو غفل عن نفسه

وعلى العاقل المالم يكن مغلوباً على نفسه أن لا يشغله شغل عن أربع
ساعات ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحوه في أمره وساعة
يخلى فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجعل فإن هذه (ب) الساعات
هون على الساعات الأخر وإن استجماع القلوب (١) وتوديعها زيادة قوة لها
وفضل بلغة . وعلى العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلاث خصال
تزود لمعاد أو مرمو (٢) لِمَاشٍ أو لذو في غير محرم

وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين
مختلفين طبقة من العامة يلبس لهم لباس أقباض والنجازي ويحترز ويحفظ

(١) أى اراحها يقال أجم نفسك يوماً وبومين أرحها ، وأجم نفسك ويقال فى
لاستجم قلبى بشئ من اللهو لأقوى به على الحق ، والجسام بالفتح الراحة ويقال أجم الماء
وجه تركه يجتمع ، والتوديع الترك (٢) ما يكتفى فى الماش

(١) خ ولا يبلغن ذلك سكرًا (ب) خ الساعة

فِي كُلِّ كَلِيَّةٍ وَخَطْوَةٍ وَطَبَقَةٍ مِنَ الْخَاصَّةِ يَخْلَعُ عَنْهُمْ لِبَاسَ النَّشْدِيدِ وَيَلْبَسُ
لِبَاسَ الْأُنْسَةِ وَالْعُطْفِ وَالْبَذَلَةِ وَالْمُتَاوَضَةِ وَلَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ إِلَّا وَاحِدٌ
مِنْ أَلْفِ كُلِّهُمْ ذُو فَضْلٍ فِي الرَّأْيِ وَرَفَقَةٍ فِي الْمَوَدَّةِ وَأَمَانَةٍ فِي السِّرِّ وَوَفَاءٍ بِالْإِخَاءِ
وَعَلَى الْمَاعِزِ أَنْ لَا يَبْتَغِي شَيْئًا مِنَ الْخَطَا فِي الرَّأْيِ وَالزَّلَلِ فِي الْعِلْمِ
وَالْإِغْفَالِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّ مِنْ اسْتَصْفَرَ الصَّغِيرَ أَوْ شَكَ أَنْ يَجْمَعَ إِلَيْهِ صَغِيرًا
وَصَغِيرًا فَإِذَا الصَّغِيرُ كَبُرَ وَإِنَّمَا هِيَ تَلْمُزٌ^(١) يَتْلَمُّهَا الصَّغِيرُ وَالتَّضْيِيعُ
فَإِذَا لَمْ تُسَدَّ أَوْ شَكَتْ أَنْ تَنْفَجِرَ بِمَا لَا يُطَاقُ وَلَمْ تَرَ شَيْئًا قَطُّ قَدْ آتَى إِلَّا مِنْ
قَبْلِ الصَّغِيرِ الْمُتَهَاوِنِ بِهِ

قَدْ رَأَيْتُ الْمَلِكَ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ الْمَدْوَى الْمُخْتَرِ وَرَأَيْتُ الصِّحَّةَ تَوْتِي مِنَ الدَّاءِ
الَّذِي لَا يُخْلُ بِه^(٢) وَرَأَيْتُ الْأَنْهَارَ تَنْبَقِي^(٣) مِنَ الْجَدُولِ الَّذِي يُسْتَخَفُّ بِهِ
وَأَقْلُ الْأُمُورِ احْتِمَالًا لِلضَّيَاعِ الْمَلِكُ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ يَضْمَعُ وَإِنْ كَانَ
صَغِيرًا إِلَّا اتَّصَلَ بِآخِرٍ يَكُونُ عَظِيمًا

وَعَلَى الْمَاعِزِ أَنْ يَجْتَنِبَ (١) عَنِ الرَّأْيِ الَّذِي لَا يَجِدُ عَلَيْهِ مُوَافِقًا وَإِنْ عَلَنَ
أَنَّهُ عَلَى الْبَقِيَّةِ

وَعَلَى الْمَاعِزِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الرَّأْيَ وَالْهَوَى مُتَعَادِيَانِ وَأَنَّ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ
تَنْوِيْفَ^(٤) الرَّأْيِ وَإِسْمَافَ^(٥) الْهَوَى فَيُخَالِفُ ذَلِكَ وَيَلْتَمِسُ أَنْ لَا يَزَالَ
هَوَاهُ مُوَفَّقًا وَرَأْيُهُ مُعَقَّمًا

(١) جمع تلمة كغرف وغرفة وهي الخلل في الحائط وغيره (٢) أي لا يبالى به (٣) أي
تنفجر (٤) أي المظل (٥) أي مساعدته يقال أسعفه بمجأته إذا قضاها له

(١) خ يجب عن المضى على الرأي

وعلى العاقل إذا أشتبَه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب أن يفتر
أخواها عنده فيحذره . من نصب نفسه للناس اماماً في الدين فمليه أن يبدأ
بتعليم نفسه وتقويتها في السيرة والطعمة ^(١) والرأي واللفظ والأخذان
فيكون تعليمه يسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه فإنه كما أن كلام الحكمة
يؤتى ^(٢) الأسماع فكذلك عمل الحكمة يروى العيون والقلوب ومعلم نفسه
ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم
ولاية الناس بلا عظيم

وعلى الوالي أربع خصال هي أعيدة السلطان ^(٣) وأزكاته البق
بها يقوم وعليها يثبت — الاجتهاد في التحير — والمباينة في التقدم —
والتهمد ^(٤) الشديد — والجزاء العتيد ^(٥)

أما التحير للعمال والوزراء فإنه نظام الأمر ووضع مؤنة البعيد المنتشر
فإنه عسى أن يكون بتخير رجلاً واحداً قد اختار ألفاً لأنه من كان من
العمال خياراً فسيختار كما اختير ولعل عمل (١) العامل وعمل عماله
يتلغون عددًا كثيرًا فمن تبين التحير فقد أخذ بسبب وثق ^(٦) ومن

(١) أي المأكاة (٢) أي يعجب والتأنيق التعجب ، و يروق أي يعجب من الروق
وهو الاعجاب بالشئ (٣) الولاية والسلطنة والسلطان أيضا الوالى مشتق من السلطة
التي هي القهر والغلبة وهو بهذا المعنى مذكراً لأنه أراد به الشخص ، وقيل أنه جمع
سليط مثل رغيف ورغفان ، والسليط الدهن واشتقاقه منه لاضاءته فكأنه نور يضيء
به الملك لانه يرفع عن الحق ظلام الظلم ويذهب بنور العدل (٤) أي النفقذ والحفظ
بالشئ وتجبيد العهد به (٥) أي الحاضر المهيأ (٦) أي محكم

(١) خ عمال العامل وعمل عماله

أَسَّسَ أَمْرَهُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَجِدْ لِبُنْيَانِهِ (١) قَوَامًا (٢) وَأَمَّا التَّقْدِيمُ
وَالْتَوْكِيدُ (ب) فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ ذِي لُبٍّ أَوْ ذِي أَمَانَةٍ بِغَرَفٍ وَجُودِ الْأُمُورِ
وَالْأَعْمَالِ وَلَوْ كَانَ بِذَلِكَ عَارِفًا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ حَقِيقًا أَنْ يَكِلَ ذَلِكَ إِلَى
عَلَمِهِ دُونَ تَوْقِيفِهِ عَلَيْهِ وَتَبْيِيسِهِ لَهُ وَالْإِحْتِجَاجِ بِهِ عَلَيْهِ وَأَمَّا التَّهْدِيدُ فَإِنَّ
الْوَالِيَّ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا وَإِنْ الْعَامِلُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ كَانَ
مُتَحَصِّنًا حَرِيظًا وَأَمَّا الْجَزَاءُ فَإِنَّهُ تَثْبِيتُ الْمُحْسِنِ وَالرَّاحَةُ مِنَ الْمُسِيءِ

لَا يُنْتَطَاعُ السُّلْطَانُ إِلَّا بِالْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ وَلَا تَنْفَعُ الْوُزَرَاءُ إِلَّا بِالْمُؤَدَّةِ
وَالنَّصِيحَةِ وَلَا الْمُؤَدَّةُ إِلَّا مَعَ الرَّأْيِ وَالْعَنَافِ وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ وَقَلْدًا
تُسْتَجْمَعُ الْخِصَالُ الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ أَحَدٍ وَإِنَّمَا الْوَجْهُ فِي ذَلِكَ وَالسَّبِيلُ إِلَيْهِ الَّذِي
يُسْتَقِيمُ بِهِ الْعَمَلُ (ج) أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ السُّلْطَانِ عَالِمًا بِأُمُورٍ مَنْ يُرِيدُ
الْإِسْتِعَانَةَ بِهِ وَمَا (٢) عِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الرَّأْيِ وَالْعَنَاءِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ
فَإِذَا اسْتَفْرَغَ ذَلِكَ عِنْدَهُ عَنْ عِلْمِهِ وَهَلُمَّ مَنْ يَأْتِيهِ وَجْهٌ لِكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ
عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ (٣) وَالْأَمَانَةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ وَأَنْ مَا فِيهِ
مِنَ الْعُيُوبِ لَا يَضُرُّ بِذَلِكَ وَيَتَحَفَّظُ مِنْ أَنْ يُوجِبَةَ أَحَدًا وَجَنًّا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى
مُرُوءَةٍ إِنْ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلَا يَأْمَنُ هَيُوءَةً وَمَا يُسْكِرُهُ مِنْهُ

(١) قوام الأمر عماده وانتظامه (٢) اسم موصول محمله الجر عطفًا على أمور رأى
وعملًا بالذي عنده كل رجل ، وقوله من الرأي والعناء بيان لما ، والعناء بالفتح النفع
وما الثانية عطف على الأولى (٣) الشجاعة

(١) خ لم يجد لبناؤه (ب) خ والتوكيد (ج) خ الذي به يستقيم العمل

ثُمَّ عَلَى الْمُلُوكِ بَعْدَ ذَلِكَ تَعَهُدُ عُمَالِهِمْ وَتَقَعْدُ أُمُورِهِمْ حَتَّى لَا يَنْخَبِثَ عَلَيْهِمْ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ

ثُمَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ لَا يَشْتَرُوا مُحْسِنًا بِفَيْرٍ جَزَاءٍ وَلَا يَقْرُوا مُسِيئًا وَلَا عَاجِزًا عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالْعَجْزُ فَتَنْهَمُ إِنْ تَرَكَوا ذَلِكَ تَهَاقُوتَ الْمُحْسِنُ وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ وَقَسَدَ الْأَمْرُ وَضَاعَ الْعَمَلُ .

إِقْتِصَادُ السُّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ ^(١) وَفِي بَعْدِ الْهَيْمَةِ ^(٢) يَكُونُ النَّصَبُ وَمَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحُزْنَ .

سُوهُ حَمَلِ الْغِنَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْفَرَحِ مَرَحًا . وَسُوهُ حَمَلِ الْفَقَاةِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّلَبِ شَرَهًا . وَعَارُ الْفَقْرِ أَهْوَنُ مِنْ عَارِ الْغِنَى . وَالْحَاجَةُ مَعَ الْمَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْبَغْضَةِ ^(٣) . وَالذُّنْيَا دَوْلٌ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَنْكَارٌ عَلَى ضَعْفِكَ وَمَا كَانَ عَلَيْكَ ثُمَّ تَدْفَعُهُ بِقُوَّتِكَ . إِذَا جَعَلَ الْكَلَامُ مَثَلًا كَانَ أَوْضَحَ لِلْمَنْطِقِ وَأَبْنَى فِي الْمَعْنَى وَأَقْنَى ^(٤) لِلسَّمْعِ وَأَوْضَعَ لِشُؤْبِ ^(٥) الْحَدِيثِ أَشَدُّ الْفَقَاةِ ^(٦) عَدَمُ الْعَقْلِ . وَأَشَدُّ الْوَحْدَةِ وَحْدَةُ الْأَجُوجِ ^(٧) . وَلَا أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ . وَلَا أَنْسَ أَنْسُ مِنَ الْإِسْتِشَارَةِ

(١) الاقتصاد والقصد التوسط وطلب الاستد وعدم مجاوزة الحد وهو ضد الإفراط والنفريط والجمام كسحاب الراحة (٢) الهمة بالكسر والفتح القصد والعزم على فعل الشيء وجمعها همم ، وهم بالشيء أراد أن يفعلوه وقصدله ، ويقال فلان بعيد الهمة ، وبعد الهمة مجاوزة الحد في القصد (٣) البغصة بالكسر شدة البغض كالْبَغْضَاءِ (٤) أى أحسن وأعجب (٥) أى لشجونه وفنونه (٦) الفقر والحاجة ، وافئاق افتياق الاحتياج (٧) أى الخصام المتدادى في الخصومة

مِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ صَلَاحُ الصَّالِحِ وَحُسْنُ نَظَرِهِ لِلنَّاسِ أَنْ يَكُونَ إِذَا اسْتَنْصَبَ^(١)
 الْمَذْنِبُ سَوْرًا لَا يُشِيعُ (١) وَإِذَا اسْتَشِيرَ سَمْعًا بِالنَّصِيحَةِ جُحْدًا لِلرَّأْيِ
 وَإِذَا اسْتَشَارَ مَطَرَحًا لِلْحَيَاءِ (ب) وَمُسْتَرْفًا لِلْحَقِّ
 (٢) الْقِسْمُ الَّذِي يَقْسَمُ لِلنَّاسِ وَيَمْتَحِنُونَ بِهِ نَحْوَانِ (٣) فَمِنْهُ حَارِسٌ وَمِنْهُ
 مَحْرُوسٌ فَالْحَارِسُ الْعَقْلُ وَالْمَحْرُوسُ الْمَالُ

وَالْعَقْلُ بِإِذْنِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يُحَرِّزُ الْحِظَّ وَيُوْنِسُ الْغُرْبَةَ وَيَنْفِي الْفَاقَةَ
 وَيُعْرِفُ الثُّكْرَةَ وَيُسَيِّرُ الْمَكْسِبَةَ وَيُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ وَيُوجِّهُ الشُّوقَ (٤) عِنْدَ
 السُّلْطَانِ وَيَسْتَنْزِلُ لِلْسُّلْطَانِ نَصْحَةَ الشُّوقِ وَيَكْسِبُ الصَّدِيقَ وَيَنْفِي الْعَدُوَّ
 كَلَامُ الْاَلِيْبِ وَإِنْ كَانَ نَزْرًا (٥) أَدَبٌ عَظِيمٌ وَمُمَارَقَةٌ (٦) الْمَأْتَمُ
 وَإِنْ كَانَ مُحَنَّرًا مُصِيبَةً جَلِيلَةً وَإِقَاءُ الْإِخْوَانِ وَإِنْ كَانَ بِسِيرًا غَنَمٌ حَسَنٌ .
 قَدْ يَنْتَقِي إِلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ أَجْنَاسٌ مِنْ نَاسٍ كَثِيرًا أَمَّا الصَّالِحُ فَمَدْعُوٌّ
 وَأَمَّا الطَّالِبُ فَمَقْتَحِمٌ (٧) وَأَمَّا ذُو الْأَدَبِ فَطَالِبٌ وَأَمَّا مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ
 (ج) فَمُحْتَبَسٌ (٨) وَأَمَّا الْقَوِيُّ فَمَدَافِعٌ وَأَمَّا الضَّعِيفُ فَمَدْفُوعٌ وَأَمَّا الْمُحْسِنُ
 فَمُسْتَنْبِئٌ (٩) وَأَمَّا الْمُسِيءُ فَمُسْتَجِيرٌ فَهُوَ نَجْعُ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ

(١) أَيْ طَلَبُ الْإِعْتَابِ وَاسْتَقْلَالُ مِنَ الذَّنْبِ (٢) أَيْ النَّصِيبُ (٣) أَيْ التَّعْوِ الطَّرِيقِ
 وَالْجِهَةِ وَالْقَصْدِ (٤) السُّوقَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ خِلَافُ الْمَلَاكِ يَطُوقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالثَّنْيِ وَالْمَجْمُوعِ
 وَرَبِّمَا جَمَعَ عَلَى سَوَاقٍ كَقَرْفَةٍ وَغُرْفٍ كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ (٥) أَيْ قَلِيلًا (٦) أَيْ مَخَالِطَةً
 الذَّنْبِ وَإِنْ كَانَ أَيْ الذَّنْبُ مُحْتَرَامٌ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ (٧) أَيْ دَاخِلَ أَبْوَابِ السُّلْطَانِ
 وَرَامَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهَا مِنْ غَيْرِ رُوبَةٍ (٨) أَيْ مَمْنُوعٌ مِنَ الدَّخُولِ (٩) أَيْ طَالِبُ الْإِنَابَةِ مِنْهُمْ

(١) خ لَا يَشِيعُ وَلَا يَذِيعُ (ب) خ مَطَرَحًا لِلْحَيَاءِ مِنْ هَذَا لِحَزْمٍ مُعْتَرَفًا (ج) خ فَخْتَلَسَ
 وَالشَّرِيفُ

وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ

النَّاسُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ عَصَمَ اللَّهُ مَذْخُولُونَ فِي أُمُورِهِمْ ^(١) فَقَالَتْ لَهُمْ بَاغٍ ^(٢) —
 وَسَامَهُمْ عِيَابٌ ^(٣) — وَسَأَلْتُهُمْ مُّتَعَيِّتٌ — وَجَبَّيْتُهُمْ مُّتَكَلِّفٌ —
 وَوَأَعِظْتُهُمْ غَيْرُ حَقِّقٍ إِقْوَالِهِ بِالْفِعْلِ — وَمَوْهُوْظُهُمْ غَيْرُ سَلِيمٍ مِنَ
 الْإِسْتِخْفَافِ — وَالْأَمِينُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُتَحَفِّظٍ مِنْ إِيْتِيَانِ الْخِيَانَةِ — وَذُو
 الصِّدْقِ (١) غَيْرُ مُخْتَارٍ مِنْ حَدِيثِ الْكَذْبَةِ — وَذُو الدِّينِ غَيْرُ مُتَوَرِّعٍ
 عَنْ تَفْرِيطِ الْفَجَرَةِ — وَالْحَازِمُ ^(٢) مِنْهُمْ غَيْرُ تَارِكٍ لِتَوْقَعِ الدَّوَائِرِ —
 يَتَنَاقَضُونَ ^(٣) الْبَنَى — وَيَتَرَقَّبُونَ ^(٤) الدُّوَلِ — وَيَتَعَاطَلُونَ الْقَبِيحَ —
 وَيَتَعَايَنُونَ ^(٥) بِالْعَمْرِ (ب) — وَيَزَعُونَ ^(٦) فِي الرِّخَاءِ بِالتَّحَاسُدِ — وَفِي
 الشَّدَةِ بِالتَّجَادُبِ (ج)

(١) أى فى أمورهم غش وفساد وعيب اذ المذخول من دخله عيب وفساد اسم مفعول
 دخل كعنى أى فى عقله دخل وهو الفساد والمسكر والخديعة (٢) اسم فاعل بغير معنى
 اعتدى ونجاوز وظلم (٣) مبالغة عائب أى كثير العيب للناس (٤) الضابط لأمره
 والآخذ بالثقة (٥) التناقض تفاعل من النقض فى البناء والحبل والعهد وغيره ضد
 الإبرام يقال نقض البناء عهده ونقض العهد معنى أبطله وحله وهذا من المجاز ، والبنى
 بكسر الباء وضمها جمع بنية بالكسر والضم أى الهيئة التى بنى عليها البنيان (٦)
 الترقب الانتظار ، والدول جمع دولة وهى انقلاب الزمان (٧) التعاين تفاعل من المعاينة
 وهى النظر بالبالصرة ، والعمز الاشارة الى آخر بعين أو بحاجب (٨) رعاه يراعه لاحظته
 وحفظه ، والرعا سعة العيش والخصب ، والتجاذب تفاعل من الجذب وهو المد
 والجبر ، يعنى ان رعايته بعضهم لبعض انما تكون فى زمن الخصب بالتحاسد وفى زمن
 الشدة والقحط بالتجاذب أى ايقاع بعضهم بعضا فيها

(١) — والصدق (ب) خ يتعاينون بالهمز (ج) خ مولعون فى الرخاء بالتحاسد

ثُمَّ قَدْ انْتَرَعَتِ الدُّنْيَا يَمِّنَ قَدِ اسْتَمْسَكَ مِنْهَا وَاعْتَكَفَتْ لَهُ فَأَصْبَحَتْ
الْأَعْمَالُ أَعْمَالَهُمْ وَالذُّنُوبُ دُنْيَا غَدِيرِهِمْ وَأَخَذَ مَتَاعَهُمْ مَنْ لَمْ يَحْمِذْهُمْ وَخَرَجُوا
إِلَى مَنْ لَا يَمْدُرُهُمْ فَأَصْبَحْنَا خَلْقًا مِنْ بَدَنِهِمْ نَتَوَقَّعُ مِثْلَ الَّذِي زَالَ بِهِمْ فَحَنُّ
إِذَا تَدَبَّرْنَا أُمُورَهُمْ أَحْقَاهُ أَنْ نَنْتَظِرَ مَا نَنْتَظِرُهُمْ بِهِ فَتَنْبِئُهُ وَمَا تَخَافُ هَلْ يَسْمُ
مِنْهُ فَتَجَنِّبُهُ

كَانَ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ وَيَنْتَهِي بِقَلْبِهِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّيْءِ
وَيَنْتَهِي بِشَهْوَتِهِ فَإِذَا كُنْتَ لَا تَفْعَلُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا مَا اسْتَهْبَتْ وَلَا تَرْكُ
مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَا كَرِهَتْ فَقَدْ أَطْلَعَتِ الشَّيْطَانُ عَلَى عَوْرَتِكَ وَأَمْسَكَتَهُ مِنْ
أَرْمِكَ فَأَوْشَكَ أَنْ يَقْتَحِمَ عَلَيْكَ فِيمَا نَحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ فَيُكْرَهُهُ إِلَيْكَ وَفِيمَا
تُكْرَهُهُ مِنَ الشَّرِّ فَيُحِبُّهُ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَكَ فِي حُبِّ مَا تُحِبُّ مِنْ
الْخَيْرِ التَّحَامُلُ عَلَى مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهُ وَيَنْبَغِي لَكَ فِي كَرَاهَةِ مَا تُكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ
التَّجَنُّبُ لِمَا نَحِبُّ مِنْهُ

لِلدُّنْيَا زُخْرُوفٌ يَنْلِيبُ الْجَوَارِحَ مَا لَمْ تَغْلِبْهُ الْأَلْبَابُ وَالْحَكِيمُ مَنْ لَمْ يَفْضُ
عَلَيْهِ طَرَفُهُ وَلَمْ يَشَلْ بِهِ قَلْبَهُ إِطْلَعَ مِنْ أَدْنَاهُ فِيهَا وَرَأَاهُ وَذَكَرَ فِي بَدَنِهِ
لَوَاحِقَ شَرِّهِ فَأَكَلَ مَرْءُهُ وَشَرِبَ كَدْرُهُ لِيَحْلُوَ لَهُ وَيَصْفُوَ فِي طَوْلٍ مِنْ أَقَامَةِ
الْعَيْشِ الَّذِي يَبْقَى وَيَدُومُ غَيْرَ عَائِفٍ فَرُشْدٍ إِنْ لَمْ يَلْقَهُ بِرِضَاهُ وَلَمْ يَأْتِهِ
مِنْ طَرِيقِ هَوَاهُ

لَا تَأَلَّفِ الْمُسْتَوْحَمَ وَلَا تَقَمَّ عَلَى غَيْرِ الثِّقَةِ . قَدْ بَلَغَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ

وَفِي الشَّدَةِ بِالتَّخَاذُلِ

مِنَ السَّعَةِ وَبَلَّغْتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّبُوحِ مَا لَوْ أَنَّ أَحْسَنَهُمْ حَقًّا وَأَقْلَهُمْ مِنْهُ نَصِيبًا وَأَضْعَفُهُمْ عِلْمًا وَأَفْجَزُهُمْ عَمَلًا وَأَعْيَاهُمْ لِسَانًا بَلَغَ مِنَ الشُّكْرِ لَهُ وَالنَّشَاءِ عَلَيْهِ بِمَا خَلَصَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ وَوَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمَتِهِ مَا بَلَغَ لَهُ مِثْلُهُ أَعْظَمُهُمْ حَقًّا وَأَوْفَرُهُمْ نَصِيبًا وَأَفْضَلُهُمْ عِلْمًا وَأَفْوَاهُهُمْ عَمَلًا وَأَبْسَطُهُمْ لِسَانًا لَكَانَ عَمَّا اسْتَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُقَصِّرًا وَعَنْ بُلُوغِ غَايَةِ الشُّكْرِ بَمِيدًا وَمَنْ أَخَذَ بِحَقْلِهِ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَمَعْرِفَةِ نِعْمَتِهِ وَالنَّشَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّحْمِيدِ لَهُ قَدَّ اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ مِنْ أَذَاتِهِ إِلَى اللَّهِ وَالْقُرْبَى عِنْدَهُ وَالْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ وَالْمَزِيدَ فِيهَا شُكْرَهُ عَلَيْهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَحُسْنِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ

أَفْضَلُ مَا يُنَلِّمُ بِهِ عِلْمُ ذِي الْعِلْمِ وَصَلَاخُ ذِي الصَّلَاحِ أَنْ يَسْتَصْلِحَ بِمَا أَوْقَى مِنْ ذَلِكَ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنَ النَّاسِ وَيَرْغَبُهُمْ فِيمَا رَغِبَ فِيهِ لِنَفْسِهِ مِنْ حُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ حِكْمَتِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَالرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثَوَابِهِ فِي الْعَادِ إِلَيْهِ وَأَنْ يُبَيِّنَ الَّذِي لَهُمْ مِنَ الْأَخْذِ بِذَلِكَ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ فِي تَرْكِهِ وَأَنْ يُورِثَ ذَلِكَ أَهْلَهُ وَمَعَارِفَهُ لِيَلْحَقَهُ أَجْرُهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ

الَّذِينَ أَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ إِلَيْهِ وَصَلَتْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ وَأَعْظَمُهَا مَنَفَعَةً وَأَحْمَدُهَا فِي كُلِّ حِكْمَةٍ قَدْ بَلَغَ فَضْلُ الدِّينِ وَالْحِكْمَةِ أَنْ مَدَّهَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْجَمَالِ عَلَى جِهَاتِهِمْ بِيَمَا وَعَمَلُهُمْ عَنْهَا

أَحَقُّ النَّاسِ بِالْإِطْلَاقِ أَهْلُ الرَّأْفَةِ (أ) وَأَحَقُّهُمْ بِالتَّذْيِيرِ الْعُلَمَاءُ (وَأَحَقُّهُمْ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ (ب)) وَأَحَقُّهُمْ بِالْعِلْمِ أَحْسَنُهُمْ تَأْدِيبًا

(أ) خ أهل المعرفة (ب) هذه الجملة سقطت من النسخة البعلبكية

وَأَحَقُّهُمْ بِالْفَنَى أَهْلُ الْجُودِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْ اللَّهِ أَنْفَذُهُمْ فِي الْحَقِّ عِلْمًا وَأَكْثَلُهُمْ
 بِهِ عَمَلًا وَأَخْصَكُهُمْ أَبْدُهُمْ مِنَ الشَّكِّ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَأَصَوْبُهُمْ رَجَاءً أَوْتَقُّهُمْ
 بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ انْتِفَاعًا بِعِلْمِهِ أَبْدُهُمْ مِنَ الْأَذَى وَأَرْضَاهُمْ فِي النَّاسِ أَفْسَاهُمْ
 مَعْرُوفًا وَأَقْوَاهُمْ أَحْسَنُهُمْ مَعُونَةً وَأَشَجَّعُهُمْ أَشَدُّهُمْ عَلَى الشَّيْطَانِ وَأَفْلَحُهُمْ
 بِالْحُجَّةِ أَغْلِبُهُمْ لِلشُّعُورَةِ وَالْخِرَاصِ وَأَخَذُهُمْ بِالرَّأْيِ أَثَرُكُمْ لِلْهَوَى وَأَحَقُّهُمْ
 بِالْمُودَةِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ حَيَاءً وَأَجْوَدُهُمْ أَصَوْبُهُمْ بِالْعَطِيَّةِ مَوْضِعًا وَأَطْوَلُهُمْ رَاحَةً
 أَحْسَنُهُمْ لِلْأُمُورِ احْتِمَالًا وَأَقْلَبُهُمْ ذَهَبًا أَزْجَبُهُمْ ذُرْعًا . وَأَوْسَعُهُمْ غِنًى أَقْنَمُهُمْ
 عِمَّا أَوْقَى . وَأَخْفَضُهُمْ عَيْنًا أَبْدُهُمْ مِنَ الْإِفْرَاطِ وَأَظْهَرُهُمْ جَمَالًا
 أَظْهَرُهُمْ حَصَافَةً

وَأَمَنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَكْثَلُهُمْ نَابًا وَمُخَلَّبًا

وَأَثْبَتُهُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ أَنْفَطَقَهُمْ عَنْهُمْ

وَأَعْدَلُهُمْ فِيهِمْ أَدْوَمُهُمْ مُسَالَمَةً لَهُمْ

وَأَحَقُّهُمْ بِالزَّعَمِ أَشْكَرُهُمْ لِمَا أَوْقَى مِنْهَا

أَفْضَلُ مَا يُورِثُ الْآبَاءَ الْأَبْنَاءَ الثَّنَاءَ الْحَسَنُ وَالْأَدَبُ النَّافِعُ وَالْإِخْوَانُ الصَّالِحُونَ

فَصَلُّ مَا بَيْنَ الدِّينِ وَالرَّأْيِ أَنَّ الدِّينَ يَسْلَمُ بِالْإِيمَانِ وَأَنَّ الرَّأْيَ يَثْبُتُ

بِالْخُصُومَةِ فَمَنْ جَمَلَ الدِّينَ خُصُومَةً فَقَدْ جَمَلَ الدِّينَ رَأْيًا وَمَنْ جَمَلَ الدِّينَ

رَأْيًا (١) فَقَدْ صَارَ شَارِعًا وَمَنْ كَانَ هُوَ يَشْرِعُ لِنَفْسِهِ الدِّينَ فَلَا دِينَ لَهُ

قَدْ يَشْتَبِهُ الدِّينَ وَالرَّأْيُ فِي أَمَّا كَيْفَ لَوْلَا تَشَابُهُمَا لَمْ يَحْتَاجَا إِلَى الْفَصْلِ

(١) خ ومن جعل الرأي دينًا

المحب آفة العقل والأجاجة قود الهوى
والبخل لقاح الخرص والمراه فساد اللسان والحيلة^(١) سبب الجهل
والأنف توأم السفه والمنافة أخت العداوة

إذا هممت بالخير فبادر هোক لا يذابك وإذا هممت بشر فسوف هোক
لعلك تظفر فإن ماضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنم

لا يمنعك صغر شأن امرئ من اجتناء ما رأيت من رأييه صواباً واصطفاه
ما رأيت من أخلاقه كريماً فإن الأولوة الفارقة لا تهاون غائصها الذي استخرجها
من أبواب الترفق والتوفيق في التعليم أن يكون وجه الرجل الذي يتوجه
فيه من العلم والأدب فيما يوافق طاعة ويكون له عنده محمل وقبول فلا
يذهب عناؤه في غير غناء ولا تفني أيامه في غير درك ولا يستفرغ نصيبه
فيما لا ينفع فيه ولا يكون كرجل أراد أن يعمر أرضاً تهمه فقرها جوزاً
ولوزاً وأرضاً جلساً فقرها نخلاً وموزاً

العلم زين لصاحبه في الرخاء ومنجاة له في الشدة
بالأدب تعمز القلوب وبالعلم تستحك الأحلام فالعقل الزاكي غير
الصنيع كالأرض الطيبة الخراب

مما يدل على معرفة الله (وهو) سبب الإيمان أن وكل بالغيب لكل
ظاهر من الدنيا صغير أو كبير عينا فهو يضرفه ويحركه فمن كان مقتبلاً
بالجليل من ذلك فليتنظر إلى السماء فيعلم أن لها رباً يجرى فلحكما ويدبر

أَمْرَهَا . وَمَنْ عَتَبَرَ بِالصَّغِيرِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةِ الْخَرْدَلِ فَيَعْرِفَ أَنَّ لَهَا مَدِيرًا يُنَبِّئُهَا بِوَزْنِ كَيْفَا وَيَقْدِرُ لَهَا أَقْوَاتَهَا مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ بِوَقْتِ لَهَا زَمَانَ نَبَاتِهَا وَزَمَانَ تَهْتُمْهَا . وَأَمْرُ النَّبُوَّةِ وَالْأَحْلَامِ وَمَا يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ثُمَّ يَظْهَرُ مِنْهُمْ بِأَقْوَالِ وَالْفِعْلِ ثُمَّ اجْتِمَاعُ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَالِ وَالْمُتَّقِينَ وَالضَّالِّينَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ وَاجْتِمَاعُ مَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَكَذَّبَ بِهِ عَلَى الْأَقْرَارِ بِأَنَّهُمْ أَنْشَأُوا حَدِيثًا وَمَعْرِفَتَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَحْدِثُوا أَنْفُسَهُمْ فَكُلُّ ذَلِكَ يَهْدِي إِلَى اللَّهِ وَيَذَكُّ عَلَى الَّذِي كَانَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأُمُورُ مَعَ مَا يَزِيدُ ذَلِكَ يَقِينًا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ كَبِيرٌ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنَّهُ بَاطِلٌ

إِنَّ لِلسُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ حَقًّا لَا يَصْلُحُ لِنَاصَةٍ وَلَا عَامَّةٍ أَمْرٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَذُو الْقَبْلِ حَقِيقٌ أَنْ يُخَالِصَ لَهُمُ النَّصِيحَةَ وَيَسْذِلَ لَهُمُ الطَّاعَةَ وَيَكْتُمُ سِرَّهُمْ وَيُزَيِّنَ حَسْرَتَهُمْ وَيَذُبُّ بِلِسَانِهِ وَيَدْرِ عَنْهُمْ وَيَتَوَخَّى مَرْضَاتَهُمْ وَيَكُونُ مِنْ أَمْرِ الْمُؤَاتَاةِ لَهُمْ وَالْإِثَارِ لِأَهْوَائِهِمْ وَرَأْيِهِمْ عَلَى هَوَاهُ (١) وَيَقْدِرُ الْأُمُورَ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَهُ مُخَالِفًا . وَأَنْ يَكُونَ مِنْهُ الْجِدُّ فِي الْمُخَالَفَةِ لِمَنْ جَانِبَهُمْ وَجَمَلُ حَقِّهِمْ وَلَا يُوَاصِلُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ لَا تَبَاعِدُ مُوَاصَلَتُهُ إِيَّاهُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْمِلُهُ عَدَاوَةُ أَحَدٍ لَهُ وَلَا إِضْرَارٌ بِهِ عَلَى الْإِضْطِغَانِ عَلَيْهِمْ وَلَا مُؤَاتَاةُ أَحَدٍ عَلَى الْإِسْتِخْفَافِ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ وَالْإِنْتِقَاصِ لِشَيْءٍ مِنْ حَقِّهِمْ وَلَا يَكْتُمُ شَيْئًا مِنْ نَصِيحَتِهِمْ وَلَا يَنْتَاقِلُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِذَا أُكْرِمُوهُ وَلَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِمْ إِذَا قُرْبُوهُ وَلَا يَطْلُبُ إِذَا سَلَطُوهُ وَلَا يُلْفِ إِذَا سَأَلُوهُ وَلَا

(١) خ على هداه ورأيه

يَدْخُلَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ وَلَا يُسْتَنْقِلَ مَا حَمَلُوهُ وَلَا يُفْتَرُ (١) بِهِمْ إِذَا رَضُوا عَنْهُ وَلَا يُتَغَيَّرُ لَهُمْ إِذَا سَخَطُوا عَلَيْهِ وَأَنْ يَحْتَدِّثَهُمْ عَلَى مَا أَصَابَ مِنْ خَيْرٍ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُصِيبَهُ بِخَيْرٍ إِلَّا بِدِفَاعِ اللَّهِ عَنْهُمْ يَمَّا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ الْعَالَمِ مَعْرِفَتُهُ بِمَا يُذْرِكُ مِنَ الْأُمُورِ وَإِمَّا كُهُ عَمَّا لَا يُذْرِكُ وَتَزِينُهُ نَفْسَهُ بِالْمَكَارِمِ وَظُهُورُ عَلَيْهِ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ فَخْرٌ وَلَا عَجَبٌ وَمَعْرِفَتُهُ بِزَمَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَبَصَرُهُ بِالنَّاسِ وَأَخْذُهُ بِالْقِسْطِ وَإِرْشَادُهُ الْمُسْتَرْشِدَ وَحُسْنُ مُخَالَفَتِهِ خُلُطَاءَهُ وَتَسْوِيتُهُ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَتَحْرِيرُهُ الْعَبْدَ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَرَحْبُ ذَرْعِهِ فِيمَا نَابَهُ وَاجْتِجَاعُهُ بِالْحُجَجِ فِيمَا عَمِلَ وَحُسْنُ تَبْصِيرِهِ

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْصِرَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْآخِرَةِ فَيَا الْعِلْمَ الَّذِي بِهِ يُعْرَفُ ذَلِكَ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْصِرَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الدُّنْيَا فَيَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي هِيَ تَدُلُّ عَلَيْهِ لِيَكُنِ الْمَرْءُ سَوَاءً وَلِيَكُنْ فَصُولًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلِيَكُنْ صَدُوقًا لِيُؤْمِنَ عَلَى مَا قَالَ وَلِيَكُنْ ذَا عَهْدٍ يُؤْفَى لَهُ بِعَهْدِهِ وَلِيَكُنْ شَكُورًا لِيَسْتَوْجِبَ الزِّيَادَةَ وَلِيَكُنْ جَوَادًا لِيَكُونَ لِلْغَيْرِ أَهْلًا وَلِيَكُنْ رَحِيمًا بِالْمُضْطَرِّينَ لِئَلَّا يُبْتَلَى بِالضَّرِّ وَلِيَكُنْ وَدُودًا لِئَلَّا يَكُونَ مَعْدِيًا لِإِخْلَاقِ الشَّيْطَانِ وَلِيَكُنْ حَافِظًا لِلْسَانَةِ مُقْبِلًا عَلَى شَانِهِ لِئَلَّا يُؤْخَذَ بِمَا لَمْ يَجْتَرِمْ وَلِيَكُنْ مُوَاضِعًا لِيُفْرَحَ لَهُ بِالْخَيْرِ وَلَا يُحْزَنَ عَلَيْهِ وَلِيَكُنْ قَنِينًا لِيَتَقَرَّ عَنْهُ بِمَا أُوفِيَ وَلِيُتَسَّرَ لِلنَّاسِ بِالْخَيْرِ لِئَلَّا يُؤْذِيَهُ الْحَسَدُ

وَلَيْكُنْ حَذِرًا لِّئَلَّا تَقُولَ مَخَافَتُهُ

وَلَا يَكُنْ (١) حَقُودًا لِّئَلَّا يُضِرَّ بِنَفْسِهِ إِضْرَارًا بَاقِيًا

وَلَيْكُنْ ذَا حَيَاءٍ لِّئَلَّا يُسْتَدْمَ لِلْعُلَمَاءِ فَإِنَّ مَخَافَةَ الْعَالِمِ مَذْمُومَةٌ الْعُلَمَاءُ أَشَدُّ
مِنْ مَخَافَتِهِ عَقُوبَةُ السُّلْطَانِ

حَيَاةُ الشَّيْطَانِ تَرَكُّ الْعِلْمِ وَرُوحُهُ وَجَسَدُهُ الْجَهْلُ وَمَعْدَنُهُ فِي أَهْلِ الْحَقْدِ
وَالْقَاوَةِ وَمَثْوَاهُ فِي أَهْلِ الْغَضَبِ وَعَيْنُهُ فِي الْمَصَارِمَةِ وَرَجَاؤُهُ فِي الْإِضْرَارِ
عَلَى الْمَذْنُوبِ

وَقَالَ : لَا يَبْلُغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَمْتَدَّ بِعِلْيِهِ وَرَأْيِهِ مَا لَمْ يَبْذُرْ كَرُهُ ذَوِي الْأَبَابِ
وَلَمْ يُجَاهِمُوهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُسْتَكْمَلُ عِلْمُ الْأَشْيَاءِ بِالْعَقْلِ الْفَرْدِ
أَعْدَلُ السَّيْرِ أَنْ تَهَيِّسَ النَّاسَ بِنَفْسِكَ فَلَا تَأْتِي الْبِهْمَ إِلَّا مَا تَرْضَى أَنْ
يُؤْتَى إِلَيْكَ

وَأَنْفَعُ الْعَقْلِ أَنْ تَحْسِنَ الْمَعِيشَةَ فِيمَا أُوتِيتَ مِنْ خَيْرٍ وَأَلَّا تَكْتَرِثَ مِنْ
الشَّرِّ بِمَا لَمْ يُصِيبَكَ

وَمِنْ الْعِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ مَا لَا (ب) تَعْلَمُ
وَمِنْ أَحْسَنِ ذَوِي الْقَوْلِ عَقْلًا مَنْ أَحْسَنَ تَقْدِيرَ أَمْرِ مَعَاشِيهِ وَمَعَادِيهِ تَقْدِيرًا
لَا يُقْسِدُ عَلَيْهِ وَاحِدًا مِنْهُمَا (ج) الْآخَرَ فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ رَفَضَ الْأَدْنَى وَآثَرَ
عَلَيْهِ الْأَعْظَمَ

(١) خ (لا يكون) (ب) خ بمالا (ج) خ منهما نفاد الآخر

وَقَالَ : الْمُؤْمِنُ يَتَّقِي مِنَ الْأَشْيَاءِ وَإِنْ كَانَ سِحْرًا خَيْرٌ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ
بِشَيْءٍ وَلَا يَرْجُو مَعَادًا

لَا تُؤَدِّي التَّوْبَةُ أَحَدًا إِلَى النَّارِ وَلَا الْإِضْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ أَحَدًا إِلَى الْجَنَّةِ
مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ ثَلَاثُ خِصَالٍ الصَّدَقُ فِي الْغَضَبِ وَالْجُودُ فِي
الْفُسْرَةِ وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ

رَأْسُ الذُّنُوبِ الْكَذِبُ هُوَ يُؤَسِّسُهَا وَهُوَ يَتَقَدَّدُهَا وَيُسَيِّئُهَا وَيَسْلُوكُنَّ ثَلَاثَةُ
أَلْوَانٍ بِالْأَمْنِيَّةِ وَالْجُحُودِ وَالْجَدَلِ يَبْدَأُ صَاحِبُهُ (أ) بِالْأَمْنِيَّةِ الْكَاذِبَةِ فِيهَا
يُزَيِّنُ لَهُ مِنَ السَّوآتِ فَيُشَجِّعُهُ عَلَيْهَا بَأَنَّ ذَلِكَ سَيَعْفَى فَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَابِلُهُ
بِالْجُحُودِ وَالْمُكَابَرَةِ فَإِنْ أَغْيَاهُ ذَلِكَ خَسَمَ بِالْجَدَلِ فَخَاصَمَ عَنِ الْبَاطِلِ وَوَضَعَ
لَهُ الْحُجَجَ وَالنَّمَسَ بِهِ التَّنَبُّثَ وَكَابَرَ الْحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مُسَارِعًا لِلضَّلَالَةِ
وَمُكَابِرًا بِالْفَوَاحِشِ

لَا يَثْبُتُ دِينُ الْمَرْءِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ إِمَارًا إِذَا وَافَقَ مَا نَاقِصًا
مِنْ عِلَامَاتِ اللَّيْسِ الْمُخَادِعِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْقَوْلِ مَسِيئَ الْفِعْلِ بَعِيدَ
النَّصَبِ قَرِيبَ الْحَسَدِ حَمُولًا لِلْفُتُوحِ مُجَازِيًا بِالْخَفْدِ مُتَكَفِّلًا لِلْجُودِ صَغِيرَ
الْخَطَرِ مُتَوَسِّعًا فِيهَا لَيْسَ لَهُ ضَمِيمًا فِيهَا يَمْلِكُ

وَكَانَ يُقَالُ إِذَا تَخَالَجَتْكَ الْأُمُورُ فَاسْتَقِلَّ (ب) أَعْظَمَهَا خَطَرًا فَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ
ذَلِكَ فَارْجَاهَا دَرَكًا فَإِنْ اشْتَبَهَ ذَلِكَ فَأَجْدُرُهَا أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَرْجُوعٌ
حِينَ (ج) تَوَلَّى قُرْصَتَهُ

(أ) خ يبدو واصحابه (ب) خ فاشتغل بأعظمها خطرا (ج) خ حتى

وكان يقال الرجال أربعة اثنان تختبر ما عندهما بالتجربة واثنان قد
كُنيت تجربتهما فاما اللذان يحتاج الى تجربتهما فإن أحدهما برّ كان مع أزار
والآخر فاجر كان مع فجار فإتاك لا تدري لعل البرّ منهما اذا خالط الفجار
أن يتبدّل فيصير فاجرًا ولعل الفاجر منهما اذا خالط الأبرار أن يتبدّل فيصير
برًا فيتبدّل البرّ فاجرًا والفاجر برًا

واما اللذان قد كُنيت تجربتهما وتبين لك ضوئه أمرهما فإن أحدهما
فاجر كان في أزار والآخر برّ كان في فجار
حق على العاقل أن يتخذ من آتين فنظر من إحداهما في مساوي نفسه
فتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها وينظر من الأخرى في محاسن الناس
فيحسبهم بها ويتأخذ ما استطاع منها

احذر خصومة الأهل والولد والصديق والضعيف واحتجج عليهم بالحجج
لا يوقنك بلاه تخلصت منه في آخر لعلك أن لا تخلص منه
الورع لا يخذع والأريب لا يخذع

ومن ورع الرجل أن لا يقول ما لا يعلم ومن الأريب أن ينتبّه فيما يعلم
وكان يقال علّ الرجل فيما يعلم أنه خطأ هوّى والهوى آفة العاف
وتركه العمل بما يعلم أنه صواب تهاون والهاون آفة الدين
وإقدامه على ما لا يدري أصواب هو أم خطأ جراح والجراح آفة العقل
وكان يقال وقر من فوقك وإن لمن دونك وأحسن مواة أكنافك
وليسكن أثر ذلك عندك مواة الأكناف فإن ذلك هو الذي يتهدّدك أن
اجلاك

إِجْلَالَكَ مَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ بِخُضُوعٍ مِنْكَ لَهُمْ وَأَنْ لِيَنَّكَ لِمَنْ دُونَكَ لَيْسَ
لِاتِّمَاسٍ خِدْمَتِهِمْ

خَمْسَةُ مَقَرِّطُونَ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ مُنْذَمُونَ عَلَيْهَا (١) الْوَاحِنُ الْمَقَرِّطُ إِذَا
قَاتَهُ الْعَمَلُ وَالْمُنْقَطِعُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ إِذَا نَابَتْهُ النَّوَائِبُ وَالْمُسْتَعِينُ
مَنْهُ عَدُوُّهُ لِسُوءِ رَأْيِهِ إِذَا تَذَكَّرَ عَجِزَهُ وَالْمُقَارِقُ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ إِذَا ابْتَلَى
بِالطَّالِحَةِ وَالْجَرِيءُ عَلَى الذُّنُوبِ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ

أُمُورٌ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِقَرَأَتِهَا لَا يَنْفَعُ الْعَقْلُ بِغَيْرِ وَرَعٍ وَلَا الْخِفَظُ بِغَيْرِ
عَقْلِ وَلَا شِدَّةُ الْبَطْنِ بِغَيْرِ شِدَّةِ الْقَلْبِ وَلَا الْجَمَالُ بِغَيْرِ حُلَاوَةٍ وَلَا الْحَسَبُ
بِغَيْرِ آدَبٍ وَلَا الشُّرُورُ بِغَيْرِ أَمْنٍ وَلَا الْغِنَى بِغَيْرِ جُودٍ وَلَا الْمُرُوءَةُ بِغَيْرِ
تَوَاضُعٍ وَلَا الْخَفَضُ بِغَيْرِ كِفَايَةٍ وَلَا الْإِجْتِهَادُ بِغَيْرِ تَوْفِيقٍ

أُمُورٌ هُنَّ تَبَعٌ لِأُمُورٍ فَالْمُرُوءَاتُ كُلُّهَا تَبَعٌ لِلْعَقْلِ وَالرَّأْيُ تَبَعٌ لِلتَّجَرِبَةِ وَالنِّبْطَةُ
تَبَعٌ لِلْحَسَنِ النَّشَاءِ وَالشُّرُورُ تَبَعٌ لِلْأَمْنِ وَالْقَرَابَةُ تَبَعٌ لِلْمَوَدَّةِ وَالْعَمَلُ تَبَعٌ لِلتَّقْوَى
وَالْجِدَّةُ تَبَعٌ لِلْإِفْطَاقِ

أَصْلُ الْعَقْلِ التَّثَبُّتُ وَثَمَرَتُهُ السَّلَامَةُ

وَأَصْلُ الْوَرَعِ الْتَقَاعَةُ وَثَمَرَتُهُ الظَّفَرُ

وَأَصْلُ التَّوْفِيقِ الْعَمَلُ وَثَمَرَتُهُ النُّجْعُ

لَا يُذَكَّرُ الْفَاجِرُ فِي الْعُقْلَاءِ وَلَا الْكُذُوبُ فِي الْأَعْيَاءِ وَلَا الْخُلُوفُ فِي
الْكُرَمَاءِ وَلَا الْكُفُورُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَسَنِ

(١) خ خمسة غير مقتضبين بخمسة أشياء يندمون عليها

لَا تُؤَاخِذِينَ خَبًا وَلَا تَنْتَصِرْنَ عَاجِزًا وَلَا تَسْتَعِينَنَّ كَيْلًا
إِنَّ مِنْ أَعْظَمَ مَا يُرَوِّحُ بِهِ الْمَرْءَ نَفْسَهُ أَنْ لَا يَجْزِيَ لِمَا يَهْوَى وَلَيْسَ كَانِنًا
إِلَّا لِمَا لَا يَهْوَى وَهُوَ لَا عَمَّالَةٌ كَانِنٌ

إِغْتَنِمِ مِنَ الْخَيْرِ مَا تَعَجَّلْتَ . وَمِنَ الْأَهْوَاءِ مَا سَوَّيْتَ . وَمِنَ النَّصَبِ
مَا عَادَ عَلَيْكَ . وَلَا تَقْرَحْ بِالْبَطَالَةِ وَلَا تَجْنُبَنَّ عَنِ الْعَمَلِ

مَنْ اسْتَظَمَّ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا قَبِطَ وَاسْتَصَغَرَ مِنَ الْبَرِّ (أ) شَيْئًا فَتَهَاوَنَ
وَاسْتَقَرَّ مِنَ الْإِثْمِ شَيْئًا فَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ وَأَغْتَرَّ بِمَدْوَرٍ وَإِنْ قَلَّ فَلَمْ يَحْذَرُهُ فَذَلِكَ
مِنْ ضَيَاعِ الْعَقْلِ

لَا يَسْتَخِفُّ ذُو الْعَقْلِ بِأَحَدٍ وَآخِئ مَنْ لَمْ يُسْتَخَفَّ بِهِ ثَلَاثَةُ الْأَقْدَامِ وَالْوَلَاةُ
وَالْإِخْوَانُ فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأَقْيَامِ أَهْلَكَ دِينَهُ وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْوَلَاةِ أَهْلَكَ
دُنْيَاهُ وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ أَفْسَدَ مَرْوَعَتَهُ

مَنْ حَاوَلَ الْأُمُورَ احْتِاجَ فِيهَا إِلَى سِتْرِ الرَّأْيِ (ب) وَالتَّوْفِيقِ وَالْفُرْصَةِ
وَالْأَهْوَانِ وَالْأَدَبِ وَالْإِجْتِهَادِ وَهُنَّ أَرْوَاجُ فَالْرَأْيِ وَالْأَدَبِ زَوْجٌ لَا يَكْمُلُ
الْأَدَبُ إِلَّا بِالرَأْيِ وَلَا يَكْمُلُ الرَّأْيُ إِلَّا بِفَيْزِ الْأَدَبِ

وَالْأَهْوَانُ وَالْفُرْصَةُ زَوْجٌ لَا تَنْفَعُ الْأَهْوَانُ إِلَّا عِنْدَ الْفُرْصَةِ وَلَا تَنْفَعُ الْفُرْصَةُ
إِلَّا بِحُضُورِ الْأَهْوَانِ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِجْتِهَادُ زَوْجٌ فَلَا جِتِهَادَ سَبَبُ التَّوْفِيقِ
وَالْتَّوْفِيقُ يَنْجِجُ الْإِجْتِهَادَ

يَسْلُمُ الْعَاقِلُ مِنَ عِظَامِ الذُّنُوبِ وَالْعِيُوبِ بِالْقَنَاعَةِ وَحُسَابَةِ النَّفْسِ

(أ) خ من الدنيا (ب) خ العلم « بدل الرأي »

لَا يَجِدُ الْعَاقِلَ يُحَدِّثُ مَنْ يَخَافُ تَكْذِيبَهُ وَلَا يَسْأَلُ مَنْ يَخَافُ مَنَعَهُ وَلَا يَمْدُ
مَا لَا يَجِدُ إِنْجَازَهُ وَلَا يَرْجُو مَا يَنْفُ بِرَجَائِهِ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى مَا يَخَافُ الْعَجْزَ عَنْهُ
وَهُوَ يُسْخِي نَفْسَهُ عَمَّا يُنْبِطُ بِهِ الْقَوَّالُونَ خُرُوجًا مِنْ عَيْنِ التَّكْذِيبِ
وَيُسْخِي نَفْسَهُ عَمَّا يُنَالُ بِهِ السَّائِلُونَ سَلَامَةً مِنْ مَذَلَّةِ الْمَسْأَلَةِ
وَيُسْخِي نَفْسَهُ عَنْ فَرْجِ الرَّجَاءِ خَوْفَ الْإِكْذَاءِ
وَيُسْخِي نَفْسَهُ عَنْ تَحَدُّدِ الْمَوَاعِيدِ بَرَاءَةً مِنْ مَذَمَةِ الْخُلْفِ
وَيُسْخِي نَفْسَهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْمُتَدِيمِينَ مَا يَرَى مِنْ فَضَائِحِ الْمُقْصِرِينَ
لَا عَقْلَ لِمَنْ أَغْطَلَهُ عَنْ آخِرَتِهِ مَا يَجِدُهُ مِنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ
يَجْرِمَهُ حَقْلُهُ مِنَ الدُّنْيَا بِصَرِّهِ بِزَوَالِهَا

حَازَ الْخَلِيزَ رَجُلَانِ سَعِيدٌ وَمَرْجُوٌّ فَالسَّعِيدُ الْقَالِجُ (١) وَالْمَرْجُوُّ مَنْ لَمْ
يُخْصَمْ وَالْقَالِجُ الصَّالِحُ مَا دَامَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَتَعَرَّضَ الْفِتْنِ فِي مُحَاصَرَةِ
الْخُصْمَاءِ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْدَاءِ

السَّعِيدُ يَرْغِبُهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى يَقُولَ لَأَشِيءَ غَيْرَهَا فَإِذَا هَضَمَ دُنْيَاهُ
وَزَهَدَ فِيهَا لِآخِرَتِهِ لَمْ يَجْرِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَنْقُصْهُ مِنْ
سُرُورِهِ فِيهَا وَالشَّقِيُّ يَرْغِبُهُ الشَّيْطَانُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَقُولَ لَأَشِيءَ غَيْرَهَا
فَيَعْبِلُ اللَّهُ لَهُ التَّنْغِيسَ فِي الدُّنْيَا الَّتِي آتَمَعَ الْخُزْيَ الَّذِي يَلْقَى بِمَذَاهِ
الرِّجَالِ أَرْبَعَةَ جَوَادٍ وَبَحْلٍ وَمُسْرِفٍ وَمُقْتَصِدٍ فَالْجَوَادُ الَّذِي يُوجِبُهُ
نَصِيبُ آخِرَتِهِ وَنَصِيبُ دُنْيَاهُ جَبِيعًا فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ

والبخيل الذي لا يطي واحدة منهما نصيبها

والمُسْرِفُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا لِذُنُوبِهِ

وَالْقَنَصِدُ الَّذِي يُلْحِقُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا نَصِيبَهَا

أَغْنَى النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا

قَالَ رَجُلٌ لِحَكِيمٍ : مَا خَيْرُ مَا يُؤْتِي الْمَرْءَ قَالَ : غَرِيزَةٌ عَقْلٍ قَالَ :
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَالَ : فَتَعْلَمُ عِلْمًا قَالَ : فَإِنْ حُرِمَتْهُ قَالَ : صِدْقُ لِسَانٍ
قَالَ : فَإِنْ حُرِمَتْهُ قَالَ : سَكَتٌ ^(١) طَوِيلٌ قَالَ : فَإِنْ حُرِمَتْهُ قَالَ :
مَتَّةٌ عَاجِلَةٌ

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الْإِنْسَانِ خُطَاهُ عُيُوبُهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيتْ
عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُ نَفْسِهِ وَمَحَاسِنُ غَيْرِهِ لَمْ يُقْلَعْ عَنْ
عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَفْرُقُ وَلَنْ يَنَالَ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ الَّتِي لَا يُبْصِرُهَا أَبَدًا
« ^(٢) خُمُولُ الَّذِي أَجْعَلُ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِّيمِ

لَا يُوجَدُ الْفَخُورُ مَعْمُودًا وَلَا الْفَضُوبُ مَسْرُورًا وَلَا الْحُرُّ حَرِيسًا وَلَا
الكَرِيمُ حَسُودًا وَلَا الشَّرُّ غَنِيًّا وَلَا الْمَلُولُ ذَا إِخْوَانٍ »
خِصَالُ يُرَى بِهَا الْجَاهِلُ كُلُّهَا كَائِنْ عَلَيْهِ وَبِالْآلِ مِنْهَا أَنْ يَفْخَرَ مِنَ الْعِلْمِ
وَالرُّوءَةِ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ وَمِنْهَا أَنْ يَرَى بِالْأَخْيَارِ مِنَ الْإِسْتِهَانَةِ وَالْجَفْوَةِ
مَا يَشْتَهُ بِهِمْ

(١) السكت السكوت (٢) هذه الجملة والتالية لها زائدان في نسخة الأستاذة التي
أحيها أجدزكي باشا

ومنها أن يُناقِلَ عالمًا ودِيماً مُنْصِفاً لَهُ في القَوْلِ فَيَشْتَدُّ صَوْتُ ذَلِكَ الجَاهِلِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُفْلِحُهُ (١) نَظْرَاؤُهُ مِنَ الجُهَالِ حَوْلَهُ بِشِدَّةِ الصَّوْتِ وَكَثْرَةِ الضَّحِكِ وَمِنْهَا أَنْ تَهْزُطَ مِنْهُ الكَلِمَةُ أَوْ الفَعْلَةُ الْمُعْجِبَةُ لِلْقَوْمِ فَيَذْكُرُ بِهَا وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فِي المَحَلِّ أَوْ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَرُوقَ مَجَالِسِ أَهْلِ الفَضْلِ عَلَيْهِ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى سَخَافَةِ التَّسْكِيمِ أَنْ يَكُونَ مَا يُرَى مِنْ ضَحِكِهِ لَيْسَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ القَوْلِ أَوْ يُجَاذِبُ الرَّجُلَ الكَلَامَ وَهُوَ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ (١) لَيْسَ كَوْنُ هُوَ التَّسْكِيمِ أَوْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ قَدْ فَرَّغَ وَأَنْصَتَ لَهُ فَإِذَا أَنْصَتَ لَهُ لَمْ يُحْسِنِ الكَلَامَ

فَضْلُ العِلْمِ فِي غَيْرِ الدِّينِ مَهْلِكَةٌ وَكَثْرَةُ الأَدَبِ فِي غَيْرِ رِضْوَانِ اللَّهِ وَمَنْعَةُ الأَخْبَارِ قَائِدٌ إِلَى النَّارِ

وَالْحِفْظُ لِلدَّيْنِ (ب) لَوَاعِي بِغَيْرِ لِمْلَمٍ لِنَافِعٍ مُضِرٍّ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعَقْلُ غَيْرُ الوَازِعِ عَنِ الذُّنُوبِ خَازِنٌ لِلشَّيْطَانِ

لَا يُؤْمِنَنَّكَ شَرُّ الجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارُ وَلَا إِلْفٌ فَإِنْ أَخُوفَ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ لِلْحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ إِنْ جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ وَإِنْ نَاصَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ وَإِنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ وَإِنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الجُوعِ صَبَّحَ ضَارٍ وَعِنْدَ الشَّبَعِ مَلَكَ فَظٌّ وَعِنْدَ المَوَاقِفَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ

(١) أَيْ يَظْفَرُهُ يَقَالُ أَفَاجَهُ إِذَا أَظْفَرَهُ وَأَظْهَرَهُ

(١) خ أَوْ الرَّجُلُ يَكَلِّمُ صَاحِبَهُ فَيَجَاذِبُهُ الكَلَامَ لَيْسَ كَوْنُ هُوَ التَّسْكِيمِ (ب) خ الدَّيْنِ

(٤ — رسائل)

سَمِ الْأَسَاوِدِ وَالْحَرِيقِ الْمَخُوفِ وَالذَّيْنِ الْفَادِحِ وَاللَّاءِ الْعِيَاءِ
كَانَ يُقَالُ قَارِبٌ عَدُوُّكَ بَعْضُ الْمُقَارِبَةِ تَمَلَّ حَاجَتَكَ وَلَا تَقَارِبُهُ كُلُّ الْمُقَارِبَةِ
فَيَجْتَرِي عَلَيْكَ عَدُوُّكَ وَتَذِلُّ نَفْسُكَ وَتَرْغَبُ هُنَا نَاصِرُكَ وَمِثْلُ ذَلِكَ
مِثْلُ الْعُودِ الْمَنْصُوبِ فِي الشَّمْسِ إِنْ أَمَلْتَهُ قَلِيلًا زَادَ ظِلُّهُ وَإِنْ جَاوَزْتَ الْحَدَّ
فِي إِمَالَتِهِ قَصَصَ الظِّلُّ

الْحَازِمُ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ (أ) إِنْ كَانَ بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنَ مِنْ مَعَاوَذَتِهِ (ب)
وَأِنْ كَانَ قَرِيبًا لَمْ يَأْمَنَ مُوَاتِنَتَهُ فَإِنْ رَأَاهُ مُنْكَشِقًا لَمْ يَأْمَنَ اسْتِطْرَادَهُ
وَكَمِينَهُ وَإِنْ رَأَاهُ وَحِيدًا لَمْ يَأْمَنَ مَكْرَهُ

الْمَلِكُ الْحَازِمُ يَزْدَادُ بِرَأْيِ الْوُزَرَاءِ الْحَزْمَةَ كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِهِ مِنَ الْأَنْهَارِ
الظُّفْرُ بِالْحَزْمِ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ بِتَكَرُّرِ النَّظَرِ وَيَتَخَصَّصُ الْأَشْرَارُ
إِنْ الْمُسْتَشِيرَ وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الْمُسْتَشَارِ رَأْيًا فَهُوَ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ رَأْيًا كَمَا
تَزْدَادُ النَّارُ بِالْوَدَكِ ضَوْأً وَعَلَى الْمُسْتَشَارِ مُوَاقَعَةُ الْمُسْتَشِيرِ عَلَى صَوَابٍ مَا يَرَى
وَالرَّفَقُ بِهِ فِي تَبْصِيرِ خَطَايَا إِنْ أَتَى بِهِ وَتَلِيْبُ الرَّأْيِ فِيمَا شَكَا فِيهِ حَقِّي
فَسْتَنِيمَ لَهَا مُشَاوَرَتَهَا

لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبَرِ فِي حُسْنِ التَّنَاءِ وَلَا الْغِلْبُ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ وَلَا
السَّبِيُّ الْأَدَبُ فِي الشَّرَفِ وَلَا الشَّحِيحُ فِي الْمَحْمَدَةِ وَلَا الْحَرِيصُ فِي الْإِخْوَانِ
وَلَا الْمَلِكُ الْمُعْجَبُ بِنَبَاتِ الْمَلِكِ

صَرَغَةُ الْيَقِينِ أَشَدُّ اسْتِصْلَالًا مِنْ صَرَغَةِ الْمَكَابِرَةِ

(أ) خ على حال (ب) خ مغاورته

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ مِنْهَا قَلِيلُ النَّارِ وَالْمَرَضُ وَالْعَدُوُّ وَالذِّينُ
أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّوَقُّعِ الْمَلِكُ الْحَلِيمُ بِالْأُمُورِ وَفُرْصِ الْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ
الشَّدَةِ وَالْقَيْنِ وَالْفَضْبِ وَالرِّضَا وَالْمُاجَلَةِ وَالْأَنَانَةِ النَّاطِرِ فِي الْأَمْرِ يَوْمُهُ
وَعَدُهُ وَعَوَاقِبُ أَعْمَالِهِ

السَّبَبُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ الْعَاجِزُ حَاجَتَهُ هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْحَازِمِ وَبَيْنَ طَلِبَتِهِ
إِنَّ أَهْلَ الْعَتَلِ وَالسَّكْرَمِ يَنْتَقُونَ إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ وَصَلَةٍ وَسَبِيلٍ وَالْمُودَّةِ
بَيْنَ الْأَخْيَارِ سَرِيعٌ ۖ اقْصَالُهَا بَطِيءٌ ۖ انْقِطَاعُهَا وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ كُوبِ الذَّهَبِ
الَّذِي هُوَ بَطِيءٌ ۖ الْإِنْكَسَارُ هَبِيءٌ الْإِصْلَاحُ وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الْأَشْرَارِ سَرِيعٌ
انْقِطَاعُهَا بَطِيءٌ ۖ اقْصَالُهَا كَالْكُوزِ مِنَ الْفَخَّارِ يَكْبُرُهُ أَذْنَى عَيْشٍ ثُمَّ لَا يُوَصِّلُ لَهُ أَبَدًا
وَالكَرِيمُ يَمْنَحُ الرَّجُلَ مَوَدَّةً عَنْ لِقَاءَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ يَوْمٍ وَلَسْتِمْ لَا يَصِلُ
أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَعَاطَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ
وَيَتَوَاصَلُونَ (أ) عَلَيْهِمَا ذَاتُ النَّفْسِ وَذَاتُ الدِّينِ فَأَمَّا الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ الْيَدَيْهِمَا
الْمُتَعَارِفُونَ الْمُسْتَمْتِعُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الْإِتِّفَاعَ بِبَعْضٍ مُنَاجَرَةً (ب) وَمُكَابَلَةً
مَا لَتَجَّ وَالْأَخْوَانُ وَالصَّدِيقُ وَالْحَشَمُ إِلَّا لِلْمَالِ وَلَا يَظْهَرُ الْمَرْوَةُ إِلَّا لِلْمَالِ
وَلَا الرَّأْيُ وَالْقُوَّةُ إِلَّا بِالْمَالِ وَمَنْ لَا اخْوَانَ لَهُ فَلَا أَهْلَ لَهُ وَمَنْ لَا أَوْلَادَ
لَهُ فَلَا ذِكْرَ لَهُ وَمَنْ لَا حَقَّ لَهُ فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ فَلَا شَيْءَ
لَهُ وَالْفَقْرُ دَاهِيَةٌ إِلَى صَاحِبِهِ مَقَتَ النَّاسِ وَهُوَ مَسْئَلَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْمَرْوَةُ وَمَذْهَبَةٌ
لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَمَعْدِنٌ لِلتَّهْمَةِ وَمَجْمَعَةٌ لِلْبَلَايَا وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ وَالْفَاقَةُ لَمْ يَصِدْ

(أ) خ وَيَتَوَاصَلُونَ عَلَيْهِمَا (ب) خ مُنَاجَرَةٌ

بُذًا مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ذَهَبَ سُورُهُ وَمَنْ ذَهَبَ سُورُهُ مَقَتْ
وَمَنْ مَقَتْ أَوْذَى وَمَنْ أَوْذَى حَزَنَ وَمَنْ حَزَنَ ذَهَبَ عَقْلُهُ وَاسْتَنْكَرَ
حِفْظُهُ وَفَنَّهُ وَمَنْ أُصِيبَ فِي عَقْلِهِ وَفُهِمَ وَحِفْظِهِ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ
فَمَا يَكُونُ عَلَيْهِ لَالَةٌ فَإِذَا افْتَقَرَ الرَّجُلُ أَتَمَّهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ
مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ أَظَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لِلتَّهْمَةِ وَسُوءُ الظَّنِّ
مَوْضِعًا وَلَيْسَ خَلَّةٌ هِيَ لِقَنِي مَذْحِ الْإِلَهِ لِلتَّقِيرِ عَيْبٌ

فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا سُمِّيَ أَهْوَجَ
وَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ مُنْقِدًا
وَإِنْ كَانَ حَكِيمًا سُمِّيَ ضَمِيمًا
وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا
وَإِنْ كَانَ لَسِنًا سُمِّيَ مَهْذَارًا
وَإِنْ كَانَ صَمَوَاتًا سُمِّيَ عَيْبًا

وَكَانَ يُقَالُ مَنْ ابْتَلِيَ بِمَرَضٍ فِي جَسَدِهِ لَا يَفَارِقُهُ أَوْ يَفْرَاقِ الْأَجْبَةِ
وَالْإِخْوَانِ أَوْ بِالْفُرْبَةِ حَيْثُ لَا يَفْرُقُ مَبِيتًا وَلَا مَبِيلًا وَلَا يَرْجُو إِيَابًا أَوْ يَفَاقَهُ
تَضَطَّرُّ إِلَى الْمَسَآلَةِ فَالْحَيَاةُ لَهُ مَوْتُ وَالْمَوْتُ لَهُ رَاحَةٌ

وَجَدْنَا الْبَلَايَا فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهَا إِلَى أَهْلِهَا الْخِرَاصُ وَالشَّرُّ فَلَا يَزَالُ
حَاجِبُ الدُّنْيَا يَتَقَلَّبُ فِي بَلِيَّةٍ وَتَمَبٍ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَخْضَعُ الْخِرَاصُ وَالشَّرُّ
وَسَمِعْتُ الْعُلَمَاءَ قَالُوا : لَا حَقْلَ كَالْتَدْيِيرِ وَلَا وَرَعَ كَالْكُفِّ وَلَا حَسَبَ
كَهْنٍ انْطَلَقَ وَلَا غِيثَ كَالرِّضَا وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَنْبِيهِهِ
وَأَفْضَلُ

وَأَفْضَلُ الْبِرِّ الرِّحْمَةُ وَرَأْسُ الْمَوَدَّةِ الْإِسْتِزْسَالُ وَرَأْسُ الْعَقْلِ الْمَعْرِفَةُ
بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ وَطَلَبُ النَّفْسِ حُسْنُ الْإِنْصِرَافِ عَمَّا لَا مَسِيلَ
إِلَيْهِ وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا شُرُورٌ يَمُذِّلُ صُحْبَةَ الْإِخْوَانِ وَلَا فِتْيَا غَمٌّ يَمُذِّلُ غَمُّ قَدَمِهِمْ
لَا يَبْتِمُ حُسْنُ الْكَلَامِ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ كَالْمَرِيضِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَاءَهُ
فَنَفْسِهِ فَإِذَا هُوَ لَمْ يَتَدَاوِ بِهِ لَمْ يُفْنِهِ عِلْمُهُ وَالرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى
غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ عَفِيفًا وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ
يُهَانُ وَإِنْ كَثُرَ مَالُهُ كَالْكَلْبِ الَّذِي يَبُوءُ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ طَوَّقَ وَخُلُجِلَ
لِيَحْسُنَ قَدَاهُ ذَلِكَ فَتَكُفُّ بِمَا تَكُونُ بِهِ لِلْخَيْرِ أَهْلًا فَإِنَّكَ إِذَا قَمَلْتَ ذَلِكَ
أَتَاكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ السَّيْلَ إِلَى الْحُدُودِ

« (١) وَقِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ ظَلَّ الْعَامِ وَخَلَّةُ الْأَشْرَارِ
وَعِشْقُ النِّسَاءِ وَالنِّبَا الْكَاذِبُ وَالْمَالُ الْكَثِيرُ
وَلَيْسَ يَفْرَحَ الْعَاقِلُ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ وَلَا يُحْزَنُ قِلَّتُهُ وَلَسَكِنْ مَالُهُ حَقْلُهُ
وَمَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ عَمَلِهِ »

إِنْ أَوَّلَى النَّاسَ بِفَضْلِ الشُّرُورِ وَكَرَّمَ الْعَيْشِ وَحَسُنَ الشَّاءُ مَنْ لَا يَبْرَحُ
رَحْلَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَوْطُوءًا وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ زِحَامٌ
يَسْرُهُمْ وَيُسْرُونَهُ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ وَأُمُورِهِمْ فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا
عَشَرَ لَمْ يَسْتَقِيلْ إِلَّا بِالْكَرَامِ كَالْفِيلِ إِذَا وَحَلَ لَمْ تَسْتَخْرِجْهُ إِلَّا بِالْفَيْسَلَةِ
لَا يَرَى الْعَاقِلُ مَرْوُفًا صَنَعَهُ وَإِنْ كَثُرَ كَثِيرًا وَلَوْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَعَرَضَهَا

(١) هذه الجملة والتي بعدها زائدتان في نسخة الاستانة التي اعتمد عليها أحد زكي باشا

فِي وَجْهِهِ الْمَعْرُوفِ لَمْ يَرَ ذَلِكَ غَيْبًا بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ إِيْمَا أَخْطَرَ الْغَائِي بِالْأَقْي
وَأَشْرَى الْعَظِيمِ بِالصَّغِيرِ

وَأَغْبَطُ النَّاسِ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ أَكْثَرُهُمْ سَائِلًا مُنْجِمًا وَمُسْتَجِيبًا آتِنَا
لَا تَعُدُّ غَيْبًا مَنْ لَمْ يُشَارِكْ فِي مَالِهِ وَلَا تَعُدُّ نَعِيمًا مَا كَانَ فِيهِ تَنْغِصٌ وَسُوءُ ثَنَاءٍ
وَلَا تَعُدُّ الْقَنَمَ غَنَمًا إِذَا سَاقَ غُرْمًا وَلَا الْفُرَمَ غُرْمًا إِذَا سَاقَ غَنَمًا وَلَا تَعُدُّ
مِنَ الْحَيَاةِ مَا كَانَ فِي فِرَاقِ الْأَحْيَةِ

وَمِنَ الْمُؤَنَةِ عَلَى تَسْلِيَةِ الْمُؤُومِ وَسُكُونِ النَّفْسِ لِقَاءَ الْإِيخِ أَخَاهُ وَإِفْضَاءَهُ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ بَيْتَهُ وَإِذَا فُرِّقَ بَيْنَ الْأَيِّفِ وَإِيْنِهِ فَقَدْ سَلِبَ
قَرَارُهُ وَحَرِمَ سُرُورُهُ

وَقَالَ : مَا نَرَانَا (١) تَخْلِفُ عَقَبَةً مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا فِي أُخْرَى لَقَدْ
حَدَّقَ الْقَائِلُ الَّذِي يَقُولُ : لَا يَزَالُ الرَّجُلُ مُسْتَمِرًّا حَتَّى يَفْشَرَ فَإِذَا عَثَرَ
مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَرْضِ الْخَبَارِ لَجَّ بِهِ الْبَثَارُ وَإِنْ مَثَى فِي جَدِيدٍ لِأَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ
مَوْكَلٌّ بِهِ الْبَلَاءُ فَلَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ لَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ وَلَا يَنْبُتُ مَعَهُ
كَأَلَا يَدُومُ لِطَالِعِ النُّجُومِ طُلُوعُهُ وَلَا لِأَقْلَامِ الْكُتُبِ وَلَا لِأَقْلَامِ الْكُتُبِ وَلَا لِأَقْلَامِ الْكُتُبِ
فَلَا يَزَالُ الطَّالِعُ يَكُونُ آفَلًا وَالْأَقْلَامُ طَالِمًا انْتَهَى

(١) خ وقلمنا ترانا مخف

الدرة اليتيمة

لابن المقفع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيتنا محمد وآله الطاهرين . قال
عبد الله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجساداً وأوفر^(١) مع أجسادهم
أحلاماً وأشد قوة وأحسن بقوتهم للأمور إشتاقاً وأطول أعماراً وأفضل
بأعمارهم للأشياء اختياراً فكان صاحب الدين منهم أبلغ في أمر الدين
علماً وعملاً من صاحب الدين منّا وكان صاحب الدنيا على منلي ذلك من
البلاغة والفضل ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لأنفسهم حتى
أشركوا معهم فيما أدر كوا من علم الأولى والآخرة فكاتبوا به الكتب
الباقية وكفونا به مؤنة التجارب^(٢) والفطن وبلغ من اهتمامهم بذلك أن
الرجل منهم كان يفتح له الباب من العلم والكلمة من الصواب وهو بالمد

(١) أى أكثر اسم تفضيل من وفر المال ككرم ووعداى كثروتم ، ومصدره الوفور
والوفور ، والاحلام جمع حلم بكسر فسكون العقل (٢) المؤنة المشقة ، والتجارب
بكسر الراء جمع التجربة وهى اختبار الشيء مرة بعد أخرى ، والفطن بضمين وضم

غَيْرِ الْمَأْهُولِ فَيَكْتَبُهُ عَلَى الصُّغُورِ مُبَادَرَةً مِنْهُ لِلْأَجَلِ وَكَرَاهِيَةً لِأَنْ
يَسْقُطَ ^(١) ذَلِكَ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ فَكَانَ صَدِيقُهُمْ فِي ذَلِكَ صَدِيقَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ
عَلَى وَلَدِهِ الرَّجِيمِ بِهِمُ الَّذِي يَجْنَعُ لَهُمُ الْأَمْوَالُ وَالْمَعْدُ ^(٢) إِرَادَةً أَنْ لَا تَكُونَ
عَلَيْهِمْ مَوْتَةٌ فِي الطَّلَبِ وَخَشْيَةً عَجْزِهِمْ إِنْ هُمْ طَلَبُوا فَمَسَّحَى عِلْمُ عَلَيْنَا
فِي هَذَا الزَّمَانِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ عَلَيْهِمْ وَغَايَةُ إِحْسَانِ مُحْسِنِنَا أَنْ يَتَقَدَّى بِسِيرَتِهِمْ
وَأَحْسَنُ مَا يُصِيبُ مِنَ الْحَدِيثِ مُحَدِّثُنَا أَنْ يَنْظُرَ فِي كُتُبِهِمْ فَيَكُونَ كَأَنَّهُ
إِيَّاهُمْ يُحَاوِرُ ^(٣) وَمِنْهُمْ يَسْتَمِعُ غَيْرَ أَنْ الَّذِي نَجِدُ فِي كُتُبِهِمْ هُوَ الْمُتَنَعِّلُ
فِي آرَائِهِمْ ^(٤) وَالْمُنْتَقِ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ وَلَمْ نَجِدْهُمْ غَادِرُوا ^(٥) شَيْئًا يَجِدُ
وَاصِفٌ بَلِغٌ فِي صِفَتِهِ مَقَالًا لَمْ يَسْقُوهُ إِلَيْهِ لَا فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرْغِيبِ
فِيهَا عِنْدَهُ وَلَا فِي تَضْيِيقِ الدُّنْيَا وَتَرْهِيْبِ فِيهَا وَلَا فِي تَحْزِيرِ ^(٦) صُوفِ الْعِلْمِ
وَتَقْسِيمِ أَقْسَامِهَا وَتَحْزِيرِ أَجْزَائِهَا وَتَوْضِيحِ سُبُلِهَا وَتَنْبِيْهِنَ مَا خِذَهَا وَلَا فِي
وُجُوهِ الْأَدَبِ وَضُرُوبِ ^(٧) الْأَخْلَاقِ فَلَمْ يَبْقَ فِي جَلِيلٍ مِنَ الْأَمْرِ لِقَائِلٍ
بَعْدَهُمْ مَقَالٌ وَقَدْ بَقِيَتْ أَشْيَاءُ مِنْ لَطَائِفِ الْأُمُورِ فِيهَا مَوَاضِعُ لِصِنَارِ الْفِطَنِ
مُسْتَقَّةٌ مِنْ جِلْمِ حِكْمِ الْأَوَّلِينَ وَقَوْلِهِمْ وَمِنْ ذَلِكَ بَعْضُ مَا أَنَا كَاتِبٌ فِي
كِتَابِي هَذَا مِنْ أَبْوَابِ الْأَدَبِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ

فَسَكُونُ جَعِ فُطْنَةً بِالْكَسْرِ وَهِيَ الْحَذَقُ (١) أَيْ يَضِيعُ عَلَيْهِ (٢) الْعَدَجُ جَعِ عَقْدَةٌ
وَهِيَ الْعَقَارُ وَنَحْوُهُ ، يُقَالُ اعْتَقَدَ فُلَانٌ إِذَا اشْتَرَى شَيْعَةً أَوْ اخْتَدَ مَا لَا مِنْ عَقَارٍ
وغيره (٣) الْحَاوِرَةُ الْمَرَاجَعَةُ وَالْمُجَادَلَةُ ، وَإِيَّاهُمْ مَفْعُولٌ يَحَاوِرُ قَدِمَ عَلَيْهِ لِلْحَصْرِ (٤)
الْمُتَنَعِّلُ الْمُتَخَارِكُ وَكَذَا الْمُتَنَقِّيُ بِعَنَاءٍ أَيْضًا (٥) غَادَرَهُ وَأَغْرَاهُ تَرَكَه (٦) أَيْ تَفَوَّجَهَا (٧)

جَعِ ضَرْبٌ بِفَتْحٍ فَسَكُونُ الصَّنْفِ ، وَالْجَلِيلُ الْعَظِيمُ ، وَاللَّطَائِفُ جَعِ لَطِيفَةٌ وَهِيَ مِنْ

بِاطْلَابِ الْأَدَبِ اعْرِفِ الْأُصُولَ وَالْفُصُولَ ^(١) فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
يَطْلُبُونَ الْفُصُولَ مَعَ إِضَاعَةِ الْأُصُولِ فَلَا يَسْكُونُ دَرْكُهُمْ ^(٢) دَرْكًا وَمَنْ أَخْرَزَ
الْأُصُولَ اكْتَفَى بِهَا عَنِ الْفُصُولِ وَإِنْ أَصَابَ الْفَصْلَ بَعْدَ إِخْرَازِ الْأَصْلِ
فَهُوَ أَفْضَلُ

فَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الدِّينِ أَنْ تَعْتَقِدَ الْإِيمَانَ عَلَى الصَّوَابِ وَتَجْتَنِبَ الْكِبَايِرَ
وَتُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ فَالزَّمْ ذَلِكَ لِرُؤْمٍ مَنْ لَا غِنَاءَ بِهِ عَنْهُ طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَمَنْ
يَسْلُمُ أَنَّهُ ^(٣) إِنْ حُرْمَةُ هَلَاكَ ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَجَاوِزَ ذَلِكَ إِلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ
وَالْعِبَادَةِ فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي إِصْلَاحِ الْجَسَدِ أَلَّا تَحْمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ كُلِّ الْمَشَارِبِ
وَالْبَاءِ إِلَّا خِفَافًا ^(٤) وَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ جَمِيعَ مَنَافِعِ الْجَسَدِ وَمَضَارِهِ
وَالِإِنْتِفَاعِ بِذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْبَأْسِ ^(٥) أَلَّا تُحَدِّثَ نَفْسَكَ بِالْإِذْبَارِ وَأَصْحَابِكَ مَقْبُولِينَ
عَلَى عَدُوِّهِمْ ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَسْكُونَ أَوَّلَ حَائِلٍ وَآخِرَ مُنْصَرِفٍ مِنْ غَيْرِ

الْكَلَامِ مَا غَمَضَ مِنْهُ وَخَفِيَ (١) الاصول جمع أصل وهو في اللغة عبارة عما يفتقر
إليه ولا يفتقر هو إلى غيره ، وفي الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره ولا يبنى هو على غيره ،
والأصل ما ثبت حكمه بنفسه وبنى عليه غيره (سعيد) ، والفصول جمع فصل وهو
خلاف الأصل فالفصول فروع للأصول (٢) الدرك يفتحين وسكون الراء لغة اسم من
أدركت الشيء ، يقال أدركت الشيء إذا طلبته فلهفته وأدرك الغلام إذا بلغ الحلم فهو
الحاق معنوي كما في المصباح ولم يستعمل منه فعل ثلاثي (٣) قوله ومن يعلم أنه الخ
معطوف على من الأولى في قوله لزوم من الخ (٤) جمع خفيف ضد الثقيل (٥) البأس

تَضْيِيعِ الْحَذَرِ فَهُوَ أَفْضَلُ

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْجَوْدِ أَلَّا تَضْنَ بِالْحَقُّوقِ عَنْ أَهْلِهَا ثُمَّ إِنْ قَدَّرْتَ أَنْ تَزِيدَ
ذَا الْحَقِّ عَلَى حَقِّهِ وَتَطُولَ ^(١) عَلَى مَنْ لَاحِقٌ لَهُ فَاقْضِلْ فَهُوَ أَفْضَلُ

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْكَلَامِ أَنْ تَسْلَمَ مِنَ السَّقَطِ بِالتَّحْقُظِ ^(٢) ثُمَّ إِنْ قَدَّرْتَ
عَلَى بَارِعِ الصَّوَابِ ^(٣) فَهُوَ أَفْضَلُ

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْمَيْثَةِ أَنْ لَا تَنِي ^(٤) عَنْ طَلَبِ الْحَلَالِ وَأَنْ تُخْصِنَ
التَّقْدِيرَ لِمَا تُقَدِّرُ وَمَا تُنْفِقُ وَلَا يَفْرُتْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمَةٌ تَكُونُ فِيهَا فَإِنْ أَعْظَمَ
النَّاسُ فِي الدُّنْيَا خَطَرًا أَخَوَجَّهُمْ إِلَى التَّقْدِيرِ وَالْمُلُوكُ أَخَوَجُّ إِلَى التَّقْدِيرِ مِنْ
السُّوْقَةِ لِأَنَّ السُّوْقَةَ قَدْ بَعِثَ بِبَيْزِ مَالٍ وَالْمُلُوكُ لَا قَوَامَ لَهُمْ إِلَّا بِالسَّالِ ثُمَّ
إِنْ قَدَّرْتَ عَلَى الرَّفْقِ وَالطَّلَبِ فِي الطَّلَبِ وَالْعِلْمِ بِالطَّلَبِ فَهُوَ أَفْضَلُ

وَأَنَا وَاعِظُكَ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ وَالْأُمُورِ الْغَامِضَةِ الَّتِي لَوْ
حَنَكْتُكَ ^(٥) مِمَّنْ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَعْلَمَهَا وَإِنْ لَمْ تُخْبِرْ عَنْهَا وَأَسْكِنَ

الشدة في الحرب تقول يؤس الرجل بالضم فهو يئس أي شجاع (١) تطول أي تمتد من
الطول بفتح فكون وهو المن والافضل (٢) السقط بفتحتين الخطأ من ايقول والفعل
وردى المتاع (٣) البارع الفائق من برع يبرع من باب خضع ، وبرع براعة من باب
كرم كرامه اذا فضل في علم أو شجاعة أو غير ذلك ، واضافته الى الصواب من اضافة الصفة
الى الموصوف أي الصواب البارع على طريقة الاسناد المجازي (٤) أي لا تنقص من وفي
بني من باب تعب ووعدا اذا ضعف وفتر (٥) أي أحكمتك التجارب لان الرجل كلما تقدم
في السن تكثر تجاربه واختباره للأموال فيصير كأنه محنك من حنك الرجل الفرس
يحنكه اذا جعل في فيه الرسن كي يذلل ، ويقال حنكه تحنيكا اذا ذللك حنكه فقو لم
حنكته السن وحنكته الامور معناه فطنت به ما يفعله بالفرس اذا حنك حتى عاد مجربا
أحدث

أَحْبَبْتُ أَنْ أُقَدِّمَ إِلَيْكَ فِيهَا قَوْلًا لَتَرَوْضَ (١) فَذَكَ عَلَى حَاسِنِهَا قَبْلَ أَنْ
تَجْرِيَ عَلَى عَادَةِ مَسَاوِمِهَا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ تَبَدَّرَ إِلَيْهِ فِي شَيْبَتِهِ الْمَسَاوِي وَقَدْ
يَغْلِبُ عَلَيْهِ مَا يَبْدُرُ إِلَيْهِ مِنْهَا

إِنْ ابْتَلَيْتَ بِالْإِمَارَةِ فَتَعَوَّذْ بِالْعُلَمَاءِ وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْعُجْبِ أَنْ يُبْتَلَى
الرَّجُلُ بِهَا فَيُرِيدَ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ سَاعَاتِ نَصَبِهِ وَعَمَلِهِ فَيَزِيدَهَا فِي سَاعَاتِ
دَفْعِهِ وَشَهْوَتِهِ وَإِنَّمَا الرَّأْيُ لَهُ وَالْحَقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ لِعَمَلِهِ مِنْ جَمِيعِ
شَغْلِهِ فَيَأْخُذَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَتَوْبِهِ وَحَدِيثِهِ وَلَهْوِهِ وَنِسَائِهِ فَإِذَا تَقَلَّدْتَ
شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ فَكُنْ فِيهِ أَحَدَ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلًا مُفْتَظًّا (٢) بِهِ
فَحَافِظٌ عَلَيْهِ خَافَةَ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ وَإِمَّا رَجُلًا كَارِهًا فَالْكَارِهُ عَامِلٌ فِي سُغْرَةٍ (٣)
إِمَّا لِمَلُوكٍ إِنْ كَانُوا هُمْ سَلْطَوُهُ وَإِمَّا لِلَّهِ إِنْ كَانَ لَيْسَ فَوْقَهُ غَيْرُهُ

إِيَّاكَ إِذَا كُنْتَ وَالْيَا أَنْ يَكُونَ مِنْ شَأْنِكَ حُبُّ الْمَدْحِ وَالْتَزَكِّيَّةِ وَأَنْ
يَعْرِفَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ فَتَكُونَ ثُلْمَةً مِنَ الثَّلَمِ (٤) يَتَقَحَّمُونَ عَلَيْكَ (٥)

مذلاً ، وهذا استعمال مجازي (١) راض نفسه على الشيء أكثر من استعماله فيه
ليسلس وهو من قولهم راض المهر رياضة (٢) المَغْبُطُ المَغْبُوطُ ، يقال فلان مغبُط أي
في غبطة ، والغبطة بالكسر حسن الحال والمسرَّة ، والغبطة بالكسر أيضاً أن تتنى مثل
حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بمحذ ، يقال غبطة بمال من باب
ضرب وغبطة أيضاً فاغْبُطْ هو ، والاعتباط التبجح بالحال الحسنة (٣) ما سخرته
من خادم أو دابة بلا أجره (٤) الثلعة في الحائط وغيره الخلل وجمعها ثلث غرقة وغرف
(٥) يتقحمون أي يدخلون ويتمجمون عليك من هذه الثلعة من قحم في الامر رمي
بنفسه فيه من غير روية وبإبه خضع ، واقصم الفرس التهرأ إذا دخل فيه وتقمم مثله

مِنْهَا وَبَابًا يَنْتَحِيحُونَكَ مِنْهُ وَغِيبَةً ^(١) يَنْتَابُونَكَ بِهَا وَيَضْحَكُونَ مِنْهَا . أَفَلَمْ
أَنْ قَابِلَ الْمَدْحِ كَمَادِحِ نَفْسِهِ وَالْمَرْءِ جَدِيدٍ ^(٢) أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ الْمَدْحَ هُوَ الَّذِي
يَعْمَلُهُ عَلَى رَدِّهِ فَإِنَّ الرُّادَّ لَهُ مَعْمُودٌ وَالْقَابِلَ لَهُ مَعِيبَةٌ

لِتَكُنْ حَاجَتُكَ فِي الْوَلَايَةِ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ رِضَى رِبِّكَ وَرِضَى سُلْطَانٍ إِنْ
كَانَ قَوْفَكَ وَرِضَى صَالِحٍ مَنْ تَمَلَّى عَلَيْهِ . وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْهَى ^(٣) عَنْ الْمَالِ
وَالذِّكْرِ فَسَيَأْتِيكَ مِنْهُمَا مَا يَكْفِي وَيَطِيبُ وَاجْعَلِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ بِمَكَانٍ
مَالًا بَدْءُكَ مِنْهُ وَالْمَالِ وَالذِّكْرِ كَرٌّ بِمَكَانٍ مَا أَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُ بُدْءًا ^(٤)

اعْرِفْ أَهْلَ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ فِي كُلِّ كُورَةٍ ^(٥) وَقُرْبَةٍ وَقَبِيلَةٍ فَيَسْكُونُوا
هُمْ أَخَوَانُكَ وَأَعْوَانُكَ ^(٦) وَبِطَانَتُكَ وَتِقَاتُكَ وَلَا يَقْذِفَنَّ فِي رُوعِكَ ^(٧) أَنَّكَ
إِنْ اسْتَشَرْتَ الرِّجَالَ ظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْكَ الْحَاجَةُ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ فَإِنَّكَ لَنْتَ
تُرِيدُ الرِّأْيَ لِلْإِفْخَارِ بِهِ وَلَكِنْ تُرِيدُهُ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ وَلَوْ أَنَّكَ مَعَ ذَلِكَ أَرَدْتَ
الذِّكْرَ كَانَ أَحْسَنَ الذِّكْرِ كَرُّنَ ^(٨) وَأَفْضَلُهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الْفَضْلِ أَنْ يُقَالَ لَا يَتَغَرَّدُ

(١) الغيبة بالكسر اسم من الاغتيال وهو أن يسلك خلف انسان مسطور بكلام هو فيه
فان لم يكن ذلك الكلام فيه فهو بهتان ، واغتابه اغتيايا اذا ذكره بما يكره من العيوب
(٢) أى حقيق (٣) هلى عن الشئ سلاعه وترك ذكره (٤) قد استعمل بدهانافى
الانبيات وقد قال بعضهم انه لا يعرف استعماله الامقرونا بالنفى يقال لا بد من كذا أى لا يحيد
عنه أو لا عوض منه (٥) الصقع والمدينة (٦) جمع عون وهو الظهير وناصر ، وبطانة
الرجل أهل سره وأصحابه من يسكن اليه ويشق بمودته ، والثقات جمع ثقة وهو الذى يأمنه
الرجل ويعتمد على صدقه (٧) الروع بالضم القلب والعقل ، والقذف الرمي واللقاء (٨)
قوله الذ كر ين وأفضلها فى العبارة تحريف اما فى كلمة الذ كر ين أو فى ضمير وأفضلها
فان كان فى كلمة الذ كر ين فيكون صوابها الذ كر ي مصدرنا بمعنى الذ كر و براد
برأيه

بِرَأْيِهِ دُونَ امْتِثَارَةِ ذَوِي الرَّأْيِ

أَنَّكَ إِنْ تَلْتَمِسَ رِضَى جَمِيعِ النَّاسِ تَلْتَمِسُ مَا لَا يُدْرَكَ وَكَيْفَ يَتَقَبَّحُ
لَكَ رَأْيُ الْمُخْتَلِفِينَ وَمَا (١) حَاجَتُكَ إِلَى رِضَى مَنْ رِضَاهُ الْجَوُزُ وَالْإِثْمَانَةُ
مَنْ مَوَاقِفَتُهُ الضَّلَالَةُ وَالْجَاهَالَةُ فَعَلَمْتُكَ بِالتَّيَاسِ رِضَى الْأَخْبَارِ مِنْهُمْ وَذَوِي الْعَقْلِ
فَأَنَّكَ مَتَى نَصِبَ ذَلِكَ نَضَعُ عَنْكَ مَوْنَةَ مَسَاوَاهُ .

لَا تُمَكِّنْ أَهْلَ الْبَلَاءِ (٢) مِنَ التُّذَلِّ وَلَا تُمَكِّنْ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْإِجْتِرَاءِ
عَلَيْهِمْ وَالنَّيْبِ لَهُمْ

لِتَعْرِفَ رَحْمَتَكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا يُنَالُ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا بِهَا وَالْأَبْوَابُ
الَّتِي لَا يَخْفَاكَ خَائِفٌ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . اخْرِصِ الْخِرْصَ (٣) كَلَّةً عَلَى أَنْ
تَكُونَ خَيْرًا بِأُمُورِ عَمَّا لَكَ (٤) فَإِنَّ الْمُسِيءَ يَفْرُقُ (٥) مِنْ خَيْرَتِكَ
قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ عِقُوبَتُكَ وَإِنَّ الْمُحْسِنَ يَسْتَبْشِرُ بِبِعْلَمِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ مُزْوَفُكَ
لِتَعْرِفَ النَّاسُ فِيمَا يَفْرُقُونَ مِنْ أَخْلَاقِكَ أَنَّكَ لَا تُعَاجِلُ بِالثَّوَابِ وَلَا
بِالْعِقَابِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَذْوَمُ يَطْوِفُ الْخَائِفِ وَرَجَاءُ الرَّاجِي

بالذكرى بمعنى الذكر الصيت والشرف ولم يحى مصدر على فعلى غير هذه الكلمة وإن
كان التعريف في ضمير وأفضلها فيلزم أن يكون ضمير تنبيه يرجع إلى الذكرين ويراد
بالذكرين الذكر الحسن والذكر القبيح هذا ما ظهر لي في تصحيح العبارة (١)
ما استفهامية تتضمن معنى النفي (٢) من الابتلاء أى الامتحان والمراد هنا الصنع (٣)
المراد بالحرص كله الجشع اذ هو أشد الحرص (٤) جمع عامل وهو من يتقصد عملا من
أعمال الدولة (٥) أى يخاف والخبرة العلم بالشئ والخير العالم به

عَوْدَ نَفْسِكَ الصَّبْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ مِنْ ذَوِي النَّصِيحَةِ وَالتَّجَرُّعَ ^(١) لِمَرَارَةِ
قَوْلِهِمْ وَعَذْلِهِمْ وَلَا تُسَهِّلَنَّ حَيْلَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَقْلِ وَالْبَيِّنِ ^(٢) وَالْمُرُوءَةِ
إِلَّا بِتَشْيِيرٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يَجْتَرِي بِهِ سَفِيهُ أَوْ يُسْتَخَفُّ لَهُ شَأْنٌ
لَا تَنْزُرْ كُنْ مُبَاشِرَةً جَمِيعِ أَمْرِكَ فَيَعُودَ شَأْنُكَ صَغِيرًا وَلَا تُلْزِمْ نَفْسَكَ
مُبَاشِرَةَ الصَّغِيرِ فَيَصِيرَ السَّكْبِيرُ ضَائِعًا

إِعْلَمْ أَنَّ رَأْيَكَ لَا يَنْتَسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَهَرِغَةُ لَهُمُومٍ وَأَنَّ مَالَكَ لَا يُفْنِي
النَّاسَ كُلَّهُمْ فَاخْتَصَّ بِهِ ذَوِي الْحَقُوقِ وَأَنَّ كَرَامَتَكَ ^(٣) لَا تُطِيقُ الْعَامَّةَ فَتَوَخَّ بِهَا
أَهْلَ الْفَضَائِلِ ^(٤) وَأَنَّ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَاجَاتَكَ وَإِنْ ذَابَتْ ^(٥)
فِيهِمَا وَأَنْتَ لَيْسَ لَكَ إِلَى أَدَاتِهَا حَيْلٌ مَعَ حَاجَةٍ جَسَدِكَ إِلَى نَصِيحِهِ مِنَ الدُّعَا ^(٦)
فَاحْصِنْ قِسْمَتَهُمَا ^(٧) بَيْنَ دَهْنِكَ وَعَمَلِكَ

وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَا شَغَلْتَ مِنْ رَأْيِكَ يَفْزِرُ بِالْمُهِمِّ أُرْزَى لَهُمُومٍ ^(٨) وَمَا صَرَفْتَ
مِنْ مَالِكَ بِالْبَاطِلِ قَعْدَتُهُ حِينَ تُؤَيِّدُهُ لِلْحَقِّ وَمَا عَدَلْتَ ^(٩) بِهِ مِنْ كَرَامَتِكَ

(١) التجرع تفعل يفيد معنى التكلف أى تكلف الجرع لمرارة قولهم وعذلم أى لومهم
والجرع البلع يقال جرع الماء يجرعه من باب منع جوعا إذا بلعه والجرعة من الماء كاللقمة
من الطعام وفى الكلام استعارة بالسكابة وتخجيل حيث شبه مرارة قولهم وعذلم بشراب
مر والتجرع تخجيل وهو معطوف على الصبر أى عود نفسك التجرع الخ ويصح عطفه
على من خالفك أى عود نفسك الصبر على التجرع الخ (٢) أى العمر والمراد الذين
تقدموا فى السن (٣) الكرامة اسم بوضع موضع الاحكام ، والتكريم أى التعظيم ،
والطاقة الوسع والقدرة (٤) توخيت الشئ تحريره وقصدته (٥) دأب فى عمله كنع
جد ونصب (٦) الدعة بالفتح الراحة والسكون ، والوديع الساكن (٧) ضمير التثنية
راجع الى الليل والنهار (٨) أُرْزيت به قصرت به وحقرته (٩) قوله عدلت به عدل

الى أهل النقصى أضرب بك في العجز عن أهل الفضل وما شغلت من أهلك
ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة

اعلم أن من الناس ناساً كثيراً يبلغ من أحدهم الغضب اذا غضب أن
يجعله ذلك على الكلوح ^(١) والتقطيب في وجه غير من أغضبه وسوء
اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن لهم بقوته وسوء المعاقبة باليد
واللسان لمن لم يكن يريد به الآدون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضى أن
يتبرع بالأمر ذي الخطر ^(٢) لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويغفل من لم
يكن أعطاء ويكرم من لا حق له ولا مودة فأحذر هذا الباب كله فإنه ليس
أحد أسوأ حالاً من أهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبيهم وسرعة
رضاهم فإنه لو وصف بصفة من يتلبس ^(٣) بعقله أو يتخبطه المس من
يقرب في غضبه غير من أغضبه ويحبو ^(٤) عند رضاء غير من أضاء
لكان جائزاً في صفته

اعلم أن الملك ثلاثة ملك دين وملك حريم وملك هوى . فاما ملك
الدين فإنه اذا أقيم لأهله دينهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم مالهم ويُنقِ
يهم الذي عليهم أروضاهم ذلك ونزل الساطع منهم منزلة الراضي في الإقرار

هنا بمعنى مال ، ومن كرامتك بيان لما في قوله وماعدات ^(١) الكلوح تكسرى
عبوس ^(٢) الخطر هنا الشرف ورفعة المنزلة ^(٣) بالبناء للجهول من التلبس وهو
الاختلاط أى يختلط بعقله ويتخبط أى يفسده ، والمس الجنون ^(٤) حباه يحبوه
حبوة أعطاء ، والحياء العطاء

والتَّسْلِيمِ . وَأَمَّا مَلِكُ الْحَزْمِ فَاتَّهَ بِقَوْمٍ بِهِ الْأَمْرُ وَلَا يَحْلُمُ مِنَ الظُّنِّ
وَالسُّخْطِ . وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنَ الذَّلِيلِ مَعَ حَزْمِ الْقَوِيِّ . وَأَمَّا مَلِكُ الْهَوَىٰ فَلْيَبْ
سَاعَةً وَدَمَارُ دَهْرٍ .

إذا كان سلطانك ^(١) عند جدته دولة قرأت أمرا استقام يغير رأي
وأعوانا جزوا يغير نيل وعملا أنجح ^(٢) يغير حزم فلا يترك ذلك فلا
تستقيم ^(٣) إليه فإن الأمر الجديد مما تكون له مهابة في أنفس أقوام
وحلاوة في أنفس آخرين فيعين قوم بأنفسهم ويعين قوم بإقبالهم ^(٤)
ويستتب ^(٥) بذلك الأمر غير طويل ثم تصير الشؤون ^(٦) إلى حاقبها
وأصولها فما كان من الأمر بُنى على غير أركان ^(٧) وثيقة ولا عياد محكم
أوشك أن يتداعى ويتصدع

لا تكونن نذر ^(٨) الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة والبشاشة فإن
أحدهما ^(٩) من الكبير والأخرى ^(١٠) من السخف ^(١١)

(١) أي نسلطك ولايتك (٢) أجمع أي صار ذانجح ، والنجح الظفر بالشئ ،
والحزم ضبط الامر والأخذ بالثقة (٣) من استقام إلى الشئ إذا سكن واطمأن إليه
(٤) أي عندهم (٥) أي يتهيأ ويستقيم (٦) جمع شأن وهو الامر والحال (٧) جمع
ركن وركن الشئ جانبه الأقوى ، والوثيق المحكم ، والعاد ما يعمد أي يندبه وجعه
عمد بفتح حين ، والمحكم المتقن ، يقال أحكمت الشئ إذا أتقنته ، وأوشك أي دنا وقرب
ويتداعى أي يهدم ، ويتصدع أي يتشقق (٨) النذر القليل والافراط في الشئ مجاوزة
الحد فيه ، والبشاشة طلاقة الوجه والهشاشة الارتفاع والخفة (٩) وهي قلة الكلام والسلام
(١٠) وهي مجاوزة الحد في المشاشة والبشاشة (١١) أي نقص العقل

اذا كنت لا تضبط ^(١) أمرَكَ ولا تصولُ على عدوك إلا بقومٍ لست
منهم على ثقةٍ من رأيي ولا حفاظٍ ^(٢) من نيةٍ فلا تفعلُ نافيةً حتى تحوّلهم
ان استطعت إلى الرأي والأدب الذي يمثله تكون الثقة أو تستبدل بهم
ان لم تستطيع نقلهم إلى ما تريد ولا تفرّك قولك بهم وإيماناً في ذلك
كرايب الأسد الذي يبايه من نظر إليه وهو يكرهه أهيب

ليس للمالك أن يقضب لأن الصدرة من وراء حاجته . وليس له أن
يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد . وليس له أن
يخل لأنه أقل الناس عذراً في تخويف الغير . وليس له أن يكون حقوداً
لأن خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس . ويتيق أن يكون حلاقاً فأحق
الناس باقائه الأيمان الملوكة إنما يحمل الرجل على الحلف إحدى هذه
الظلال : إثماته ^(٣) يجدها في نفسه وضرع ^(٤) وحاجة إلى تصديق الناس إياه .
وإثماً عي ^(٥) بالكلام حتى يجعل الأيمان له حشواً ووصلاً . وإثماً ثمة
قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله
إلا بعد جهد ^(٦) اليمين . وإثماً عبث في القول أو إرسال اللسان على
غير روية ^(٧) ولا تقدير

(١) أي لا تحفظه حفظاً بليغاً ، ولا تصول أي لا تسطو (٢) ذب عن المحارم (٣)
المهانة الحقارة مصدر مهن يهين بالضم (٤) خضوع واستكانة (٥) أي عجز وحصر
وهو مصدر عي يعبأ بوزن رضى يرضى (٦) بفتح الجيم وضعها الوسع والطائفة أي
بعد بذل وسعه وطاقته في الحلف (٧) الروية الفكر والتدبر في الأمر جرت على
ألسنتهم بغير همز تخفيفاً من روت في الأمر بالهمز إذا نظرت فيه كفى المصباح

لا عَيْبَ عَلَى الْمَلِكِ فِي تَعْيِثِهِ وَتَتَعْمُهِ إِذَا تَعَمَّدَ الْجَسِمَ مِنْ أَمْرِهِ وَفَوَضَ مَا دُونَ ذَلِكَ إِلَى الْكُفَاةِ ^(١)

كُلُّ النَّاسِ حَقِيقٌ ^(٢) حِينَ يَنْظُرُ فِي أَمْرِ النَّاسِ أَنْ يَتَّبِعَ نَظْرَهُ بِمَعْنَى الرَّيَّةِ ^(٣) وَقَلْبُهُ بِمَعْنَى الْمَقْتِ ^(٤) فَإِنَّهُمَا يُرَيَانِ الْجَوَزَ وَيَحْمِلَانِ عَلَى الْبَاطِلِ وَيَقْبَحَانِ الْحَسَنَ وَيُحْسِنَانِ الْقَبِيحَ وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِتِّهَامِ عَيْنِ الرَّيَّةِ وَعَيْنِ الْمَقْتِ الْمَلِكُ الَّذِي مَا وَقَعَ فِي قَلْبِهِ رِبَا ^(٥) مَعَ مَا يُعَيِّضُ ^(٦) لَهُ مِنْ تَزْيِينِ الْقُرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ . وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِجْبَارِ نَفْسِهِ عَلَى الْعَدْلِ فِي النَّظَرِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الْوَالِي الَّذِي مَا قَالَ أَوْ فَعَلَ كَانَ أَمْرًا نَافِذًا غَيْرَ مَرْدُودٍ

لِيَعْلَمَ الْوَالِي أَنَّ النَّاسَ يَصِفُونَ الْوَلَاةَ بِسُوءِ الْعَهْدِ ^(٧) وَنِسْبَانِ الْوَدِّ ^(٨) فَلْيُكَابِدْ ^(٩) قَضَى قَوْلِهِمْ وَلِيَبْطُلَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْوَلَاةِ صِفَاتِ السُّوءِ الَّتِي يُوصَفُونَ بِهَا

لِيَتَفَقَّدَ الْوَالِي فِيهَا يَنْفَقُدُ مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ فَاقَةً ^(١٠) الْأَحْرَارِ مِنْهُمْ فَلْيَعْمَلْ فِي سَدِّهَا وَطُغْيَانِ ^(١١) السُّقْلَةِ مِنْهُمْ فَلْيَقِمَعَهُ ^(١٢) وَلْيَسْتَوْحِشْ مِنَ الْكَرِيمِ

(١) الخدم الذين يقومون بالخدمة جمع كاف من كفى الرجل يكفي كفاية إذا قام بالامر فهو كاف (٢) خليك وجدير (٣) الشك (٤) أشد البغض (٥) قوله بالامتناسية لسكامة الرأبها ، فالظاهر أنها محرفة عن رياء بمعنى ترك الاخلاص في العمل أو عن رياء كسما بمعنى المنة والطول فتأمل (٦) أى يسبب ويقدر (٧) الامان والموتق (٨) المحبة والمودة (٩) المكابدة للشيء تحمل المشاق في فعله ، والكبد بفتح الحاء المشقة (١٠) الفقر والحاجة (١١) مجاوزة الحد في العصيان ، والسقلة الاراذل والسقاط من الناس (١٢) أمر من قمعه بقمعه من باب منع قهره وأذله وردعه وكفه

الجامع والشمس الشبان فإتعا يصول^(١) الكريم اذا جاع والأشيم اذا شبع
لا يخذلن الوالي من دونه فانه في ذلك أقل حذر من الثقة^(٢) التي اتعا
تخذل من فوقها وكل لا عذر له

لا يلومن الوالي على الزلة من ليس يمتهم على الخرص على رضاه الا لوم
أدب وقوم ولا يعدان^(٣) بالمجتهد في رضاه البصير بما يأتي أحدا فانهما^(٤)
اذا اجتمعا في وزير أو صاحب نام الوالي واستراح وجلبت اليه حاجاته
وإن هدا عنها وعمل فيما يمه وإن غفل

لا يؤلمن^(٥) الوالي بسوء الظن لقول الناس ويتجمل لحن الظن من
ففيه نصيبا موقورا^(٦) يروح به عن قلبه ويصير به أعماله

لا يضيعن الوالي التثبت عند ما يقول وعند ما يعطى وعند ما يعمل فان
الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام وإن العطية بعد المنع
أجمل من المنع بعد الإعطاء وإن الاقدام على العمل بعد التأني فيه أحسن
من الإمساك عنه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبت وأحوجهم
اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستح^(٧)

ليعلم الوالي أن الناس على رأييه الأمن لا بال^(٨) له منهم فليكن حذرا

(١) أي يشب (٢) السوقه عند العرب خلاف الملك وليس المراد منها أنه من كان من
أهل الاسواق كما ظنه العامة كذا في المصباح (٣) أي لا يسوقين الوالي عن مجتهد في
تحصيل رضاه أحدا من عدل الرجل فلانا بفلان اذا سوى بينهما (٤) قوله فانهما أي
المجتهد في رضاه والبصير بما يأتي (٥) مبنى للجهول من ولع يولع كوجل يوجل وأولع
به بالبناء للجهول اذا كان مغرى به (٦) أي تاما كثيرا (٧) من حشه على الشئ حشه
عليه (٨) أي لا شأن له بهم به

والمروءة عنده نفاق^(١) فيكسد بذلك الجور والدناءة في آفاق الأرض^(٢)
 جماع^(٣) ما يحتاج اليه الوالي رايا ان رأيي يقوي سلطانه ورأيي يزيئه
 في الناس ورأيي القوة أحقهما بالبداة^(٤) وأولاهما بالآثرة^(٥) ورأيي
 التزيين أحضرهما حلاوة وأكثرهما أعواناً مع أن القوة من الزينة والزينة
 من القوة لكن الأمر ينسب الى أعظميه
 إن شئت بصحبة الملوك فعليك بطول الرابطة^(٦) في غير معاتبه ولا
 يتحدث لك الاستئناس غفلة ولا تهاوناً
 اذا رأيت أحدهم يجهلك أخاً فاجعله أباً ثم إن زادك فزده
 اذا نزلت من ذي منزلة أو سلطان فلا تزين أن سلطانه زادك له توقيراً
 وإجلالاً من غير أن يزيدك ودّاً ولا نصحاً وأنت ترى حقاً له التوقير
 والاحلال وكفى في مداراته والرفق به كالمؤتف^(٧) ما قبله ولا تقدر
 الأمر بينك وبينه على ما كنت تعرف من أخلاقه فان الأخلاق
 مستحيلة^(٨) مع الملك وربما رأينا الرجل المدل^(٩) على ذي السلطان بقدميه
 قد أضر به قدمه

(١) رواج من نفق ينفق بالضم نفاق راج وضده الكساد (٢) كسد الشيء لم ينفق
 لقلة الرغبات فيه ويعبى بالهمزة فيقال أ كسده الله (٣) جماع الشيء بالكسر
 ما يجمعه ومنه امر جماع الأمم (٤) البداء اسم من بدأ وأما البداء بالياء فهو
 على (٥) الآثرة الاختيار والتفضيل (٦) الرابطة العلقه والوصلة وهذا المعنى غير
 مناسب لهذا الموضع فلمعلها معرفة من الرياضة (٧) اتنّف الشيء واستأنفه أخذ فيه
 وابتدأه (٨) أى متحولة (٩) اسم فاعل من أدل عليه انبسط كندال وروى بحبته

لَا تَمْتَدِرُونَ إِلَّا إِلَى مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ لَكَ عَذْرًا لَا تَسْمَعِينَ إِلَّا بَيْنَ
يُحِبُّ أَنْ يَظُنَّكَ بِحَاجَتِكَ

لَا تَمْتَدِرُونَ إِلَّا مَنْ يَرَى حُدُوثَكَ مَعْنَاً ^(١) مَا لَمْ يَفَاقِكَ الْإِضْطِرَارُ
إِذَا غَرَسْتَ مِنَ الْمَرْوِفِ غَرْماً وَأَنْفَقْتَ عَلَيْهِ نَفَقَةً فَلَا تَضُنَّ ^(٢) بِالنَّفَقَةِ
فِي تَرْبِيَةِ مَا غَرَسْتَ فَتَذْهَبِ النَّفَقَةُ الْأُولَى ضَيَاعاً
إِذَا اعْتَدَرَ إِلَيْكَ مَعْتَدِرٌ فَلَقَّهْهُ بِوَجْهِهِ مُشْرِقٍ وَبِشْرِ ^(٣) طَلِيقٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
بَيْنَ قَطِيعَتِهِ غَنِيمَةً

اعْلَمْ أَنَّ إِخْوَانَ الصِّدْقِ هُمْ خَيْرُ مَكَايِبِ الدُّنْيَا . زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ ^(٤) .
وَعُدَّةٌ فِي الشَّدَةِ . وَمَعُونَةٌ فِي الْمَآشِ وَالْمَدَادِ فَلَا تُفَرِّطَنَّ ^(٥) فِي اكْتِسَابِهِمْ
وَابْتِغَاءِ ^(٦) الْوُصَلَاتِ وَالْأَسْبَابِ إِلَيْهِمْ

اعْلَمْ أَنَّكَ وَاجِدٌ رَغْبَتِكَ مِنَ الْإِخَاءِ عِنْدَ أَقْوَامٍ قَدْ حَالَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ
بَعْضُ الْأَهْجَةِ ^(٧) الَّتِي قَدْ تَمْتَرَى ^(٨) أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ فَتَنْجِزُ مِنْهُمْ كَثِيراً
مِمَّنْ يُرْغَبُ فِي أَمْثَالِهِمْ فَإِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيكَ قَدْ عَثَرَ ^(٩) بِهِ الزَّمَانَ فَاقْلَهُ
إِذَا عَرَفْتَ نَفْسَكَ مِنَ الْوَالِي بِمِثْلَةِ الثِّقَةِ فَاهْزِلْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلِكِ ^(١٠) وَلَا

(١) مصدر معي بمعنى القنجة (٢) ض بكذا بخل به من باب تعب (٣) بالكسر طلاقة
الوجه (٤) الرخاء الخصب واتساع العيش ضد الشدة ، والعدة بالضم الاستعداد والتأهب
وما أعدته من مال أو غيره ويجمع على عدد كغرفة وغرف (٥) التفريط التقصير
والتضييع (٦) الابتغاء الطلب ، والوصلات جمع وصلة أى الاتصال (٧) الأبهة كسكره
العظيمة والنخوة (٨) أى تصيهم ، وتنجز أى تمنع (٩) أى سقط من العثرة بمعنى
السقوط ، وأقله أمر من الأقاله ، يقال أقله الله عثرته إذا رفعه من سقوطه (١٠) الود

تُكْثِرَنَّ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ شَبِيهُ بِالْوَحْشَةِ وَالنُّزْبَةِ إِلَّا أَنْ تَكَلِّمَهُ عَلَى دُؤُسِ النَّاسِ فَلَا تَأَلَّ (١) عَمَّا عَظَّمَهُ وَوَقَرَهُ

إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا تَصْغَبَ مَنْ صَحَبْتَ مِنَ الْوَلَاةِ إِلَّا عَلَى شُعْبَةٍ (٢) مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ مَوَدَّةٍ فَافْضَلْ فَإِنْ أَخْطَاكَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ تَعْمَلُ عَلَى عَمَلِ السُّخْرَةِ (٣) وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ صُحْبَتَكَ إِنْ قَدْ عَرَفْتَ مِنْهُمْ بِصَالِحٍ مُرْوَعٍ تَكُ (٤) قَبْلَ وَلَا يَتَّبِعُ فَافْضَلْ

إِنَّ الْوَلِيَّ لَا يَعْلَمُ لَهُ بِالنَّاسِ إِلَّا مَا قَدْ عَلِمَ قَبْلَ وَلَا يَتَّبِعُ فَمَا إِذَا وَلِيَ فَكُلَّ النَّاسِ يَلْقَاهُ بِالْتَّزِينِ وَالتَّصْنَعِ (٥) وَكُلُّهُمْ يَحْتَالُ لِأَنْ يُشْنَى عَلَيْهِ عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ الْأَرْذَالَ وَالْأَنْذَالَ هُمْ أَشَدُّ لِدَافَتِكَ تَصْنَعًا وَعَلِيهِ مُكَابَرَةٌ وَفِيهِ تَمَحَلٌّ فَلَا يَتَمَنَّعُ الْوَالِيَّ وَإِنْ كَانَ بَلِيعَ الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْرَارِ بِمَنْزِلَةِ الْأَخْيَارِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَائِنَةِ (٦) بِمَنْزِلَةِ الْأَمْنَاءِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْفَدَرَةِ (٧) بِمَنْزِلَةِ الْأَوْفِيَاءِ (٨) وَيُنْطَلِّي عَلَيْهِ أَمْرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ الَّذِينَ يَصُونُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ التَّمَحُّلِ (٩) وَالتَّصْنَعِ

لَا يَفْرَقَنَّ الْوَلَاةُ بِالْهَوَى فِي بَلَدَةٍ مِنَ الْبُلْدَانِ وَلَا قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ فَيُؤْشِكَ أَنْ تَحْتَاجَ فِيهَا إِلَى حِكَايَةٍ أَوْ مُشَاهَدَةٍ فَتَتَّهِمَ فِي ذَلِكَ وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَقْبَلَ

واللطف (١) أى نقصر (٢) هى الطائفة من الشئ (٣) السخرة وزان غرفة ما سخرت من خادِم أودابة بلائج ولائج (٤) الروءة بضم اليم آداب نفسانية تحمل الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجيل العادات وقد تشدد فيقال مروءة (٥) تكلف حسن السمى (٦) جمع خائن وجميع أيعاض على خونة وخوان (٧) جمع غادر كعجزة جمع فاجر (٨) الاوفياء جمع وفى كتنق واقبياء (٩) الاحتياط

قَوْلِكَ فَصَحَّحَ رَأْيَكَ وَلَا تُشَوِّبُهُ ^(١) بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَى فَإِنَّ الرُّأْيَ يَقْبَلُهُ
مِنْكَ الْعَدُوُّ وَالْهَوَى يَرُدُّهُ عَلَيْكَ الْوَلِيُّ وَأَحَقُّ ^(٢) مَنْ اخْتَرَسْتَ مِنْ أَنْ
يَظُنَّ بِكَ خَلَطَ الرُّأْيِ بِالْمَوَى الْوَلَاةُ فَإِنَّهَا ^(٣) خَدِيعَةٌ وَخِيَانَةٌ وَكُفْرٌ
إِنْ ابْتَلَيْتَ بِصُحْبَةٍ وَالْإِلَّ لَا يَرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّةٍ فَعَلِمَ أَنَّكَ قَدْ خَيْرْتَ بَيْنَ
خَلَّتَيْنِ ^(٤) لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ إِمَّا مِثْلُكَ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَهَذَا هَلَاكُ
الدِّينِ وَإِمَّا الْمِيلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي وَهَذَا هَلَاكُ الدُّنْيَا وَلَا حِيلَةَ لَكَ إِلَّا
بِالْمَوْتِ أَوْ الْمَرْبِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ وَأَنْ كَانَ الْوَالِي غَيْرَ مَرْضِيٍّ
السِّدْرَةِ إِذَا عَلِقَتْ حَبَالُكَ بِجَبَلِهِ إِلَّا الْمَحَافَظَةُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَجِدَ إِلَى الْفِرَاقِ
الْجَمِيلَ سَبِيلًا

تَبَهَّرَ مَا فِي الْوَالِي مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تُحِبُّ وَالَّتِي تُسَكِّرُهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ
مِنَ الرَّأْيِ الَّذِي يُرْضَى لَهُ وَالَّذِي لَا يُرْضَى ثُمَّ لَا تُكَايِرُهُ بِالتَّخْوِيلِ لَهُ عَمَّا
يُحِبُّ وَيَكْرَهُ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتُكْرَهُ فَإِنَّ هَذِهِ رِيَاضَةٌ صَعْبَةٌ تَحْمِلُ عَلَى النَّتَائِي ^(٥) وَالْقَلَى
اعْلَمْ أَنَّكَ قَلَّمَا تَقْدِرُ عَلَى رَدِّ رَجُلٍ عَنْ طَرِيقِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا بِالْمُكَايَرَةِ ^(٦)
وَالْمُنَاقَضَةِ وَإِنْ لَمْ يَجْمَعْ ^(٧) عَنِ السُّلْطَةِ وَلَسِكِنَّكَ تَقْدِرُ أَنْ تُعِينَهُ عَلَى أَحْسَنِ

(١) أى لا تخططن من الشوب وهو الخلط (٢) مبتدأ أو خذره الولاية الآتى (٣) ينظر إلى
أين يعود ضمير فإنها (٤) مثنى خلا أى خصلة بالفتح فيها (٥) التباعد ، والقلى البغض (٦)
المكايرة المنازعة فى المسائل ، والمنافضة إبطال أحد القولين بالآخر (٧) جمع من باب
خضع أى بمعنى اعترز وغلب ، يقال جمع القرس راكبه إذا استعصى حتى غلبه ويأتى
بمعنى أسرع ومنه قوله تعالى وهم يحمحمحون ، والجوح من الرجال هو الذى يركب هواه ،
وتعديته بمن تفيد معنى الرجوع والازتداد كما هنا اه

رَأَيْهِ وَتَسَبَّبَ لَهُ مِنْهُ وَتَقْوِيَةٌ فِيهِ فَإِذَا قَوِيَتْ مِنْهُ الْمَحَاسِنُ ^(١) كَانَتْ هِيَ
الَّتِي تَكُونُ عَنْ الْمَسَاوِي وَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ ^(٢) مِنْهُ نَاحِيَةٌ مِنَ الصَّوَابِ كُنَّ
ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يُبَصِّرُهُ الْخَطَأَ بِالْخَطَأِ مِنْ تَبَصُّيرِكَ وَأَعْدَلَ مِنْ حُسْنِكَ فِي نَفْسِهِ
فَإِنَّ الصَّوَابَ يُرِيدُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيَدْعُو بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَتْ ^(٣) لَهُ
مَكَانَةٌ اقْتَلَعَ الْخَطَأُ فَحَقَّقَ هَذَا الْبَابَ وَأَحْكَمَهُ . وَلَا يَكُونَنَّ طَلَبُكَ مَا عِنْدَ
الْوَالِيِ بِالسَّأَلِ وَلَا تَسْتَبْطِئُهُ وَإِنْ أَبْطَأَ وَلَسَكِنْ اطْلُبْ مَا قَبْلَهُ ^(٤) بِالِاسْتِحْقَاقِ
لَهُ وَاسْتِثْنَانِ ^(٥) وَإِنْ طَالَتِ الْأَنَاءُ فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَحَقَّقْتَهُ أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ
وَإِنْ لَمْ تَسْتَبْطِئْهُ كَانَ أَعْجَلَ لَهُ

لَا تَخْذِرَنَّ الْوَالِيَّ أَنَّ لَكَ عَلَيْهِ حَقًّا وَأَنَّكَ أَمْتَدُّ عَلَيْهِ بِبَلَاءٍ ^(٦) وَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَنْ يَنْتَسِيَ حَقُّكَ وَبَلَاءُكَ فَافْعَلْ وَلَيْسَكُنَّ مَا نَذَرَ كَرُهُ مِنْ ذَلِكَ تُجَدِّدُكَ
لَهُ النَّصِيحَةَ وَالِإِجْتِهَادَ وَالْأَيُّوَالَ يَنْظُرُ مِنْكَ إِلَى آخِرِيْدُ كَرُهُ أَوَّلَ بَلَائِكَ
وَاعْلَمْ أَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ إِذَا انْقَطَعَ عَنْهُ الْآخِرُ نَسِيَ الْأَوَّلَ وَأَنَّ الْكَثِيرَ
مِنْ أَوَّلِكَ أَرْحَمُهُمْ مَقْطُوعَةٌ وَحِيَالُهُمْ مَضْرُومَةٌ ^(٧) إِلَّا عَنِ رِضْوَانِهِ

(١) المحاسن جمع حسن على غير قياس ، والمساوي أى النقصان والمعائب جمع المساءة
تقيض المسرة وأصلها مسوأة على مفعلة بفتح الميم والعين ولطارد الواو فى الجمع فيقال
المساوي (٢) أى إذا تمكنت منه جهة من الصواب وكانت هى الحاكمة عليه كانت هذه
الجهة من الصواب هى التى تبصره الخطأ الخ (٣) قوله فإذا كانت له أى للصواب ، مكانة
أى منزلة ، اقتلع الخطأ أى انتزعه ويحتمل أن يكون الضمير فى اللوالى أى فإذا كانت
للوالى مكانة أى نودة الخ ، والاول أقرب وأنسب (٤) أى ما عنده على كونك مستحقا
له (٥) استثنى فى الامر تأتى فيه ولم يعجل والاسم منه أناة بوزن حاة (٦) البلاء
الصنع مطلقا حسنا أو سيئا والمراد به هنا الحسن (٧) مقطوعة

وَأَغْنَى ^(١) عَنْهُمْ فِي يَوْمِهِمْ وَسَاعِهِمْ
إِيَّاكَ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِكَ تَعَبٌ ^(٢) عَلَى الْوَالِي أَوْ اسْتِزَادَةٌ لَهُ فَإِنَّهُ إِنْ
أَكْنَتَ ^(٣) أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِكَ بَدَأَ ^(٤) فِي وَجْهِكَ أَنْ كُنْتَ حَلِيمًا وَبَدَأَ عَلَى
لِسَانِكَ أَنْ كُنْتَ سَفِيهًا وَإِنْ لَمْ يَزِدْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَظْهَرَ فِي وَجْهِكَ لِأَمْنِ النَّاسِ
عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنَنَّ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْوَالِي فَإِنَّ النَّاسَ إِلَيْهِ بِعَوَازِ ^(٥) الْأَخْوَانِ
مِرَاحٍ فَإِذَا ظَهَرَ ذَلِكَ لِلْوَالِي كَانَ قَلْبُهُ هُوَ أَسْرَعَ إِلَى التَّعَبِ وَالتَّعَرُّزِ ^(٦)
مَنْ قَلْبِكَ فَهَاقَ ذَلِكَ حَسَنَاتِكَ الْمَاضِيَةَ وَأَشْرَفَ بِكَ عَلَى الْهَلَاكِ وَصِرْتَ
تَعْرِفُ أَمْرَكَ مُسْتَذِيرًا وَتَلْتَمِسُ مَرْضَاتَهُ مُسْتَضْعِبًا
اعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ ^(٧) النَّاسِ عَدُوًّا مُجَاهِرًا حَاضِرًا جَرِيئًا وَاشْيَاءً وَزِيرًا
السُّلْطَانِ ذُو الْمَكَانَةِ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ مَنُفُوسٌ ^(٨) عَلَيْهِ بِمَا يَنْفُسُ عَلَى صَاحِبِ السُّلْطَانِ
وَمُخْشَوْدٌ كَمَا يُخْشَدُ غَيْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ يُجْتَرَأُ عَلَيْهِ وَلَا يُجْتَرَأُ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ
مُحَامِدِيهِ أَحِبَّاءِ السُّلْطَانِ الَّذِينَ يُشَارِكُونَهُ فِي الْمَدَاخِلِ وَالْمَنَازِلِ وَهُمْ وَغَيْرُهُمْ ^(٩)
مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِينَ هُمْ حُضَارَةٌ لَيْسُوا كَعَدُوِّ مَنْ قُوَّةُ النَّاسِ عَنْهُ الْمُسْكَنَاتِ
مَنْهُمْ وَهُمْ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُمْ مِنَ الظَّفَرِ بِهِ فَلَا يَفْغُلُونَ عَنْ نَصَبِ الْحَبَائِلِ ^(١٠)

(١) أغنى عنه أجزاء عنه وقام مقامه (٢) التعب والمعاينة توافف الموحدة ومخاطبة
الادلال (٣) أى علمت وفوق ذلك فى قلبك ظهر فى وجهك الخ (٤) أى ظهر
(٥) جمع عورة وهى كل ما يستحي منه (٦) التزمز ضد التذلل (٧) أى أكثر اسام
ان وخبرها وزير السلطان ، وعدوا وما عطف عليه تميز (٨) نفس عليه بخير
حسده عليه ولم يرمه أهلا ونفس بالشيء ضمن به وهو من باب سلم (٩) قوله وهم وغيرهم الخ
هم ضمير منفصل مبتدأ وهو راجع الى أحباء السلطان وغيرهم معطوف عليه ، وقوله
من عدوه الخ بيان للعطوف وجلة ليسوا كعدو من فوقه خبر المبتدأ (١٠) جمع حبال

فأعرف هذه الحال والنس للهؤلاء القوم الذين هم أعداؤك سلاح الصحة
والاستقامة ولزوم الحجة فيما تيسر وتعلم ثم روي من قالك كانه لا عدو
لك ولا حاسد وان ذكرك ذا كرك عند ولي الامر بسوء في وجهك او في
غيبك فلا يرين منك الولي ولا غير ذلك اختلافاً لذلك ولا اغتيالاً ولا يقعن
ذلك موقع ما يكرهك ^(١) فانه ان وقع منك ذلك الموقع اذخل عليك امراً
مشتبهاً بالرب مذكرة لما قال فيك العائب وان اضطررك الامر في ذلك
الى الجواب فإياك وجواب الغضب والانتقام عليك بجواب الحجة في حلم ^(٢)
ووقار ولا تشكن في ان القوة والعلة للحلم أبداً

لا تخضرن عند الوالي كلاماً لا يسي ولا يؤمر بحضوره إلا ليناية به أو
يكون جواباً بالشئ سئلت عنه ولا تعدن شتم الوالي شتماً ولا اغلاظة
اغلاظة فن ربح العز قد تنبط اللسان بالفاظ في غير سخط ولا بأس
جانب المسخوط عليه والظنين ^(٣) به عند الولاة ولا يجهنك وإياه
مجلس ولا تطهرن له عذراً ولا تثنين ^(٤) عليه خيراً عند أحد من الناس فاذا رأيت
قد بلغ من الاغتاب ^(٥) مما سخط عليه فيه ما ترجوان يدين له الوالي واستيقنت
أن الوالي قد استيقن بمعادتك إياه وشديتك عليه فضع عذره عند الوالي

بالكسروهي التي يصاد بها كالشبكة ونحوها ^(١) كره الغم يكرهه اشتد عليه وما كثر
له أي ما بالي به ^(٢) الحلم لغة الأمانة وعرفه العلماء بأنه هو الطمأنينة عند سورة
الغضب والحليم هو المتصف بذلك ^(٣) الظنة بالكسر التهمة ، والظنين المتهم ، ^(٤) يقال
أثنى عليه خيراً ونحوه من الشاء وهو الوصف بالخيرية ويستعمل في الشرايض ، يقال أثنى
عليه شراً وبشر ^(٥) الاعتاب مصدر قولك أعتبت فلان اذا عاد الى مسرتك راجعاً عن

واعتَمَلَ في إِرْضَائِهِ عَنْهُ في رِقْقٍ وَلُطْفٍ
يَعْلَمُ الْوَالِي أَنَّكَ لَا تَسْتَنْكِفُ عَنْ خِدْمَتِهِ وَلَا تَدْعُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ تُقَدِّمَ
إِلَيْهِ الْقَوْلَ عِنْدَ بَعْضِ حَالَاتِ رِضَاهِ وَطِيبِ نَفْسِهِ فِي الْإِسْتِعْنَاءِ مِنَ الْأَعْمَالِ
الَّتِي يَكْرَهُهَا ذُو الدِّينِ وَذُو الْعِرْضِ وَذُو الْمُرُوءَةِ مِنْ وَلايَةِ الْقَتْلِ وَالْعَذَابِ
وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ

إِذَا أَصَبْتَ الْجَاهَ وَالْخَاصَّةَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَلَا يُحْدِثَنَّ لَكَ ذَلِكَ تَغَيُّرًا عَلَى أَحَدٍ
مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْوَانِهِ وَلَا اسْتِعْنَاءَ عَنْهُمْ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَرَى أَذَى جَفَوَةٍ فَتَذِلَّ (١)
لَهُمْ فِيهَا وَفِي تَكُونِ الْحَالِ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَارِ مَا فِيهِ

يَسْكُنُ مِمَّا تُحْكِمُ (٢) مِنْ أَمْرِكَ أَنْ لَا تُسَارَّ (٣) أَحَدًا مِنَ النَّاسِ
وَلَا تَهْمِسَ (٤) إِلَيْهِ شَيْءٌ تُخْفِيهِ عَنِ السُّلْطَانِ فَإِنَّ السَّرَّارَ مِمَّا يُخِيلُ إِلَى كُلِّ
مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِهِ فَكَوْنُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ حَسِيكَةً وَوَعْرًا وَثِقَلًا (٥)

لَا تَتَهَاوَنَنَّ بِأَرْسَالِ الْكَذِبَةِ (٦) عِنْدَ الْوَالِي أَوْ غَيْرِهِ فِي الْهَزْلِ فَإِنَّهَا تَسْرِعُ
فِي رَدِّ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الصِّدْقِ مِمَّا تَأْتِي بِهِ

تَسْكَبُ (٧) فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْوَالِي خُلُقًا قَدْ عَرَفْنَاهُ فِي بَعْضِ الْأَعْوَانِ

الاساءة (١) أي تخضع وتذلل (٢) تحكم تتقن والمعنى ليسكن عدم مسارة أحد وعدم
الهمس إليه بشئ تخفيه عن السلطان من أمورك التي أحكمتها وأتقنتها (٣) أي تناجيه
سرا وخفية (٤) الهمس الصوت الخفي (٥) الحسيكة الضغن والعداوة ، الوغرشدة
الفيظ وهو مأخوذ من الوغرة وهي شدة نوقد الحر (٦) الكذبة بفتح الكاف وسكون
الذال وجعها كذبات بفتح الذال (٧) نكسب عن الطريق من باب قعد عدل
وتسكب الشيء تحبسه

وَالْأَصْحَابُ فِي ادِّعَاءِ الرَّجُلِ عِنْدَ مَا يَظْهَرُ مِنْ صَاحِبِهِ مِنْ حُسْنِ أَثَرٍ أَوْ صَوَابِ رَأْيٍ أَنَّهُ هُوَ عَمَلٌ فِي ذَلِكَ أَوْ أَشَارَ بِهِ وَاقْرَارِهِ بِذَلِكَ إِذَا مَدَحَهُ مَا دَحَ بَلْ وَانِ اسْتَنْطَقَتْ أَنْ يَعْرِفَ صَاحِبُكَ أَنَّكَ تَنْحَلُّهُ ^(١) صَوَابَ رَأْيِكَ فَضْلاً عَنْ أَنَّكَ تَدَّعِي صَوَابَهُ وَتُسْنِدُ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَتَزَيِّنُهُ فَاقْبَلْ فَإِنَّ الَّذِي أَنْتَ آخِذٌ بِذَلِكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَنْتَ مُعْطٍ بِأَضْعَافٍ

إِذَا سَأَلَ الْوَالِي غَيْرَكَ فَلَا تَكُونَنَّ أَنْتَ الْمُجِيبَ عَنْهُ فَإِنَّ اسْتِثْلَاكَ ^(٢) الْكَلَامَ خِفَّةً بِكَ وَاسْتِخْفَافٌ مِنْكَ بِالْمَسْئُولِ وَالسَّائِلِ . وَمَا أَنْتَ قَائِلٌ إِذَا قُلْتَ لَكَ السَّائِلُ مَا إِلَيْكَ سَأَلْتُ أَوْ قُلْتَ لَكَ الْمَسْئُولُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ يُعَادِلُهُ بِهَا دُونُكَ فَاجِبٌ ^(٣) وَإِذَا لَمْ يَنْصُبِ السَّائِلُ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَعَمَّ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَلَا تُبَادِرْ بِالْجَوَابِ وَلَا تُسَاقِ الْجُلُوسَ وَلَا تُؤَايِبِ ^(٤) الْكَلَامَ مُؤَايِبَةً فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مَعَ شَيْنِ التَّكَلُّفِ وَالْخِيفَةِ أَنَّكَ إِذَا سَبَقَتْ الْقَوْمَ إِلَى الْكَلَامِ صَارُوا إِلَيْكَ خُصَمَاءَ فَيَتَمَقَّبُونَ بِالْعَيْبِ وَالطَّعْنِ وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْجَلِ بِالْجَوَابِ وَخَلَّيْتَهُ لِقَوْمٍ اعْتَرَضَتْ أَقْوَابُهُمْ عَلَى عَيْنِكَ ثُمَّ تَدَبَّرْتَهَا وَفَسَّرْتَ فِيهَا عِنْدَكَ ثُمَّ هَيَّأْتَ مِنْ تَفْكِيرِكَ وَحَاسِنِ مَا سَمِعْتَ جَوَاباً رَضِيّاً وَاسْتَدْرَجْتَ بِهِ أَقْوَابَهُمْ حَتَّى تُصَيِّخَ ^(٥) إِلَيْكَ الْأَسْمَاعَ وَيَهْدَأُ عَنْكَ الْخُصُومُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْكَ الْكَلَامُ حَتَّى يُكْتَسَى بِغَيْرِكَ أَوْ يَقْطِيعَ الْحَدِيثُ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ

(١) يُقَالُ نَحَلْتُ الْقَوْلَ إِذَا أَضَفْتُ إِلَيْهِ قَوْلًا قَالَهُ غَيْرُهُ (٢) مَصْدَرُ اسْتِثْلَاكَ أَيْ أَخَذَ وَاسْتِخْلَاسُ (٣) الْمَوَائِبِ وَالْوُتُوبِ الْقَفْزُ وَالْمُرَادُ مِنْهَا هَذَا الْمُبَادَرَةُ وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى جَوَابِ سَوْأَلٍ مُوجَّهٍ إِلَى غَيْرِهِ (٤) أَصَاحُهُ يَصِيخُ اسْتَمَعَ يَعْدِي بِاللَّامِ وَالِى

مِنَ الْعَيْبِ عِنْدَكَ وَلَا مِنَ الْغَيْبِ ^(١) فِي نَفْسِكَ قُوْتُ مَا قَاتَكَ مِنَ الْجَوَابِ
قَانَ صِبَاةَ الْقَوْلِ خَيْرٌ مِنْ سُوءِ وَضْعِهِ وَإِنْ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنَ الصَّوَابِ تُصِيبُ
مَوْضِعَهَا خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ كَلِمَةٍ أَمْتَاهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَمَوَاضِعُهَا مَعَ أَنَّ كَلَامَ
الْمَجَلَّةِ وَالْبِدَارِ ^(٢) مُؤَكَّلٌ بِهِ الرَّأْيُ ^(٣) وَسُوءُ التَّقْدِيرِ وَإِنْ ظَنَّ صَاحِبُهُ أَنَّ
قَدْ أَتَى وَأَحْكَمَ .

وَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَنَالُ إِلَّا بِرُحْبٍ ^(٤) الذَّرْعُ عِنْدَ مَا قِيلَ وَمَا لَمْ
يَقُلْ وَقَلَّةُ الْأَعْظَامِ ^(٥) لِمَا ظَهَرَ مِنَ الْمَرْوَةِ أَوْ لَمْ يَظْهَرْ وَسَخَاوَةُ النَّفْسِ عَنْ
كَثِيرٍ مِنَ الصَّوَابِ غَخَاةُ الْخِلَافِ وَالْمَجَلَّةِ وَالْحَسَدِ وَالْمَرَاءِ ^(٦)
إِذَا كَلِمَتِكَ الْوَالِي فَاصْغِ ^(٧) إِلَى كَلَامِهِ وَلَا تَشْغَلْ طَرَفَكَ ^(٨) عَنْهُ بِنَظَرٍ وَلَا
أُطْرَافَكَ ^(٩) بِسَمَلٍ وَلَا قَلْبَكَ بِحَدِيثِ نَفْسِكَ وَاحْذَرْ هَذَا مِنْ نَفْسِكَ
وَتَهْذُ ^(١٠) مَا فِيهِ

أَرْقُقْ بِنَظَرَاتِكَ مِنْ وَرَرَاءِ السُّلْطَانِ وَدُخْلَانِهِ وَاتَّخِذْهُمْ إِخْوَانًا وَلَا
تَتَّخِذْهُمْ أَعْدَاءَ وَلَا تُنَافِسْهُمْ ^(١١) فِي الْكَلِمَةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا وَالْعَمَلِ يُؤَمَّرُونَ بِهِ

(١) الغيب بالتحريك الضعف في الرأي والنقص وبابه طرب وبالسكون الخديعة وبابه
ضرب (٢) أي الاسراع (٣) السقوط والزلق وبابه تعب (٤) بالضم السعة والذرع
في الأصل بسط اليد وأراد به هنا الخلق (٥) أعظم الشيء نخمة (٦) الجدال (٧) أمر
من الأصغاء وهو الاستماع من صغى بمعنى مال وأصغى إلى كلامه مال بسمعه إليه (٨) الطرف
العين (٩) جمع طرف بفتحين جانب الشيء وناحيته وطائفة من الشيء ومن البدن البدن
والرجلان والرأس وهو المراد هنا (١٠) أي تفقد (١١) نفس الشيء من باب ظرف صار
مرغوباً فيه ونافس في الشيء إذا رغب فيه على وجه المباراة في السكرم ، وتنافسوا فيه أي
رغبوا فيه ، والمنافسة أن يطالب كل واحد أن يكون ذلك الشيء المتنافس فيه لنفسه خاصة

فَأَمَّا أَنْتَ فِي ذَلِكَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ فَضْلٌ عَلَى مَا عِنْدَ غَيْرِكَ فَسَوْفَ يَبْذُوكَ ذَلِكَ وَيُخَاجُّوكَ إِلَيْهِ وَيُلْتَمِسُ مِنْكَ وَأَنْتَ بِجَهْلٍ وَأَمَّا أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَكَ فَمَا ^(١) أَنْتَ مُصِيبٌ مِنْ حَاجَتِكَ عَنْدهُمْ بِمَقَارِبَتِكَ وَمُلَابِقَتِكَ وَمَا أَنْتَ وَأَجِدُ فِي مُوَافَقَتِكَ إِيَّاهُمْ وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ إِيَّاكَ وَلِيْنِهِمْ لَكَ أَفْضَلُ مِمَّا أَنْتَ مُذَرِّكُهُ بِالْمُنَافَسَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ

لَا تَجْتَزِئَنَّ ^(٢) عَلَى خِلَافِ أَصْحَابِكَ عِنْدَ الْوَالِي ثِقَةً بِاعْتِرَافِهِمْ لَكَ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضْلِ رَأْيِكَ فَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا النَّاسَ يَتَرَفُونَ فَضْلَ الرَّجُلِ وَيَتَقَادُونَ لَهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَهُمْ أَخْلِيَاءُ ^(٣) فَإِذَا حَضَرُوا ذَا السُّلْطَانِ لَمْ يَرْضَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَقِرَّ لَهُ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ فَضْلٌ فَاجْتَرَأُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافِ وَالنَّضِ فَإِنْ نَاقَضَهُمْ كَانَ كَأَحَدِهِمْ وَلَيْسَ بِوَاجِدٍ فِي كُلِّ حِينٍ سَامِعًا فِيمَا ^(٤) وَقَاضِيًا عَدْلًا وَإِنْ تَرَكَ مُنَاقَضَتَهُمْ صَارَ مَغْلُوبَ الرَّأْيِ مُزْدُودَ الْقَوْلِ

إِذَا أَصَبَتْ عِنْدَ الْوَالِي لُطْفَ مَنَزَلَةٍ لِنِجَاءِ ^(٥) بِجُودِهِ عِنْدَكَ أَوْ هَوَى يَكُونُ لَهُ فَيْكَ فَلَا تَطْمَئِنَّ ^(٦) كُلَّ الطَّمَاحِ وَلَا تَزَيِّنَنَّ لَكَ نَفْسُكَ الْمَزَايِلَةَ ^(٧) لَهُ

دُونَ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ نَفْسٌ جَدَا ، وَالْمَعْنَى لَا تَعَارِضُهُمْ وَتَزَاحِمُهُمْ فِيمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ أَلِ (١) اسْمُ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى الَّذِي وَمَا بَعْدَهُ صِلَتُهُ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَمَا الثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ وَمَا أَنْتَ وَاجِدٌ عَظْفٍ عَلَيْهِ وَالْخَبَرُ قَوْلُهُ أَفْضَلُ مِمَّا أَنْتَ أَلِ (٢) الْجَرَاءَةُ وَالْجَرَاءَةُ الشَّجَاعَةُ وَالْإِقْدَامُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْجَرَى عَلَى الْمَدَامَةِ وَبَابُهُ ظَرْفٌ وَاجْتَرَأَ أَقْدَمَ وَهُوَ مَطَاوِعُ جَوًّا بِالْتَشْدِيدِ (٣) جَمْعُ خَلٍّ وَهُوَ الْفَارِغُ يَعْنِي أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِفَضْلِهِ وَيَقْرُونَ لَهُ بِذَلِكَ وَيَتَقَادُونَ لَهُ فِيمَا يَنْبَغِي وَبَيْنَهُ ، وَأَمَّا فِي حُضُورِ السُّلْطَانِ فَلَا يَقْرُونَ لَهُ بِفَضِيلَةٍ عَلَيْهِمْ (٤) سَرِيعُ الْفَهْمِ (٥) النِّجَاءُ بِالْفَتْحِ السَّكْفَايَةُ (٦) طَمَحٌ مِنْ بَابِ خَضَعَ يُقَالُ طَمَحَ بِبَصَرِهِ نَحْوَ الشَّيْءِ إِذَا اسْتَشْرَفَ لَهُ وَجَبَلَ طَامَحٌ أَيْ مَشْرَفٌ عَالٍ (٧) الْمَفَارِقَةُ ، وَزَاتُ الشَّيْءِ مَنْ

عَنِ أَلَيْفِهِ ^(١) وَمَوْضِعِ ثِقَتِهِ وَسِرِّهِ قَبْلَكَ بَأْنُ تَقْتَلِعُهُ وَتَدْخُلُ دُونَهُ فَإِنْ هَذِهِ خَلَّةٌ مِنْ خِلَالِ السَّفَرِ قَدْ يُبْتَلَى بِهَا الْحَلَمَةُ عِنْدَ الدُّنْوَرِ مِنْ ذِي السُّلْطَانِ حَقِّي يُحَدِّثُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ قَسَةً أَنْ يَكُونَ دُونَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ لِفَضْلِ يَظُنُّهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ قَصِي يَظُنُّهُ بِنَفْسِهِ وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ ذِي هَيْئَةٍ مِنَ السُّوقَةِ ^(٢) أَلَيْفٌ وَأَنْيَسٌ قَدْ عَرَفَ رُوحَهُ وَاطَّلَعَ عَلَى قَائِمِهِ فَلَيْسَتْ عَلَيْهِ مَوْنَةٌ ^(٣) فِي تَبَدُّلٍ يَتَبَدَّلُ لَهُ عِنْدَهُ أَوْ رَأْيٍ يَسْتَنْزِلُ مِنْهُ أَوْ سِرٍّ يَنْشِبُ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنْ تِلْكَ الْأَنَسَةُ ^(٤) وَذَلِكَ التَّبَدُّلُ يَسْتَخْرِجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ لِيُظْهِرَ مِنْهُ عِنْدَ الْإِقْبَاضِ وَالتَّشَدُّدِ وَلَوْ التَّمَسُّ مِثْلَ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ يَسْتَأْنِفُ ^(٥) مُلَاطَفَتَهُ وَمَوَاسَّاتَهُ أَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ مِنَ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مِثْلَ مَا هُوَ مُتَنَفِّعٌ بِهِ يَمُنُّ هُوَ دُونَ ذَلِكَ فِي الرَّأْيِ يَمُنُّ قَدْ كَفَى مَوَاسَّاتُهُ وَقَعَ عَلَى طَبَاعِهِ لِأَنَّ الْأَنَسَةَ رُوحُ الْقَلْبِ وَالْوَحْشَةَ رُوحُ ^(٦) عَلَيْهِ وَلَا يَلْتَأْتُ ^(٧) الْقُلُوبِ إِلَّا مَا لَانَ ^(٨) عَلَيْهَا وَمَنْ اسْتَقْبَلَ تَأْسِيسَ الْوَحْشَةِ اسْتَقْبَلَ أَمْرًا ذَا مَوْنَةٍ فَإِذَا كَلَفْتِكَ نَفْسُكَ السُّمُورَ ^(٩) إِلَى مَنَزَلَةٍ مِنْ وَصَفَتْ فَاقْذَعَهَا ^(١٠) عَنْ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ فَضْلِ الْأَلَيْفِ وَالْأَنْيَسِ وَإِذَا حَدَّثْتُكَ فَضْلَكَ

مكانه وأزلاته وفرقتة ونحيته عنه ^(١) اسم فاعل من أف بالالف من باب علم أي استأنس به وأحبه ^(٢) السوقة خلاف الملك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويربما جمع على سوق مثل غرفة وغرفة ^(٣) ثقل وكلفة ولتبذل خلاف التعاون ^(٤) الانسة بالضم يركض ضد الوحشة ^(٥) استأنف الشيء أخذه فيه وابتدأه ^(٦) الروح بالفتح الفرع ^(٧) التاط الشيء بقلبه لصق به من فرط الحب ^(٨) من اللين ضد الخشونة ^(٩) الارتفاع والتماعى ^(١٠) أي كفها وامنعها من قدح كمنع كف وكبح

أَوْ غَيْرِكَ مِمَّنْ لَعَلَّهُ يَكُونُ لَهُ فَضْلٌ فِي الْمُرُوءَةِ أَنْكَ أُولَى بِالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ الْكَبِيرِ
 مِنْ بَعْضِ دُخْلَانِهِ وَثِقَاتِهِ فَادْكُرِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ أَيْفِهِ وَثِقَتِهِ وَأَنْدِسِهِ
 فِي التَّسْكِرَةِ وَالَّذِي يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الرَّأْيِ أَنَّهُ يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ الْإِلْفِ
 وَالْإِنْسِ مَا لَيْسَ وَاجِدًا عِنْدَ غَيْرِهِ فَلَا يَكُنْ هَذَا مِمَّا تَتَحَفَّظُ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ
 وَتَعْرِفُ فِيهِ عَذْرَ الرَّجُلِ وَرَأْيَهُ وَالرَّأْيُ فِيهِ لِنَفْسِكَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ إِنْ أَرَادَكَ
 مُرِيدٌ عَلَى الدُّخُولِ دُونَ أَنْ يَسْكَتَ وَأَلَيْكَ وَهَوِّضُ تَقَنُّكَ وَجِدِّكَ وَهَزْلِكَ
 اعْلَمْ أَنَّهُ تَسْكَادُ تَكُونُ إِكْلَرِ رَجُلٍ غَالِيَةً حَدِيثِ إِثْمًا عَنْ بَلَدٍ مِنْ
 الْبُلْدَانِ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْعِلْمِ أَوْ صِنْفٍ مِنْ صُنُوفِ النَّاسِ أَوْ وَجْهِ
 مِنْ وَجُوهِ الرَّأْيِ وَعِنْدَ مَا يُقَرَّمُ ^(١) بِهِ الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ يَبْدُو مِنْهُ الشُّخْفُ ^(٢)
 وَيُعْرِفُ مِنْهُ الْهَوَى فَاجْتَنِبْ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ثُمَّ عِنْدَ أُولَى الْأَمْرِ خَاصَّةً
 لَا تَسْكُونُ إِلَى وَرَاءِ السُّلْطَانِ وَدُخْلَانِهِ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيٍ تَسْكُرُهُ
 لَهُ فَإِنَّكَ لَا تَزِيدُ عَلَى أَنْ تَقْطِئَهُمْ ^(٣) لِيَلْبَهُ وَتُغْرِيَهُمْ بِتَرْبِيَةٍ ذَلِكَ لَهُ وَالْمِيلُ
 عَلَيْكَ مَعَهُ

اعْلَمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا الْجَاءَ عِنْدَ الْوَالِيِ وَالْخَاصَّةِ لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ يَرَى مِنَ الْوَالِيِ
 مَا يُخَالِفُهُ مِنَ الرَّأْيِ فِي النَّاسِ وَالْأُمُورِ فَإِذَا آثَرَ ^(٤) أَنْ يَكْرَهُ كُلَّ مَا يُخَالِفُهُ أَوْ يَعْغِضُ

(١) أَي يُولَّعُ بِهِ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي تَغْلِبُ مَعْرِفَتُهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ عِنْدَهُ (٢) نَقْصُ الْعَقْلِ
 (٣) التَّفْطِيلُ النَّفْهَمُ ، وَالْإِغْرَاءُ التَّحْرِيطُ (٤) آثَرَ اخْتَارَ وَفَضَلَ وَيَعْغِضُ يَغْضِبُ مِنْ
 مَعْضٍ كَفَرَحٍ غَضَبٍ وَشَقٍّ عَلَيْهِ ، وَأَمْعَضَهُ وَمَعْضَهُ فَاثْمَعَضُ ، وَالْجَفْوَةُ الْجَفَاءُ ،
 وَالنَّبُوَّةُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَأَرَادَ بِهَا التَّرَفُّعَ وَالْإِنْجَافَ عَنِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ

مَنِ الْجَفْوَةَ يَرَاهَا فِي الْمَجْلِسِ أَوِ النَّبْوَةَ فِي الْحَاجَةِ أَوِ الرَّدَّ لِلرَّأْيِ أَوْ
الْإِدْنَاءَ لِمَنْ لَا يَهْوَى أَذْنَاءَهُ وَالْإِقْصَاءَ لِمَنْ يَكْرَهُ اقْصَاءَهُ فَإِذَا وَقَمَتْ فِي قَلْبِهِ
الْكِرَاهِيَةُ تَغَيَّرَ لَذَلِكَ وَجْهُهُ وَرَأْيُهُ وَكَلَامُهُ حَتَّى يَبْذُورَ ذَلِكَ لِلْوَائِي وَغَيْرِهِ
وَكَانَ ذَلِكَ لِفْسَادِ مَنَازِلِهِ سَبَبًا فَذَلَّلَ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَا خَالَفَكَ مِنْ رَأْيٍ
الْوَلَاةِ وَقَرَّرْهَا (١) بِأَنَّهُمْ إِتْمَاعًا كَانُوا أَوْلِيَاءَكَ لِتَنْبَهَهُمْ فِي آرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَلَا
تَسْكَتَهُمْ أَتِبَاعَكَ وَتَقْضَبَ مَنْ خِلَافِهِمْ إِيَّاكَ

إِعلمُ أَنَّ الْمُلُوكَ يَقْبَلُونَ مِنْ وَزَرَائِهِمُ التَّبْخِيلَ (٢) وَيَعْدُونَهُ مِنْهُمْ شَقَقَةً
وَنَظَرًا وَيَحْتَدُونَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا أَجْزَاءً فَإِنْ كُنْتَ مُبْخِلًا (٣) غَشَّيْتَ
صَاحِبَكَ بِفَسَادِ مَرْوَعَتِهِ وَإِنْ كُنْتَ مُسْخِيًا لَمْ تَأْمِنْ أَضْرَارَ (٤) ذَلِكَ
بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَهُ فَالرَّأْيُ لَكَ تَصْحِيحُ النَّصِيحَةِ عَلَى وَجْهِهَا وَالتَّيْمَانُ الْمَخْرَجُ
فِيمَا تَسْرُكُ مِنْ تَبْخِيلِ صَاحِبِكَ بِأَنْ لَا يَعْرِفَ مِنْكَ فِيمَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مَيْلًا إِلَى
شَيْءٍ مِنْ هَوَاكَ وَلَا طَلَبًا لِغَيْرِ مَا تَرْجُو أَنْ يَزِيَنَهُ وَيَنْفَعَهُ

لَا تَكُونَنَّ صُحْبَتَكَ لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ (٥) مِنْكَ لِنَفْسِكَ عَلَى طَاعَتِهِمْ فِي
الْمَكْرُوهِ عِنْدَكَ وَمَوَاقِفَتِهِمْ فِيمَا خَالَفَكَ وَقَدِيرِ الْأُمُورِ عَلَى مَيْلِهِمْ دُونَ مَيْلِكَ
وَعَلَى أَنْ لَا تَكْنُزَهُمْ سِرَّكَ وَلَا تَسْتَطْلِعَ مَا كَتَمُوهُ وَتُخْفِي مَا أَطْلَمُوكَ عَلَيْهِ

(١) اجعلها مقرة (٢) أى الحمل على البخل (٣) اسم فاعل يخل المضاعف ، ومسخيا

اسم فاعل سخي المضاعف أيضا أى جعله على البخل وعلى السخاء ورغبه فيه بما

(٤) مصدر أضر لاجع ضرر (٥) أى تعويد نفسك وتذليلها

مَنْ النَّاسِ كَلِمَةً حَقٌّ تَحْمِيَّ (١) فَتُسَكَّ الْحَدِيثَ بِهِ وَعَلَى الْاجْتِهَادِ فِي رِضَاهُمْ
وَالْتَلُفَ لِحَاجَتِهِمْ وَالتَّشْيِيتَ لِحُجَّتِهِمْ (٢) وَالتَّصَدِيقَ لِبَقَائِهِمْ وَالتَّزْيِينَ لِأَرْأْيِهِمْ
وَعَلَى قِلَّةِ الْإِسْتِغْنَاءِ لِمَا فَعَلُوا إِذَا أَسَاؤُوا وَتَرْكِ الْإِسْتِحْسَانِ لِمَا فَعَلُوا إِذَا
أَحْسَنُوا وَكَثْرَةَ النَّشْرِ لِمَحَاسِنِهِمْ وَحُسْنَ الشَّرِّ لِمَسَاوِيهِمْ وَالْمُقَابَرَةَ لِمَنْ
قَارَبُوا وَإِنْ كَانَ بَيْسًا وَالْمُبَاعَدَةَ لِمَنْ بَاعَدُوا وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَاءَ وَالْإِهْنَامَ
بِأَمْرِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَنْتَمُوا بِهِ وَالْحِفْظَ لَهُ وَإِنْ ضَيَّعُوهُ وَالذِّكْرَ لَهُ وَإِنْ نَسُوهُ
وَالتَّخْفِيفَ عَنْهُمْ لِمَوْلَانِكَ وَالْإِحْصَالَ لَهُمْ كُلَّ مَوْئِدَةٍ وَالرِّضَى عَنْهُمْ بِالْفَوِّ
وَقِلَّةِ الرِّضَى مِنْ نَفْسِكَ لَهُمْ بِالْمَجْهُودِ فَإِنْ وَجَدْتَ عَنْهُمْ وَعَنْ صُحْبَتِهِمْ غِنًى
فَاغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ وَاعْتَزِلْهُ جِهْدَكَ فَإِنَّ مَنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِمْ بِحَوْلٍ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَعَمَلِ الْآخِرَةِ وَمَنْ لَا يَأْخُذُ بِحَقِّهِ يَحْتَمِلُ الْفَضِيحَةَ فِي
الدُّنْيَا وَالْوِزْرَ فِي الْآخِرَةِ . إِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْفُسَهُمْ (٣) أَنْ أَعْلَمْتَهُمْ وَلَا عَقُوبَتَهُمْ
أَنْ كَسَمْتَهُمْ وَلَا تَأْمَنُ غَضَبَهُمْ أَنْ صَدَقْتَهُمْ وَلَا تَأْمَنُ سُلُوكَهُمْ (٤) أَنْ حَدَّثْتَهُمْ
أَنْ لَزِمْتَهُمْ لَمْ تَأْمَنُ تَبَرُّمَهُمْ (٥) بِكَ وَإِنْ زَايَلْتَهُمْ (٦) لَمْ تَأْمَنُ عِقَابَهُمْ .
إِنَّكَ أَنْ تَسْتَأْمِرَهُمْ (٧) حَمَلْتَ الْمَوْتَةَ عَلَيْهِمْ وَإِنْ قَطَعْتَ الْأَمْرَ دُونَهُمْ لَمْ تَأْمَنَ
فِيهِ خُفَاةَتَهُمْ . إِنَّهُمْ أَنْ سَخِطُوا عَلَيْكَ أَهْلَكُوكَ وَإِنْ رَضُوا عَنْكَ تَكَلَّفْتَ

على هذه المذكورات (١) تحمى أى تمنع نفسك الحديث به أى تمنعهم أن يتحدث
به أحد من حتى المريض ما يضره حجة منعه إياه ، وجاء من الشيء يتعدى إلى المفعول
الثاني بمن وببنفسه (٢) الدليل والبرهان (٣) مصدر أرف كفرح استنكف
واستكبر وكره (٤) السلوة النسيان اسم لئلا يسأل من باب ما يسأل (٥) الفزع
والل (٦) فارقهم (٧) الاستئما والاشاورة

مِنْ رِضَاهُمْ مَا لَا تَطِيقُ فَإِنْ كُنْتَ حَافِظًا أَنْ يَلُوكَ (١) جَلَدًا أَنْ قَرَّ يُولُوكَ
أَمِينًا أَنْ اتَّهَنُوكَ تَشْكُرُهُمْ وَلَا تَكْلِفُهُمْ الشُّكْرَ بَصِيرًا بِأَهْوَائِهِمْ مُؤْتِرًا
لِنَافِعِهِمْ ذَلِيلًا أَنْ ظَلَمُوكَ رَاضِيًا إِنْ أَسْخَطُوكَ وَالْأَقْلَعْدَ مِنْهُمْ كُلَّ الْبُعْدِ
وَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ

بابُ الصَّدِيقِ

أَبْدَلُ (٢) لِصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ وَلِمَرْقَتِكَ رَفْدَكَ (٣) وَعِضْرَكَ وَلِعَامَةً
بِشْرَكَ وَتَهْنُوكَ وَلِمَدُوكَ عَذْلَكَ وَاضْنُ بَدِينِكَ وَعِزْرُكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ
إِنْ سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كَلَامًا أَوْ رَأَى بِأَيِّ يُعْجِبُكَ فَلَا تَنْتَحِلْهُ (٤) تَزِينًا بِهِ عِنْدَ
النَّاسِ وَاسْتَفِ مِنَ التَّزِينِ بَأَنْ تَجْنِبِي الصَّوَابَ إِذَا سَمِعْتَهُ وَتَنْسِبُهُ إِلَى
صَاحِبِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ اتِّحَاكَ ذَاكَ مَسْخُطَةٌ (٥) لِصَاحِبِكَ وَأَنْ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ
عَارًا فَإِنْ بَلَغَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تُشِيرَ بِرَأْيِ الرَّجُلِ وَتَتَكَلَّمَ بِكَلَامِهِ وَهُوَ يَسْمَعُ
جَمَعْتَ مَعَ الظُّلْمِ قَلَّةَ الْحَيَاءِ وَهَذَا مِنْ مَوَءِ الْأَدَبِ الْفَاسِدِ فِي النَّاسِ . وَمَنْ
تَمَامَ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ أَنْ تَسْخُرَ نَفْسُكَ لِأَخِيكَ بِمَا اتَّحَلَ مِنْ كَلَامِكَ
وَرَأْيِكَ وَتَنْسِبَ إِلَيْهِ رَأْيَهُ وَكَلَامَهُ وَتُزَيِّنَ مَعَ ذَلِكَ مَا لَمْ يَصْطَحْ
لَا يَكُونَنَّ مِنْ خُلُقِكَ أَنْ تَبْتَدِيَ حَدِيثًا ثُمَّ تَقْطَعَهُ وَقَوْلَ مَوْفٍ كَأَنَّكَ

(١) بلاه اختبره وامتنعه وجلدا أى ذاجلده بفتحين أى شدة وقوة (٢) البذل العطاء ،
بذل يبذل كنصر ينصر أعطى (٣) الرفد بالكسر العطاء ، والمخضر الحضور ، والبشر
بالكسر طلاقة الوجه ، والتحنن الترحم ، والعرض النفس والحسب أو ما يلزم صونه
وحمايته (٤) أى لا تدعه ولا تنسبه لنفسك (٥) أى كراهة واغضاب

رَوَاتٌ ^(١) فِيهِ بَعْدَ ابْتِدَائِهِ وَلَيْسَ تَرَوِيكَ فِيهِ قَبْلَ التَّغَوُّهِ فَإِنَّ احْتِجَاجَ الْحَدِيثِ
بَعْدَ افْتِتَاحِهِ ضَعْفٌ

أَخْرَجَ ^(٢) عَقْلَكَ وَكَلَامَكَ الْآعِنْدَ إِصَابَةَ الْمَوْضِعِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي كُلِّ
حِينٍ يَحْسُنُ كُلُّ الصَّوَابِ وَإِنَّمَا تَمَامُ إِصَابَةِ الرَّأْيِ وَالْقَوْلِ بِإِصَابَةِ الْمَوْضِعِ
فَإِنْ أَخْطَاكَ ذَلِكَ أَدْخَلْتَ الْخِطَاءَ ^(٣) عَلَى عِلْمِكَ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ إِنْ أَتَيْتَ بِهِ
فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَهُوَ لَا يَهَاءُ وَلَا طَلَاوَةٌ ^(٤) لَهُ

لَيَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ حِينَ يُجَالِسُهُمْ أَفْكَ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصُ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ
إِنْ آتَوْتَ ^(٥) أَنْ تَأْخِرَ أَحَدًا مِنْ تَسْأَلِينَ إِلَيْهِ فِي لَهْوٍ ^(٦) الْحَدِيثِ فَاجْعَلْ
غَايَةَ ذَلِكَ الْجِدُّ وَلَا تَقْدُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُ فِيهِ بِمَا كَانَ هَزْلًا فَإِذَا بَلَغَ الْجِدُّ أَوْ
قَارِبَهُ فِدَعُهُ وَلَا تَخْطِطَنَّ بِالْجِدِّ هَزْلًا وَلَا بِالْهَزْلِ جِدًّا فَإِنَّكَ إِنْ خَلَطْتَ بِالْجِدِّ هَزْلًا
هَجَنْتَهُ ^(٧) وَإِنْ خَلَطْتَ بِالْهَزْلِ جِدًّا كَدَّرْتَهُ غَيْرَ أَيْ قَدْ عَلِمْتَ مَوْطِنًا وَاحِدًا
إِنْ قَدَّرْتَ أَنْ تَسْتَقْبِلَ فِيهِ الْجِدُّ بِالْهَزْلِ أَصَبْتَ الرَّأْيَ وَظَهَرَتْ عَلَى الْأَقْرَانِ
وَذَلِكَ أَنْ يَتَوَرَّدَ ذَلِكَ مُتَوَرِّدًا بِالسَّفَهَةِ وَالنَّضْبِ فَتُجِيبُهُ إِجَابَةَ الْهَازِلِ الْمَذَاهِبِ

(١) الرواية الفسكرة والتدبر وهي كلمة جوت على ألسنتهم بغير همز تخفيفا وهي من روايات
في الامر بالهمز اذا نظرت فيه ، واجتجن المال ضمه الى نفسه وأمسكه ، والسخر
خصان في العقل (٢) أي اكتبهما ولا تظهرهما الا عند اصابة موضع لزوم الاظهار
(٣) أي الامتحان والاختبار (٤) الطلاوة بضم الطاء وفتحها الحسن ، والبهاء كذلك
(٥) أي اخترت (٦) هو الحديث باطله وما يشغل عن الخير وأصل اللهو الترويح عن
النفس بما لا يقتضيه الحكمة (٧) أي قبحته ، وكدرته أي أزلت صفاءه من كدر
الماء كدرا من باب نعب زال صفاءه ، والموطن كمسجد المكان ونورده طلب وروده
وحضوره ، والمتوردا الطالب لذلك

يُرْحَبُ مِنَ الدَّرْعِ وَطَلَاةٍ مِنَ الْوَجْهِ وَثَبَاتٍ مِنَ الْمَنْطِقِ
 إِنْ رَأَيْتَ صَاحِبَكَ مَعَ عَدُوِّكَ فَلَا بُغْضَ بَيْنَكَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ
 إِنْ كَانَ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِ الثِّقَةِ فَأَنْفَعُ مَوَاطِنُ لَكَ أَقْرَبُهَا مِنْ عَدُوِّكَ لِشَرِّ
 يَكْمُهُ عَنْكَ وَعَوْرَةٌ يَسْتَرْهَا مِنْكَ وَغَائِبَةٌ يَطْلُعُ عَلَيْهَا لَكَ فَأَمَّا صَدِيقُكَ فَمَا
 أَغْنَاكَ أَنْ يَحْضُرَهُ دُؤْبَتُكَ وَإِنْ كَانَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ خَاصَةِ إِخْوَانِكَ فَبِأَيِّ حَقٍّ
 تَقْطَعُهُ عَنِ النَّاسِ وَتُكَلِّفُهُ أَنْ لَا يُصَاحِبَ وَلَا يُجَالِسَ إِلَّا مَنْ تَوَوَّى

تَحْفَظُ فِي تَجَلُّسِكَ وَكَلَامِكَ مِنَ التَّطَاوُلِ ^(١) عَلَى الْأَصْحَابِ وَطِيبَ نَفْسًا
 عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَعْزِضُ لَكَ فِيهِ صَوَابُ الْقَوْلِ وَالرَّأْيِ مُدَارَاةٌ لِشَلَاةٍ بِطَانٍ
 أَصْحَابُكَ أَنْ مَا بَكَ ^(٢) التَّطَاوُلُ عَلَيْهِمْ

إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْكَ مُقْبِلٌ يُوَدِّهِ فَسَرِّكَ أَلَّا يُدِيرَ عَنْكَ فَلَا تَنْعِمِ ^(٣) الْإِقْبَالَ
 عَلَيْهِ وَالتَّفَتُّحَ لَهُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ طَبِيعَ عَلَى ضَرَائِبٍ ^(٤) لَوْ مِثْلُ شَيْءٍ أَنْ
 يَرْحَلَ عَنْ لَصِقَ بِهِ وَيَلْصِقَ بِمَنْ رَحَلَ عَنْهُ

لَا تَكْثِرَنَّ ادِّعَاءَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَا يَعْزِضُ فَإِنَّكَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ فَضِيحَتَيْنِ
 إِمَّا أَنْ يُنَازِعُوكَ فِيمَا ادَّعَيْتَ فِيهِجَمَ مِنْكَ عَلَى الْجَهَالَةِ وَالصَّلَفِ ^(٥) وَإِمَّا

(١) التطاول التفضل ورفع النفس من تطول على فلان إذا علاه وترفع عليه، وقال أبو منصور: التطول عنه العرب محمود بوضع موضع المحاسن والتطاول مذموم وكذا الاستطالة بوضع موضع التكبر (٢) ما لهم موصول اسمان والتطاول خبرها (٣) أي تزد من أنعم إذا زاد وبالغ (٤) جمع ضريبة وهي الطبيعة (٥) الصلف مجاوزة قدر الطرف والادعاء فوق ذلك تكبرا

الأيثار عوك^(١) ويغفلو الأمور في يديك فينبذ كشف منك الصنع^(٢) والمعجزة^(٣)
استعني^(٤) الحياء كله من أن تُخبر صاحك أنك عالم وأنه جاهل
مصرحاً أو مضمراً وإن استطلت^(٥) على الأكفاء فلا تيقن منهم بالصفاء
إن آنت^(٦) من قبيك فضلاً فتخرج^(٧) أن تذكرة أو تبديده^(٨)
فاعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب
أكثر مما يقرر لك من الفضل واعلم أنك إن صبرت ولم تعجل ظهر ذلك
منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفى عليك أن حرص الرجل على إظهار
ما عنده وقلة وقاره في ذلك باب من البخل والؤم وأن من خير الأعوان^(٩)
على ذلك السقاء والتكرم

إن أحببت أن تلبس ثوب الوار والجمال وتتحلى بحيلة المؤدة عند
العامّة وفسلك الجدة الذي لاخبار^(١٠) فيه ولا عثار فكن عالماً كجاهل

(١) أي يتركوا (٢) أي تكلف العلم والمعرفة وليس بك وتصنع فلان تكلف
إظهار شيء لم يكن متصفاً به (٣) بفتح الجيم وكسرهما الضعف كالحجز (٤) أمر
من استعجى يستعجى من الحياء وهو الانقباض والانزاع وبقية الاستعجى يستعجى بقاء
واحدة والاولى لغة الحجاز والثانية لغة تميم ويتعدى بنفسه وعن ، يقال استعجى
واستعجى منه (٥) أي ترفعت ، والاكفاء جمع كفؤ وهو النظير والمثل (٦) أي
علت (٧) أمر من التخرج من باب التفعّل ، قال في الصباح وتخرج الانسان
تخرجاً هذا مما ورد لفظه محالفاً لمعناه والمراد فعل فعلاً جانب به الحرج أي الضيق
(٨) أي ظهره (٩) جمع عون وهو الظهير والمعين على الامر (١٠) الجدد المستوى
من الارض وقيل الارض الصلبة وفي المثل : من سلك الجدد أمن العثار ، والخبار أرض
رخوة فيها سحرة وفي المثل : من تجنب الخبار أمن العثار

وناطقاً كثر . فأما العلمُ فمزيدك وأما قلةُ ادِّعائِهِ فبني عنك الحسدَ
وأما المنطقُ إذا احتجتَ إليه فسيلغُ حاجتكَ وأما الصمتُ فيكسبك
المحبةَ والوقارَ

وإذا رأيت رجلاً يتحدث حديثاً قد علمته أو يُخبر خبراً قد سمعته فلا
تشارِكهُ فيه ولا تتعقبهُ عليه حرصاً على أن يعلم الناسُ أنك قد علمته فإن
في ذلك حيلةً وشعاً ^(١) وسوءَ أدبٍ وسُخفاً

ليعرف إخوانك والامةُ أنك إن استطعت أن تكونَ الى أن تفعلَ ما لا
تقول ^(٢) أقربَ منك الى أن تقولَ ما لا تفعلُ ففعلتَ فإن فضلَ القولِ على
الفعلِ عازٍ وهجئةٌ ^(٣) وفضلُ الفعلِ على القولِ دينةٌ وأنتَ حقيقٌ فيما وعدتَ
من نفسك أو أخبرتَ صاحبك عنه أن تفعلَ ^(٤) بعضَ ما في نفسك إغداً ^(٥)
لفضلِ الفعلِ على القولِ وتحرزاً بذلكَ عن تفصيرِ فعلٍ إن قصرَ وقتاً
يكونُ الا مقصراً

احفظ قولَ الحكيمِ الذي قالَ ليسكنُ غايتك فيما بينك وبينَ عدوكَ
العدلَ وفيما بينك وبينَ صديقك الرضى وذلكَ أن العدوَّ خصمٌ تضربه
بالحجةِ وتُلبِّيهُ بالحكامِ وأن الصديقَ ليسَ بينك وبينه قاضٍ فإتِما
محكمهُ رضاهُ

(١) الشح البخل والسخف نقصان العقل (٢) اسم تكون الضمير المستتر المقدر بأن
وأقرب خبرها وقوله فعلت جواب الشرط الذي هو أن استطعت والمعنى أن استطعت أن
تكون الى الفعل أقرب منك الى قول ما لا تفعله فافعل لان فضل الخ (٣) الهجئة بالضم
فى الكلام العيب والقبح وفى العلم اضاعته (٤) أى تفهم وتعلمك (٥) أى تهيئة

إِجْمَلُ عَامَةً تَشْبِيْكَ فِي مُوَاخَاةٍ ^(١) مِّنْ تُّوَاخِيٍّ وَمُوَاصَلَةٍ مِّنْ تُّوَاصِلٍ ^(٢) وَوَطَنٍ نَّفْسَكَ عَلَى أَنَّهُ لَا مَسِيلَ لَكَ إِلَى قَطِيعَةِ أَخِيكَ وَإِنْ ظَهَرَ لَكَ مِنْهُ مَا تَكْرَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَالْمَرْأَةِ الَّتِي تُطْلِقُهَا إِذَا شِئْتَ وَلَكِنَّهُ عِرْضُكَ وَمَرْوَةٌ تَكُ فَمَا مَرْوَةُ الرَّجُلِ إِخْوَانُهُ وَأَخْدَانُهُ ^(٣) فَإِنْ عَذَرَ ^(٤) النَّاسُ عَلَى أَنَّكَ قَطَعْتَ رَجُلًا مِّنْ إِخْوَانِكَ وَإِنْ كُنْتَ مُنْذِرًا ^(٥) نَزَلَ ذَلِكَ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْخِيَانَةِ لِلْإِخَاءِ وَالْمَلَالِ ^(٦) وَإِنْ أَنْتَ صَبَرْتَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى مُقَارَاتِهِ ^(٧) عَلَى غَيْرِ الرِّضَى عَادَ ذَلِكَ إِلَى الْعُتْبِ وَالنَّقِصَةِ فَلَا تَنَادِ إِلَّا تَنَادًا وَالتَّشَبُّتُ التَّشَبُّتُ إِذَا نَظَرْتَ فِي حَالٍ مِّنْ تَرْتِيْبِهِ ^(٨) لِإِخَائِكَ فَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِ الدِّينِ فَلَيْسَ كَقَبِيْلٍ لَيْسَ بِمَرَّاءٍ ^(٩) وَلَا حَرِيْبٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ كَحُرٍّ أَيْسَ بِجَاهِلٍ وَلَا كَذَّابٍ وَلَا شَرِيْرٍ وَلَا مَشْنُوعٍ ^(١٠) فَإِنَّ الْجَاهِلَ أَهْلٌ لِأَن يَنْزُبَ مِنْهُ أَبَوَاءُ وَإِنَّ الْكَذَّابَ لَا يَكُونُ أَخًا صَادِقًا لِأَنَّ الْكَذِبَ الَّذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فُضُولِ كَذِبِ قَلْبِهِ وَإِنَّمَا سَيِّئَ الصَّدِيقِ مَنْ

(١) مصدر أخاه إذا اتخذها أخاً، والمواصلة ضد لمقاطعة ، وتوطين النفس تمهيداً وتذليلاً ، يقال وطن نفسه على الأمر توطينا إذا مهدها وذلها لفعالها (٢) جمع خدن بكسر فسكون الصديق والصاحب (٣) أى اطلع وبابه نصر ودخل (٤) أى مبدى غاية عذرك من أعذر الرجل إذا بالغ في إبداء عذره (٥) الملل الضجر والسآمة وهو معطوف على الخيانة (٦) أى الاستقرار والسكون معه على غير رضاه يقال قارة مقارة أى قر معه وسكن (٧) ارتأى في الأمر برئى إذا نظرفيه وهو افتعل من رؤية القلب أو من الرأى والتدبير (٨) مرأ اسم فاعل من رآه برأيه مرآة والاسم الرياء وهو اظهار العمل للناس لبروه ويظنوا به خيراً فيكون العمل لغير الله نعوذ بالله منه (٩) المشنوع المشهور بالشناعة وهى القبح الذى يستشنع يقال شنع شنعاً إذا استقبجه وشقه ويقال شنعنا الصديق

الصِّدْقِ وَقَدْ يُتَمُّ صِدْقُ الْقَلْبِ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ فَكَيْفَ إِذَا ظَهَرَ الكَذِبُ
عَلَى الْإِقْسَانِ وَإِنْ الشَّرِيرَ يَكْسِبُكَ الْمَدْوُ وَلَا حَاجَةَ لَكَ فِي صَدَاقَةِ تَجَلِبُ
الْمَدَاوَةِ وَإِنَّ الْمُشْتَوَعَ شَانِعٌ ^(١) صَاحِبَةٌ

تَحَرَّرْتُ مِنْ سُكْرِ السُّلْطَةِ ^(٢) وَسُكْرِ الْعِلْمِ وَسُكْرِ الْمَنْزِلَةِ ^(٣) وَسُكْرِ
الشَّبَابِ ^(٤) فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ رِيحُ جَنَّةٍ ^(٥) تَسْلُبُ الْعَقْلَ
وَقُدْهِبُ الْوَقَارُ وَتَضْرِبُ الْقَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَاللِّسَانَ عَنِ الْمَنَافِعِ
اعْلَمْ أَنَّ اقْبَاضَكَ ^(٦) عَنِ النَّاسِ يَكْسِبُكَ الْمَدَاوَةَ وَأَنْ تَفَرُّشَكَ لَهُمْ
يَكْسِبُكَ صَدِيقَ السُّوءِ وَفُسُولَةُ الْأَصْدِقَاءِ أَضَرُّ مِنْ بُقْصِ الْأَعْدَاءِ فَإِنَّكَ إِنْ
وَأَصَلْتَ صَدِيقَ السُّوءِ أَغْيَبْتَكَ ^(٧) جَرَّارُهُ وَإِنْ قَطَعْتَهُ شَانَكَ أَمُّ الْقَطِيعَةِ
وَأَلْزَمَكَ ذَلِكَ مَنْ يَرْفَعُ ^(٨) عَيْنَكَ وَلَا يَنْشُرُ عُذْرَكَ فَإِنَّ الْمَعَايِبَ ^(٩) تُنْبِي
وَالْمَعَاذِيرَ لَا تُنْبِي

الْبَسَ لِلنَّاسِ لِبَاسَيْنِ لَيْسَ لِلْعَاقِلِ بَدْ مِنْهُمَا وَلَا عَيْشَ وَلَا مَرْوَةَ إِلَّا بِهِمَا
لِيَأْسُ اقْبَاضٍ وَاحْتِجَازٍ ^(١٠) تَلْبَسُهُ لِلْعَامَةِ فَلَا تُلْفَيْنِ إِلَّا مُتَحَفِظًا مُتَشَدِّدًا

فَلَانِ وَفَضَحْنَا ^(١) أَيْ شَاهَرَهُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ بِهِ ^(٢) التَّسْلُطُ وَالْقَهْرُ ^(٣) الْقُدْرَةُ
وَالْجَاهُ وَالْمَرْتَبَةُ ^(٤) الْفَتَاءُ وَالْحِدَانَةُ ^(٥) الْجَنَّةُ بِكسر الجيم الجَنُونَ ^(٦) الْاِقْبَاضُ ضِدُّ
الْاِبْتِطَاعِ ، وَالتَّفَرُّشُ الْاِبْتِطَاعُ ، وَالْفُسُولَةُ الرَّدَاةُ وَالتَّذَالَةُ مَصْدَرُ فَسَلَ مِنْ بَابِ سَهَلَ
وَكُورَمَ ، وَالْفُسْلُ بَفَتْحٍ فَكسر الرجل الرَّدَى وَالرَّذْلُ الَّذِي لَا مَرْوَةَ لَهُ وَجَعَهُ أَفْسَلَ وَفُسُولُ
وَفَسَالُ وَفَسَلَ ^(٧) أَغْيَبْتَكَ أَنْعَبْتَكَ ، وَالْجَرَّارُ جَمْعُ جَرِيرَةٍ وَهِيَ الذَّنْبُ وَالْجَنَابَةُ ،
وَشَانَهُ ضِدُّ زَانَهُ ^(٨) أَيْ بِذِيَمِهِ وَيَنْسِبُهُ إِلَيْكَ ^(٩) الْعُيُوبُ ، وَتَنْمِي أَيْ تَرْفَعُ يُقَالُ نَمَى
الْحَدِيثَ إِذَا ارْتَفَعَ ، وَنَعِمْتَهُ رَفَعْتَهُ وَعَزَوْنَهُ وَأَعْيَيْتَهُ أَذْعَمْتَهُ عَلَى وَجْهِ النَّمِيَةِ ، وَالْمَعَاذِيرُ
جَمْعُ الْمَعْرِفَةِ الْعُذْرِ ^(١٠) الْاِحْتِجَازُ الْاِمْتِنَاعُ مَصْدَرُ اجْتَنَزَ مَطَاوِعَ حِجْزٍ يُقَالُ حِجَزَهُ

مُتَحَرِّزًا مُسْتَعِدًّا وَلِبَاسُ انْبِطَاطٍ وَاسْتِنَاسٍ تَلْبَسُهُ لِلْخَاصَّةِ مِنَ النِّقَاتِ فَتَنَلَّاهُمْ
بِبَنَاتِ صَدْرِكَ وَتَقْضِي الْبِهِمِ بِمَوْضُوعِ حَدِيثِكَ وَتَضَعُ عَنْكَ مَوْتَةَ الْحَذَرِ وَالتَّحْظُظِ
فِيهَا يَبْنُوكَ وَبَيْنَهُمْ وَأَهْلُ هَذِهِ الْعَلْبَةِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا قَلِيلٌ لِأَنَّ ذَا الرَّأْيِ لَا يُدْخِلُ
أَحَدًا مِنْ نَفْسِهِ هَذَا الْمُدْخِلُ إِلَّا بَعْدَ الْإِخْتِبَارِ وَالسَّبْرِ وَالثِّقَةِ بِصِدْقِ النَّصِيحَةِ
وَوَفَاءِ الْعَقْلِ .

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَكَ أَدَاةً مُنَلَّبَةً ^(١) يَتَغَالَبُ عَلَيْهَا عَقْلُكَ وَغَضَبُكَ وَهُوَ أَكْ
وَجَهْلُكَ فَكُلُّ غَلَبٍ عَلَيْهِ مُسْتَمْتِعٌ بِهِ وَصَارْفُهُ فِي حُبَّتَيْهِ فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ
عَقْلُكَ فَهُوَ لَكَ وَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَشْيَاءِ مَا سَمَّيْتُكَ فَهُوَ لِعَدُوِّكَ
فَإِنْ اسْتَحْطَّتْ أَنْ تَحْتَفِظَ بِهِ ^(٢) فَلَا يَكُونُ ^(٣) إِلَّا لَكَ وَلَا يَسْتَوِي عَلَيْهِ أَوْ
يُشَارِكُكَ عَدُوُّكَ فِيهِ فَافْعَلْ

إِذَا نَابَتْ ^(٤) أَخَاكَ لِاحْدَى النَّوَائِبِ مِنْ زَوَالِ نِعْمَةٍ أَوْ نُزُولِ بَلِيَّةٍ فَاعْلَمْ
أَنَّكَ قَدْ ابْتَلَيْتَ مَعَهُ إِمَامًا بِالْمَوَاسِقَةِ فَتَشَارِكُهُ فِي الْبَلِيَّةِ وَإِمَامًا بِالْخِذْلَانِ فَتَحْتَمِلُ
الْعَارَ قَالَتِمْس ^(٥) الْمَخْرُجَ عِنْدَ أَشْيَاءِ ذَلِكَ وَأَكْبَرُ مَرُوءَتِكَ عَلَى مَا سَوَّاهَا فَإِنْ
نَزَلَتْ الْجُمُحَةُ ^(٦) الَّتِي تَأْتِي نَفْسُكَ مُشَارَكَةً أَخِيكَ فِيهَا فَاجْعَلْ قَلْعًا لِلْإِجْمَالِ

فَاحْتِجِزْ أَيْ مَنَعَهُ فَامْتَنِعْ ، وَتَأْفِيقُ مَبْنَى لِلْجَهْلِ مِنْ أَلْفَاءِ يَلْفِيهِ أَيْ وَجَدَهُ ، وَمُتَصَفِّظًا
اسْمُ فَاعِلٍ تَحْفِظُ يَحْفِظُ تَحْفِظًا أَيْ تَيَقُّظًا ^(١) أَيْ مَغْلُوبَةً وَالْمَغَابُ الَّذِي يَغَابُ كَثِيرًا ^(٢)
أَيْ تَصَوُّنَهُ وَتَحْفِظُهُ ^(٣) مَعْطُوفٌ عَلَى تَحْتَفِظُ وَكَذَا يَسْتَوِي ، وَقَوْلُهُ فَافْعَلْ جَوَابُ الشَّرْطِ
^(٤) نَابَتْ أَخَاكَ أَيْ أَصَابَتْهُ ، وَالنَّوَائِبُ جَمْعُ نَائِبَةٍ وَهِيَ الْمَصِيبَةُ ، وَالْمَوَاسِقَةُ مَصْدَرُ آسَاءَ أَيْ جَعَلَهُ
أَسْوَنَهُ وَسَوَّاهُ بِنَفْسِهِ ، وَالْخِذْلَانُ مَصْدَرُ خَذَلَهُ يَخْذِلُهُ بِالضَّمِّ خَذَلًا وَخَذْلَانًا بِالْكَسْرِ أَيْ
تَرَكَ نَصْرَتَهُ وَأَعَاتَتْهُ ^(٥) الْفَسَسَ اطْلُبِ الْمَخْرَجَ أَيْ الْخُرُوجَ ، وَآثَرُ أَيْ فَضْلُ مَرْوَةٍ تَكَ
^(٦) الْآفَةُ وَالشَّدَّةُ الَّتِي تَحْتَاجُ الْمَالَ أَيْ تَهْلِكُ

يَسْمُكَ لِقَلْبِهِ فِي النَّاسِ

اِذَا اَصَابَ اَخَاكَ فَضْلٌ فَانَّهُ لَيْسَ فِي دُنُوكَ ^(١) مِنْهُ وَابْتِغَايَكَ ^(٢) مَوَدَّةً وَتَوَاضُّعِكَ لَهُ مَذَلَّةً فَاغْتَنِمْ ذَلِكَ وَاعْمَلْ فِيهِ

اِذَا كَانَتْ لَكَ عِنْدَ اَحَدٍ صَنِيعَةٌ ^(٣) اَوْ كَانَ لَكَ عَلَيْهِ طَوْلٌ فَالْتَمِسْ اِحْيَاءَ ذَلِكَ بِاِمَاتِهِ وَتَعْظِيمَهُ ^(٤) بِالْاَصْغَرِ لَهُ وَلَا تَقْتَصِرَنَّ فِي قِلَّةِ الْمَنِّ عَلَى اَنْ تَقُولَ لَا اَذْكُرُهُ وَلَا اصْنَعِي بِسَمِيٍّ اِلَى مَنْ يَذْكُرُهُ فَاَنْ هَذَا قَدْ يَسْتَحْيِي مِنْهُ بَعْضُ مَنْ لَا يُوصَفُ بِقَلْبٍ وَلَا كَرَمٍ وَلَكِنْ احْذَرْ اَنْ يَكُونَ فِي مُجَالَسَتِكَ اِيَّاهُ وَمَا تُكَلِّمُهُ بِهِ اَوْ تَسْتَعِينُهُ عَلَيْهِ اَوْ تُجَارِيهِ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْاِسْتِطَالَةِ ^(٥) فَاِنَّ الْاِسْتِطَالَةَ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ وَتُكَثِّرُ الْمَعْرُوفَ

اِحْتَرِمْ مَنْ مِنْ سُوْرَةٍ ^(٦) النَّضْبِ وَسُوْرَةِ الْحَيْيَةِ ^(٧) وَسُوْرَةِ الْمُقَدِّرِ وَسُوْرَةِ الْجَلِّلِ وَأَعِزِّدْ ^(٨) لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عُدَّةً ^(٩) تُجَاهِدُهُ بِهَا مِنَ الْحِلْمِ وَالتَّفَكُّرِ وَالرَّوِيَّةِ وَذِكْرِ الْعَاقِبَةِ وَطَلَبِ الْفَضِيلَةِ . وَاعْلَمْ اَنَّكَ لَا تُصِيبُ الْغَلَبَةَ ^(١٠) اِلَّا بِالْجِهَادِ وَأَنْ قِلَّةَ الْإِعْدَادِ ^(١١) يُلَوِّقُ الطَّبَائِعَ الْمُتَطَلِّعَةَ هَوَ

(١) أَي قُرْبِكَ (٢) أَي طَلَبِكَ (٣) مَا صُنْعْتَهُ مِنْ خَيْرٍ وَالطَّوْلُ بِالْفَتْحِ الْمَنْ يَقَالُ طَالَ عَلَيْهِ يَطُولُ طَوْلًا أَيِ اِمْتَنَ وَأَفْضَلَ (٤) تَعْظِيمُهُ مَعْطُوفٌ عَلَى اِحْيَاءِ (٥) أَيِ التَّطَاوُلِ (٦) السُّورَةُ الْحَدِيدُ وَالسُّورَةُ الْبَطْنُ وَالسُّورَةُ الْوُثُوبِ (٧) الْعَارُ وَالْاِنْفَاقُ ، وَالْحَقْدُ بِالْكَسْرِ الْغَضَبُ وَالْعِدَاوَةُ وَيَجْمَعُ عَلَى اِحْقَادِ (٨) أَيِ هَيْئٍ وَأَحْضَرُ (٩) الْعُدَّةُ بِالضَّمِّ مَا عُدِدَتْهُ مِنْ مَالٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَضَمِيرُ تَجَاهِدُهُ الْبَارِزُ رَاجِعٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَيِ الْمَذْكُورَاتِ وَضَمِيرُ بِهَا لِلْعُدَّةِ ، وَقَوْلُهُ مِنَ الْحِلْمِ وَالتَّفَكُّرِ اِلْحِيَانٌ لِلْعُدَّةِ (١٠) أَيِ التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ (١١) أَيِ الْاِسْتِعْدَادِ وَالتَّهَيُّؤِ

الإِسْتِسْلَامُ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا فِيهِ مِنْ كُلِّ طَبِيعَةٍ سُوءٌ غَرِيزَةٌ ^(١) وَأَمَّا
التَّفَاضُلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي مِثَالَةِ طَبَائِعِ السُّوءِ . فَأَمَّا أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْ أَنْ
تَكُونَ فِيهِ تِلْكَ الْغَرَائِزُ فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَطْمَعٌ إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الْقَوِيَّ إِذَا
كَابَرَهَا ^(٢) بِالْقَمْعِ لَمَّا كُتِلَ كُلُّهَا تَطَامَّتْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُبَيِّنَهَا حَقَّقَ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ
فِيهِ وَهِيَ فِي ذَلِكَ كَامِنَةٌ كَمَا كُنَّ النَّارُ فِي الْعُودِ فَإِذَا وَجَدَتْ قَادِحًا ^(٣) مِنْ غَيْرِ
عِلَّةٍ أَوْ غَفَلَةٍ اسْتَوْرَتْ كَمَا اسْتَوْرَى عِنْدَ الْقَدَحِ ثُمَّ لَا يَبْدَأُ ضَرْهَا إِلَّا بِصَاحِبِهَا
كَأَنَّهَا لَا تَبْدَأُ النَّارُ إِلَّا بِمُودِهَا الَّتِي كَانَتْ فِيهِ

ذَلَّلَ نَفْسَكَ ^(٤) بِالصَّبْرِ عَلَى جَارِ السُّوءِ وَعَشِيرِ السُّوءِ وَجَلِيسِ السُّوءِ فَإِنَّ
ذَلِكَ مَا لَا يَكَادُ يَخْطِئُكَ فَإِنَّ الصَّبْرَ صَبْرَانِ صَبْرُ الرَّجُلِ عَلَى مَا يَكْرَهُ
وَصَبْرُهُ عَمَّا يَحِبُّ فَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ أَكْثَرُهَا ^(٥) وَأَشْبَهُمَا أَنْ يَكُونَ
صَاحِبُهُ مُضْطَرًّا . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّسَامَ أَصْبَرَ أَجْسَادًا وَالسَّكْرَامَ أَصْبَرَ نَفُوسًا

(١) الغريزة الطبيعية (٢) أى غالبها بالقمع أى بالقهر والاذلال ، وتطامعت أى استشرفت
(٣) القادح اسم فاعل من قدح بالزند رام اليراعة والزند العود الذى يقدح به النار ،
واستورت أى طلبت الورى يقال ورى الزند كرمى يرى ورياً إذا خرجت ناره ويقال فى
التعديبة أوريته ووريته واستوريته من أبواب الافعال والتفعيل والاستفعال (٤) أى
لينها وعودها ، والعشير العاشر ، والجليلس المجالس ، وقوله فان ذلك أى تذليل
نفسك بالصبر على ما ذكر شيخ لا يقرب ان يخطئك أى يتجاوزك (٥) أى أكثر الصبرين
المدكورين وهو مبتدأ ، وأشبههما معطوف عليه وان يكون صاحبه مضطراً لاجلة فعلية فى
تأويل المصدر خبراً أكثرهما أى كون صاحبه مضطراً هذا على ما فى النسخة ، والذى أراه
ان كلمة أن محرفة عن اذ التعليلية وان قوله فالصبر مبتدأ ، وقوله أكثرهما خبره وأشبههما
معطوف عليه ، وقوله اذ يكون الخ لاجلة قصد بها تعليل كونه أكثر وأشبه فتأمل

وليس الصبر المدحج بأن يكون جلد الرجل وقاحاً^(١) أو رجله قوية على المشي أو يده قوية على العمل فإتباعاً لهذا من صفات الحبير ولكن أن يكون لنفس غلواً والأمور محتسلاً وفي الضر^(٢) متجمللاً^(٣) ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً وللعزم^(٤) مؤثراً وللهوى تاركاً وللمشقة التي يزجو حاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً وبصره بعزمه^(٥) منفذاً حبيب إلى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذاتك وسلوكك^(٦) وبلغتكَ. واعلم أن العلم عِلْمَانِ عِلْمٌ لِلْمَنَافِعِ وَعِلْمٌ لِتَرْكِكَ^(٧) العقل وأفشى العِلْمَيْنِ^(٨) وأجداهما أن يذشط له صاحبه من غير أن يحرص

(١) صلباً (٢) قال الأزهرى كل ما كان سوء حال وفقر وشدة في بدن فهو ضر بالضم وما كان ضد النفع فهو بالفتح (٣) ومتجمللاً أى متصراً ، وقوله ولنفسه الخ الرأي العقل والتدبير ، والحفاظ الغضب ومرتبطة بمعنى رابطة ، والمعنى أن الصبر المحمود هو أن يكون المرء رابطاً نفسه عند الرأي والغضب بمسك بعنانها ، وارتبط وإن كان متهدداً بنفسه الآن اسم الفاعل لضعفه في العمل لكونه فرعاً في العمل عن الفعل تزدلام في مفعوله نعى لام التقوية كقوله تعالى : مصدقاً لما معهم (٤) الحزم ضبط الأمر والاختلاف به بالثقة ومؤثراً أى مختاراً (٥) عزم على الشيء عقد ضميره على فعله ، ومنفذاً اسم فاعل أنفذاً ونفذاً بالتشديد يقال ففذهم البصر وأنفذهم جاوزهم (٦) السلواة التسلي بالشيء ونسيان غيره اسم من سلاه وسلاعه إذا نسيه ، والبلغة بالضم ما يبلغ به من العيش أى يكتفى به يقال يبلغ بكذا أى اكتفى به (٧) أى انماؤه (٨) أفشى العِلْمَيْنِ أى أكثرهما انتشاراً ، وأجداهما أنفعهما ، ونشط له أى خف وأسرع لعمله عن طيب نفس من غير أن يحرص ويبحث عليه ، أفشى مبتدأ وأجدى معطوف عليه ، وأن ينشط جلة في تأويل مصدر محله الجر بالباء المقدرة قبل أن وهذا الجار متعلق بأجدى وخبر المبتدأ قوله علم المنافع

عليه علم المنافع . ولعلهم الذي هو ذكاه (١) القول وصيقلها وجلالوها فضيلة منزلة عند أهل الفضل في الألباب (٢)

عوذ فضلك السخاء (٣) واعلم أنهما سخاؤان سخاوة نفس الرجل بما في يديه وسخاؤه عما في أيدي الناس وسخاؤه (٤) نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة وتركه ما في أيدي الناس أنحس في التكريم وأزله من الناس فإن هو جمعهما (٥) فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم

ليكن مما تصرف به الأذى والمذاب عن فضلك ألا تكون حسوداً فإن الحسد خلقٌ كثيمٌ ومن لوميه أنه يؤكل بالأذى فالأذى من الأقارب والا كفاء والخلطاء فليكن ماقابل به الحسد أن تعلم أن خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وأن غنماً لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضل منك في السلم فتقتبس من عليه وأفضل منك في القوة فيدفع عنك

(١) أي توقدها (٢) جمع اب وهو العقل (٣) السخاء والسخاوة الجود والكرم وفي فعله ثلاث لغات سخي يسخو من باب علا وسخي يسخي من باب تعب وسخو يسخو من باب ظرف والفاعل من الأولى ساخ ومن الثانية سخ سخو ومن الثالثة سخي كذا في المصباح (٤) مبتدأ أو أكثرهما خبره ، وأقربهما عطوف عليه ومن أن تدخل فيه المفاخرة جملة مؤولة بالمدر محله الجرمين ومتعلق الجار أكثر أو أقرب أي أكثرهما وأقربهما من دخول المفاخرة ، وقوله أنحس اسم تفصيل من محض في كذا أخلص والمحض الخالص من كل شيء ، وأزله أي أبعد من نزه ككرم وضرب نزاهة ونزاهية نباعد عن كل مكروه ، والنسب بتحتين الوسخ (٥) أي السخاوين ، فبذل وأعطى ما في يديه ، وعف

بِقُوِّهِ وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْمَالِ فَتُعْبِدَ (١) مِنْ مَالِهِ وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْجَاهِ فَتَصِيبَ حَاجَتِكَ بِجَاهِهِ وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الدِّينِ فَتَزِدَادَ صَلَاحًا بِصَلَاحِهِ

لِيَكُنْ مَا تَنْتَظِرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ عَدُوِّكَ وَحَاسِدِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَنْفُكَ أَنْ يُخْبِرَ عَدُوَّكَ أَنَّكَ لَهُ عَدُوٌّ فَتُذِيرَهُ نَفْسَكَ وَتُوْذِنَهُ (٢) بِحَرْبِكَ قَبْلَ الْإِعْدَادِ (٣) وَالْفُرْصَةِ فَتَحِيلَهُ عَلَى التَّسَاجُعِ (٤) لَكَ وَتُوْقِدَ نَارَهُ عَلَيْكَ

اعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ خَطَرِكَ (٥) أَنْ تُرِيَّ عَدُوَّكَ أَنَّكَ لَا تَتَّخِذُهُ عَدُوًّا فَإِنَّ ذَلِكَ غِرَّةٌ (٦) لَهُ وَسَبِيلٌ لَكَ إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَإِنَّ أَنْتَ قَدَرْتَ فَاسْتَطَعْتَ اغْتِفَارًا لِعَدَاوَتِهِ عَنْ أَنْ تُكَافِيَ بِهَا فَنَالَكَ اسْتِكْمَلَتْ عَظِيمَ الْخَطَرِ وَإِنْ كُنْتَ مُكَافِيًا بِالْعَدَاوَةِ وَالضَّرَرِ فَإِنَّكَ أَنْ تُكَافِيَ عَدَاوَةَ الْيَمْرِ بِعَدَاوَةِ الْعَلَانِيَةِ وَعَدَاوَةِ الْخَاصَةِ بِعَدَاوَةِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الظُّلْمُ وَالْعَارُ . وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ الْعَدَاوَةِ وَالضَّرَرِ يُكَافَى بِمِثْلِهِ كَالْحَيَاةِ لَا تُكَافَى بِالْحَيَاةِ وَالسَّرِقَةِ لَا تُكَافَى بِالسَّرِقَةِ . وَمِنْ الْحِيلَةِ فِي أَمْرِكَ مَعَ عَدُوِّكَ أَنْ تُصَادِقَ أَصْدِقَاءَهُ وَتُوَافِيَ إِخْوَانَهُ فَتَدْخُلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي سَبِيلِ الشِّتَاقِ (٧) وَالتَّجَافِي فَإِنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ ذُو طَرَقٍ (٨) يَمْتَنِعُ مِنْ مُوَافَاةِكَ إِذَا التَّمَسَّتْ ذَلِكَ مِنْهُ وَإِنْ

أَيَّ امْتَنَعَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ (٩) أَيَّ تَسْتَفِيدُ يَقَالُ أَفَدْتَ الْمَالَ وَاسْتَفَدْتَهُ ، وَيَقَالُ أَفَدْتَ الْمَالَ بِمَعْنَى أَعْطَيْتَهُ فَهُوَ مِنَ الْإِعْدَادِ (١٠) لَعَلَّ الصَّوَابَ تُوَافَاةً بِمَعْنَى تَعْلَمُ مِنْ آذَنِهِ بِكَذَا إِذَا أَعْلَمَهُ بِهِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مِنْ أَذْنٍ بِالشَّيْءِ بِأَذْنٍ مِنْ بَابِ طَرَبٍ بِمَعْنَى عِلْمِهِ وَالْمَعْنَى كُونُوا عَلَى عِلْمِهِ (١١) مِنْ أَعْدٍ لَامَرَكُنَا إِذَا هَيَأَ لَهُ الْعُدَّةُ (١٢) لِبَسِّ السِّلَاحِ وَهُوَ مَا يُقَاتِلُ وَيُدَافِعُ بِهِ فِي الْحَرْبِ (١٣) الْمُرَادُ بِالْخَطَرِ هُنَا الْقُدْرَةُ وَالْمَنْزِلَةُ (١٤) اسْمٌ مِنْ غَرَةٍ يَفْرَهُ إِذَا خَدَعَهُ وَاسْتَفْغَلَهُ ، وَالسَّبِيلُ الطَّرِيقُ (١٥) مَصْدَرُ شَاقِهِ إِذَا خَالَفَهُ ، وَالتَّجَافَى التَّرْفَعُ وَالتَّبَاعُدُ (١٦) الطَّرَقُ بِفَتْحٍ فَسَكُونٌ ضَعِيفٌ

كَانَ إِخْوَانُ عَدُوِّكَ غَيْرَ طَرَقٍ فَلَا عَدُوَّكَ

لَا تَدْعُ ^(١) مَعَ السُّكُوتِ عَنْ شَتْمِ عَدُوِّكَ إِحْصَاءَ مَعَايِهِ ^(٢) وَمَثَالِيهِ وَاتَّبَاعِ عَوْرَاتِهِ حَتَّى لَا يَشُدَّ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ مِنْ غَيْرٍ أَنْ تَشِيعَ عَلَيْهِ فَيَنْتَقِيكَ بِهِ وَيَسْتَعِدَّ لَهُ أَوْ تَذْكُرَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَتَكُونَ كَمُسْتَعْرِضِ الْهَوَاءِ يَبْتَلِيهِ قَبْلَ إِمْكَانِ الرَّمِي

لَا تَتَّخِذِ الْقَنْ وَالشَّتْمَ عَلَى عَدُوِّكَ سِلَاحًا فَإِنَّهُ لَا يَجْرَحُ فِي نَفْسٍ وَلَا فِي مَالٍ وَلَا دِينٍ وَلَا مَنْزِلَةٍ

إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ ذَاهِيًا ^(٣) فَلَا تُحِبِّبَنَّ أَنْ تُسَمِّيَ ذَاهِيًا فَإِنَّهُ مِنْ عُرْفٍ بِالذَّهَاءِ خَائِلٌ ^(٤) عَلَانِيَةً وَحَذَرُهُ النَّاسُ حَقٌّ بِمَنْتَبِعِ مِنْهُ الضَّعِيفُ وَإِنْ مِنْ إِرْبٍ ^(٥) الْأَرِيبِ دَفَنَ إِرْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى يُعْرِفَ بِالسَّاحَةِ فِي الظُّلُمَةِ ^(٦) وَالطَّرِيقَةِ وَمِنْ إِرْبِهِ أَلَّا يُؤَارِبَ ^(٧) الْعَاقِلُ الْمُسْتَقِيمُ لَهُ الَّذِي يَطْلُعُ عَلَى غَامِضِ إِرْبِهِ فَيَمَقِّنُهُ عَلَيْهِ

العقل وقد طرق كعنى فهو مطروق ، ويقال فلان به طرفه أى هوج ، وطرق فلان وأخذ في التطريق إذا احتال ، والطرق أيضا الفخ أو شبهه (١) نهى من ودع يدع بمعنى ترك وأصل مضارعه الكسر من باب ضرب يضرب ولذلك حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ثم وقعت الدال مكان حرف الحلق (٢) الميوب جمع معابة بالفتح والمثالب جمع مثلبة وهى المسبة والتعيب يقال ثلبه إذا صرح بالعيب فيه ونقصه ، والعورات جمع عورة وهى كل شئ يستتره الإنسان أنفة وحياء (٣) اسم فاعل من الدهى كالرمى والدهاء كسماء وهو الفكرة وجودة الرأي ويأتى اسم فاعله على دموداهية ويجمع على دهاة كغزاة ودهون والفعل دهى كرمى (٤) خادع من الخاتلة ، وختله ختلا خدعه (٥) الارب بكسر فسكون الدهاء والمكر وهو من العقل والارب العاقل (٦) الطبيعة ، والطريقة المذهب (٧) أى يدهاى ان

ان أردت السلامة فأشعر^(١) قلبك الهيبة للأمور من غير أن تظهر منك الهيبة فيظن^(٢) الناس لحييتك ويخبرتهم عليك ويدعوك ذلك اليك منهم كلما تاب فاشتب^(٣) لمدارة ذلك من كتمان المهابة وإظهار الجرأة والتهاون طائفة من رأيك . وان ابتليت بمجازاة عدو مخاف فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك من استئثار الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون عليك^(٤) بالحدار في أمرك والجرأة في قلبك حتى تملأ قلبك جرأة ويستفرغ^(٥) عملك الحذر

ان من عدوك من تعمل في هلاكه ومنهم من تعمل في البعد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن أقوى القوة لك على عدوك وأعز أنصارك في الغلبة أن تخصي على نفسك العيوب والعورات كلما^(٦) أخصيتها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه أو تسمعه لأحد من الناس هل^(٧) قارفت منك أو مشاكلة فان كنت قارفت منه شيئاً فأحصه فيما تخصي على نفسك حتى اذا أخصيت ذلك كله فكابر^(٨) عدوك بإصلاح عيوبك وتخصيص عوراتك

- (١) أى أعلمه أمر من أشعره يشعره من باب الافعال يتعدى الى مفعولين بنفسه
(٢) الفطنة بالكسر الحذق والفهم وقد ورد الفعل من ثلاثة أبواب فرح ونصر وكرم
يتعدى بالياء الى واللام (٣) أى اجمع أمر من شعب يشعب من باب قطع يقطع بمعنى
جمع ويأتى بمعنى فرق وأصلح وأفسد وليست مرادة هنا (٤) اسم فعل أمر بمعنى ازم
يتعدى بنفسه وبالباء كما هنا ، وقبل الباء زائدة ، والحدار التمحرز واليقظ والفعل كعلم
(٥) أى يستقصيه (٦) الظاهر كما (٧) أى خالطت مثل ذلك العيب أو مشاكلة أى
مشابه (٨) أى غالبه

وَأَحْزَارِ مَعَالِكَ ^(١) وَخُذْ نَفْسَكَ بِذَلِكَ نُمَيِّيًا مُصْبِحًا ^(٢) فَإِذَا آتَيْتَ مِنْهَا
دَفْعًا لَذَلِكَ أَوْ تَهَوَّنَا بِهِ فَاغْزُذْ نَفْسَكَ عَاجِزًا ضَائِعًا جَانِيًا مُتَوَرًّا ^(٣) لِمَسْدُوكِ
نُحْكِنَا لَهُ مِنْ رَمِيكَ وَإِنْ حَصَلَ مِنْ غِيُوبِكَ بَعْضُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِهِ
مِنْ أَمْرٍ قَدْ مَضَى بِعَيْبِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَلَا تَرَاهُ أَنْتَ عَيْنًا فَاحْظُ ذَلِكَ وَمَا عَنَى
أَنْ يَقُولَ فِيهِ قَائِلٌ مِنْ حَسْبِكَ ^(٤) أَوْ مَنَالِبِ آبَائِكَ أَوْ عَيْبِ إِخْوَانِكَ ثُمَّ
اجْعَلْ ذَلِكَ كُلَّهُ نُصَبَ عَيْنِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ عَسَدُوكَ مُرِيدُكَ بِذَلِكَ فَلَا تَقْتُلْ
عَنِ التَّهَوُّنِ لَهُ وَالْإِعْزَازِ لِقُوَّتِكَ وَحُجَّتِكَ وَحِيلَتِكَ فِيهِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً فَأَمَّا
الْبَاطِلُ فَلَا تَرَوْعَنَ ^(٥) بِهِ قَلْبِكَ وَلَا تَسْتَعِذَّنْ لَهُ وَلَا تَسْتَعِظَنَّ بِهِ فَإِنَّهُ لَا يَهْلُوكُ ^(٦)
مَالٌ يَتَّقِ وَأِذَا وَقَعَ اضْمَحَلَّ ^(٧)

اعْلَمْ أَنَّهُ قَلَمًا بَدَى ^(٨) أَحَدُ بَشَيْءٍ يَعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَقَدْ كَانَ يَطْمَعُ فِي
إِخْفَائِهِ عَنِ النَّاسِ فَيَعْدِيهِ ^(٩) بِهِ مَقْبِرٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَوْ غَيْرِهِ إِلَّا كَادَ
يَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ وَجْهُهُ وَعَيْنَاهُ وَلِسَانُهُ لِلَّذِي يَبْكُودُ مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَالَّذِي يَكُونُ

- (١) مقاتل الإنسان الموضع التي إذا أصيبت قتلته واحدها مقتل بفتح الميم والتاء
- (٢) أى حال كونه داخلًا في الصباح والمساء ، وآتيت أى علمت (٣) المتور
- الممكن البين الواضح من أعور لك الصيد أى أمكنك ، وأعور الشيء ظهر وأمكن ،
ويمكننا اسم فاعل من أمكنه وكذا يمكنه من الشيء إذا جعل له ساطعًا وقدرة عليه
- (٤) الحسب ما يعده من المآثر وقال الأزهري : الحسب الشرف الثابت له ولآبائه ،
وتقدم معنى المثالب (٥) الروح بالفتح الفزع ، وروعه بالتشديد وراعه أفرعه
- (٦) أى لا يفرعك (٧) أى ذهب وتلاشى (٨) أى فوجئ مبنى للفعل من يدهه
بأمر إذا استقبله به وفاجأه وبأبه قطع (٩) التعبير التوبيخ والتعيب

مِنْ انْكِسَارِهِ وَقُتُورِهِ ^(١) عِنْدَ تِلْكَ الْبِدْءَةِ فَاحْذَرْ هَذِهِ وَتَصْنَعْ ^(٢) لَهَا
وَاخْذُ أَهْبَتَكَ ^(٣) لِبَغْتَانِهَا

اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَوْقَعِ ^(٤) الْأُمُورِ فِي الدِّينِ وَأَنْهَكِمَا ^(٥) لِفَجْدٍ وَأَتْلَفِيهَا
لِلْمَالِ وَأَضَرَّهَا بِالْعَقْلِ وَأَسْرَعَها فِي ذَهَابِ الْجَلَالَةِ ^(٦) وَالْوَقَارِ الْغَرَامُ بِالنِّسَاءِ
وَمِنَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمُفْرِمِ بَيْنَ أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ يَأْجُمُ ^(٧) مَا عِنْدَهُ وَتَطْمَحُ عَيْنَاهُ
إِلَى مَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ . وَأَمَّا النِّسَاءُ أَشْبَاهُ وَمَا يُرَى فِي الْعِيُونِ وَالْقُلُوبِ
مِنْ فَضْلِ يَجْهَلُونَ بَيْنَ عَلَى مَمْرٍ وَفَاتَيْنِ بَاطِلٌ وَخُدْعَةٌ ^(٨) بَلْ كَثِيرٌ جَمًّا
يَرْغَبُ ^(٩) عَنْهُ الرَّاغِبُ مِمَّا عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِمَّا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَأَمَّا الْمُتَرَعِّبُ

(١) عطف تفسير إذا هو بمعنى الانكسار (٢) التصنع تكلف حسن السمات والتزين
(٣) الأهبة بالضم العدة بالضم أيضاً ، يقال أخذ أهبتك للحرب إذا استعدادها ونجم
الاهبة على أهب كغرفة وغرف ، والبغتان جمع بغتة من بغتة بغتاً من باب نفع إذا فاجأه ،
والمباغنة المفاجأة (٤) اسم تفضيل من وقع فلان في فلان وقوعاً وقيعة سبه وثلبه أو
من وقع الشيء سقط ويقال وقعت بفلان إذا لفته ووقعت فيه إذا عبتة وذمته (٥) أى
أشدها نهما أى هزلا من تهكته الخي نهكاً من بابي نفع وتعب هزاته (٦) الجلالة العظمة ،
والوقار الزانة والحلم ، والغرام اللوع ورجل مغرم بكذا أى مولع به وأصل معنى الغرام
العذاب الدائم والشر والهلاك ومنه الغرام بالنساء لإيصاله إلى ذلك في الأكثر (٧) يأجم
أى يكره وأجم الطعام وغيره كرهه وملاه وباه ضرب ، وتطمح عيناه أى ترتفع وتستشرف
وباه خضع (٨) الخدعة ما يخدع به الإنسان مثل اللعبة لما يلعب به من خدعه يخدع من
الباب الثابت إذا خدعه وأراد به المكروه ، ومنه الحرب خدعة (٩) يرغب عنه أى لم يرد
لان رغب إذا عدى بمن يكون معناه عدم الإرادة وإذا عدى بى يكون بمعنى أراده ،
وتتوق أى تشتاق وباه قال

حماً في رَحْلِهِ ^(١) مِنْهُنَّ إِلَى مَا فِي رِحَالِ النَّاسِ كَلِمَتٌ غَبِ عَنْ طَعَامٍ بَيْنَهُ إِلَى مَا فِي بُيُوتِ النَّاسِ بِلِ النَّسَاءِ بِالنِّسَاءِ أَشْبَهُ مِنَ الطَّعَامِ بِالطَّعَامِ وَمَا فِي رِحَالِ النَّاسِ مِنَ اللَّطِيمَةِ أَشَدُّ تَفَاضُلًا وَتَقَاوُماً بِمَا فِي رِحَالِهِمْ مِنَ النَّسَاءِ . وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَا بَأْسَ ^(٢) فِي لَبَسِهِ يَرَى الْمَرْأَةَ مِنْ بَعِيدٍ مُتَلَفِّفَةً فِي ثِيَابِهَا فَيَصُورُ لَهَا فِي قَلْبِهِ الْحَسَنَ وَالْجَمَالَ حَتَّى تَمْلُقَ بِهَا نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَلَا خَبَرٍ خَبِيرٍ ثُمَّ أَسْأَلَهُ يَتَجَمُّ مِنْهَا عَلَى أَقْبَحِ الْقُبْحِ وَأَدَمِ الدَّمَامَةِ ^(٣) فَلَا يَعْطِلُهُ ذَلِكَ عَنْ أَمْنِهَا وَلَا يَزَالُ مَشْغُوقًا بِمَا لَمْ يَذُقْ حَتَّى لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ غَيْرُ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ لَظَنَّ أَنَّ لَهَا شَأْنًا غَيْرَ شَأْنِ مَا ذَاقَ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ ^(٤) وَالشَّقَاءُ وَمَنْ لَمْ يَحْمِ نَفْسَهُ وَيُظْلِمُهَا وَيَجْهَلُهَا ^(٥) عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّسَاءِ فِي بَعْضِ سَاعَاتِ شَهْوَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَانَ أَبْسَرَ مَا يُصِيبُهُ مِنْ وَبَالِ أَمْرِهِ ^(٦) اقْطِاعُ تِلْكَ اللَّذَاتِ عَنْهُ بِمُحْمُودٍ ^(٧) نَارِ شَهْوَتِهِ وَضَعْفِ عَوَامِلِ جَسَدِهِ وَقُلْ مَنْ تَجِدُ إِلَّا مُحَادِعًا لِنَفْسِهِ فِي أَمْرِ جَسَدِهِ عِنْدَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْحِمِيَةِ وَالذَّوَاءِ وَفِي أَمْرِ

(١) الرجل مسكن الرجل ومأواه في الحضر ويطلق على أمتعة المسافر لانها هناك مأواه
(٢) أي لا ضرر في لبه أي عقله (٣) الدمامة قبح النظر وصغر الجسم يقال دامت المرأة عدم دمامة من باني ضرب وتعب اذا قبح منظرها وصغر جسمها واسم التفضيل آدم (٤) الحق قلة العقل، والشقاء ضد السعادة ويحمي أي يمنعها يقال حي الطبيب المريض عن الطعام بحميه وجاه ما يضره منه وبابه رمى ، ويطلقها أيضا بمعنى منعها يقال ظف نفسه عن الشيء يظلفها كفتحها ومنعها من أن تأتبه وبابه ضرب (٥) يجالها أي يبعدها ويطردها يقال جلاهم وأجلاهم عن البلد اذا أخرجهم ونفاههم وبابه عدا يعلو (٦) أي عاقبة أمره في الوخامة ، والوبال الوخامة وسوء العاقبة من وبل المرتع يوبل بالضم وبالاو وبالجمعي ونخم وبابه كرم (٧) الخلود السكون وخذت النار سكن لها وبابه دخل

مُرُوته عند الأهواء والشهوات وفي أمر دينه عند الريبة ^(١) والشبهة والطمع
 إن استطعت أن تنزل نفسك دون غايتك ^(٢) في كل مجلس ومقام
 ومقال ورأي وفعل فافعل فإن رفع الناس إياك فوق المنزلة التي تحط إليها
 نفسك وقريبتهم إياك في المجلس الذي تباعدت عنه وأظلمتهم من أمرك مالم
 تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيتك مالم تزين هو الجمال

لا ينجيتك العالم مالم يكن عالماً بمواضع ما يتعلم . إن غلبت على الكلام
 وقتاً فلا تملن على السكوت فإنه لعله يكون المرء واعرفه ولا يمتنعك
 حذر المرء ^(٣) من حسن المناظرة والمجادلة واعلم أن الماري هو الذي
 لا يحب أن يتعلم ولا يتعلم منه فإن زعم زاعم أنه إنما يجادل في الباطل
 عن الحق فإن المجادل وإن كان ثابت الحجة ظاهر البينة فإنه يخاصم إلى غير
 قاض وإلما قاضيه ^(٤) الذي لا يمدو بالخصومة إلا إليه عدل صاحبه وعقله
 فإن آتس أو رجا من صاحبه عدلاً يقضى به على نفسه فقد أصاب وجه أمره
 وإن تكلم على غير ذلك كان ماريّاً

إن استطعت أن لا تخبر أخاك عن ذات نفسك بشيء إلا وأنت محتجج ^(٥)
 عنه بفض ذلك التماساً لفضل الفعل على القول واستعداداً لتقصير فعل إن
 قصر فافعل واعلم أن فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل

(١) الريبة الشك والتهمة ، والشبهة الالتباس (٢) غاية الشيء نهايته أى دون المنزلة التي
 تستحقها وينهى إليها استحقاقك لها ، وتحط أى تنزل ، والخط الانزال من علو إلى سفلى وبابه
 قتل (٣) المرء الجدل ، والماري المجادل (٤) قاضيه مبتدأ واسم الموصول مع صلة في محل
 رفع صفة والخبر قوله عدل صاحبه (٥) اسم فاعل من احتجج المال أو غيره إذا ضمه إلى

هَيْجَنَةٌ ^(١) وَأَنْ إِحْكَامَ هَذِهِ الْخَلَّةِ ^(٢) مِنْ غَرَائِبِ الْخِلَالِ

إِذَا تَرَأَّكَتِ الْأَعْمَالُ عَلَيْكَ فَلَا تَلْتَمِسِ الرُّوحَ ^(٣) فِي مُدَافَعَتِهَا بِالرَّوْعَانِ
مِنْهَا فَإِنَّهُ لَا رَاحَةَ لَكَ إِلَّا فِي إِصْدَارِهَا وَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَيْهَا هُوَ يَخْفِئُهَا وَإِنَّ الضَّجَرَ
مِنْهَا هُوَ يُرَاكِبُهَا ^(٤) عَلَيْكَ فَتَعَبُذْ ^(٥) مِنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ خَصْلَةً قَدْ رَأَيْتَهَا
تُعْزِي ^(٦) بَعْضَ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ أَنَّ الرَّجُلَ يَسْكُونُ ^(٧) فِي أَمْرٍ مِنْ
أَمْرِهِ فَيَرُدُّ عَلَيْهِ شُغْلٌ آخَرُ وَيَأْتِيهِ شَاغِلٌ مِنَ النَّاسِ يَكْرَهُ تَأْخِيرَهُ فَيُكَبِّرُ
ذَلِكَ بِنَفْسِهِ تَكْدِيرًا يُفِيدُ مَا كَانَ فِيهِ وَمَا وَرَدَ عَلَيْهِ حَقٌّ لَا يُحْكِمُ وَاحِدًا
مِنْهَا فَإِنْ وَرَدَ عَلَيْكَ مِثْلُ ذَلِكَ فَلْيَكُنْ مَعَكَ رَأْيُكَ الَّذِي تَخْتَارُ بِهِ الْأُمُورَ
ثُمَّ اخْتَرِ أَوَّلِي الْأَمْرَيْنِ بِشُغْلِكَ فَاشْتَغِلْ بِهِ حَتَّى تَقْرُغَ مِنْهُ وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ
قَوْتُ مَا قَاتَ وَتَأْخِيرُ مَا تَأْخَرُ إِذَا أَعْمَلْتَ الرَّأْيَ مَعْمَلَةً وَجَعَلْتَ شُغْلَكَ فِي حَقِّهِ
إِجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَايَةً تَرْجُو الْقُوَّةَ وَالنِّجَامَ عَلَيْهَا وَعَلِمَ أَنَّكَ إِنْ
جَاوَزْتَ الْغَايَةَ فِي الْعِبَادَةِ صُرْتَ إِلَى التَّقْصِيرِ وَإِنْ جَاوَزْتَهَا فِي حَمْلِ الْعِلْمِ صُرْتَ
مِنَ الْجَهَالِ وَإِنْ جَاوَزْتَهَا فِي تَكْلُفِ رِضَى النَّاسِ وَانْخِصَّةِ مَعَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ
كُنْتَ الْمُصْنَعُ ^(٨) الْمَحْشُودَ

نَفْسًا وَاحْتَوَاهُ ^(١) الْمُهْجَنَةُ الْقُحْ وَالْعَيْبُ ^(٢) الْخَلَّةُ بِالْفَتْحِ الْخَصْلَةُ وَتَجْمَعُ عَلَى خِلَالِ
^(٣) الرُّوحِ بِالْفَتْحِ الرَّاحَةُ ، وَالرَّوْعَانُ الْحِيدَانِ وَالْمِيلُ بِالْمَخَادَعَةِ وَالْمَدَاوِرَةِ ^(٤) رَكْمُ الشَّيْءِ
جَمْعُهُ وَأَلْقَى بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَبَابُهُ نَصْرٌ وَارْتَسَكَمُ وَتَرَأَّكَتِ أَكْمُ اجْتَمَعَ ^(٥) أَيْ قَعْدَ ^(٦) أَيْ
تَضَيَّبَ وَتَأْتَى ^(٧) قَوْلُهُ إِنْ لَرَجُلٍ يَكُونُ الْخُ هَذِهِ الْجَدْلَةُ فِي تَأْوِيلِ الْمَقْرَدِ بَدَلٍ مِنْ قَوْلِهِ
خَصْلَةً قَدْ رَأَيْتَهَا الْخُ أَوْ بَيَانُهَا وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ خَبِيرًا لِمَبْدَأِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هِيَ أَنْ
الرَّجُلَ الْخُ ^(٨) الْمَصْنَعُ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ أَصْنَعَ إِذَا أَعَانَ آخَرُ وَالْمَحْشُودُ الَّذِي عِنْدَهُ حَشْدٌ

اعلم أن بعض المطيعة لوم^(١) وبعض البيان عي وبغض العلم جهل فإن
استطعت أن لا يكون عطاؤك خوراً ولا ثباتك هذراً ولا علمك جهلاً فافضل
اضلم أنه ستمر عليك أحاديث تُعجبك إما مليحة وإما رائحة^(٢) فإذا
أعجبتك كنت خليفاً^(٣) بأن تحفظها فإن الحفظ موكل بماراع وسنحرص
على أن تعجب منها الأقوام فإن الحرص على ذلك التعجب من شأن الناس
وليس كل معجب لك معجباً لغيرك وإذا نشرت ذلك مرة أو مرتين فلم
ترة وقع من السامعين موقعه منك فازدجر^(٤) عن العود فإن المعجب من
غير عجيب مخف^(٥) شديد وقد رأينا من الناس من يملق^(٦) الشيء ولا
يقلم^(٧) عن الحديث به ولا يمنة قلة قبول أصحابه له من أن يعود
ثم يعود

إياك والأخبار الرائعة وتحفظ منها فإن الإنسان من شأنه الحرص على
الأخبار لا سيما ماراع منها فأكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالى
بمن سمع وذلك مفسدة للصدق ومزاة^(٨) بالرأي فإن استطعت ألا
تخبر بشيء إلا وأنت به مصدق^(٩) وألا يكون نصديقك إلا يرهان فافضل

من اناس أى جماعة (١) اللوم ضد الكرم، وإلى الحصر (٢) المجهز، والخور بفتحين الضعف
والهذر بفتحين أيضاً سقط الكلام أو الكثير الردى منه (٣) اسم فاعل من راعى الشيء
أعجبني ، والرائع من الجمال الذى يعجب روع من رآه فيسره ويقال كل معجبة رائعة
(٤) جذير أو حقيقاً (٥) أى امتنع واته عن العود (٦) أى نقص عقل (٧) أى
يهواه (٨) أى لا يكف عنه (٩) مصدره يعى من أزرى بالشيء أدخل عليه عيباً أو تهاون

ولا تقبل كما يقول السفهاء أخيراً بما سمعت فإن الكذب أكثر ما أنت سامع وإن السفهاء أكثر من هو قائل وإنك إن صيرت للأحاديث وإعياً وحاملاً كان ماعياً وتعمل عن العلة أكثر مما يخترع بأضغاف أنظر من صاحب من الناس من ذي فضل عليك سلطان^(١) ومنزلة ومن دون ذلك من الخلفاء^(٢) والأكفاء والإخوان فوطن^(٣) نفسك في صحنه على أن تقبل منه العفو^(٤) وتسخر نفسك عما اعتاص^(٥) مما قبله غير معاتب ولا مستنطى ولا مستزيد فإن العاتبة مقطعة للود وإن الاستزادة من الجشع^(٦) وإن الرضى بالعفو والمسامحة في الخلق أقرب لك كل ما تنوق^(٧) إليه نفسك مع بقاء المرض والمودة والمروءة

اعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه وأن سفه السفه سيطم لك منه فإن عارضته أو كافأته بالسفه^(٨) فكأنك قد رضيت ما أتى به فاجتنب أن تحتذي^(٩) مثاله فإن كان ذلك مذموماً فحقق ذمك إياه بترك معارضته فأمّا أن تذمه وتمثله^(١٠) فليس ذلك لك

به (١) أى بولاية وساطة (٢) جمع خالص بكسر فسكون الخدن بوزنه أيضاً ، والا كفاء جمع كفؤ وهو المثل والخوان بكسر الخاء همزة وضمها جمع أخ (٣) وطن نفسه على الأمر توطئتها مهدها الفعل وذلها (٤) أصل العفو الفضل والمعروف ، والمراد هنا ليسور من أخلاق الرجال وعدم الاستقصاء عليهم ومنه قوله تعالى خذ العفو (٥) أى صعب يقال اعتاص عليه الأمر أى اشتد والثالث عليه فلم يهتد لأصواب (٦) الجمع أشد الحرص فعلة من باب طرب والجار والجرور ظرف مستقر خبران (٧) أى نشاق (٨) السفه ضد الحلم وأصله الخفة والحركة ويطلق على الجهل أيضاً والسفه هو المتصف بذلك (٩) احتذى مثاله اقتدى (١٠) أى تتبع طريقته

لا تُصَاحِبَنَّ أَحَدًا وَإِنْ اسْتَأْنَسْتَ بِهِ أَخَا قَرَابَةٍ أَوْ أَخَا مَوَدَّةٍ وَلَا وَالِدًا وَلَا وَلَدًا إِلَّا بِمُرُوءَةٍ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ قَدْ يَحْمِلُهُمُ الْإِسْتِرْسَالُ^(١) أَوْ التَّبَذُّلُ عَلَى أَنْ يُصَحِّبُوا كَثِيرًا مِنَ الْخُلَصَاءِ بِالْإِدْلَالِ وَالتَّهَوُّنِ وَمَنْ قَدَّ مِنْ صَاحِبِهِ صَحْبَةَ الْمُرُوءَةِ وَوَقَّارَهَا أَحْدَثَ لَهُ فِي قَائِمِهِ رَقَّةً شَأْنٍ وَخِفَةً مَنَزَلَةٍ لَا تَلْتَمِسُ^(٢) غَلَبَةَ صَاحِبِكَ وَالظَّفَرَ عَلَيْهِ بِكُلِّ كَلِمَةٍ وَرَأْيٍ وَلَا تَجْتَرِئَنَّ عَلَى قَرِيبِهِ^(٣) وَتَبْسُكِيهِ بِظَفْرِكَ إِذَا اسْتَبَانَ وَحُجَّتِكَ إِذَا وَضَحَتْ فَإِنَّ أَقْوَامًا يَحْمِلُهُمْ حُبُّ الْغَلَبَةِ وَسَمَةُ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَتَعَبَّوْا الْكَلِمَةَ بَعْدَ مَا تَنْدَسَى فَيَلْتَمِسُوا فِيهَا الْحُجَّةَ ثُمَّ يَسْتَطِيعُوا^(٤) بِهَا عَلَى الْأَصْحَابِ وَذَلِكَ ضَعْفٌ فِي الْعَقْلِ وَلَوْمْ^(٥) فِي الْإِخْلَاقِ

لَا يُعْجِبَنَّكَ إِكْرَامُ مَنْ يُكْرِمُكَ لِمَنَزَلَةٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَإِنَّ السُّلْطَنَةَ أَوْشَكَ^(٦) أُمُورَ الدُّنْيَا زَوَالًا وَلَا يُعْجِبَنَّكَ إِكْرَامُهُمْ إِيَّاكَ فَلَنْسَبَ فَإِنَّ الْأَنْسَابَ أَقْلَ مَنَاقِبِ الْخَيْرِ غَنَاءَ^(٧) عَنْ أَهْلِهَا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَلَكِنْ إِذَا أُكْرِمتَ عَلَى دِينٍ أَوْ مُرُوءَةٍ فَذَلِكَ فَلْيُعْجِبْكَ فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لَا تُزِيلُكَ^(٨) فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَا يُزِيلُكَ فِي الْآخِرَةِ

(١) الانبساط والافتتناس يقال استرسل الى كذا أى انبسط واستأنس ، والتبذل ترك التصاون والادلال كالندل هو الانبساط (٢) الافتتناس الطلب والغلبة القهر وهو مصدر مضاف الى مفعوله ، والظفر الفوز بالمطلوب يقال ظفريه وعليه وبابه طرب (٣) التقرير التعنيف والنثريب ، والتبكيك التعنيف والغلبة بالحجة (٤) أى يتطاولوا بها أى بالحجة (٥) أى دناءة (٦) أقرب (٧) نفعا (٨) أى لانفارقك

اعْلَمْ أَنَّ الْجُبْنَ ^(١) مَقْتَلَةٌ وَأَنَّ الْحَرْصَ حَرْمَةٌ فَانْظُرْ فِيمَا رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ
أَمِنْ قَتْلٍ فِي الْقِتَالِ مُقْبِلًا أَوْ كَثُرُ أَمْ مِنْ قَتْلِ مُذِرًّا وَانْظُرْ أَمِنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ
بِالْإِجْمَالِ وَالتَّكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخُو إِلَيْكَ تَقْصُكَ بِطَائِنِهِ ^(٢) أَمْ مِنْ يَطْلُبُ
إِلَيْكَ بِالشَّرِّ

اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ كَانَ لَكَ فِيهِ هَوًى فَذَكَرَهُ ذَاكَ بِسُوءٍ وَذَكَرْتَهُ
أَنْتَ بِخَيْرٍ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ أَوْ يَضُرُّهُ فَلَا يَسْتَحْفِظُكَ ^(٣) ذِكْرُ أَحَدٍ مِنْ صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ
أَلَا فِي مَوْطِنٍ ^(٤) دَفَعَ أَوْ مُحَامَاةٍ فَإِنَّ صَدِيقَكَ إِذَا وَثِقَ بِكَ فِي مَوَاطِنِ الْمُحَامَاةِ
لَمْ يَحْفَظْ بِمَا تَرَكْتَ بِمِثْلِ سِوَى ذَلِكَ وَلَمْ يَسْكُنْ لَهُ عَلَيْكَ سَبِيلٌ لِإِيْمَةٍ وَإِنَّ
الْأَحْزَمَ ^(٥) فِي أَمْرِ عَدُوِّكَ أَلَّا تَذَكَرَهُ إِلَّا حَيْثُ يَضُرُّهُ وَأَلَّا تَعُدَّ يَسِيرَ
الضَّرِّ ضُرًّا

(١) الجبن لغة ضعف القلب وعرفه السيد بانه هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن
مباشرة ما ينبغي ومالا ينبغي ، والحرص طلب الشيء باجتهاد في اصابته ، والمقتلة مصدر
ميمى بمعنى القتل وكذا المحرمة بمعنى الحرمان وقد صاغوا مفعلة من الثلاثى اللفظ أو الاصل
لسبب كثرة مسماه أو محلها كقولهم الولد مجبنة مبغلة أى سبب لكثرة الجبن عن الحرب
وكثرة البخل ، وقولهم أرض مأسدة ومسبعة أى محل لكثرة الاسد والسباع ومعنى
عبارة المصنف هنا أن الجبن سبب لكثرة القتل وأن الحرص سبب لكثرة الحرمان وقد
علل ذلك بقوله فانظر الخ (٢) الطلبة بوزن كلمة الشيء المطلوب ، والشره غلبة الحرص
فعله شره يشره من باب طرب (٣) أى لا يحفظك على الطيش والخفة أى الامراع من ذكر
أطالح من قولهم استخف فلان فلانا اذا حله على الخفة والجهل (٤) الموطن كسجد
المكان والموضع ويجمع على مواطن ، وقوله لم يحفظ أى لم يبال ، والسبيل الطريق ،
واللائمة العدل من قولهم لامة على كذا من باب قال أى عدله (٥) الاحزم اسم تفضيل
من حزم فلان رأيه اذا ضبطه وأتقنه أى ان الاضبط والاتقن فى شأن عدوك ممد ذكرك

اعلم أن الرجل قد يكون حليماً فيحملة الحرص على أن يقال جليد^(١)
والمخافة أن يقال مهين على أن يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميناً
فيحملة الحرص على أن يقال لسن والمخافة من أن يقال عي على أن يقول في
غير موضعه فيكون هذراً وعرف هذا وأشباهه واختار من منه كيلة
إذا بدتهك^(٢) أمر أن لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هوأك فخالفة
فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى^(٣)

أيه الا في مكان يضره ذكر ك له وعدم عدك قليل الضر ضرّاً (١) الجليد القوى
الشديد اسم فاعل من الجدد بفتح الحين الذي هو الشدة والقوة يقال جلد الشيء من
باب ظرف اذا صلب وقوى ، والمهين الحقير ، والزميت كامير الوقور وكسكيت
أوفر منه وفي لسان العرب الزميت والزميت الحليم الساكن القليل الكلام كالصميت
واللسن الفصيح يقال لسن كفرح والمصدر اللسانه أى الفصاحة ، وعي اسم فاعل
يوزن فعل ويقال عي على وزن فعل من عى وعي بالامر لم يهتد لوجه مراده
وعى في انطلق عيا بالكسر حصر والهدر بفتح الحين الهديان اسم من هدر في منطقه من
باني ضرب ونصر خلط وتكلم لا يذنى ، وحاصل معنى هذه المقولة أن الرجل قد يكون
حليماً لكنه يحرص على أن يقال عنه انه قوى شديد ويخاف أن يقال عنه انه مهين حقير
فيحملة حرصه وخوفه على أن يتكلف الجهل ، وإن الرجل قد يكون وقوراً حليماً ساكناً
قليل الكلام كثير الصمت لكنه يحرص على أن يقال عنه انه فصيح ويخاف من نسبه
الى الهوى والحرص فيحملة هذا الحرص والخوف على أن يقول في غيره ، وضع القول
فيكون قوله هذياناً وخطأ (٢) أى فاجأك وبغتك وبابه نفع (٣) قال في المصباح :
الهوى مقصور مصدر هويته من باب تعب اذا أحببته وعاقبت به ثم أطلق على ميل النفس
وانحرافها نحو الشيء ثم استعمل في ميل مذموم فيقال انبع هواه وهو من أهل الاهوله :
وقال الراغب الهوى ميل النفس الى الشهوة ويقال ذلك لانفس المائلة الى الشهوة وقيل

لِيَجْتَمِعَ فِي قَلْبِكَ الْإِفْتِقَارُ إِلَى النَّاسِ وَالِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُمْ فَيَكُونَ اِفْتِقَارُكَ إِلَيْهِمْ فِي لَيْلٍ كَلِمَتِكَ وَحُسْنِ بَشْرِكَ ^(١) وَيَكُونَ اسْتِغْنَاؤُكَ عَنْهُمْ فِي نَزَاهَةِ عِرْضِكَ وَبَقَاءِ عِزِّكَ

لَا تَجَالِسْ أَمْرًا بِغَيْرِ طَرِيقَتِهِ ^(٢) فَإِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ إِتَاءَ الْجَاهِلِ بِالْعِلْمِ وَالْجَافِي بِالْقِيَمَةِ وَالْعَمَى بِالْبَيَانِ لَمْ تَزِدْ عَلَى أَنْ تُضَيِّعَ عَقْلَكَ وَتُوْذِيَ جَلِيلَكَ بِجَهْلِكَ عَلَيْهِ ثَقَلْ مَا لَا يَعْرِفُ وَغَمِكَ إِثْمًا يَمِثُلُ مَا يَفْتَمُّ بِهِ الرَّجُلُ الْفَصِيحُ مِنْ مُخَاطَبَةِ الْأَعْجَبِيِّ الَّذِي لَا يَقْنَعُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِلْمٍ تَذْكُرُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا عَادُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ ^(٣) وَتَقْضُوهُ عَلَيْكَ وَحَرَّصُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ جَهْلًا حَقًّا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ الَّذِي هُوَ أَخَفُّ الْأَشْيَاءِ عَلَى النَّاسِ لِيَحْضُرَهُ مَنْ

سمى بذلك لانه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الآخرة الى الهلاكية ثم قال : فقد عظم الله ذم اتباع الهوى فقال تعالى : أفرأيت من اتخذ الهوى هواه ولا يتبع الهوى واتبع هواه وقوله والذين اتبعوا أحواءهم فأنما قاله بلفظ الجمع نفيسا على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر بن ثم هوى كل واحد لا يتناهى فاذا اتبعوا أهواءهم نهاية الضلال والحيرة ، وقال الماوردي : وأما الهوى فهو عن الخبر صاد وللعقل مضاد لانه ينتج من الاخلاق قبائحها ويظهر من الافعال فضائحها ويجعل ستر المروعة متهوكا ومدخل الشر مسلوكا ^(١) البشر بالكسر طلاقة الوجه ^(٢) طريقة الرجل مذهبه ، والجافي الغليظ من جفا الثوب عفو اذا غلظ ، والفقه الفهم ، والبيان الفصاحة ، والجليل المجالس ، والغم التغطية ، يقال غمته الشيء غمما من باب قتل غطاء ومنه قيل للحزن غم لانه يغطي السرور والحلم ، واغم مطاوع غم يقال غمه فاغم وما أخذ هذا قول علي عليه السلام : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، وقول ابن مسعود رضي الله عنه ما أتيت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة وقد ورد من طرق كلها ضعيفة : أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ^(٣) نصبوا له عادوه وناسب العداءة

لَا يَعْرِفُهُ فَيَنْقُلُ عَلَيْهِ وَيَذَمُّ بِهِ . إِيْتَلَمَ صَاحِبُكَ أَنْكَ حَذَبٌ ^(١) عَلَى صَاحِبِهِ
وَإِيَّاكَ أَنْ عَاشَرَكَ امْرُؤًا وَرَأَيْتَكَ أَنْ لَا يَرَى مِنْكَ بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَخَذَ بِهِ
رَأْفَةً ^(٢) فَإِنَّ ذَلِكَ يَأْخُذُ مِنَ الْقُلُوبِ مَاخِذًا وَإِنْ لَطَفْتَ بِصَاحِبِ صَاحِبِكَ
أَحْسَنَ عِنْدَهُ مَوْقِعًا مِنْ لُطْفِكَ بِهِ بِنَفْسِهِ

اتَّقِ الْفَرَحَ عِنْدَ الْمَحْزُونِ ^(٣) وَاعْلَمْ أَنَّكَ يَحْتَدُّ عَلَى الْمُنْطَلِقِ وَيَشْكُرُ لِمُسْتَكْتَبٍ ^(٤)
اعْلَمْ أَنَّكَ سَتَسْمَعُ مِنْ جُلَسَائِكَ الرَّأْيَ وَالْحَدِيثَ تَسْكِرُهُ وَتَسْتَجِيبُهُ ^(٥)
مَنْ مُحَدِّثٌ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ فَلَا يَكُونَنَّ مِنْكَ التَّسْكِينُ وَلَا
التَّخْفِيفُ ^(٦) لَشَيْءٍ مِمَّا يَأْتِي بِهِ جَلِيلُكَ وَلَا يُجَرِّئُكَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ
إِنَّمَا حَدَّثَ عَنْ غَيْرِهِ فَإِنَّ كُلَّ مَرْدُودٍ عَلَيْهِ سَيَبْتَعِضُ ^(٧) مِنَ الرَّدِّ وَإِنْ
كَانَ فِي الْقَوْمِ مَنْ تَسْكُرُهُ أَنْ يَسْتَعْرِ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ لِحَطِّائِرٍ تَخَافُ أَنْ يَفْقِدَ ^(٨)

أظهرهالة (١) حذب أى مشفق متعطف اسم فاعل من حذب فلان على فلان يحذب
كسمع يسمع أى أشفق عليه وعطف (٢) الرأفة أشد الرحمة يقال رؤف به بالضم رأفة
من باب ظرف ورأف به رأف من باب قطع (٣) اسم مفعول من حزنه الامر يحزنه من
باب قتل وجاء من باب طرب لازما ويعدى بالهمزة فيقال أحزنه وهذه الامة تيم والاولى
لغة فريش وبها جاء التثزيل قال تعالى (اق ليحزنى أن تذهبوا به) ومنع أبو زيد
استعمال الماضى من الثلاثى فقال لا يقال حزنه وإنما يستعمل المضارع من الثلاثى فيقال
يحزنه كذا فى المصباح (٤) المكتتب المحزون اسم فاعل من اكتتب والكتابة باله وهى
سوء الحال والانكسار من الحزن والفعل كُتِبَ كَسَلَمَ (٥) أى نجده جافيا غليظا
(٦) التسخيف جعله الشئ سخيفا ونسبته الى السخف الذى هو نقصان العقل
(٧) امتعض من الشئ غضب منه وشق عليه (٨) يعقد مبنى للعلوم والضمير فى عليه

عليه أو مضرّة تخشاها على أحد فأنك قادر على أن تنقّض ذلك في سرّ فيكون
أيسر لنقض وأبعد للبغضة . واعلم أن البغضة خوف والمودة أمن فاستكثر
من المودة صامتا ^(١) فإن الصمت يدعوها إليك وناطقا بالحسن فإن المنطق
الحسن يزيد في ودّ الصديق وبسّل سخيمة ^(٢) الوغر

واعلم أن خفض ^(٣) الصوت وسكون الريح ومشي القصد من دواعي
المودة إذا لم يخالط ذلك بأو ^(٤) ولا عجب أمّا العجب فهو من دواعي
المقت والشنآن

تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع
إمهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة لتلفت إلى الجواب والإقبال بالوجه
والنظر إلى المتكلم والوعى ^(٥) لما يقول . واعلم أن المستشار ليس

راجع للخطأ ومفعول يعقد محذوف أي يعقد عليه العلب ويعتقده ، وقوله أومضرة عطف
على خطأ ، والنقض نقيض العقد ومعناه حل ما أبرم ونقض البناء هدمه ، والبغضة
بالكسرة أشد البغض كالبعضاء ^(١) صامتا حال من الضعيف المستتر في استكثر ومثله
ناطقا والحسن ضد السوأى وهو مصدر كالرجى والبشرى ^(٢) السخيمة الضغن والحقد ،
والوغر شدة الغيظ ^(٣) خفض الصوت خفضه ونقصه وسكون الريح يراد به الوقار يقال
هو رجل ساكن الريح أي وقور وهو استعمال مجازي ومن معاني الريح العلبة والقوة
والدولة وعليها قوله تعالى (فتشلوا وتذهبريحكم) والقصد العدل وهو التوسط بين
طرفي الافراط والتفريط ومشي القصد هو التوسط فيه بين الديب والاسراع والبا والفخر
بالنفس ورفعها يقال بأي كسي بأوا غر ونقصه رفعها وغرهما والعجب بضم فسكون الزهو
والكبر والمقت البغض والشنآن بفتح النون وسكونها مصدر شنى وشنأ من بالي سمع
ومنع إذا بغض والثاني البغض ^(٤) البأ والكبر والفخر ^(٥) أي الحفظ والتدبر
بكفيل

بِكْفِيلِ والرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غرر^(١) لأن أمور الدنيا
ليس شيء منها بثقة ولأنه ليس شيء من أمرها يدركه الحازم إلا وقد يدركه
العاجز بل ربما أخطأ الحزمة^(٢) ما أمكن العبرة فإذا أشار عليك صاحبك
برأي فلم تجد عاقبته على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوماً وعدلاً
تقول : أنت فعلت هذا بي وأنت أمرتني ولولا أنت ولا جرم^(٣)
لا أطيعك فإن هذا كله ضجر ولو لم وخفة وإن كنت أنت المشير فعمل
برأيك أو ترك فبدا صوابك فلا تمتن ولا تسكتن ذكرك إن كان في
نجاح ولا تلم عليه إن كان استبان^(٤) في تركه ضرراً تقول : ألم أقل لك ألم
أقل فإن هذا بجانب لأدب الحكماء

اعلم فيما تكلم به صاحبك أن مما يهجن^(٥) صواب ما تأتي به ويذهب
بهجته ويؤري يقبوله عجلتك في ذلك قل أن يقضى البك بذات نفسه .
ومن الأخلاق السيئة على كل حال مغالبة^(٦) الرجل على كلامه والاعتراض

(١) الفرر الخطر والخذاع (٢) الحزمة بفتححات جمع حازم كالهجرة جمع عاجز ،
والحازم هو الذي يضبط رأيه ويتقنه (٣) لا جرم بمعنى حقا قال الفراء : هي في الأصل
بمعنى لا بد ولا محالة ثم كثرت فحولت إلى معنى القسم وصارت بمعنى حقا ولهذا نجاب باللام
نحو لا جرم لأفعلن (٤) استبان هنا بمعنى عرف ولذا نصب ضرراً على المفعولية
(٥) التهجين التقبيح والهجعة الحسن والازراء التهاون بالنسي وإحقاقه والافضاء
الوصول والانهاء والمعنى أنك إذا أردت أن تسلم صاحبك بكلام فلا تسرع به قبل أن
يقبل عليك بكليته ويستمع لكلامك لأن العجلة في الكلام قبل ذلك يفسد صواب
ما تأتي به من الكلام ويذهب حسنه ويكون سبباً للازراء والتهاون به (٦) المغالبة
مفاعلة وحقيقتها المشاركة يقال غالبه فغلبه والاعتراض المنع والأصل فيه أن الطريق إذا

فيه والقطع فيه ومن الأخلاق السيئة أنت جديرٌ بتركها إذا حدث الرجلُ حديثاً قرفه إلا تسابقته إليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتى كأنك تُظهِرُ للناسِ بأنك تريدُ أن يعلموا أنك تعلمُ من مثل الذي يعلمُ وما عليك ^(١) أن تهتِكُ بذلك وتُفَرِّدَهُ به وهذا الباب من أبواب البخلِ وأبوابه الغامضة كثيرةٌ وإذا كُنْتَ في قومٍ ليسوا بأغنياء ولا فصحاء فذعِ التطاولَ ^(٢) عليهم في البلاغة أو الفصاحة

اعلم أن بعضَ شدةِ الحذرِ عونٌ عليك فيما تحذرُ وأن شدةَ الإبقاء تدعو إليك ما تنسى

إن رأيتَ نفسك أصغرْتَ إليها ^(٣) الدنيا ودعتك إلى الزهادة ^(٤) فيها على حالٍ تَحْذَرُ منها عليك فلا يغرُّكَ ذلك من نفسك على تلك الحال فإنها ليست بزهادةٍ ولكنها ضجرٌ واستغذاء ^(٥) وتغبرُّ نفسٌ عند ما أعجزَكَ من الدنيا وغضبٌ منك عليها مما التوى ^(٦) عليك منها ولو تحمَّت على رفقها

اعترض فيه بناءٌ أو غيره منع السالبة من سلوكه كذلك الاعتراض على الرجل في كلامه منع له من اتصافه وقطع له فيه ^(١) أي أي شيء عليك في تركك له بمنأى يحدث وينفرد به من غير أن تسابقه إليه وتشاركه فيه فما استفهامية ويجوز أن تكون نافية أي ليس عليك بأس في تركك له بمنأى بالحديث وينفرد به بلا مشاركتك إياه والاستفهام للانكار فيرجع إلى معنى في وفي الجملة الحالية ^(٢) التطاول رفع النفس من تطول فلان على فلان إذا علا وترفع عليه ^(٣) تصاغر إليه الشيء صار صغيراً عنده والدنيا فاعل تصاغرت ^(٤) الزهادة والزهد الترك والاعراض يقال زهد في الشيء وزهد عنه أيضاً زهداً وزهادة بمعنى تركه واعرض عنه وبإبهام ولفظ الخليل بين المصدرين فجعل الزهد في الدين والزهادة في الدنيا ^(٥) الاستغذاء المضموع ^(٦) أي اعتاص وصعب

وَأَمْسَكَتَ عَنْ طَلِبِهَا أَوْشَكَتَ أَنْ تَرَى مِنْ نَفْسِكَ مِنَ الضَّجَرِ وَالْجَرَعِ ^(١)
أَشَدَّ مِنْ ضَجْرِكَ الْأَوَّلِ بِأَضَافٍ وَأَكْبَرَ إِذَا دَهَنَكَ نَفْسُكَ إِلَى رَفْضِ الدُّنَا
وَهِيَ مُقْبِلَةٌ عَلَيْكَ فَأَسْرِعْ إِبْجَابَتَهَا ^(٢)

اعْرِفْ عَوْرَتَكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْرِضَ بِأَحَدٍ فِيهَا شَارِكَهَا وَإِذَا ذُكِرَتْ مِنْ
أَحَدٍ خَلِيقَتُهُ ^(٣) فَلَا تُنَاضِلْ عَنْهُ مُنَاضِلَةَ الْمَدَافِعِ عَنْ نَفْسِهِ فَتَنْتَهَمَ بِمَنْهَا وَلَا
تُلِحَّ كُلَّ الْإِنْعَاحِ وَلَيْسَ كُنَّ مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ اخْتِلَاطٍ فَإِنَّ الْإِخْتِلَاطَ
مِنْ مُحَقِّقَاتِ الرِّيْبِ . وَإِذَا كُنْتَ فِي جَمَاعَةٍ قَوْمٍ أَبَدًا فَلَا تُؤْمَنُ جِيلًا مِنَ النَّاسِ
أَوْ أُمَّةً بِشْتَمٍ وَلَا ذِمٍّ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَا لَكَ تَتَنَاوَلُ بَعْضُ أَعْرَاضِ جُلَسَائِكَ
وَلَا تَقْلَمُ ^(٤) . وَلَا تَذُمَّنَّ مَعَ ذَلِكَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ أَوْ النِّسَاءِ بِأَنْ
تَقُولَ : إِنَّ هَذَا لَقَبِيحٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَا لَكَ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِبَعْضِ
جُلَسَائِكَ فِي بَعْضِ أَسْمَاءِ الْأَهْلِيْنَ وَالْحَرَمِ ^(٥) وَلَا تَسْصَغِرَنَّ مِنْ هَذَا شَيْئًا
فَكَلَّهُ يَجْرَحُ فِي الْقَلْبِ وَجَرَحُ اللِّسَانِ أَشَدُّ مِنْ جَرَحِ الْيَدِ

اعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ يَخْذَعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْتَّعْرِِيضِ وَالتَّوْقِيعِ ^(٦) بِالرِّجَالِ فِي
الْتِمَاسِ مِثَالِهِمْ وَمَسَاوِيهِمْ وَتَقْبِصَتِهِمْ وَكُلُّ ذَلِكَ أَبْنُونٌ عِنْدَ سَامِعِيهِ مِنْ وَضَحِ ^(٧)
الصَّبْحِ فَلَا تَسْكُونَنَّ مِنْ ذَلِكَ فِي غُرُورٍ وَلَا تَجْعَلَنَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِهِ ^(٨)

(١) الجزع ضد الصبر (٢) مفعول أسرع لانه متعدد فقولهم أسرع في مشيه يراد به أسرع
الحركة في مشيه وأسرع اليه أي أسرع المضي اليه (٣) الخليفة الطبيعة ، والمناضلة المحاماة
والجدالة (٤) جملة حاوية أي حال كونك غير عالم بها (٥) الحرم الحريم (٦) لتوقيع
تظني الشيء وتوهمه يقال وقع أي ألقى ظنك على شيء والتوقيع بالظن والكلام والرمي يعقده
ليقع عليه وهمه (٧) الوضع بياض الصبح (٨) أي الغرور

إِنِّي أَخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبٍ كَانَ أَكْثَمَ النَّاسِ فِي عَيْنِي وَكَانَ رَأْسُ مَا أَكْثَمَهُ هِنْدِي
 صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ . كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ بَطْنِهِ فَلَا يَسْتَمِي مَا لَا يَحْجِدُ وَلَا
 يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ فَرَجِهِ فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ مَوْتَهُ ^(١) وَلَا
 يَسْتَخِفُّ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَنًا وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ الْجَهَالَةِ فَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى
 ثِقَةٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ وَكَانَ أَكْثَرُ ذَهْرِهِ صَامِتًا فَإِذَا قَالَ بَدَ ^(٢) الْقَائِلِينَ كَانَ يَرَى
 مُتَضَعًا مُتَضَعًا ^(٣) فَإِذَا جَاءَ الْجُدُ ^(٤) فَهُوَ اللَّيْثُ حَادِيًا . وَكَانَ لَا يَدْخُلُ
 فِي دَعْوَى وَلَا يَشْرِكُ فِي مِرَاءٍ ^(٥) وَلَا يُذِلُّ بِحُجَّةٍ حَتَّى يَحْجِدَ قَاضِيًا عَدْلًا
 وَشُؤدًا عَدُوًّا وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا قَدْ يَكُونُ الْعُدْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ
 مَا اعْتَذَرَهُ . وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا إِلَى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرءَ وَلَا يَصْحَبُ
 إِلَّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ لَهَا جَمِيعًا وَكَانَ لَا يَتَبَرَّمُ ^(٦) وَلَا يَنْسَخُطُ وَلَا
 يَنْشَى وَلَا يَنْشَكِي وَلَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْوَلِيِّ وَلَا يَفْعَلُ عَنِ الْعَدُوِّ وَلَا يَخْصُ نَفْسَهُ
 دُونَ إِخْوَانِهِ بِشَيْءٍ مِنْ أَهْتِمَائِهِ بِحِيلَتِهِ وَقُوَّتِهِ فَكَلِمَتُكَ بِهِدِهِ الْأَخْلَاقِ إِنْ أَطَقْتَ
 وَلَنْ تُطِيقَ وَلَكِنْ أَخَذَ الْقَلِيلَ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

(١) المَوْتَةُ لِلشَّقَةِ (٢) بَذَمَ سَبَقَهُمْ وَغَلِبَهُمْ (٣) اسْتَضَعَفَهُ وَتَضَعَفَهُ عِنْدَهُ ضَعِيفًا
 كَضَعْفِهِ (٤) الْجُدُّ دَاهِلُ الْعَدَايَا حَالُ مَنْهُ وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ عِنْدَ الْعَدُوِّ
 بِمَعْنَى تَحَاوُزِ وَظَلَمِ (٥) الْمِرَاءُ الْجِدَالُ ، وَأَدْلَى بِحُجَّتِهِ بِمَعْنَى أَثْبَتَهَا فَوَصَلَ بِهَا إِلَى دَعْوَاهُ
 (٦) يَرْمِ وَيَبْرِمُ تَضَجَّرُ ، وَالنَّسَخُطُ الْكَرَاهَةُ وَعَدَمُ الرِّضَى يُقَالُ سَخَطَ وَتَسَخَطَ إِذَا
 غَضِبَ ، وَيَنْشَى أَيْ يَقْتَرِحُ شَهْوَةً بَعْدَ شَهْوَةٍ ، وَيَنْشَكِي أَيْ يَكْثُرُ الشَّكَايَةُ ، وَبَنَاءُ
 التَّفْعِلِ فِي الْأَرْبَعَةِ لِلتَّكْثِيرِ

يتمية ثانية

لابن المقفع

وقعت شبهة لبعض أهل العلم فيما إذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبل هي اليتيمة بعينها أم هي يتمية ثانية لابن المقفع ويزول هذا التناقض إذا لوحظ ما قاله امام المتكلمين أبو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة فإنه ذكر في كتابه اعجاز القرآن ان الدرة اليتيمة كتابان أحدهما يتضمن حكما منقولة والآخر في شئ من الديانات ، غيرانه يبقى هناك اشكال في أنه ليس في إحدى الرسالتين ما يتعلق بالديانات كما قال الباقلاني . وإذا رضينا بالظن فنقول ان هذا الاسم وضعه اناس لبعض رسائل ابن المقفع ومن هنا نشأ الاشتباه فعددها الناظرون . ويبعد أن يقال ان ابن المقفع سمي الرسالتين معا باسم واحد لمخالفته في الظاهر لقتضى الحكمة . ولقولنا انه سمي إحدى الرسائل فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ما قال ، اما الرسالة الثانية فنقول عن كتاب المنشور والمنظوم المحفوظ في دار الكتب المصرية لمؤلفه أبي الفضل أحمد ابن أبي طاهر طيفور من أبناء خراسان ولد ككجاء في فهرست سنة ٢٠٤ وتوفى سنة ٢٨٠ هـ . وهاك ما أورده ولم نحذف منه الا بعض جل أشرنا اليها بحرف (ف) لانها محرقة جدا لم تهتد الوجه الصواب فيها قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : ومن الرسائل المفردات اللواتي لا نظير لها ولا اشباه وهي أركان البلاغة ومنها استقى البلغاء لانها نهاية في المختار من الكلام وحسن التأليف والنظام الرسالة التي لابن المقفع وهي اليتيمة فان الناس جميعا يجمعون انه لم يعبر أحد عن مثلها ولا تقدمها من الكلام شئ قبلها ومن فصولها قوله في صدرها ولم نكتبها على تمامها شهرتها وكثرتها في أيدي الرواة فن فصولها قوله في صدرها

وقد أصبح الناس الاقليلا من عصم الله مدخولين منقوصين ففائلهم باغ وسامعهم عياب وسائلهم متعنت ومجيبهم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل وموعظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف ومستشيرهم غير موطن نفسه على انفاذ ما يشار به عليه ومصاهر للحق بما يسمع ومستشارهم غير مأمون على الفس والحسد وان يكون مهتا كما للسرتمشيعا للفاحشة مؤثرا للهوى والامين منهم غير متحفظ من اثمان الخونة والصدوق غير محترس من حديث الكذبة وذوالدين غير متورع عن تفریط الفجوة بتقارضون الثناء ويتربصون الدول ويعيون بالطمز يكادوا سزهم رأيا يلفقه عن رأيه أدنى الرضا وأدنى السخط ويكاد يكون أمتهم عودا ان تسحره الكلمة وتنكره اللحظة . وقد ابتليت أن أكون قائلا وابتليت أن تكونوا سامعين ولا خير في القول الاما تنفع به ولا ينفع الا بالصدق ولا صدق الامع الرأي ولا رأى الا في موضعه وعند الحاجة اليه فان خير القائلين من لم يكن الباطل غايته ثم لم يزل القصد والصواب وخيرا سامعين من لم يكن ذلك منه سمعة ولا رياء ولم يتخذ ما يسمع عونا على دفع الهدى ولا بلفة الى حاجة دنيا فان اجتمع للقائل والسامع ان يرزق القائل من الناس مقة وقبولا على ما يقوله ويرزق السامع اتعاظا بما يسمع في أمر دنياه وقد صالحت نياتهم ما في غير ذلك فعسى ذلك أن يكون من الخير الذي يبلغه الله عباده ويجعل لهم من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من حسنة الآخرة كما أن المريد بكلامه ان يحب الناس قد يجتمع عليه حرمان ما يطلب مع سوء النية وحل الوزر . وقد وافقهم من مسارعة فيما سألوني فطمعوا ان ينفع الله بذلك من يشاء فانه ما يشاء يقع

اما سؤالكم عن الزمان فان الزمان الناس ، والناس رجلان والى ومولى عليه . والازمنة أربعة على اختلاف حالات الناس تغير الازمنة ما اجتمع فيه صلاح الراعى والرعية فكان الامام مؤديا الى الرعية حقهم في الرد عنهم والغيظ على عدوهم والجهاد من وراء بيضتهم والاختيار للحكامهم وتولية صلحائهم والتوسعة عليهم في معاشهم وافاضة الامن فيهم والمتابعة في الخلق لهم والعدل في القسمة بينهم والتقويم لأودهم والاخذ لهم بحقوق الله عز وجل عليهم وكانت الرعية مؤدية الى الامام حقه في المودة والمناجحة والمخالطة وترك المنازعة في أمره والصبر عند مكره وطاعته والمعونة له على أنفسهم والشدة على من أخل بحقه وخالف أمره غير مؤثرين في ذلك آباءهم ولا أبناءهم ولا لابسين عليه أحدا . فاذا اجتمع ذلك في الامام والرعية ثم صلاح الزمان وبنعمة الله تم الصالحات

ثم ان الزمان الذى يليه ان يصلح الامام نفسه ويفسد الناس ولا قوة بالامام مع خذلان الرعية ومخالفتهم وزهدهم في صلاح أنفسهم على أن يبلغ ذات نفسه في صلاحهم وذلك أعظم ماتكون نعمة الله على الوالى وحجة الله على الرعية بوالهم فبالحرى أن يؤخذوا بأعمالهم وما أخلقه ان تصيبهم فتنة وعذاب أليم .

والزمان الثالث صلاح الناس وفساد الوالى وهذا دون الذى قبله فان لولاة الناس بدا في الخير والشر ومكائيل واحد وقد عرفناه فيما يعتبر به ان ألف رجل كلهم مفسد وأميرهم مصلح أقل فسادا من ألف رجل كلهم مصلح وأميرهم مفسد ، والوالى الى أن يصلح أدبه الرعية أقرب من الرعية الى أن يصلح الله بهم الوالى ، وذلك لانهم لا يستطيعون معانته وتقويمه مع استطالته بالسلطان والحيلة التي تملوه . وشر الزمان ما اجتمع فيه فساد الوالى والرعية (ف) فقولى في هذا الزمان انه لا يمكن خيرا لزمان فليس على واليكم ذنب ولا يمكن شر الازمان فليس لکم حمد ، ذلك غير اننا بحمد الله قد أصبحنا نرجو لانفسنا الصلاح بصلاح امامنا ولا نخاف عليه الفساد بقادرا ينأخذه من الله عز وجل في التثبيت والعصمة فلم يرح الله عز وجل يده خيرا ويرزقه رعيته مذولا فعندنا من هذا واثاق من عبر وبيانات ونحسب من الله عز وجل ان لا يزال امامنا يسارع في مرضاقره بالاستصلاص لرعيته والصبر على ما يستنكر منهم وقلة المؤاخذه لهم بذنوبهم حتى يقاب الله بصلاحه قلوبهم ويفتح له اسماعهم وأبصارهم فيجمع الفهم ويقوم أودهم ويلزمهم مرشد أمورهم وتتم نعمة الله على أمير المؤمنين بان يصلح له وعلى يديه فيكونوا رعية خيرا راع ويكون راعى خير رعية ان شاء الله وبه الثقة .

والذى يحمد من أمير المؤمنين ان اذا كرمانيسبر منه (ف) وقلمانلى من أهل العقل والمعاناة منكرا لنعمة الله بامير المؤمنين على المسلمين (ف) ومن أشد جهلا وأقطع عنذرا ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية نعمو ذباقة أن نكون من الذين لا يعقلون ففهموا ما اذا كراكم وتقدروه بالحق والعدل فان المرء ناظر باحدى عيون ثلاث وهما الفاشتان والصادقة وهى التي لا تنكاد توجد . عين مودة تزيه القبيح حسنا ، وعين شنان تزيه الحسن قبيحا ، وعين عدل تزيه حسنها حسنا وقبيحها قبيحا ، فتفكر وافيا جمع الله لامير المؤمنين في معدنه وفي سيرته وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل ان يتخفى فيه المغمز والمقال فلعمري ان الشيطان من أهواء الناس وألستهم في

الامر لصيب وان له المستراحين يستوفى أمنيته ويصدق عليهم ظنه ويوحى اليهم بمكايده فيجعل الله كيده ضعيفا وحزبه مغلوبا وجعله واياهم نصيبا لجهنم من أجرائه المقسومة لابوابها وحطبها وقودها وحصبها ليعذب بها من كان سائلا عن حق أمير المؤمنين في معذبه فان أعظم حقوق الناس منزلة وأكرمها نسبة وأولاها بالفضل حق رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وامام الهدى ووارث الكتاب والنبوة والمهيمن عليهما وخاتم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعثه الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم هو باعته يوم القيامة مقاما محمودا شرع الله به دينه وأتم به نوره على عهده وبحق به رؤس الضلالة وجبابرة الكفر وخوله الشفاعة وجعله في الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم

حكم لابن المقفع

اليك رسالة أخرى من كلام ابن المقفع محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة كتبها علي بن أحمد الحلبي سنة ٨٤٤ هـ وقال في أولها انها كتاب الادب وذكر انها كتبت برسم خزانة المقر الانترف الكريم العالى الجالى ناظر الخواص الشريفة بالممالك الاسلامية عظم الله شأنه وصانه عما شأنه .

قال عبد الله بن المقفع رحمه الله تعالى :

عمل البر خير صاحب ، أحق ما صان الرجل أمر دينه . الآلف للدين مافتقر . من الزم نفسه ذكر الآخرة اشتغل بالعمل . المغبون من طلب ثواب الآخرة في الدنيا . القلب أسرع تقلبا من الطرف ، أحسن العقوما كان عن عظيم الجرم . الاعتراف يؤدي الى التوبة . الاصرار وعاء للذنوب . الجواد من بذل ما يرضى به . انتسكف للمالايغنيه متعرض لما يكره . الفسك مفتاح القلب . الاستماع أسلم من القول . كيون الحقوق ككمون النار في العود . أكرم الاخلاق التواضع . التواضع يورث المحبة . الكبر مقرون به سوء الظن . من عذب لسانه كثر اخوانه . من استبعد الآخرة ركن الى الدنيا . سرور الدنيا كاحلام النائم . المغبون من طلب الدنيا بعمل الآخرة . المصيبة العظامي الرزية في الدين . سرور الدنيا مخوف المغيبة . من أهلك نفسه في مرضاة غيره عظمت جنايته . أنفع الكنوز العمل الصالح . أحق الناس بالبر أعلمهم بالعاقبة .

من أبصر العاقبة فآثرها من الندامة . الوالى من وزرائه بمنزلة الرأس فى أعضائه . من عرف ثمار الاعمال كان حقيقا ان لا يفرس مرا . أهن دنيا بائدة تستكمل كرامة . أبى الجروح مضاجع الآثام . انت الى الناس ما تحب أن يؤتى اليك . استصغر المشقة اذا أدت الى منفعة . رأس البر الورع . اطلب الرحمة بالرحمة . خير الاعمال ما دبر بالتقوى . بالحزم يتم الظفر . من أحب التزكية تعرض للضحكة . الدنيا نوم نائم والدولة حلم عالم . من سالم الناس ربح السلامة ومن تعدى عليهم كسب الندامة . ادر لعمل الخير اذا أمكنك . من حصن سره أمن ضرر ذلك . الدنيا قد تدرك بالجهل كما تدرك بالعقل . أحسن العمل الصالح ما كان يصدق النية . خسر من أنفق حياته فى غير حقها . طوبى لمن ترك دنياه لآخرته . من الحق على السلطان رفع ذى الفضيلة وان يسد فاقته . لا تحمد نفسك على ما تركت من الذنوب عجزا . بالرسول يعرف قدر المرسل . رفق الرسول يلين القلب الصعب . لا رأى لمن انقرد برأيه . من ترك رأى ذى النصيحة اتبعاه لما بهوى استوخم العاقبة . المشاورة أوثق ظهير . المستشار مؤتمن . اعتبر بعقل الوالى بأصابعه موضع أمحابه . من محب السلطان لم يزل مروعاً . كثرة أعوان سوء مضرة بالعمل . (الحزم يتم الظفر) . باجالة الرأى تظهر بالحزم . استوجب الطاعة من ذوى الرأى بالمودة . الصنعة عند الكفور لا تثمر الا مراً . الملك الحازم من استمسك برأى الحزمة من ذوى الرأى . لاصلاح لرعية واليهافاسد . خير مستفاد الهدى . أكثر محادثة من يصدقك عن عيوبك . حلية الملوك وزراءهم . أكل النصحاء من لم يكتم صاحبه نصيحة وان استقلها . فساد الوالى أضر بالرعية من جذب الزمان . استمع بالصمت على اطفاء الغضب . لا تجن على نفسك عداوة و بغضة انكالا على ما عندك من العمل والقوة والمنعة . كن فى الحرص على معرفة عيبك بمنزلة عدوك فى معرفة ذلك . البصير من عرف ضرره من نفعه . (التواضع يورث المحبة . أكرم الاخلاق التواضع . الكبر مقرون به سوء الظن) ربما تحولت البغضاء مودة والمودة بغضاء . قرب الصالحين داع للصلاح . (أحسن العفو ما كان عن عظيم الجرم) المال عون قوى على المروءة وانفاقه مهلكة المروءة . من عدم ماله أنكره أهله . خير الملوك من يرى انه لا يضبط ملكه الا بالعدل بين رعيته وأضيعهم لفظ المتهاون . لا تقتر الاقرباء بفضل قوتهم على الضعفاء .

الضعيف المحترس من العداوة أقرب الى السلامة من القوى المغتر . أخوف الاحقاد
احقاد الملوك . أبصر الوزراء من بصر صاحبه عيبه بالامثال . من قل كلامه جد عقله .
من عرف قدره قل افراطه . أحسن والدولة لك بحسن اليك والدولة عليك . (كمن
الحقود ككمن النار في العود) من حرم العقل رزى دنياه وآثرته . آفة العقل الهجب .
الهم مرض العقل . احذر صولة اللثيم اذا شبع . أحسن المدح أصدق . الاحسان
يقطع اللسان .

رسالة ابن المقفع في الصحابة

أما بعد أوصلي الله أمير المؤمنين وأتم عليه النعمة وألبسه المعافاة والرحمة فان أمير المؤمنين
حفظه الله يجمع مع علمه المسألة والاستماع كما كان ولادة الشر يجمعون مع جهلهم العجب
والاستغناء ويستوثق لنفسه بالحجة ويتخذها على رعيته فيما يلطفه من الفحص عن
أمرهم كما كان أولئك يكتفون بالدعوة برضون بدحوض الحجة وانقطاع العذر في الامتناع
ان يجترئ عليهم أحد برأى أو خبر مع تسليط الديان . وقد عصم الله أمير المؤمنين حين
أهلك عدوه وشنى غليله ومكن له في الارض وآتاه ملكه وخزائنها من أن يشغل نفسه بالتمتع
والتفتيش والتأمل والاخلاق وان يرضى عن آوى بالمتاع به وقضاء حاجة النفس منه وأكرم
الله أمير المؤمنين باستهانته ذلك واستغفاره اياه وذلك من أبين علامات السعادة وأنجح
الاعوان على الخير . وقد قص الله عز وجل علينا من نبأ يوسف بن يعقوب انه لما تمت
نعمة الله عليه وآتاه الملك وعلمه من تأويل الاحاديث وجمع له شمله وأقر عينه بابويه واخوته
أننى على الله عز وجل بنعمته ثم سلاهما كان فيه وعرف ان الموت وما بعده هو أولى فقال :
توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين .

وفي الذي قد عرفنا من طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على تناوله بالخبرة
فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره . وبالتذكير بما قد انتهى اليه ولايزيد صاحب الرأي على
أن يكون خبيرا أو مدبرا . وكل عند أمير المؤمنين مقبول ان شاء الله . مع ان مما يزيد
ذو الالباب نشاطا الى اعمال ذرى الرأي فيما يصلح الله به الامة في يومها أو غير دهرها الذي
أصبحوا قد طعموا فيه (٤) ولعل ذلك أن يكون على يد أمير المؤمنين فان مع الطمع الجند

ومع اليأس القنوط ، وقلماضع الرجاء الاذهب الرخاء ، وطلب المؤسس عجز وطلب الطامع خزم ، ولم ندرك الناس نحن وآباؤنا الا وهم يرون فيها خلا لا يقطع الرأي ويمسك بالافواه من حال واللم يحمه الاصلاح أو أهم ذلك ولم يثق فيه بفضل رأى أو كان ذارأى ليس مع رأيه صول بصرامة أو خزم أو كان ذلك استشارا منه على الناس بنشب أو قلة تقدم لما يجمع أو يقسم أو حال أعوان يذبل هم الولاة ليسوا على الخير باعوان وليس له الى اقتلاعهم سبيل لمكانهم من الامر ومخافة الدول والفساد ان هو اجههم أو انتقص ما في أيديهم أو حال رعية متزرة ليس لها من أمرها النصف في نفسها فان أخذت بالشدّة حيث وان أخذت باللين طغت ، وكل هذه الخلائق قد ظهر الله منها أمير المؤمنين فآتاه الله ما آتاه في نيته ومقدرته وعزمه ثم لم يزل يرى ذلك منه الناس حتى عرفه منه جهالهم فضلاع عن علمائهم ، وصنع الله لا أمير المؤمنين أظف الصنع في اقتلاع من كان يشركه في أمره على غير طر يقته ورأيه حتى أراحه الله وأمنه منهم بما جعلوا من الحجة والسبيل على أنفسهم وما قوى الله عليه أمير المؤمنين في رأيه واتباعه مرضاه وأذل الله لا أمير المؤمنين رعيته بما جع له من اللين والعفو فان لان لاحد منهم في الانحان (؟) له شهيد على ان ذلك ليس بضعف ولا مصانعة وان اشتد على أحد منهم في العفو شهيد على ان ذلك ليس بعنف ولا خرق مع أمور سوى ذلك يكف عن ذكرها كراهة أن يكون كأننا نصنأ المدح ، فإخلق هذه الاشياء أن تكون عتادا لكل جسم من الخير في الدنيا والآخرة واليوم والغد والخاصة والعامة ، وما أرجانا لان يكون أمير المؤمنين بما أصلح الله الامم من بعده أشد اهتماما من بعض الولاة بما لا يصلح رعيته في سلطانه وما أشد ما قد استبان لنا ان أمير المؤمنين أطول بامر الامة عناية وطمناظرا وتقديرا من الرجل منا خاصة أهله في دون هذا ما يشبث الامل وينشط للعمل ولا قوة الا بالله ، والله الحمد وعلى الله التمام ،

فمن الامور التي يذكروها أمير المؤمنين أمتع الله به أمر هذا الجند من أهل خراسان فانهم جند لم يدرك مثلهم في الاسلام وفيهم منعة بما يتم فضلهم ان شاء الله ، أما هم فاهل بصر بالطاعة وقضل عند الناس وعفاف نفوس وفر وج وكف عن الفساد وذلل للولاة فهذه حال لانهم هاتوا جند عند أحد غيرهم ، وأما ما يحتاجون فيه الى المنعة من ذلك تفويم أيديهم ورأيهم وكلامهم فان في ذلك اليوم اختلاطا من راس مفرط غال وتابع متحير شاك ، ومن كان انما يصول على الناس يقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة فهو

كرا كبا الاسد الذي يوجل من رآه والراكب أشد رجلا . فلوان أمير المؤمنين كتب لهم أمانا معروفا بليغا وجيزا عريضا بكل شيء يجب أن يقول فيه ويكفو واعنه بالغافي الحجة قاصر عن الغلو يحفظه رؤسائهم حتى يقود به دهماءهم ويتعهد به منهم من لا يؤثرون له من عرض الناس لسكان ذلك ان شاء الله لأمرهم صلاحا وعلى من سواهم حجة وعند الله عزرا . فان كثيرا من المتكلمين من قواد أمير المؤمنين اليوم انعاما كلامهم فيما يؤمر الامر ويرغم الرغم ان أمير المؤمنين لو أمر الجبال أن تسير صارت ولو أمر ان تستدبر القبلة بالصلاة فعل ذلك وهذا كلام قلما (يرضيه) من كان مخالفا لقلها بردي سمع السامع الا أحدث في قلبه ريبة وشكا . والذي يقول أهل القصد من المسلمين هو أقوى للامر وأعز للسلطان وأقنع للخالف وأرضى للوافي وأثبت للعذر عند الله عز وجل .

فانا قد سمعنا فرى ما من الناس يقولون لاطاعة للمخلوق في معصية الخالق . بنوا قلوبهم هذا بنا معوجا فقلوا ان أمرنا الامام بمعصية الله فهو أهل أن يعصى وان أمرنا الامام بطاعة الله فهو أهل أن يطاع . فاذا كان الامام يعصى في المعصية وكان غير الامام يطاع في الطاعة فالامام ومن سواه على حق الطاعة سواء . وهذا قول معلوم بحمد السلطان ذريعة الى الطاعة والذي فيه أمنيته لئلا يكون للناس نظائر ولا يقوم بأمرهم امام ولا يكون على عدوهم منهم ثقل .

سمعنا آخرين يقولون بل نطيع الأئمة في كل أمورنا ولا نفش عن طاعة الله ولا معصيته ولا يكون أحد منا عليهم حسبا هم ولاة الامر وأهل العلم ونحن الاتباع وعلينا الطاعة والاسليم . وليس هذا القول باقل ضررا في توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول بالذي قبله لانه ينتهي الى الفطيع المتفاحش من الامر في استحلال معصية الله جها را صراحا . وقال أهل الفضل والصواب : فبدأ صاب الدين قالوا : لاطاعة للمخلوق في معصية الخالق ولم يصيبوا في تعطيلهم طاعة الأئمة وتسخيفهم اياها وأصاب الذين أقرروا بطاعة الأئمة لما حققوا منها ولم يصيبوا ما أبهموا من ذلك في الامور كلها فاما اقرارنا بأنه لا يطاع الامام في معصية الله فاعاد ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لاحد عليها سلطانا . ولوان الامام نهى عن الصلاة والصيام والحج أو منع الحدود وأباح ما حرم الله لم يكن له في ذلك أمر .

فاما اثبات الامام الطاعة فيما لا يطاع فيه غيره فان ذلك في الرأي والتدبير والامر الذي جعل الله أزمته وعراها يدي الأئمة ليس لاحد فيه أمر ولا طاعة من الغزو والقول والجمع والتقسيم

والقسم والاستعمال والترك والحكم بالرأى فيما لم يكن فيه أثر وامضاء الحدود والاحكام على الكتاب والسنة ومحاربة العدو ومخادعته والاخذ بالسلمين والاعطاء عليهم . وهذه الامور وأشباهها من طاعة الله عز وجل الواجبة وليس لاحد من الناس فيها حق الا الامام ومن عصى الامام فيها أخذله فقد أتبع نفسه . وليس يفرق هذان الامر ان الايرهان من الله عز وجل عظيم ، وذلك ان الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم في خلتين الدين والعقل ولم تكن عقولهم وان كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها بالغة معرفة الهدى والامლება أهلها رضوان الله الامام اكمل لهم من النعمة بالدين الذي شرع لهم ونسرح به صدر من أراد هدايتهم ثم لو ان الدين جاء من الله لم يغير رحق فامن الاحكام والرأى والامر وجميع ما هو وارعد على الناس وجار فيهم مذبح الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى يوم يلقونه الاجاء فيه بعزيمة لكانوا قد كفوا غير وسعهم فضيق عليهم في دينهم وآتاهم ما لم تسع أمتاعهم لاستماعه ولا قلوبهم لفهمه ولحارث عقولهم وألباهم التي اتمت الله بها عليهم ولكانت لغوا لا يحتاجون اليها في شيء ولا يعملونها الا في أمر قد آتاهم به تنزيل ولكن الله من عليهم بدينهم الذي لم يكن يسعهم رأيتهم كقال عباد الله المتقون : ما كنا ننهتدي لولا ان هدانا الله .

ثم جعل ما سوى ذلك من الامر والتدبير الى الرأى وجعل الرأى الى ولاية الامر ليس للناس في ذلك الامر شيء الا الاشارة عند المشورة والاجابة عند الدعوة والنصيحة بظهر الغيب ، ولا يستحق الوالى هذه الطاعة الا باقامة العزائم والسنة مما هو في معنى ذلك ، ثم ليس من وجود القول وحده بل من في ملتصق اثبات فضل أهل بيت أمير المؤمنين على أهل بيت (من سواه) وغير ذلك مما يحتاج الناس الى ذكره الا وهو موجود فيه من الكلام الفاضل المعروف مما هو أبلغ مما يعلو فيه الغالون فان الحجة ثابتة والامر واضح بحمد الله ونعمته .

ومما ينظر فيه لصالح هذا الجند الا يولى أحدا منهم شيئا من الخراج فان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة ، ولم يزل الناس يتصامون ذلك منهم وينحونه عنهم لانهم أهل ذاك وودعوى بلاء واذا خلا بالدرهم والدنانير اجترأ عليها واذا وقع في الخيانة صار كل أمر مدخولا نصيبته وطاعته فان حيل بينه وبين رفعته أمر ضته الحمية مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وعقوبة وهوان . واتمام منزلة المقاتل منزلة الكرامة والالطف ، ومما ينظر فيه من أمرهم ان منهم من المجهولين من هو أفضل من بعض قادتهم فوالتمسوا وضمنوا كانوا عدة وقوة وكان ذلك

صلاحان فوقهم من القادة ومن دونهم من العامة ،

ومن ذلك تعهد أديهم في تعليم الكتاب والتفقه في السنة والامانة والعصمة والمباينة
لاهل الطوى وان يظهر فهمهم من القصد والتواضع واجتناب زى المترفين وشكلهم مثل القدى
ياخذ به أمير المؤمنين في أمر نفسه ، ولا يزال يطلع من أمير المؤمنين ويخرج منه القول
ما يعرف مقتله لا تواف والاسراف وأهلها ومحبة القصد والتواضع ومن أخذ بهما حتى
يعلموا ان معروف أمير المؤمنين محظور وعن يكثره بخلا ان ينفعه سرفاقى العطر واللباس
والغفلة بالنساء والمراتب فان أمير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهته المعروف والمؤاساة ،
ومن ذلك أمر أرزاقهم ان يوقت لهم أمير المؤمنين فيها وقتا يعرفونه في كل ثلاثة أشهر وأربعة
أو مائة وان يعلم عامتهم الصدر القدى في ذلك من اقامة ديوانهم وتحمل أسماهم ويعلموا
الوقت القدى يأخذون فيه فينقطع الاستبطاء والشكوى ، فان الكامة الواحدة تخرج من
أحدهم في ذلك أهل أن تستعظم فان باب ذلك جدير ان يحسم مع ان أمير المؤمنين قد علم
كثرة أرزاقهم وكثرة المال الذى يخرج لهم وان هذا الخراج ان يكن راجعا لغلاء السرفاقه
لابد من الكساد والسكر وان لكل شئ درة وغزارة وانما در وخرائج العراق بارتفاع
الاسعار وانما يحتاج الجند اليوم الى ما يحتاجون اليه من كثرة الرزق لغلاء السرفاق حسن
التقدير ان شاء الله أن لا يدخل على الارض ضرر ولا يبت المال نقصان من قبل الرحمن
الا دخل ذلك عليهم في أرزاقهم مع انه ليس عليهم في ذلك نقصان لانهم يشترون بالقليل مثل
ما كانوا يشترون بالكثير . فاقول لو ان أمير المؤمنين ما خلا شيئا من الرزق فيجعل بعضه
طعاما ويجعل بعضه علفا فاعطوه باعياهم فان قومت لهم قيمة نخرج ما خرج على حسابه
قيمة الطعام والعلف لم يكن في أرزاقهم لذلك نقصان عاجل يستذكرونه وكان ذلك . . نزالهم
لحل العدو وانصاف بيت المال من أنفسهم فيما يستبطون مع انه ان زاد السعر أخذوا بحصتهم
من فضل ذلك . ومن جماع الامر وقوامه باذن الله أن لا يفتنى على أمير المؤمنين شئ من
أخبارهم وحالاتهم باطن أمرهم بخراسان والعسكر والاطراف وان يحتقر في ذلك النفقة
ولا يستعين فيه بالاثاثات النصاح فان ترك ذلك وأشباهه أحمم بتاركه من الاستعانة فيه
بغير الثقة فتصير جنة للجهالة والكذب .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمتع الله به أمر هذين المصرين فانهم بعد أهل خراسان
أقرب الناس الى أن يكونوا شيعة ومعينيه مع اختلاطهم بأهل خراسان وانهم منهم وهما منهم
وانما

وإنما ينظر أمير المؤمنين منهم ، ، صدق ولربطتهم أو ما أراد من أمورهم معرفته استئصال
أهل خراسان ذلك طسم من أمرهم مع الذي في ذلك من جبال الامر واختلاط الناس
بالناس العرب بالجم وأهل خراسان بالمصريين .

ان في أهل العراق يأمر المؤمنين من الفقه والعفاف والالباب والالسنه شيئا لا يكاد
يشك انه ليس في جميع من سواهم من أهل القبلة مثله ولا مثل نصفه فلو أراد أمير المؤمنين
ان يكتفي بهم في جميع ما يلتمس له أهل الطبقة من الناس رجونا أن يصكون ذلك فيهم
موجودا ، وقد أزرى باهل العراق في تلك الطبقة ان ولاية العراق فيما مضى كانوا أشرار الولاية
وان أعوانهم من أهل أمصارهم (كذلك) خمل جميع أهل العراق على ما ظهر من أولئك
الفصول وتعلق بذلك أعداؤهم من أهل الشام فنعوه عليهم ثم كانت هذه الدولة فلم تعلق
من دونكم من الوزراء والعمال الا لا قرب فالقرب مما دنا منهم أو وجدوه بسبيل شيء من
الامر فوقع رجال مواقع شائنة لجميع أهل العراق حيثما وقعوا من محابة خليفة أو ولاية
عمل أو موضع أمانة أو موطن جهاد وكان من رأى أهل الفضل أن يقصدوا حتى يلتمسوا
فابطأ ذلك بهم أن يعرفوا وينتفع بهم وان كان صاحب السلطان لمن لم يعرف الناس قبل
ان يلهم ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ولم يستبث في استقصائهم فزال الامور عن
مرا كرها ونزلت الرجال عن منازل لان الناس لا يلقونه الامتصعين باحسن ما يقدرون
عليه من الصمت والكلام غير أن أهل النقص هم أشد تصنعوا وأحلى السنه وأرفق تطفأ
للو وزراء أو تمحلان يثنى عليهم من وراء وراء . فاذا آثر الوالى أن يستخلص رجلا واحدا
من ليس لذلك أهلا دعالى نفسه جميع ذلك الشرخ وطمعوا فيه واجترأ عليه وتورده
وزجوا على ما عنده واذا رأى ذلك أهل الفضل كفوا عنه وباعدوا منه وكرهوا أن يروا
في غير موضعهم أو يزاجوا غير نظرهم .

وإنما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصريين وغيرهما من الامصار والنواحي
اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها أمر اعطيا في الدماء والفروج والاموال
فيستحل الدم والفروج بالحيرة وهما يحرمان بالكوفة ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف
الكوفة فيستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية أخرى غير انه على كثرة ألوانه نافذ على
المسلمين في دماهم وحرهم يقضى به قضاة جائز أمرهم وحكمهم مع انه ليس بما ينظر في ذلك
من أهل العراق وأهل الحجاز فريق الا قد لج بهم العجب بما في أيديهم والاستخفاف من

سواهم فأخضعهم ذلك في الأمور التي يشفع بهام من سمعها من ذوى الالباب ،
 أما من يدعى لزوم الستة منهم فيجعل ما ليس له ستة سنة حتى يبلغ ذلك به الى أن يسفك
 الدم بغير بيعة ولا حجة على الامر الذي يزعم انه سنة واذ استل عن ذلك لم يستطع أن يقول
 هريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ثمة الهدى من بعده ، واذ قيل له أى
 دم سفك على هذه السنة التي تزعمون قالوا : فعل ذلك عبد الملك بن مروان أو أمير من بعض
 أولئك الامراء وانما من يأخذ بالرائى فيبلغ به الاعتزام عن رأيه أن يقول في الامر الجسيم
 من امر المسلمين قول لا يوافق عليه أحد من المسلمين ثم لا يتوحيش لا نقراده بذلك
 وامضاه الحكم عليه وهو مقرانه رأى منه لا يحتج بكتاب ولا سنة . فلورأى أمير المؤمنين
 أن يأمر بهذه الاضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم
 من سنة أو قياس ثم نظر أمير المؤمنين في ذلك وأمضى في كل قضية رأى الذي يلهمه الله
 ويعزم له عليه وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتابا جامعاً عزما لرجونا أن يجعل الله
 هذه الاحكام المختلفة الصواب بالخطا حكاما واحدا صوابا ورجونا أن يكون اجتماع السير
 قربة لاجماع الامر برأى أمير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر آخر الدهر
 ان شاء الله .

فاما اختلاف الاحكام اما شئ مأثور عن السلف غير مجمع عليه يدبره قوم على وجهه يدبره
 آخرون على وجه آخر فينظر فيه الى أحق الفريقين بالتصديق وأشبه الامر بين العدل ،
 واما رأى أجراه أهله على القياس فاختلف وانتشر ما يفلط في أصل المقايسة وابتدأ امر على
 غير مثاله ، واما طول ملازمته القياس فان من أراد أن يلزم القياس ولا يفارقه أبدا في امر
 الدين والحكم وقع في الورطات ومضى على الشبهات وغمض على القبيح الذي يعرفه
 ويبصره فاني أن يترك كراهة ترك القياس . وانما القياس دليل يستدل به على المحاسن
 فاذا كان ما يقود اليه حسنا معروفا فأخذه واذ افاد الى القبيح المستكر ترك لان المبتنى
 ليس غير القياس يبنى ولكن محاسن الأمور ومعروفها وما ألحق الحق بأهله ، ولو أن شياً
 مستقيماً على الناس ومنقاداً حيث قيمه كان الصدق هو ذلك وأولى أن يعتبر بالمقاييس فانه
 لو أراد أن يقوده الصدق لم ينقله ، وذلك ان رجلاً لو قال : أنا مرنى أن أصدق فلا كذب
 كذبة أبداً كان جوابه أن يقول نعم ثم لو اتهم من قود ذلك فقال : أنا صدق في كذا وكذا
 حتى يبلغ به أن يقول الصدق في رجل هارب استدلى عليه طالب ليظلمه فيقتله لكسر عليه

قيادته وكان الرأي له أن يترك ذلك وينصرف إلى المجمع عليه المعروف المستحسن ،

ومما يذكر به أمير المؤمنين أهل الشام فانهم أشد الناس مؤنة وأخوفهم عداوة وباقة ، وليس يؤاخذهم أمير المؤمنين بالعداوة ولا يطمع منهم في الاجتماع على المودة فمن الرأي في أمرهم أن يختص أمير المؤمنين منهم خاصة بمن يرجو عنده صلاحاً أو يعرف منه نصيحة أو وفاء فان أولئك لا يباشرون أن ينفصلوا عن أصحابهم في الرأي والهوى ويدخلوا فيما جلا عليه من أمرهم فقد رأينا أشباه أولئك من أهل العراق الذين استدخلهم أهل الشام وليس أحداً في أمر أهل السلم على القصاص (٤) حرماً كما كانوا يحرمون الناس وجعل فيهم إلى غيرهم كما كان في غيرهم إليهم ونحو عن المنابر والمجالس والاعمال كما كانوا ينحون عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والمواضع ومنعت منهم المرافقة كما كانوا يمنعون الناس أن ينالوا معهم أكلة من الطعام الذي يصنعه أمراؤهم للعامة ، فان رغب أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما أشبهها فلم يعارض ما عاب ولم يمثل ما سخط كان العدل أن يقتصر بهم على فيهم فيجعل ما خرج من كور الشام فضلاً عن النفقات وما خرج من مصر فضلاً عن حقوق أهل المدينة ومكة بأن يجعل أمير المؤمنين ديوان مقائلتهم ديوانهم أو يزيد أو ينقص غير أنه يأخذ أهل القوة والغناء وخفة المؤنة والعفة في الطاعة ولا يفضل أحداً منهم على أحد إلا على خاصة معلومة ويكون الديوان كالغرض المستأنف ويأمر لكل جنود من أجناد أهل الشام بعدة من العيال يقرعون عليها ويسوى بينهم فيما يكونوا أسوة فيه فيمن مات من عيالاتهم ولا يصنع بأحد من المسلمين ،

وأما ما يتخوف المتخوفون من زواتهم فلم يرى لئن أخذوا بالحق ولم يؤخذوا به انهم لخلقاء أن يكون لهم زوات وزقات ولكن على مثل اليقين بحمد الله من انهم لم يشركوا بذلك إلا أنفسهم وان الدائرة لا مير المؤمنين عليهم آخر الدهر ان شاء الله ، فانه لم يخرج الملك من قوم الا ببيت فيهم بقية يتوشون بهائم كان ذلك التوشب هو سبب استئصالهم وقد ويخفهم ، ومما يذكر به أمير المؤمنين أمراً يحبه فان من أولى أمر الوالي منه بالتثبت والتحيز أمراً يحبه الذين هم بهاء فناء وزينة مجلسه وألست رعيتي والاعوان على رأيه ومواضع كرامته والخاصة من عامته فان أمر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزارة والكتاب قبل خلافة أمير المؤمنين عملاقية حام فرط القبح مفسد للحسب والادب والسياسة داعياً للشر وطارداً للخيار فصارت محبة الخليط أمراً سخيها فاطمعت فيه الاوغاد

وتزهد فيه من كان يرغب في مادونه حتى إذا التقينا بالعباس رحمة الله عليه وكنت في ناس من صلحاء أهل البصرة وجوههم فكنت في عصابة منهم أبوا أن يأثروه ففهم من تغيب فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختيار العصية على سوء الموضع لا يعتدرون في ذلك الاضياع المكتب والدعوة والمداخل يقولون هذه منزلة كان من هو أشرف من أبنائنا يرغبون فيها هودونها عندهم هو أصغر أمراء ولاتنا اليوم ولكننا قد كانت مكرمة وحسبا إذا الناس ينظرون ويسأل عنهم فأما اليوم ونحن نرى فلانا وفلانا ينفر باسمائهم على غير قدیم سلف ولا بلاء حدث فنرغب فيها ههنا يا أمير المؤمنين أكرمك الله ما يصير العدل كله الى تقوى الله عز وجل وازال الامور منازلها فان الاول قال

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال هم سود وانصرا وكل قبيلة * يبين عن أحلامها من يسودها
وان أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعاجيب دخلت فيه مظالم . أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول مارأيت أحمقوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينهي الى أدب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور في أهل مصر قد غر عامة دهره صانعا يعمل بيده ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء الا انه مكنه من الامر صاغ فاحتوى حيث أحب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والانصار وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ويجرى عليه من الرزق الضعيف عما يجري على كثير من بني هاشم وغيره من سراة قریش ويخرج له من المعونة على نحو ذلك لم يضعه بهذا الموضع رعاية رحم ولا فقه في دين ولا بلاء في مجاهدة عدو ومعرفة ماضية متتابعة قديمة ولا غناء حديث ولا حاجة اليه في شئ من الاشياء ولا عدة يستعديها وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة الا انه خدم كاتباً أو حاجباً فاخبر ان الدين لا يقوم الا به حتى كتب كيف شاء ودخل حيث شاء .

وأما المظلمة التي دخلت في ذلك فعظيمة قد خضت فرشا وعتت كثير من الناس وادخلت على الاحساب والمرآت محنة شديدة وضياعا كثيرا فان في اذن الخليفة والمداخل عليه والجلس عنده وما يهري على صحابته من الرزق والمعونة وتفضيل بعضهم على بعض في ذلك حكما عظيما على ان الناس في أنسابهم وأخطارهم وبلاء أهل البلاء منهم وليس ذلك تكواص المعروف ولطيف المنازل والأعمال التي يختص بها المولى من أحب ولكنه باب من

القضاء جسيم عام يقضى فيه للراضين من أهل السوابق والماتر من أهل الباقيين وأهل البلاء والقضاء بالعدل أو بما يحال فيه عليهم فإن أحق المظالم بتججيل الرفع والتغيير ما كان ضرره عاتبا وكان للسلطان شأننا ثم لم يكن في رفعه مؤنة ولا شغب ولا نوع غير بصدور عامة ولا للقوة ولا اضرار سبب (٤) .

ولصحابة أمير المؤمنين أكرمه الله منزلة وفضل وهي مكرمة سنية حزية أن تكون شرفا لاهلها وحسبالا عقابهم حقيقة أن تصان وتحظر ولا يكون فيها الارجل بدر بمحسلة من الخصال ومن رجل له عند أمير المؤمنين خاصة بقرابة أو بلاء أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله أهلا للجلوس أمير المؤمنين وحديثه ومشورته أو صاحب نجدة يعرف بها ويستعدها يجمع مع نجدة حسبا وعفا فيرفع من الجندة الى الصحابة ورجل فقيه مصلح يوضع بين أظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه أو رجل شريف لا يقد نفسه أو غيرها فاما من يتوسل بالشفاعات فإنه يكتفى أو يكتفى له بالمرءف والبرف فيما لا يهجن رأيا ولا يزيل أمرا عن مرتبة ثم تكون تلك الصحابة المخلصة على منازلها ومدخلها لا يكون للكاكب فيها أمر في رفع رزق ولا وضعه ولا للمحاجب في تقديم اذن ولا تأخير .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر قتيان أهل بيته وبنى أبيه وبنى على وبنى العباس فإن فيهم رجالا لولمتوا بحسام الامور والاعمال سدوا وجوها وكانوا عدة لاخرى .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر الارض والخراج فإن أجسم ذلك وأعظمه خطرا وأشده مؤنة وأقربه من الضياع ما بين سهله وجبله ليس لها تفسير على الرساتيق والقرى فليس للعمال أمر يتهنون اليه ولا يحاسبون عليه ويحول بينهم وبين الحكم على أهل الارض بعد ما يتأقنون طاقى العمارة ويرجون لها فضل ما تعمل أيديهم . فسيرة العمال فيهم احدى ثنتين اما رجل أخذ بالخرق والعنف من حيث وجد وتقمع الرجال والرساتيق بالمعالة ممن وجد واما رجل صاحب مساحة يستخرج ممن زرع ويترك من لم يزرع فيعمر من عمره ويسلم من أخوب مع ان أصول الوظائف على الكور لم يكن لها ثبت ولا علم وليس من كورة الا وقد غيرت وظيفتها مرارا خفيت وظائف بعضها وبقيت وظائف بعض فلوان أمير المؤمنين أعمال رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والارضين وظائف معلومة وتدوين الدواوين بذلك واثبات الاصول حتى لا يؤخذ رجل الا بوظيفة قد عرفها وضمنها ولا يجتهد في عمارة الا كان له فضلها ونفعها الرجونا أن يكون في ذلك صلاح للارعية وعمارة

للأرض وحسم لأبواب الخيانة ونشم العمال . ومحمد رأى مؤنته شديدة ورجاله قليل
ونفعه متأخر . وأبى بعد هذا في أمر الخراج الأرى فقدر أينأ أمير المؤمنين أخذه ولم نره
من أحد قبله من تخير العمال وتفقدهم والاستعانة بهم والاستبدال بهم
ومما نذكر به أمير المؤمنين جزيرة العرب من الحجاز واليمن والنجاة وما سوى ذلك
أن يكون من رأى أمير المؤمنين إذا سخط نفسه عن أموالها من الصدقات وغيرها أن يختار
لولايتها الخیار من أهل بيته وغيرهم لأن ذلك من تمام السيرة العادلة والكلمة الحسنة التي
قدر رزق الله أمير المؤمنين وأكرم بهام من الرأى الذى هو باذن الله حى ونظام لهذه الأمور
كلها في الأمصار والاجناد والثغور والسكر . أن بالناس من الاستخراج والفساد ما قد علم
أمير المؤمنين وبهم من الحاجة إلى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو أشد من حاجتهم إلى أقواتهم
التي يعيشون بها . وأهل كل مصر وجند أو ثغر فقراء إلى أن يكون لهم من أهل الفقه
والسنة والسير والنصيحة مؤدبون مقومون يذكرون ويصرون الخطأ ويهظون عن
الجهل ويمنعون عن البدع ويحذرون الفتن ويتفقدون أمور عامة من هو بين أظهرهم
حتى لا يخفى عليهم منها هم . ثم يستصلحون ذلك ويعالجون على ما يستنكر وأمنه بالرأى
والرقى والنصح ويرفعون ما أعياهم إلى ما يرجون قونه عليهم . مأمونين على سير ذلك
وتحصينه بصراء بالرأى حين يبدو وأطباء بأسنة صالحة قبل أن يتمكن . وفي كل قوم خواص
رجال عندهم على هذا معونة إذا صنعوا ذلك وتلطف لهم وأعينوا على رأيتهم وقوادعهم
معاشهم . بعض ما يفرغهم لذلك ويسبغهم له . وخطر هذا جسم في أمرين أحدهما يرجوع
أهل الفساد إلى الإصلاح وأهل القرقة إلى الألفة والامراؤا أن لا يتحرك متحرك في أمر
من أمور العامة الاوعين ناصحة ترمقه ولا بهم من هامة الا واذن شفيقة تصيح نخوة .
وإذا كان ذلك لم يقدر أهل الفساد على تريبص الأمور وتلقيحها وإذا لم تلقح كان تتاجها
باذن الله آمونا .

وقد علمنا علما لا يخالطه شك أن عامة قط لم تصلح من قبل أنفسها ولم يأتها الإصلاح
الامن قبل خاصتها . وأن خاصة قط لم تصلح من قبل أنفسها وانما لم يأتها الإصلاح الا من قبل
امامها . وذلك لأن عدد الناس في ضعفهم وجهالهم الذين لا يستغنون برأى أنفسهم
ولا يحكمون العلم ولا يتقدمون في الأمور فإذا جعل الله فيهم خواص من أهل الدين والعقول
ينظرون إليهم ويسمعون منهم اهتمت خواصهم بأمور عوامهم وأقبلوا عليه بجد ونصح
ومناورة

ومشاركة وقوة جعل الله ذلك صلاحاً لجماعتهم وسبباً لاهل الصلاح من خواصهم وزيادة فيما أنعم الله به عليهم وبلاغاً الى الخير كله . وحاجة الخواص الى الامام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة الى خواصهم وأعظم من ذلك . فبالامام يجمع الله أمرهم ويكتب أهل الطعن عليهم ويجمع رأيهم ويحكمهم ويبين لهم عند العامة منزلتهم ويجعل لهم الحجة والأيدي والمقال على من تكب عن سبيل حقهم . فلما رأينا هذه الامور بانتظم بعضها ببعض وعرفنا من أمر أمير المؤمنين ما يمثل جماع الله خواص المسلمين على الرغبة في حسن المعاونة والموازنة والسمي في صلاح عامتهم طمعناهم في ذلك يأمر المؤمنين وطمعنا فيه لعامتهم ورجونا أن لا يعمل بهذا الأمر أحد الا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه . فان الامر اذا أعلن على نفسه جعل للقاتل مقالا وهياً للسامعي نجاحاً . ولا حول ولا قوة الا بالله وهو رب الخلق وولي الامر يقضي في أمورهم يدبر أمره بقدره عزيزة وعلم سابق ففسأله أن يعزم لامير المؤمنين على المرشد ويحصنه بالحفظ والثبت والسلام والله الحمد والشكر

تحميد الابن الملقع

الحمد لله ذي العظمة القاهرة والآلاء الظاهرة الذي لا يجزئه شيء ولا يمنع منه ولا يدفع قضاؤه ولا أمره وانما قوله اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه ودبر الامور بحكمه وأنفذ فيما اختار واصطفى منها عزه بقدرته منه عليها وملاكته منها لها لامعقب لحكمه ولا شريك له في شيء من الامور يخلق ما يشاء ويختار ما كان للناس الخيرة في شيء من أمورهم سبحانه الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الذي جعل صفو ما اختار من الامور دينه الذي ارتضى لنفسه ولما أراد كرامته من عباده فقام به ملائكة المقر بون يعظمون جلالة ويقدمون أسماءه ويذكرون آلاءه لا يستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقام به من اختار من أنبيائه وخلفائه وأوليائه في أرضه يطيعون أمره ويذبون عن محارمه ويصدقون بوعده ويوفون بعهده ويأخذون بحقه ويجاهدون عدوه وكان لهم عند ما وعدهم من تصديقهم قوهم وافلاجه محبتهم واعزاز دينهم واظهاره حقهم وتمكينهم لهم وكان له دونه وعدوهم عند ما وعدهم

من خزيه واخلاقه بأسهم وانتقامه منهم وغضبه عليهم مضى على ذلك أمره ونفذه قضاءه
فبما مضى وهو مضى ومنفذه على ذلك فيما بقى ليم نوره ولو كره الكافرون ليحق الحق
ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . والحمد لله الذى لا يقضى فى الامور ولا يدبرها غيره
ابتدأها بعلمه وأماها بقدرته وهو وليها ومنتهاها وولى الخيرة فيها والامضاء لما أحب
أن يعضى منها بما حق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون .
والحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ذى المن وال طول والقدرة والحول الذى لا يمك
لما فتح لاوليائه من رحته ولادافع لما أنزل باعدائه من نقمته ولاراد لامره فى ذلك وقضائه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . والحمد لله المتيب بحمده ومنه ابتداءه والمنعم بشكره وعليه
جزاؤه والمثنى بالايان وهو عطاؤه

كتب ابن المقفع الى صديق ولدته جارية :

بارك الله لكم فى الابنة المستفادة وجعلها لكم زينا وأجرى لكم بها خيرا فلا تكثرها
فانهن الامهات والاخوات والعلمات والخلالات ومنهن الباقيات الصالحات . ورب غلام
ساء أهله بعد مسرتهم ورب جارية فرحت أهلها بعد مساءتهم .

تعزية لابن المقفع عن ولد :

أعظم الله على المصيبة أجرك وأحسن على جليل الرزء ثوابك وجعل لك الخلف فيه
وذخر لك الثواب عليه .

وله :

انما يستوجب على الله وعده من صبرته بحقه فلا تجتمعن الى ما غت به من ولدك
الفجيرة بالاجر عليه والعوض منه . فانها أعظم المصيتين عليك وأنكى المرزيتين لك .
أخلف الله عليك بخير وذخر لك جزيل الثواب :

وتعزية عن بنت :

لا ينقص الله عددك ولا ينزع عنك نعمته التى ألبسك وأحسن العوض لك وجعل
اخلف لك خيرا عمار زأك به وما أعطاك خيرا مما قبض منك :

وله تعزية عن ابنة :

جدد الله لك من هبته ما يكون خلفا لك بما رزقته وعوضا من المصيبة به ورزقك من
الثواب

الثواب عليه أضعاف مائتيه . فما أقل كثير الدنيا في قليل الآخرة مع فناء هذه ودوام تلك .

وتعزية له أيضا :

أعظم الله أجرك في كل مصيبة وأوزعك الشكر على كل نعمة . اعرف الله حقه واعصم بما أمر به من الصبر تظفر بما وعد من عظيم الاجر .
وتعزية لابن المقفع :

أما بعد فإن أمر الآخرة والدنيا بيد الله هو يدبرهما ويقضى فيهما ما يشاء لا إراد لقضائه ولا معقب لحكمه . فإن الله خلق الخلق بقدرته ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ثلاثا طمع أحد من خلقه في خلد الدنيا ووقت لكل شئ ميقاتا أجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليس أحد من خلقه الا وهو مستيقن بالموت لا يرجو بان يخلصه من ذلك أحد . نسأل الله خير المنقلب . وبلغنى وفاة فلان فكانت وفاته من المصاب العظام التي يحسب ثوابها من ربنا الذي اليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله فإنه جعل لاهل الصبر صلوات منه ورحة وجعلهم من المهتدين .
ولابن المقفع في السلامة :

أما بعد فقد أتاني كتابك فيما أخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح ما قبلك وفي الذي ذكرت من ذلك نعمة بحملة عظيمة نحمد عليها وإياها المنعم المفضل الحمود ونسأله أن يلمننا وإياك من شكره وذكره ما به من يدها ونأديه حقها . وسألت أن أكتب اليك بخبرنا ونحن على حال لو أطنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة ولا اعتراف لكنه الحق فنرغب الى الذي تزداد نعمه علينا في كل يوم وليسلة نظاهرا ألا يجعل شكرنا متقوصا ولا مدخولا وأن يرزقنا مع كل نعمة كفاءها من المعرفة بغضله فيها والعمل في الاداء اليه حقها إنه ولي قدير .

وله كتاب للشقي في السلامة :

أما بعد فإن مما اتقى الله به مناقبك الكريمة المحمودة الغانية عن القول والوصف أنك موضع المؤنات عن اخوانك حال عنهم أنقال الامور مما وضعت عنه المؤنة ارتفاعك عن الامور التي يباطأ اليها الكلام على ألسنة الناس اذا باحوه وبهرجوه وضيعوا القول ونسوا القصد فيه وأخذوا به في كل فن وأصفوا بصفوته غير أهلها فيما لا ينبغي لهم من التشبيه

والتوقير والتفضيل . كان من خبري بعدك انى قدمت بلدك فذهبت الى بعض ماشخصته
والحمد لله على ذلك الله عز وجل وأناعلى أن يأتيني خبرك محتاج فاما جلة خبري في فراقك
فقلبي مكة كل ماسواك حرام فيها .

وله جواب في السلامة :

أما بعد فقد أتاني كتاب الامير رجعة كتابي اليه فكان فيه تصديق الظن وثبيت الرأي
ودرك البغية والله محمود فامتع الله بالامير وأمتعته بصالح ما آتاه وزاده من خيراته مستعمره
فيه مستعملا بطاعته التي بها يقو زالفائزون والذي رزق الله من الامير فهو عندي عظيم
نقيس وكل الذي قبلي عن مكافأته فقصر الاله ليس في التية تقصير ولا بلوغ شيء من الامور
الا بتوفيق الله عز وجل ومعوته والسلام .

وله في السلامة جواب أيضا :

أما بعد فلقد أتاني كتابك فجاأخبرتني عنه من صلاحك وصلاح ما قبلك وفي الذي
ذكرت نعمة مجللة عظيمة نحمد عليها الله ^(١) المنعم بها الحمد ونسأله أن يلهمنا وإياك من
شكره وذكرك ما به من يدها وتأدية حقها ^(٢) نحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال
لوا طنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة ولا اعتراف ^(٣) لكنه الحق فنرغب الى
الذي يزبد في نعمه علينا نظاهرا ألا يجعل شكرنا منقوصا ولا مدخولا وان برزقنا مع كل
نعمة كفاء ^(٤) من المعرفة بفضلها والعمل في أدائها .

وفي السلامة أيضا (ولم يقل إنها له) :

كتبت اليك وأمير المؤمنين وما ياتيه من لين الطاعة واتساق الكلمة عمت في الداني
والقاصي من بلدانه وحواشي ساطنانه على ما يحمد الله عليه فان نعمة الله على أمير المؤمنين
تجبري على أدائها وتنقاد في أسهل سبيلها .

(١) هذا الكتاب ورد في الاصل مرتين وفي المرة الثانية ورد (نحمد عليها وإياها
المنعم المفضل المحمود) الخ (٢) هنا في الصورة الثانية وسألت أن أكتب اليك بخبرنا
ونحن على حال الخ (٣) في النسخة الثانية ولكنه الحق فنرغب الى الذي تزداد نعمه
علينا كل يوم وإيالة نظاهرا (٤) في الصورة الثانية : كفاءها من المعرفة بفضلها فيها
والعمل في الاداء اليه حقها انه ولي قدبر .

قال المؤلف : ومن مختار ما كتب به من باب الشكر ولم أعرف ان كانت له أو غيره لانه
أورد كتب بضم أولها ومع هذا فهذه هي الرسالة :

أما بعد فأعجز تعدادي عما أعترف منك وأتعرّف بك دانياً ونائياً وما أدري
ما ابتدأني به من معروفك أرهن أشكري أم مائنت به من برك لبدتك بعنايتك على
نأيتك أم ما ألبستني جلاله على لسانك باطرائك وثنائك أم ما عقدته لي عند غيرك بتلطّفك
وتأنيك غيراني أعلم انك لم تقصر في استحقاق شكري وأرجو أن لا أكون مقصراً في
معرفة ذلك منك ومن لم يقصر علمه ولم يؤث في شكره الامن عظم المعروف عنده مع جهده
فقد دخل بالعلم والجهدي الشاكرين . غير ان الذي آستنى به من رفدك وتوطيدك
قد زادني وحشة اليك وان حفظ من حفظني فيك وان لم يكن متصراً وقد جد لي المعرفة
بوثاق مكاني عنده ولقد بلغت ان أصلحت لي الامور والرجال وأصلحتني الى صلاح
لنفسك فليس كتابي هذا باستبطاء لاجد حتى يستبطئه ولا أشكري حتى يكون البدء منك
ولكن رويحت عن نفسي بذكرك وزيتها بشكرك وزيتها بالاقرار بفضلك .
ولابن المقفع :

ان الناس لم يعدوا أن يطلبوا الخواص الى الاخوان وان بنوا صلوا
بالحقوق ويرغبوا الى أهل المقامات ويتوسلوا الى الاكفاء وانت بحمد الله ونعمته من أهل
الخير ومن أعان عليه وبذل لاهل ثقته المصافين وان بذل النفوس فيه واعطاء الغيب ليس
منك بغير ولا طريف بل هو تليد أئله أو لكم لا خرم وأورنه أ كبركم أصاغركم ومن حاجني
كفا وأنت أحق من طلبت اليه واستعنته على حوادث الدهر وأنزلت به أمري لقرب
نسبك وكريم حبيبك ونباهتكم وعلوم منزلتكم وجسيم طبائعكم وعوام أباديك الى
عشيرتك وغيرها فليكن من رأيك ما حجتك من حاجتي على قدر قسم الله لك من فضله
وما عودك من منته وسع غيري من نعمائك واحسانك .

ولابن المقفع أيضاً :

أما بعد فإن من قضى الخواص لاخوانه واستوجب بذلك الشكر عليهم فله فيه عمل
لاهم . والمعروف اذا وضع عند من لا يشكره فهو زرع لا بد من زراعته من حصاده أو لعقبه
من بعده . وكتبت اليك ولحالنا التي نحن بها فيما نذكرك حاجة أول ما فيها معروف
نستوجب به الشكر علينا ونذكر به الايادي قلمانا .

ولعبد الله بن المقفع الى يحيى بن زياد (الحرثي) ابتداء في المؤانسة :

أما بعد فإن أهل الفضل في اللب والوفاء في الود والكرم في الخلق لهم من الثناء الحسن في الناس لسان صدق يشيد بفضلهم ويخبر عن صحة ودهم وثقة مؤاخاتهم فيتخير اليهم رغبة الاخوان ويصطنق لهم سلامة صدورهم ويحتجى لهم غمرة قلوبهم فلا مثني أفضل تقرىظا ولا خيرا صدق أحدونه منه . وقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة محمودة نسبت الى مزيته في الفضل وجل بهائناؤك في الذكر وشهدك بهالسان الصدق فعرفت بمنافقها وسمت بمحاسنها فاسرع اليك الاخوان برغبتهم مسبقين يتسددون ودك ويصلون حبلك ابتداء أهل التنافس في حظ رغب نصبت لهم غاية يجرى اليها الطالبون ويفوز بها السابقون . فمن أثبت الله عندك بموضع الحرز والثقة وملا بك يده من أخى وفاء ووصلة واستنام منك الى شعب مأمون وعهد محفوظ وصار مغمورا بفضلك عليه في الود يتعاطى من مكافأتك ما لا يستطيع ويطلب من أترك في ذلك غاية بلوغها شديده . فلو كنت لا تؤاخي من الاخوان الا من كافأ بودك وبلغ من الغايات حدك ما آخيت أحدا ولصرت من الاخوان صفرا ولكن اخوانك يقررون لك بالفضل وتقبل أنت ميسورهم من الود ولا تجسمهم كلف مكافأتك ولا بلوغ فضلك فيما بينك وبينهم فاعلم ذلك في ذلك ومنهم كما قال الاول .

ومن ينافع سعيدا الخير في حسب * ينزع طليحا ويقتصر قيده الصعد

ولم أرد بهذا الثناء عليك تركية لك ليكون ذلك قرينة عندك وأخية لي لديك ولكن تحريت فيما وصفت من ذلك الحق والصدق وتنكبت الاسم والباطل فإن القليل من الصدق البريء من الكذب أفضل من كثير الصدق المشوب بالباطل . ولقد وصفت من مناقبك ومحاسن امورك واتى لاحاف الفتنة عليك حين تسمع بتركية نفسك وذكري ما ذكرت من فضلك لان المدح مفسدة للقلب مبعثة للعجب . ثم رجوت لك المنعة والعصمة لاني لم أذكر الاحقا والحق ينفي من اللبيب العجب وخيلاء الصكبر ويحمله على الاقتصاد والتواضع . وقد رأيت اذ كنت في الفضل والوفاء على ما وصفت منك ان أخذ بتعبي من ودك واصل وثيقة حبلى بحبك فيجري بيننا من الاخاء أو اصر الاسباب التي بها يستحكم الود ويدوم العهد وعلمت ان تركي ذلك غبن واضاعتى اياه جهل لان التارك لاحظ داخل في الغبن والعائد عن الرشد مرجف الى الفى فارغب من ودى فيما رغبت فيه من ودك

فاني لم أدع شيئاً أستلئ به منك الرغبة واجتر به منك المودة الا وقد اقتدت اليك ذريعته
واعلمت تحمك مطيته لتزى حرمى على مودتك ورغبتى فى مؤاخذتك والسلام

جواب من يحيى بن زيارى فى صفة الاخاء :

أما بعد فانما المرأى تاموضع الاخاء من يحتمله فى تأنيسه من الوحشة ونقر به لذى البعدة
ومشاركته بين ذوى الارحام فى القرية لم نرض بمعرفة عينه دون معرفة نسبته فنسبنا
الاخاء فوجدناه فى نسبته لا يستحق اسم الاخاء الا بالوفاء فلما انتقلنا عنه الى الوفاء فنسبناه
انتسب لنا الى الصبر فوجدناه محتوي على الكرم والنجدة والصدق والحياء والنجابة
والزكاة وسائر ما لا يأتى عليه العدد من المحامد ثم انحدرنا فيما أصدنا فيه من هذا النسب
فعدنا الى الاخاء فوجدناه لا يقوم به الا من هذه الخصال كلها اخلاقه . ولما استوجب الاخاء
مسالك المحمدة كلها رأينا ان تتخير له المواضع فى صواب التوزير واحكام التقدير وعلما
ان الاحتباس به أحسن من الندم بعد بدله واستوجب اذ كان ججاج المحامد ان تتخير له
محامله التى كان يحمل عليها فساكن الناس فيما احتسبنا به عنهم من الاخاء على صنفين
فصنف عذرنا بالتجسس للتخير اذ كان التخير من شأنهم وصنفهم ذوو سرعة الى الاخاء
وسرعة فى الانتهاء فقدموا الائمة واستجملوا بالمودة وتركوا باب التروية واستعملوا عاجل
المحبة وطواعن أجل الثقة فكانوا بذلك أهل لائمة ولم يجدوا المذرون الا الصبر على تلك
والاستعمال للرأى والاستعداد بالمعذر عند الحاجة . وقد فهمت كتابك الى بالمودة
واستحاثك اياى فى الاخوة وما دونت به من حرمة المحبة فنازعك اليك نفسى بمثل الذى
نازعك به الى نفسك فوائبنى عادة الاستعمال للتروية فى الخبرة والتخير للقبلة فجلت عن
كتابك جولة غير نافرة ثم راجعت مقاربتك فقلت التى الى أسباب المودة قبيل كشف
الغطاء بالخبرة خشيت ان تعذر نفسك بالتقدم وتحدث الزهادة للتعرف بالجهالة عند الخبرة
فجلت عن هذا جولة كالجولة الاولى ثم عاودت اسعافك وطاعة الشوق ومعية التخير ثم قلت
ما حال من جعل الظن دون اليقين وانتقدم قبل الوثيقة فلما كان الرأى لى خصما منكبت
الوقوع فى خلافه فلم أجدا الا الادبار عن اقبالك سيلا ولا مع ذلك فى طاعة الشوق حجة
فتفتيت السبيل بين ذلك الى اعطائك طرف حبل الاخاء فى غير الخروج من سبيل التخير
وكرهت أن تستعبدنى بالاخاء قبل ان أعرفك بحسن الملكة وان تستظهر بى على الاعداء

قبل أن أعرفك بعدل السيرة وإن تستضيءني في ظلم الجهل قبل أن أعرفك بعقد اللب وإن
تستمكن بي في المطالب قبل أن أعرفك بقصد الهمة فقدمت إليك الترحيب والعدة
وأحسنيت عنك المفاوضة والثقة وتنظرت أن تتمرلى فاذوق جناك فأعرفك بالندافة في
الطمع إمالافظا وإمامستبلاغان كان اللفظ لمأكن من الرأي في قلبه وإن كان الاستبلاغ
ذوقتك ما نشوقت إليه عماد عيت مني به الخبرة وأول ما أنا معتبر به منك المواظبة على
استنجاح ما سألت أو السأمة له فإن كانت المواظبة فأحد الشهود المعدلين وإن كانت
السأمة فانت عن حل ما تعطى أضعف منك عن جيل ما تطلب طالعني بكتبتك فانك قد
حلت قبلي عقدا من التحفظ وعقدت عقدا من التقرب والسلام.



رسالة عبد الحميد الكاتب

في نصيحة ولي العهد

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه المنشور والمنظوم ومن الرسائل المفردات رسالة عبد الحميد بن يحيى إلى عبد الله بن مروان حين وجه لمحاربة الضحاك الخارجي (١) في تعبئة الحر وبفائه يقال أنها لائل لها في معناها :

أما بعد فإن أمير المؤمنين عندما اعترم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجاني الاعرابي المتكبر في حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوى الملكة ورعاة الذين عاثوا في الأرض فسادا وانتكحوا حرمه استخفافاً وبدلوا نعم الله كفرا واستحلوا دماء أهل سلمه جهلاً أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك وعوام شؤونك ودقائق أحوالك ومضطر تنقلك عهداً يحملك فيه أدبه ويشرع لك عظته وإن كنت والحد لله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد محضاً لك بذلك دون لحمتك وبنى أيبك

ولولا ما أمر الله به دالاً عليه بتقدمة المرفق لمن كانوا أولى سابقة في (الدين) وخصيصي (٢) في العلم لاعتمد أمير المؤمنين منك على اصطناع الله إياك بما يراك أهله في

(١) هو الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي كان له شأن في أواخر الدولة الأموية في الكوفة وواسط خرج سنة سبع وعشرين ومائة واستولى على الموصل وكورها قال ابن الأثير في حوادث سنة ثمان وعشرين ومائة وبلغ مروان خبره وهو محاصر حصن مشغل بقتال أهلها فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفة بالجزيرة يأمره أن يسير إلى نصيبين فيمن معه ليمنع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار إليها في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف وسار الضحاك إلى نصيبين فحصر عبد الله فهما كان مع الضحاك ما يزيد على مائة ألف ثم إن مروان سار إلى الضحاك فالتقوا بنواحي كفرنوتاً من أعمال ماردين فقاتلوه يومه أجمع فأحدثت بالضحاك وأصحابه خيول مروان وألحوا عليهم في القتال حتى قتلوهم . قلنا وكثرة ظهور الخوارج على الأمويين في آنزأ أمرهم دعت مروان إلى أن يكتب إلى ابنه بهذه الرسالة من إنشاء كاتبه عبد الحميد والدهشة بادية على سطورها من أمر الضحاك وجنده (٢) يقال خصه بالشئ خاصاً وخصوصاً وخصوصية وخصيصي (بافتح والنصر ويعد) وخصية ونحصة فغلب

محلك من أمير المؤمنين وسبقك الى رغائب أخلاقه واتزاعك محمود شيمه واستيلائك على
نقابته تدبيره

ولو كان المؤدبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ولقنوه الهامان تلقائهم ولم يتعلموا
شيأ من عند غيرهم لنحللناهم علم الغيب ووضعناهم بنزلة خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم
بوحدايته وفردانيته في الاهيته واحتجاجا (١) منهم لتعقب في حكمه وثبت في سلطانه
وتنفيد ارادته على سابق مشيئته ولكن العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل المحبوب بمزية
العلم أدركه معاد اعليه بلطف بحمه واذلال كشفه وحممة فهمه وهجر سآئته .

وقد تقدم أمير المؤمنين اليك أخذا بالحنة عليك مؤذيا حق الله الواجب عليه في
ارشادك وقضاء حقك وما ينظر الوالد المعنى الشقيق لولده . وأمير المؤمنين يرجو ان ينزهك
الله عن كل شئ فيصح بهش له طمع وان يعصمك من كل مكر وه حاق باحد وان يحصنك من
كل آفة استولت على امرئ في دين أو خلق وان يبلغه فيك أحسن مالم يزل يعود به ويريه
من آثار نعمة سامية بك الى ذروة الشرف ومنحة لك ببسطة الكرم لأتحة بك في أزهر
معالي الادب . والله استخلف عليك وأسأله حياتك وان يعصمك من زيغ الهوى
ويحضرك دواعي التوفيق معانا على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا هو
اعلم ان للحكمة مسائل تقضى مضائق أو تلها بمن أمها سالكا وركب خبارها قاصدا
الى سعة عاقبتها وأمن سرحتها وشرف عزها وانما الانعاف بسخف الخفة ولا تنسى بتفريط
الغفلة ولا يتعدى فيها بمن حد (٢) . وقد تلتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير
تعيب البعث في ادراكها ولا متطول المنال لثروتها بل تأملت (١) منها أكرم معانيها
واستخلصت منها أعتق جواهرها ثم شمرت الى لباب مصاصها وأحرزت منفى (٢)
ذخائر هافقتها مما حرزت ونافس فيها أصبت .

واعلم ان احتواءك على ذلك وسبقك اليه باخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثرا
له واصطبارك على طاعته واعظام ما نعم به عليك شاكرها امر بتطال المز يد بحسن الحياطة
له والذب عنه ان تدخلك منه سائمة ملال أو غفلة أو ضياع أو سنة تهاون أو جهالة معرفة

ولا نظير لها الا المكشي (١) اكتسبت وجعت (٢) شئ نفيس ومنفوس ومنفوس
كمخرج اذا كان يشافس فيه

فان ذلك أحق ما يدى به ونظرفيه معتمد عليه من القوة والآلة والافراده من الاصحاب والحامة (١) فتمسك به لاجل اليه واعتمد عليه مؤثره والتجى الى كنهه متحرزاً به انه أبلغ ما يطلب به رضا الله وأنجح مسأله وأجزله ثواباً وأعوده سعياً وأعمه صلاحاً وأرشدك الله لحظك وفهمك سداده وأخذ بقلبك الى محموده .

ثم اجعل الله في كل صباح ينعم عليك ببلوغه و يظهر منك السلامة في اشراقه من نفسك نصيباً يجعله الله شكر اعلی ابلاغه اياك يومك ذلك بصحة وعافية بدن وسبوغ نعم وظهور كرامة وان تقرأ من كتاب الله عز وجل جزاً ترد رأيك في أدبه وتزين لفظك بقرائه ويحضره عقلك ناظراً في محكمه وتفهمه متفكراً في متشابهه فان فيه شفاء القلوب من أمراضها وجلاء وساوس الشيطان وسفاسفه وضياء معالم النور تبياناً لكل شئ وهدى ورجة لقوم يؤمنون . ثم تعهد نفسك بمجاهدة هالك فانه مغلاق الحسنات ومفتاح السيآت واعلم ان كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خضع ابليس وجبائل مكره ومصادم مكيدة فأحذرهما بحاجبا وتوقها محترساً منها واستعذ بالله من شرهما وجاهد هماً اذا تناصرت (٢) عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لامتوية (٣) لرأيك بعد اصداره عليك وصدق غالب لا مطعم في تكذيبه ومضاء صارمة لا امانة معها ونيسة صحيحة لا خلة (٤) شك فيها فان ذلك ظهري (٥) صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تنطلق اليه منك وهي واقية لك من سخطه برك داعية لك رضا العامة سائرة عليك عيب من دونك فازدن به ملتحقاً واصب باخلاقك مواضعها الحيدة منها وتوق عليها التي تقطعك عن بلوغها وتقصرك عن سامها فحاول بلوغ غايتها محرزاً لها سبق الطلب الى اصابة الموضع محصناً لعمالك من العجب فانه رأس الهوى وأول الغواية ومقاد الهلكة حارساً لآخلاقك من الآفات المتصلة بمساوى العادات وذميمة اثارها من حيث أنت الغفلة وانتشر الضياع ودخل الوهن فتوق الآفات على عقلك فان شواهد الحق مستظهر بآماراتها تصديق رأيك عند ذوى النهى وحال الرأى وقص النظر . فاجتلب لنفسك محموداً ذكره وباقى لسان الصدق بالخطر لما تقدم اليك فيه أمير المؤمنين متحرزاً من دخول الآفات عليك من حيث أمنك وقلة ثقك بمحكمها .

(١) الاقارب (٢) تناصرت الاخبار صدق بعضها بعضاً (٣) استثناء (٤) اضطراب

(٥) الظهري ما يجعله المرء عدة له عند من الحاجة اليه

ومنها ان تلك أمورك بالقصد وتصون شرك بالسكتمان وتدارى جسدك بالانصاف وتذلل نفسك للعدل وتحصن عيوبك بتقويم أودك . وأناذك فوقها الملل وفوت العمل ومصابك قدرعها (١) رؤية النظر واكتشفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة وصمتك فانف عنه عي اللفظ وخف فيه سوء القالة (٢) واستماعك فأرعه (٣) حسن التفهم وقوه باسناد الفكر وعطاءك فانهدله (٤) بيوتات الشرف وذوى الحسب وتحرز قيمه من السرف . وحياهك فامنع من الخجل وحلمك فزرعه عن التهاون وأحضره قوة الشكيمة (٥) وعقوبتك ففصر بها عن الإفراط وتعمد بها أهل الاستحقاق : وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق وخذبه واجب المفترض واقم به أود الدين . واستئناسك فامنع منه البذاءة وسوء المشافهة وتعمدك أمورك نخذه أوقانا وقد مره ساعات لا يستفرغ قوتك ويستدعى سأمك . وعزمتك فانف عنها محلة الرأى والحاجة الاقدام . وفرحاتك فاشكعها عن البطر وقيدوها عن الزهو . وروعاتك فخطها من دهش الرأى واستسلام الخضوع : وحذار تلك (فاصر فها) عن الجبن واعمد بها للحزم : ورجاءك فقيده بخوف الفاتت وامنع من أمن الطلب

هذه جوامع دلائل النقص منها واصل الى العقل بطائفة الله وتصاريه فاحولها فأحكمها عارفا وتقدم في الحفظ لها معتزما على الاخذ بمراشدها والانهاء عنها الى حيث بلغت بك عظة أمير المؤمنين وأدبه ان شاء الله

ثم ليكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في شرك أهل الفقه والورع من أهل بيتك وعامة قوادك ممن قد حذكت له السن بتصاريه الامور وخبطته فصاها بين قرائن البزل (٥) ولقبته الامور في فنونها وركب أطوارها عارفا بمحاسن الامور ومواضع الرأى مأمون النصيحة مطوى الضمير على الطاعة

ثم أحضرهم من نفسك وقاراستدعى منهم بك الهيبه واستئناسا يعطف اليك منهم

(١) يطلق القول في الخير والقال والقبل والقالة في الشر (٢) يقال ارعني سمعك وراعني سمعك استمع لقالى (٣) نهى الهدية عظمها واضخمها (٤) الشكيمة قوة القلب (٥) البازل في الأصل البعير اذا ظهر نابيه ومن المجاز البازل للرجل الكامل في تجربته تشبها بالبعير البازل والجمع بزل كركم وكتب

بالمودة وانصافا يغفل أقاصيهم منك عما سكره أن ينشر عنك من سخافة الرأي ويقطعك دون الفكر.

وتعلم ان خلوت بسر فالقيت دونه ستورك وأغلقت عليه أبوابك فذلك لا محالة مكشوف للعامة فظاهر عنك وان استتريت بما ولعل وما أرى اذا عذرت ذلك . فاعلم بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن فتقدم في احكام ذلك من نفسك وسد دخله عنك فانه ليس أحد أسرع اليه سوء القالة والخط العامة بخير أو شر من كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحت به من دين الله والامل المرجو المنتظر . وإياك ان يغمر ^(١) فيك أحد من عامتك و بطانة خدمك بضعة يجدها ماسغا الى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ولا تخلو من لائمه ولا تأمن سوء القالة فيه ان نجم ظاهرا وعلن باديا ولن يجترؤا على تلك عندك الا أن يروا منك اصغاء اليها وقبولها وترخيصها

ثم إياك ان يقاض عندك بشئ من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخف بها أهل البطالة ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ويجدها أهل الحسنة لا لعب يرفعونه وأطعن في حق يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتآليل الغفلة وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم ككون النار في الحجر الصلد فاذا قدح لاح شرره وطب في وميضه ووقد تضمره . وإيست في أحد أقوى سطوة وواظهر توقدرا على كونا وأسرع اليه بالعب منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال وذوى العنقوان في الحدانة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقا عليهم لائحها ظاهرا عليهم وسمها ولم تمحضهم شهامتها مظهره للعامة فضلهم مذبة حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصمت في الحركة مستمعات ^(٢) يدفعون به عن أنفسهم نواطق أسن أهل البغي وموادأ بصار أهل الحسد .

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدرة من أقطار ^(٣) الذرع ونخوة التيه فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتهجين عقولهم في مواطن جنة منها قلة اقتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومساريرهم العامة . فمن مقلقل شخصه يكثر الالتفات تزدهيه الخفة ويبطره اجلاب ^(٤) الرجال حوله . ومن مقبل في موكبه على

(١) اغمر في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر شأنه (٢) الجلب اختلاط الاصوات كالجلبة واجلبوا وجلبوا فاعلان من الجلب بمعنى الصياح وجعاعة الناس

مداعبة سايره بالمصاحبة له والتضاحك اليه والابحاف في السبرهمرجا (١) وتحريك الجوارح مستسرعا يخال له ان ذلك أسرع له وأخف لطيفه فلتحسن في ذلك هينتك ولتجمل فيه رعيتك وليقل على مسائلك اقبالك الا وانت مطرق النظر غير ملتفت الى محدث ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحدثه ولا تحف في السيرة لقل جوارحك بالتحريك . فان حسن مسايرة الوالى وابتهاده في تلك من حاله دليل على كثير من غيوب أمره ومستتر أحواله .

واعلم ان أقواما يسرعون اليك بالسعاية و يأتونك من قبل النصيحة ويستميلونك باظهار الشفقة ويستدعونك بالاغراء والشبهة وبوطنك عشوة (٢) الحيرة ليجمعوا لك لهم ذريعة الى استفكاك (٣) العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة أو أسرعوا بك في أمره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع في دينك ويحملك على رعيتك مالا حقيقة فيه ويحملك على أعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما أقدم به عليهم ساعيا وأظهر لك منهم تنصحا :

وليكن صاحب شرطك ومن أحببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنسوب لاولئك والمستمع لاقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينه ذلك اليك على ما يرتفع اليه منه لتأمره بأمرك فيه وتقفه (٤) على رأيك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صوابا نالتك حظوته وان كان خطأ أقدم به جاهل أو فرطه يسعى بها كاذب فنالت الباغي منها أو المظلوم عقوبة وبد من واليك اليه نكال لم يعصب (٥) ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفریطه وخلوته من موضع التمس فيه

فافهم ذلك وتقدم الى من تولى فلا يقدم على شئ ناظر افيه ولا يحاول أخذ أحد طارقاله

(١) الطمجة الخفة والسرعة ولفظ الناس والاختلاط في المشي والطمجة سير الدابة في سرعة وبخثرة (٢) العشوة الظلمة كالعشواء وركب فلان العشواء اذا خبط في أمره (٣) من قولهم استأكل الضعفاء اذا أخذ أموالهم (٤) وقفا يتعدى بنفسه قال تعالى وقفوههم انهم مسؤولون اما وقفته توقيفا وأوقفته ايافا فقد أنكره الجمهور وقالوا انهما غير مسؤولين أو غير فصيحين (٥) يعصب يقرن

ولا يعاقب أحدًا من كلابه ولا يخل سبيل أحدًا صاغعنه لاظهار براءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك أمره وينهى اليك قضيته على جهة الصدق ومنع الحق .

فان رأيت عليه سبيلًا لمحبس أو مجاز العقوبة أمرته فتولى ذلك من غير ادخاله عليك ولا مشافهة منك له فكان المتولى لذلك ولم يجر على يدك مكروه ولا غافط عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيلًا وكان معاقرب به خليًا كنت انت المتولى للانعام عليه بتخلية سبيله والصفا عنه باطلاق أمره فتوليت أجز ذلك وذخره ونطق لسانه بشكرك فقرنت خصلتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة .

ثم اياك وان يصل اليك أحد من جنودك وجلسائك وخاصتك وبطائك بمسألة يكشفها لك أو حاجة يبدئك ^(١) بطلبها حتى يرفعها قبيل الى كاتبك الذي أهدفته لذلك وانصته له فيعرضها عليك منها بطا على جهة صدقها ويكون على معرفة من قدرها فان أردت اسعافه ونجاح مامثل منها أذنت له في طلبها باسطاله كنفك مقبلا عليه بوجهك مع ظهور سرور منك بمسألك بفسحة رأي وبسطة ذرع وطيب نفس . وان كرهت قضاء حاجته وأحييت رده عن طلبته ^(٢) ونقل عليك اسعافه بها أمرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجعتك بها خفت عليك في ذلك المؤونة وحسن لك الذكر وحمل على كاتبك لائمة أنت منها برى الساحة .

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرسل فلا يصلن اليك أحد منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهته ما هو مكلمك وقدر ما هو سائلك اياه اذا هو وصل اليك فاصدرت رأيك في جوابه وأجلت فكرك في أمره وأنفذت مصدر رويتك في مرجوع مسأله قبل ما دخوله عليك وعلمه بوصول حاله اليك فرفعت عنه مؤنة البديهة وأرخت عن نفسك خناق الروية فاقدمه على رد جوابه بعد النظر والفكرة فان دخل عليك أحد منهم فكلامك بخلاف ما انتهى الى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفعته عنك دفعا جليلا ومنعته جوابك منعا ودفعاً أمرت حاجبك باظهار الجفوة والغلاظة ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك ذلك مما يحكم لك تلك الاشياء صارفا عنك مؤنتها ان شاء الله .

احذر اضياع رأيك واهمال أدبك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما اياك فلا

(١) بدهه بالامر استقبله به مفاجأة (٢) الطلبة بكسر اللام ما طلبته

يزدهنك اقراراً بحب استغفرك روائعه ويستويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ
وزنق خفقتك كروه وان حل بك أوحادث وان طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري
ملجأً تنحزز به من آفات الردى وتستعبد (١) في مهم نازل وتتعقب به أمورك في التدبير
فان احتجت الى مادة من عقلك وروية من فكرك أو انبساط من منطقك كان انخيازك
الى ظهرك مزداً دائماً بحيث لا يتيار منه وان استدبرت من أمورك بوادر لمهل أو مضى
زلل أو معاندة حق أو خطأ تدبر كان ما احتججت من رأيك عذراً لك عند نفسك وظهرى
قوة على رد ما كرهت وتخفية المؤنة الباغين عليك فى القالة وانتشار الذكر وحصن من
غلوب الآفات على أخلاقك ان شاء الله .

وامنع أهل بطانتك وخاص خدمك وعامة رعيتك من استلحام (٢) اعراض الناس
عندك بالغبية والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض والتميمة اليك بشئ من
أحوالهم المستمرة عنك أو التعميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب السفقة . فانه
أبلغ سمواً الى منال الشرف وأعون لك على محمود الذكر وأطلق لعنان الفضل فى جزالة
الرأى وشرف الهممة وقوة التدبير .

واملك نفسك عن الانبساط فى الضحك والانفهاق (٣) وعن القطوب باظهار
الغضب وتنجليه فان ذلك ضعف من سورة الجهل وخروج من اتحال اسم الفضل .

وليكن ضحكك تبساً أو كبراً (٤) فى احايين ذلك وأوقاته وعند كل مرأى ملهى
ومستخف مطرب وقطوبك اطرافاً فى موضع ذلك وأحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع
الى الطيرة دون أن يذنبها روية الخلو وتلك عليها بادرة الجهل .

اذا كنت فى مجلس ملئك وحضور العامة مجلسك فاياك والزمى ببصرك الى خاص
من قوادك أو ذى أثرة من حشمك . وليكن نظرك مقسوماً فى الجميع واعارتك سمعك
ذا الحديث بدعة هادئة ووقار حسن وحضور فهم مستجمع وقلة تضجر بالحدث ثم لا يرح
وجهك الى بعض قوادك وحرسك متوجهاً بنظر ركين وتقصد محض فان وجه أحد منهم
نظره محدثاً أو رماك ببصره ملجأً خافض عنه اطرافاً جليلاً ببداع وسكون . واياك

(١) استعبد فلان من نفسه ضمنه حوادث نفسه (٢) استلحم الطريق اذا تبعه ولزمه
واستلحمه الخطب اذا شب فيه (٣) الانفهاق فى الشئ التوسع فيه

والتسرع

والتسرع في الاطراق والخفة في تصريف النظر والاحراج على من قصد اليك في مخاطبته
اياك راقبا بنظره

واعلم ان تصفحك وجوه قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب فتفقده ذلك عار فاعن
حضرك وغاب عنك العالم باوضاعهم من مجلسك ثم اعد بهم عن ذلك سائلا عن اشغالهم التي
منعتهم من حضورك وعاقبتهم بالتخلف عنك ان شاء الله

ان كان أحد من أعوانك وحشمك تشق منه بغيب ضميره وتعرف منه لين طاعة
وتشرف منه على محقرة أو تأمنه على مشورتك فإياك والاقبال عليه في حادث يرد أو التوجه
نحوه بنظرك عند طوارق ذلك أو أن تزيه أو أحدا من أهل مجلسك ان بك اليه حاجة موحشة
وان ليس بك عنه غنى في التدبير أو انك لا تقضى دونه رأيا شرا كاله في رويتك وادخاله
في مشورتك واضطارا الى رأيه فان ذلك من دخائل العيوب المنتشرة بها سوء القالة عن
نظرائك وانفها عن نفسك خائفا لا غفاه لاذ كرك واجبها عن رؤيتك قاطعا لطماع
أولئك عن مثلها عندك أو غلبتهم عليك منك

واعلم ان لمشورة موضع الخلا وانفراد النظر فابغها محرزا لها ورعها بالبيانها واياك
والقصور عن غايتها والافراط في طلبها

احذر الاعتزام بكثرة السؤال عن حديث ما أعجبك أو امر ما ازدهاك والقطع لحديث
من أراذك بحديث حتى تنقص عليه بالاخذ في غيره أو المسئلة عما ليس منه فان ذلك عند
العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الادب عن تناول محاسن الامور والمعرفة لمساوئها
وانصت لحديثك وأرجعه سمعك حتى يعلم انك قد فهمت عنه وأحطت معرفة بقوله فان أردت
اجابته فمن معرفة حاله وبعد علم بطلبته والا كنت عند انقضاء كلامه كالمثعلل من حديثه
بالتبسم والاغضاء فاجري عنك الجواب وقطع عنك ألسن العتب

اياك وان يظهر منك تبرم بمجلسك وتضجر بمن حضرك وعليك بالتثبت عند سورة
الغضب وحية الانف وملال الصبر في الامر تستهمل به والعمل تأمر بانفاذه فان ذلك سخط
سائر وخفة مرديّة وجهالة بادية ، وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس وسكون الريح والرفض
لحشوا الكلام وترديد فضوله والاعتزام بالزاد في منطقك والترديد للفظك من نحو اسمع
أو اعجل أو ألا ترى أو ما يلهمج به من هذه الفصول المقصورة باهل العقل المنسوبة اليهم بالي
المردية لهم في الذكرو ، وخصال من معايب الملوك والسوقة عيها (؟) عند النظر الامن

عرفها من أهل الأدب وقما حامل لها مطلق بثقلها أخذت نفسه بجوامعها فانفها عن نفسه
بالتحفظ منها واملكت عنها اعتقادك معناها (١) كثرة التسخيم والتبزيق والتشتمع
والتناوب والجشاع والتعطى وتنقيض الاصابع وتحريكها والعبث باللحمة والشارب والمحصرة
وذؤابة السيف والايماض بالنظر والاشارة بالطرف الى أحد من خدمك بأمران أردته
والسراري في مجلسك والاستجمال في طعمك ونشر بك

ليكن مطعمك مبتدعا (١) وشربك أنفا ساو جوعك مصا واياك والتسرع في الأيمان
فيما صغر أو كبر من الامور أو الشتيمة بان الطيبة أو العمرية (٢) لاحد من خدمك وخاصة
بذوهم يغهم مقارفة الفسوق بمحضرك أو في دارك أو بنايك فان ذلك مما يقيح ذكرك
ويسوء موقع القول فيه ويحمل عليك معايبه وينالك شينه وينشر عنك سوء نيته
فاعرف ذلك متوقيا له واحذره بحاجبا لسوء عاقبته

استكثر من فوائد الخير فانها تنشر المحمدة وتقل العثرة واصطبر على الغيظ فانه
يورث العز ويؤمن الساحة وتعد العامة بمعرفة دخلهم ونظر أحوالهم واستدارة دقاتهم
حتى يكون على مرأى العين ويقين الخبرة فتتمش عديهم وتجبر كسبرهم وتقيم أودهم
وتعلم جاهلهم وتستصلح فاسدهم فان ذلك من فعلك يورثك العزة ويقدمك في الفضل
ويبقى لك لسان صدق في العامة ويحرز لك نواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة
وقلوبهم المستجنة عنك (وميز) بين منازل أهل الفضل في الدين والحجى والرأى والعقل
والتسدير والصيت في العامة وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله والجلود
عنه تناها (٣) باهل الحسب والنظر نصيحة لهم تنال مودة الجميع وتجمع لك أقاويل
العامة على التفضيل وتبلغ درج الشرف في الاحوال المتصرف بك فاعتمد عليهم مستدخلا
لهم وآثرهم بمجالسك مستمعان منهم واياك وتضييعهم مقرطاهم واهمالهم مضيا

هذه جوامع من خصال قد تلحقها لك أمير المؤمنين وجمع شواهد ما مؤلفا وأهداها لك
مرشد انقذ عند أوامرها وتنهى عند زواجها وثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها
تسلم من معاطب الردى وتتل أنفص الحظوظ ومنزلة الشرف وأعلى درج الذكرو والله يسأل
لك أمير المؤمنين حسن الارشاد وتابع المزيد وبلوغ الامل وأن يجعل عاقبة ذلك بك
الى غبطة يسوغك اياها وعافية يحلك أكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير

(١) أبدع الشيء أنشأه واخترعه والمراد بالطعام المبتدع الحديث

والمعين على الارشاد وبه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفاتيح الخير ويده الملك وهو على كل شيء قدير

فاذا أفضيت نحو وعدوك واعتزمت على لقائهم وأخذت أهبة قتالهم فاجعل دعاءك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركتك الذي ترتجى به مزال الظفر وتكتف (١) به لغاتى الحذر تقوى الله عز وجل مستشعرا له بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعامره والاجتناب لما خطه محتذيا سنته والتوقى لما صبه في تعطيل حدوده وتعدى شرائعه متوكلا عليه فيما صمدت (٢) له واقفا بصره فيما وجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عز راغبا فيما أهاب (٣) بك أمير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر عند الله عز وجل من قتال عدو الله للمسلمين أكملهم عليهم وأظهرهم عداوة لهم وأفدحهم ثقلالعامتهم وأخذة بر بقهم (٤) وأعلاء عليهم بغيا وأظهروه فيهم فسقا وجورا وأشداه على فيهم الذي أصاره الله لهم مؤنة

ثم خذ من معك من تبعك وجندك بكف معرتهم ورد مستعلي جورهم واحكام خلاهم وضم منشرقوا صيهم ولم شئت أطرافهم وخذهم بمن سروا به من أهل ذمتك وملتك بحسن السيرة (وعفة) الطعمة ودعة الوقار وهدى الدعة وجام (٥) (النفوس) محكما ذلك منهم متفقداهم فيه تفقدك اياه من نفسك

ثم اصمد بعدوك المتسمى بالاسلام خارجا من جماعة أهله المتحل ولاية الدين مستحلا لدماء أوليائه طاعنا عليهم راغبا عن سنتهم مفارقا لشرائعهم ببغيتهم الغوائل وينصب لهم المكاييد أضرم حقداء عليهم وأرصد عداوة لهم من الترك وأمم الشرك وطواغي المال يدعو الى المعصية والفرقة والمروق من الدين الى الفتنة مخترعاهم هواه الى الاديان المتحلة والبدع المتفرقة خسارا وتخيرا وضلالا واضلالا بغير هدى من الله ولا بيان ساهما كبست يدها وماله بظلام للعبيد وبشما سولت له نفسه الامارة بالسوء والله من ورأته بالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا أى متقلب ينقلبون .

حض جندك واشك نفسك في مجاهدة أعداء الله وارح نصره وتجزع موعده متقدما

(١) ا كنهف وتكهف لازم الكهف والكهف المغارة والوزر والمجأ (٢) صمد للامر قصده معتمدا عليه (٣) أهاب بصاحبه دعاه (٤) الرقة جبل بوضع في العنق وجعه ربي (٥) الجام كسحاب الراحة

في طلب ثوابه على جهادهم معتزماً في ابتغاء الوسيلة اليه على لقاءهم فان طاعتك اياه فيهم
ومراقبتك له ورجاءك لنصره مسهل لك وعوده . وعاصمك من كل سيئة ومنجيتك
من كل هوة وناعشك من كل صرعة ومقيلك من كل كبوة وداري عنك كل شبهة
ومذهب عنك لطمخة كل شك ومقويك بكل أيدي^(١) ومكيدة ومؤيدك في كل مجمع لقاء
وحافظك من كل شبهة مردية والتعويلك وولي أمير المؤمنين فيك

اعلم ان الظفر ظفران أحدهما أهم منفعة وأبلغ في حسن الذكراة وأحوط سلامة
وأتم عافية وأعوده عاقبة وأحسن في الامور موردا وأصح في الرواية خزماً وأسهل عند
العامّة مصدر امانيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة ويعين النقيبة^(٢) بغير
اخطار^(٣) الخيوش في وقعة جرة الحرب ومنازلة افرسان في معترك الموت وان ساعدك
(الحظ) ونالك منزلة السعادة في الشرف في مخاطرة التلف ومكروه المصائب وعضاض
السيوف وألم الجراح وقصاص الحروب وسجالات معاورة^(٤) ابطالها على انك لا تدري
لاي الفريقين الظفر في البديهة من المغلوب في الدولة ولعلك أن تكون المطلوب بالتحريض
خاويل بأغها في سلامة جندك ورعيته وأشهرهما . . . في بادئ رأيك وأجمعهما
لألفة وليك وعدوك وأعونهما على صلاح رعيته وأهل مملكته وأقوامها في حربك
وأبعدهما من وصم عزمك وأجزلهما نوابا عندك . وأبدأ بالأعذار والدعاء لهم الى مراجعة
الطاعة وأمر الجماعة وعري الألفة آخذاً بالحق عليهم متقدماً بالانذار لهم باسقاط أمانك لمن
لجأ اليه منهم داعياً لهم اليه بالإن اطفك وألطف حيلتك متعطفاً عليهم برأفتك مترقياً بهم
في دعائك مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم واحاطة اهلكتهم منفذاً رسالتك اليهم بعد
الانذار تعددهم كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق وبسط كل أمان سألوه لانفسهم
ومن معهم من تبعهم موطناً انفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدهك والصبر على
ما أعطيتهم من وثائق عهدك قابلاً لثوبة نازعهم^(٥) عن الضلالة ومراجعة مسيئتهم الى
الطاعة مرصداً للتحاز الى فئة المسامين وجماعتهم اجابة الى مادعوتهم اليه وبصرته من حقت
وطاعتك بفضل المنزلة واكرام الثوى وتشريف الحال ليظهر من أثرك عليه واحسانك

(١) الابد القوة (٢) النقيبة النفس يقال انه يميون النقيبة بمنجح الفاعل مظفر
المنالاب (٣) اخطر جعله في خطر (٤) يقال تعاور القوم فلانا اذا تعاونا عليه بالضرب
واحد بعد واحد (٥) المنتهى عن الضلالة

اليمامير غيب في مثله الصارف عنك المصير على خلافك ومعصيتك و يدعوا الى الاعتلاق بحبل النجاة وما هو أملك به في الاعتصام به عاجلاً وأنجي لهم من العقاب أجلاً وأحوط على دينه ومهجته بدأ وعاقبة فان ذلك مما يستدعي نصر الله عز وجل به عليهم وتعتصم به في تقدمه الحجة اليهم معذراً ومنذراً ان شاء الله .

ثم اذك عيونك ^(١) على عدوك متطعاً لعلم أحوالهم التي يتقانون فيها ومنازلهم التي هم بها ومطامعهم التي مدوا بها أعناقهم نحوها . وأي الامور أدرى لهم الى الصلح وأقودها لرضاهم الى العافية ومن أي الوجوه ما أتاهم من قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب والابعاد والترغيب والاطماع مستنفا في أمرك متخيراً في روثك متمكناً من رأيك مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حنكهم التجربة ونجحتهم ^(٢) الحروب متسرباً في حركتك أخذاباً لحزم في سوء الظن معداً للحذر محترساً من الغرة كأنك منزل كله ومنازلك جمع مواقف لعدوك رأي عين تنظر حالاتهم وتخوف غاراتهم معداً أقوى مكيدتك وأجدت شميرك وأرهب عتادك معظماً لأمرك لاكثرهما . . . بفرط تبعته ^(٣) من الاحتراس عظيم من المكيدة قوي يامن غير ان يفذك ^(٤) عن احكام أمورك وتدير رأيك واصدار رويك والتأهب لحربك مصغله بعد استشعار الحذر واطمئنان الحزم واعمال الروية واعداد الأهبة فان لقيت عدوك كليل الحدوث المنجوم ^(٥) نضيض الوفير لم يضررك ما أعدت له من قوة وأخذت به من حزم ولم يزدك ذلك الاجرة عليه ونسرعا الى لقاءه وان ألفيته متوقداً لجر مستكشف التبع قوى الجمع مستعلى سورة الجهل معه من أعوان الفتنة ونعيم ابليس من يوقد طب الفتنة مسعراً ويتقدم الى لقاء أبطاطها منسرعاً كنت لاخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين الجند ولا مفرط في الرأي ولا متلهف على اضاءة تدبير ولا محتاج الى الاعداد وبجيلة التأهب مبادرة تدهشك وخوفاً يقلقك ومتى تعزم على ترقيق التوقيف وتأخذ بالهوياني في أمر عدوك تنصفر المصغرين ينشعرك رأيك ويكون فيه انتفاض ^(٦) أمرك وهن تدبيرك واهمال الحزم في جندك وتضييع له وهو يمكن الاحمار رحب المطلب قوى العصمة فسيح المضطرب مع ما يدخل رعيك من الاغترار والغفلة عن احكام أسرارهم وضبط مرا كزهم لما يرون من استنامتك الى الغرة وركونك الى الامن

(١) العين الجاسوس واذا كها أيقظها (٢) نجذته التجارب أحكمته (٣) يسكنك

(٤) الانتفاض الانتكاث

وتهاونك بالثدير فيعود ذلك عليك في انتشار الاطراف وضياح الاحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره ولا يدفع مخوفه .

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك واياك ومعاقبه أحد منهم على خبر أنك به اهتمته فيه أو سوت ظنا عليه وأناك غيره بخلافه وان تكذب به فيه وترده عليه ولعله أن يكون من محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الاول أو خرج جاسوسك الاول متقدما قبل وصول هذا من عند عدوك . واقدأرموأمرأ وحاولوا لك مكيدة وازدادوا منك غرة وان دفعوا اليك في الامر ثم انتقض بهم رأيهم واختاف عنه جماعتهم فاوردوا رأيا أو حدثا مكيدة وأظهروا قوة وضر بواو معدوا أو امسل كالعددا أنهم أو قوة حدثت لهم أو بصيرة في ضلالة شططهم فلا حوال منتقلة بهم في الساعات وطوارق الحادثات ولكن البسهم ^(١) جميعا على الاتصاح وأرجع لهم المطامع فانك لم تستعبدهم بمثله . وعدهم بزالة المذاب في غير ما استنامة منك الى أمر عدوك والاغترار بما يأتوك به دون ان تعمل رويتك في الاخذ بالجزم والاحتكاك من العدة واجعلهم أوثق من يقدر عليه ان استطعت ذلك وآمن من تسكن الى ناحيته ليكون ما يرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ان استطعت فتنتقض عليهم بتدبيرك ورأيك ما لم يرموا ^(٢) وتأنيبهم من حيث أقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا

واعلم ان جواسيسك وعيونك ر بما صدقوك ور بما غشوك ور بما كانوا لك وعليك فنصحوالك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوعدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدن منك فرطة في عقوبة الى أحد منهم ولا تبجل بسوء الظن الى من اهتمته على ذلك وابسط من آمالهم فيك من غير أن ترى أحد منهم انك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه أو رددته عليه رد الكذب له والمتهم المستخف بما أناك منه فتفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجترع دأونه

احذر أن يعرف جواسيسك في عسكرك أو يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم واعلم ان لعدوك في عسكرك عيونا راصدة وجواسيس كامنة وان رأيه في مكيدتك مثل ما تكايد به وسيحتال لك كاحتيال لك له ويعدلك كاعتدادك له فاخذرا أن يشعر رجل

(١) لابس فلا تناخاطه (٢) رّم الشيء أصلحه

من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعده المراسد ويختم له بالمكاييد فان ظفربه وأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وحوله عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصاها من عيونها حتى يصيروا الى أخذها عن عرض من غير الثقة ولا معاينة لفظاتها (١) بالاخبار الكاذبة والا حاديت المرجفة

واحد أن يعرف بعض عيونك بعضا فانك لا تأمن تواطؤهم عليك وبما لأنهم عدوك واجتماعهم على غشك وكذبك وان يورط بعضهم بعضا عند عدوك وأحكم أمرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدارح بك وهو أول ظفرك فاعمل على حسب ذلك وجنب (٢) رجاءك به نيل أملك من عدوك وقوتك على قتالهم واتهاز فرسته ان شاء الله فاذا أحكمت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه قول شرطتك وأمر عسكرك أو ثق قوادك عندك وأمنهم نصيحة وأقدمهم بصيرة في طاعتك وأقواهم شكيمة في أمرك وأمضاهم صريحة وأصدقهم عفاقا وأجرأهم (جنانا) وأكفاهم أمانة وأصحهم ضميرا وأرضاهم صبرا وأجدهم خلقا وأعطفهم على جماعتهم رافة وأحسنهم لهم نظرا وأشددهم في دين الله وحقه صلابة ثم فوض اليه مقوياله وأسط من أمله مظهر اعنه الرضا حامدا منه الاتباء . وليكن علما بمرا كثر الجنود بصيرا بتقديم المنازل مجر يا ذا رأى ونجربة وحزم في المكيدة له نباهة في الذكرو صيت في الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم اليه في ضبط معسكره واذا كاه احراسه في آناه ليله ونهاره ثم حذر له أن يكون له اذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم للطائفة فيصاب منهم غرة يحمى بها عدوك ويسرع اقداما عليك ويكسر من أفئدة جنودك ويوهن من قوتهم فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جنودك وعبيدك مطمع لهم منك مقولهم على شجعان اتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكون منه افراط في التضيق عليهم والحصار لهم فيعمهم ازالة ويشملهم ضنكه ويسوء عليه حالهم وتشتد به المؤنة عليهم ونخبث له ظنونهم . وليكن (موضع) ازاله اياهم مستدرا رضا ما جمعا ولا يكون منتشر اتماء فيشق ذلك على أصحاب الاحواس ويكون فيه النهضة للعدو والبعث من الماداة ان طرق طارق في فجأت الليل وبغثاته . وأوعز اليه في أحراسه ومصره فليول عليهم رجالا ركيئا مجر باجريء الاقدام ذكي الصرامة جلد الجوارح بصيرا بموضع أحراسه غير مصانع ولا مشفع للناس في التنعى الى

الرفاهة والسعة وتقدم العسكر أو التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالى ويوهنه لاستنائه الى من ولاده ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم ان موضع الاحراس من موضعك ومكانها من جندك بحيث القضاء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والسكلاء لمن يقفهم طارقا وأرادهم مخائلا ومراصدها المنسل منها الأبق من أرقائهم وأعيدهم وحفظ العيون والجواسيس من عدوهم (٩) واحذر أن تضرب على يديه أو تشككه على الصرامة لمواصرتك فى كل أمرا حاد وطارق الا فى الم المنزل والحدث العام فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى اصحك واستوليت على محض ضميمه فى طاعتك وأجهد نفسه فى ترتيبك واثباتك وكان تقتلك وزينك وقوتك ودعامتك وتفرغت لمكابدة عدوك مريحا نفسك من هم ذلك والعناية به ملق عنك مؤنة باهظة وسلفة فادحة ان شاء الله

ثم اعلم ان القضاء من الله بمكان ليس به شئ من الاحكام ولا يمثلها أحد من الولاة لما يجرى على يديه من مفاظ الاحكام ومحارى الحدود فليكن من توليه القضاء بين أهل العسكر من ذوى الخير فى القناعة والعفاف والزهادة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر بوجود القضايا ومواقعها قد حنكته السن وأيدته التجربة وأحكمته الامور بمن لا يتصنع للولاية ويستعد للتهرة ويجترى على المحاباة فى الحكم والمداهنة فى القضاء عدل الامانة عفيف الطعمة حسن الانصاف فهم القلب وروع الضمير متخضع السمعت هادى الوقار محتسب للخير ثم أوج عليه ما يكفيه ويسعمه ويصلحه وفرغه لما حمله وأعنه على ما وليته فانك قد عرضته لهلكة الدنيا وواب الآخرة وأشرف العاجلة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته وصدقت رويته وحققت سريره وسلط حكم الله على رعيته منفذا قضاءه فى خلقه عاملا بسنته فى شرائعه آخذا بحدوده وفرائضه

واعلم انه من جندك ومعكرك بحيث ولايتك وفى الموضع الجارية أحكامهم عليهم النافذة أفضيتهم فاعرف من توليه ذلك وتسند اليه ان شاء الله

ثم تقدم فى طاعتك فاتها أول مكيدتك ورأس حركك ودعامة أمرك فاتتخب لها من كل قادة ومحابة رجالا ذرى نجدة وبأس وصرامة وخبرة وحماة كفاءة قد صلوا بالحرب وتذاقوا سجالها وشربوا من مرارة كؤسها ونجروا غصص درتها وزبنتهم (١) بشكرارها

(١) الزين الدفيع

وحملتهم على أصعب مما كبرها ثم اتبعهم على عينيك وأعرض كراهم^(١) بنفسك وتوخ
في انتقامهم ظهور الجلد وسجاجة الخلق وسجال الآلة وإياك أن تقبل من دوابهم الا انات
الخيول مهلوبة^(٢) فانها أسرع طلبا وأنجى مهرا وأبعد في المالحق غاية واصبر في معتك
الاطال اقدما ونجدهم من السلاح بايدان الدروع ماذبة الحديد شاكاة السخ ستقاربة
الحلق متلاحة المسامير وأسوق الحديد موهة الركب محكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد
طبعها ندى وصوغها فارسى رفاق العطف بأ كف وافية وعمل محكم وياق البيض مذهب
وبجردة فارسية الصوغ خالصة الجوهر سابعة الملبس وافية الين مستديرة الطبع مبهمة
البرد وافية الوزن كتريك^(٣) النعام في الصنعة معلمة بأصناف الحرير وألوان الصبغ
فانها أهيب لعدوهم وأقن لاعداد^(٤) من لقبهم والمعلم مخشى محذوره بديهة وادعة معهم
السيوف الهندية وذكور البيض العمانية رفاق الشفرات مسنونة السحذ غير كايلة المشعد
مشطبة الضرائب معتدلة الجواهر صافية الصفايح لم يدخلها وهن الطبع ولا عابها أمت الصوغ
ولا شاتها خفة الوزن ولا فصح حاملهاهم وور الثقل قد أشرعوا لدن القناطوال الطوادي^(٥)
زرق الاسنة مستوية الثعالب وميضها متوقد وشحذها مثلهب معاقص^(٦) عقدها
منحوتة وصم أودها مقوم . أجناسها مختلفة . وكعوبها جعدة . وعقدتها حكة . شطبة
الاسنان . محكمة الجلاء بموهة الاطراف . مستحذة الجنبات بدقاق الاطراف ليس فيها
التواء أود . ولا أمت وصم . ولا لها سقط عيب . ولا عنها وقوع أمنية مستحقب كنفائن
النبيل وقسى الشوخط والنبع^(٧) اعرابية التعقيب رمية النصول فانها أبلغ في الغاية
وأقن في الدروع وأشك في الحديد سامطين حقائبهم على متون خيوطهم مستخفين من الآلة
والامتنعة الا ما لا غناء بهم عنه

واحذر ان تسكل مباشرة عرضهم الى أحد من أعوانك أو كتابك فانك ان وكلته اليهم
أضعت موضع الحزم وفرطت حيث الرأي ووقفت دون الحزم ودخل عملك ضياع الوهن
(١) الكراع اسم بمجمع الخيل (٢) المقطوعة الذنب (٣) التريكة البيضة بعد ان يخرج
منها القرخ أو يخص بالنعام والجمع ترائك وتريك (٤) فت في ساعده أضعفه (٥) الطادي
العنق والجمع هوادي (٦) المعقص كنبير السهم المعوج وما ينكسر نصله فيبقى سنخه في
السهم فيخرج ويضرب حتى يطول (٧) الشوخط شجر تستخدم منه القسي واضرب من
النبع أوهما والنبع مثله

وخلص اليك عيب المحابة . وناله فساد المداينة وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة
للسلدين . ولا عدة ولا حصان يدرك به ويكتنفون بموضعه

واعلم ان الطلائع عيون وحصون للسلدين فهم أول مكيدتك وعرصة أمرك وزمام
حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهم عمالك ومكيدة حربك ثم اتخب لهم رجلا
للولاية عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معرقات وأيام
طوال وصولات متقدّمات قد عرفت نكايته وحذرت شوكرته وهيب صوته وتنكب لقاؤه
أمين السريرة ناصح الغيب قد بلوت منه ما يسكنك الى ناحيته من لين طبعه وخالص
المودة ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة واستجماع القوة وحصافة التدبير ثم تقدم اليه
في حسن سياستهم واستنزال طاعتهم واجتلاب موداتهم واستعداد (١) ضمائرهم وأجر
عليهم أرزاقاتهم وتمد من اطماعهم سوى أرزاقهم في العامة وفي ذلك من القوة لك عليهم
والاستئانة الى ما قبلهم

واعلم انهم في أهم الاماكن لك وأعظما غنا عنك وعن معك وأفعها كفا (٢)
وأشجى عدوك ومتى يكون في البأس والثقة والجلد والطاعة والقوة والنصيحة حيث
وصفت لك وأمرتك به تضع عنك مؤنة اهلهم وترخي عن خناقك دروع الخوف وتلتجئ
الى أمر متين وظهور قوي وأمر حازم تأمن به فجأت عدوك ويصير اليك علم أحوالهم
ومتقدّمات خيولهم فاتخبرهم رأي عين وقوهم بما يصلحهم من المالات والاطماع والارزاق
واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علامتك (٣) وحصانة كهوفك وقوة سيارة
عسرك واياك أن تدخل فيهم أحدا بشفاعة أو نحتله على هواة (٤) أو تقدمه منهم لاثرة
وأن يكون مع أحد منهم بغل نقل أو فضل من الظهر أو ثقل فادح فيشتد عليهم مؤنة أنفسهم
ويدخلهم كلال السأمة فيما يعالجون من ألقا لهم ويشغلون به عن عدوهم ان دهمهم منه
رائع أو فاجأهم لهم طليعة . فتفقد ذلك محكماله وتقدم فيه أخذاب الحزم في امضاءه أرشدك الله
لإصابة الحظ ووقفك لعين التدبير

ولدراجة عسرك واخراج أهله الى مصافهم ومراكرهم رجلا من أهل بيوتات
الشرف محمود الخبرة معروف النجدة ذاسن وتجربة لين الطاعة قديم النصيحة مأمون
السريرة له بصيرة في الحق تقدمه ونية صادقة عن الادهان (٥) تحجزه واطمعه اليه عدة

(١) الهواة الذين وما يرمى به الصلاح والرخصة (٢) المداينة والغش

من ثقات جنودك وذوى أسنانهم يكونون شرطقة معه ثم تقدم اليه في اخراج المصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وحفظ الاطراف وشدة الخذر ومرة فليضع القوادبا أنفسهم مع أصحابهم في مصافهم كل قائد يراز موضعه وحيث تنزله قد شد ما ينه ويصاحبه بالرمح شارعة والتراس موضوعة (١) والرجال راصدة ذاكية الاحراس وجلة الروع خائفة طوارق العدو وبياته ثم مره . أن يخرج كل ليلة قائدا من أصحابه أو عدة منهم ان كانوا كثيرا على غلوة وغلوتين من عسكرك محيطا بمنلك ذاكية احراسه قلقة التردد مفرطة الخذر معدة للاروع متأهبة للقتال آخذة على أطراف العسكر ونواحيه متفرقين في اختلافهم كردوسا كردوسا (٢) يستقبل بعضهم بعضا في الاختلاف ويكسع (٣) متقدما في التردد فاجعل ذلك بين قوادك وأهل عسكرك نوابا مبروقة وحصاما مفرضة لا يعدم منه مزدا لفا بمودة ولا يتحامل على أحد فيه بموجدة ان شاء الله .

فوض الى أمراء جنودك وقوادهم أمورا أصحابهم والاخذ على أيديهم رياضة منك لهم على السمع والطاعة لأمراءهم والاتباع لأمرهم والوقوف عند نهيمهم وتقدم الى أمراء الاجناد في النوايب التي أزمتمهم اياها والاعمال التي استنجدتهم لها والاسلحة والسكران التي كتبتها عليهم واحذر اعتلال أحد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين جنودك وتقويمهم لطاعتك وقهم عن الاخلال بما كرههم اشئ مما وكوا به من أعمالهم فان ذلك مفسدة للجند معى لقوادع الجند والمناجحة والتقدم في الاحكام .

واعلم ان استخفافهم بقوادهم وتضييعهم أمرهم دخول الضياع على أعمالك واستخفاف بأمرك الذي يأتمرون به ورأيتك الذي ترتبى واوعز الى القواد ان لا يتقدم أحد منهم على عقوبة أحد من أصحابه الا عقوبة تأديب وتقويم ميل وتثقيف أو دقا ما عقوبة تبلغ تلف المهجة واقامة الحد في قطع أو افراط في ضرب أو أخذ سال أو عقوبة في سفر فلا يلين ذلك من جنودك أحد غيرك أو صاحب شرطتك بأمرك وعن رأيك واذنك ومتى لم تذلل الجند لقوادهم وتضرعهم (٤) لأمراءهم يوجب عليك لهم الحجة بتضييع (٥) وان كان منهم لأمرك خلل ان تهاونوا به من عملاك أو يحجزان فرط منهم في شئ وكنتم اليه أو أسندته

- (١) وضمن الشئ بضنه فهو موضوع ووضن ثنى بضنه على بعض وضاعفه ونضده
- (٢) كردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة والكردوسة بالضم قطعة عظيمة من الخيل والجمع كراديس (٣) كسعه كمنعه ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه (٤) تذللهم

اليهم ولم نجد الى الاقدام عليهم باللوم وعرض العقوبة مجازا اتصل به الى تغنيهم بتفريطك في تذييل أصحابهم لهم وافسادك اياهم عليهم فانظر في ذلك نظرا محكما وتقدم فيه تقدما بليغا . واياك أن يدخل حزمك وهن أو عزمك امارا (٤) من رأيك ضياع . والله استودع ديننا في نفسك .

اذا كنت من عندك على مسافة دانية وستن لقاء مختصر وكان من عسكريك مقربا قد شامت ثلاثك مقدمات ضلالتك وحاجة فتنته فتأهب أهبة المناجزة وأعد اعداء الحذر وكتب خيولك وعب جنودك واياك والمسير الامقدمة وميمنة وميسرة وساقه قد شهر وا بالاسلحة ونشروا البنود والاعلام وعرف جنودك مرا كزهم سائرين تحت ألويهم قد أخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء ملحجين الى مواقعهم عارفين بمواضعهم من مسيرهم ومعسكرهم . وليكن ترجلهم وتنزلهم على راياتهم وأعلامهم ومرا كزهم . وعرف كل قائد وأصحابه موقعهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقه والطليعة لازمين لها غير محلين بما استنجدتهم له ولا منهاوين بما أهدت بهم اليه حتى تكون عسا كزهم في كل منهل تصل اليه ومسافة تختارها كانه عسكر واحد في اجتماعها على العدة وأخذها بالحزم ومسيرها على راياتها ونزولها على مرا كزها ومعرفتها بمواضعها ان أضلت دابة موضعها عرف أهل العسكر من أي المرا كزهي ومن صاحبها وفي أي المحل حلوله منها فردت اليه هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها . فان تقدمت في ذلك واحكامك له اطراح عن جنودك مؤنة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الضالة . ثم اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكريك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العامة وانصافا من نفسه للرعية وأخذ بالحق في المعدلة مستشعرا تقوى الله وطاعته أخذابهديك وأدبك واقفا عند أمرك ونهيك معتزما على مناصحتك وتزيينك نظير لك في الحال وشيها بك في الشرف وعديلا في المواضع ومقاربا في الصبب ثم اكشف معه الجمع رأيه بالقوة وقوه بالظهر وأعنه بالاموال وانغمه بالسلاح ومره بالعطف على ذوي الضعف من جنودك ومن رخفت به (١) دابته وأصابته نكبة من مرض أو رجلة أو آفة من غير ان تأذن لاحد منهم في التنحى عن عسكريه أو التخليف بعد ترجله الا بالجهود أو المطروق باقة ثم تقدم اليه محذرا ومره زاجرا وانهم مغفلون بالشدة على من مر به منصرفا عن عسكريك من جنودك بنير جوارك شاداهم أسرا وموقرهم حديدا ومعاقبهم

(١) استرخت

موجعا ووجههم اليك فتنهكهم عقوبة وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة .

واعلم انه ان لم يكن بذلك الموضع من نكسك اليه وانقا بنصيحتك عارفا بصبرته قد بلوت منه أمانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك مهاتته ونقاذا في أمرك يرخي عنك خناق الخوف في اضاعتهم آمن تسلل الجند عنك لو اذا (١) ورفضهم مرا كزهم واخلائهم مواضعهم وتخلفهم عن أعمالهم آمنين تغيير ذلك عليهم والشدة على من اخترمه منهم ما . . . ذلك في وهتك واخذ من قوتك وقلل من كثرتك .

اجعل خلف سافتك رجلا من وجوه قوادك جليدا ماضيا عفيفا صارما شهيم الرأي شديد الحذر شكيم القوة غير مدهن في عقوبة ولا مهين في قوة في خسين فارسا من خيلك تحضر اليك جندك ويلحق بك من يتخلف عنك بعد الا بلاغ في عقوبتهم والنهك لهم والتشكيل لهم وليكن لعقوتك في المنزل الذي ترعجل عنه والمنهل الذي تتقوض منه مفرطا في النقص والتبع لمن تخلف عنك مشيدا في أهل المنهل وسا كنه بالتقدم موعزا اليهم في ازعاج الجند عن منازلهم واخراجهم من مكانهم وابعاد العقوبة الموجهة والنسكال المنيل في الاشعار واصفاء الاموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحدا أو ستر موضعه وأخفى محله وحذره عقوبتك اياه في الترخيص لاحد والمحايلة لذي قرابة والاختصاص بذلك لذي أثره وهوادة . وليكن فرسانه منتخبين في القوة معز وفيه بالنجدة عليهم سوابغ الدروع دونها شعرا الحشو وحب الاستعجالات (٢) متقلدين سيوفهم سامطين كسائهم مستعدين طيحي ان يدهم أو يكن أن يظهر لهم واياك ان تقبل في دوابهم الا فرسا قويا أو برذ وناوئيجا فان ذلك من أقوى القوة لهم وأعون الظهير على عدوهم ان شاء الله .

ليكن رحيلك ابانا واحدا ووقتا معلوما لتخف المؤنة بذلك على جندك ويعلموا أن رحيلهم فيقدم موافجا يريدون من معالجة أطعمتهم واعلاف دوابهم وتسكن أقنتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ويطمنن ذوو (الحاجات) ابان الرحيل ومتى يكون رحيلك مختلفا تعظم المؤنة عليك وعلى جندك ويخلو ابرأ كزهم ولا يزال ذوو السفه والترفق يتحلون بالارحاف وينزلون بالتوهم حتى لا ينتفع ذور أي بنوم ولا طمأنينة .

اياك أن تنادي برحيل من منزل تكون فيه حتى يأمر صاحب تعييتك بالوقوف على معسكرك أخذابوه جنبية باسلحتهم عدة لا مران حضر ومغاياة من طليعة العدو ان

(١) اللوذ بالشي الاستتار والاحتضان به كاللواذ مثله واللياذ والملاوذة

أراد نهزة أو لمحت عندكم غرة . ثم مر الناس بالرحيل وخيلك وافقت وأهبتك معدة وجنتك واقية حتى إذا استقلتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتم على نعيبتكم بسكون ريح وهدهو وحلة وحسن دعة .

فإذا انتهيت إلى المنهل أردت نزوله أو همت بالمعسكر به فإياك ونزولة الأبعد العلم بان تعرف لك أحواله أو يسر علم دفينه ويستبطن علم أموره ثم ينهيك اليك وما صارت إليه لتعلم كيف احتمال عسكرك وكيف مأواه وأعلامه وكيف موضع عسكرك منه وهل لك إذا أردت مقامه أو مطاولة عدوك ومكايده فيه قوة تحملك ومدد يأتيه فانك إن لم تفعل ذلك لم تأمن إن بهجم على منزل يزعمك منه ضيق مكانه وقلة مياهه وانقطاع موارده إن أردت بعدوك مكيدة واحتجت من أمرهم إلى مطاولة فإن ارتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ولم تجدد إلى الحاربة والاختطار سبيلاً . وإن أقت به أقت على مشقة حصر وفي أزل (١) وضيق فأعرف ذلك وتقدم فيه

فإذا أردت نزولاً أمرت صاحب الخيل التي رحلت الناس فوقفت متنتحية من معسكرك عدة لأمرك وراعك ومقرعاً بالديهة إن راعتك قد أمنت بأذن الله وحوله فجأة عدوك وعرفت موقعها من حرك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الانتقال مواضعها ويأتيك خبر طلائعك وتخرج دباباتك (٢) من عسكرك دباباً محيطين بعسكرك وعدة لك إن احتجت اليهم . وليكن دباب جندك بعسكرك أهل جلد وقوة قائد أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم في كل ليلة ويوم نوباً بينهم فإذا غربت الشمس ووجب (٣) نورها أخرج اليهم صاحب نعيبتك أبدأهم عساً بالليل في أقرب من مواضع دباب النهار يتعاور ذلك قوادك جميعاً بالاحباب لاحتهم فيه ولا داهان إن شاء الله

إياك إن يكون منزلك إلا في خندق أو حصن تأمن به بيات عدوك وتستقيم فيه إلى الحزم من مكيدته . إذا وضعت الانتقال وخطلت أبنية أهل العسكر لم يدخبا ولم ينتصب بناء حتى يقطع لكل قائد ذرع معلوم من الأرض بقدر أصحابه فيحتفرون عليهم (ويبنون) بعد ذلك خنادق الخسك طارحين لها دون أشجار الرماح ونصب الترس لها بإبان قدوكات بعد بحفظ كل باب منها رجلاً من قوادك في مائة رجل من أصحابه فإذا فرغ من الخندق

(١) الأزل الضيق والشدة (٢) الدباب مشددة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل

الحصن فينقبون وهم في جوفها (٣) وجبت الشمس غابت

كان ذلك القائد ان أهلا لذلك المركز (وموضع) تلك الخيل وكانوا هم البوابين والاحراس
لدينك الموضعين ندالى (١) الرفاهة والسعة وتقدم العسكر أو التأخر عنه فان ذلك مما يضعف
الوالى ويوهنه لاستنামته الى من ولاء ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم انك اذا أمنت باذن الله طوارق عدوك وبغاتهم فاذا ارموا ذلك منك كنت قد
أحكمت ذلك وأخذت بالجدي فيه وتقدمت فى الاعداد له ورتقت مخوف الفتق منه ان شاء الله
اذا ابتليت ببيات عدوك أو طرفك رائعا فى . . . حذر اعداء مشمرا عن ساقك مسريا
لحر بك قد قدمت دراجتك الى مواضعها على ما وصفت لك . . . التى قدرت لك وطلائعك
حيث أمرتك وجندك حيث عبأت قد خطرت عليهم بنفسك وتقدم الى جندك ان (طرق)
طارق أو فاجأهم عدو لا يتكلم أحد منهم رافعا صوته بالتكبير مستغفرا (٢) فى اجلاب
معلنا للارهاب الا أهل الناحية (التي) يقع بها العدو طارقا وليشرعوا رماحهم مادين لها فى
وجوههم ويرشقهم بالنبل ملبدين ترستهم لازمين لمرأى كزهم . . . قدم عن موضعها
ولا منحازين الى غير مركزهم وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجنده ادون . .
عدوك من معسكرهم فتقدم أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطك ومن انتخبت
قبل ذلك عدة للشدائد وتدس لهم الفشاب والرماح واياك أن يشهروا سيفا يتجالدون به
وتقدم اليهم فلا يكون قتالهم بالليل فى تلك المواضع من طرقهم الا بالرماح مسندين لها الى
صدورهم والفشاب راشقين به وجوههم قد ألبسوا بالترسة واستجنوا بالبيض وألقوا عليهم
سوايق الدروع وجباب الخشوفان صد العدو عنهم حاملين على ناحية أخرى كبر أهل تلك
الناحية الاولى وبقية العسكر سكوت والناحية التى صدر عنها العدو لازمة لمرأى كزها فعلت
فى تقويتهم وامدادهم بمثل صنيعك باخوانهم واياك وان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو
فى معسكرك فأججها ساعرا لها وأوقدها حطبا جزلا يعرف بها أهل العسكر مكانك وموضع
رواقك ويسكن نافرقلو بهم ويقوى واهن قوتهم ويشتم من خذل ظهورهم ولا يرجفون
فيك بالظنون ويحيون لك آراء السوء وذلك من فعلك رد عدوك بغيظه ولم يستقل منك
بظفر ولم يبلغ من نكايتك سرورا ان شاء الله

فان انصرف عنك عدوك ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه
أو كانت لك خيل معدة وكتيبة منتخبة قدرت ان تركب بهم أكتافهم وتحملهم على سنهم
فأتبعهم حريدة خيل عليها الثقات من فرسانك وأولو النجدة من جنائك فانك ترهق عدوك

وقد أمن ببياتك وشغل بكلاله عن التحرز منك والاختدابواب معسكره والضبط محارسه موهنة حاتمهم لغبة ^(١) ابطاظم لما ألفوكم عليه من التشمير والجد قد عقر الله فيهم وأصاب منهم وجرح من مقاتلتهم وكسر من أماني ضلاتهم ورد من مستعلى جاحهم . وتقدم الى من توجه في طلبهم وتقبه (ان يكونوا) وهم في سكون الريح وقلة الرفت وكثرة النسيج والتهيل واستنصار الله عز وجل بقلوبهم وأسنتهم سرا وجهرا بالاجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء دون أن يردوا على مطالبهم ويقتضوا فرصهم ثم يشهروا السلاح وينضوا السيوف فان طاهية قرأته وبديهة مخوفة لا يقوم طافي بهمة الليل الا يطل المحارب وذو البصيرة الحامي المستميت المقاتل وقيل ما هم عندك الموضع ان شاء الله

ليكن أول ما تقدم به في التهيؤ لاعدوك والاستعداد لقاتله انتخا بك من فرسان عسكري وحاة جندك ذوي البأس والحنكة والجد والصرامة ممن قد (اعتا) د طراد الحكمة وكسر عن ناجده في الحرب وقام على ساق في منازلة الاقران تقف الفراسة مستجمع القوة مستحصد المريرة صبور على أهوال الليل عارفا بما هز الفرس لم تمهته الحنكة ضعفا ولا بلغت به السن مالا ولا أسكرته غرة الحدائث جهلا ولا أبطرته نخبة الانعام صلفا جريشا على مخاطرة التلطف متقدما على ادراع الموت مكابرا المرهوب الهول متقدما مخشي الخوف خائضا غمرات المهالك برأى يؤيده الحزم ونية لا يحتاجها الشك واهواء مجتمعة وقلوب موقنة عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها وحيث محل أهلها من التأيد والظفر والتمكين ثم اعرضهم رأى عين على كراهم وأسلمتهم ولتكن دوابهم اثاث عتاق الخيول أو أسلمتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب متقلدين سيوفهم المستخرصة من جيد الجواهر وصافي الحديد والمتخيرة من معادن الاجناس هندية الحديد أو بدنية بمانية الطبع رقاق المضارب مستوية السطح مشطبة الضريبة ملبدين بالترسة الفارسية صينية التعقيب معانة المقابض بجلق الحديد انماؤها مربعة ومحارزها بالتجليد مضاعفة ومجملها مستخف وكنائن النبل وجعاب القسي قد استحقبوا وقسي الثريان أو النبع اعراية الصنعة مختلفة الاجناس بحكمة العمل ونصول النبل مسمومة وتركيبها عراقي وتزيينها بدوي مختلفة الصوغ في الطبع شتى الاعمال في التشطيب والاسهزادة ولتكن الفارسية مقلوقة بالمقابض منبسطة

السنة سهلة الانعطاف مقربة الانحناء بمكنة المرمى واسعة الاسهم فرضها سهلة الورد
معاطفها غير معنونة (٩) المواتاة

ثم دل على كل مائة رجل منهم رجلا من أهل خاصتك وثقاتك وأصايحك وتقدم اليهم
في ضبطهم وكف . . واستنزل ناصحهم واستعداد طاعتهم واستخلاص ضمايرهم وتعهدهم
كرآعهم وأسلحتهم معفيآلهم من النوائب التي تلزم أهل العسكر وعامة جنودك ثم اجعلهم عدة
لامران فاجأك أو طارق يبتك . ومرهم أن يكونوا على أهبة معدة وحذرهم فانك لا تدري
أى الساعات من ليالك ونهارك تكون اليهم حاجتك فليكونوا كرجل واحد في التشهير
والتردد وسرعة الاجابة فانك عبت أن لا تجد عند حاجة جنودك مثل تلك الروعة والمباغثة
ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا أهبة معدة بل ذلك كذلك فاذا كره اولى الدين
نبحث (٩) عندك وقوتك تقويا قد قطعنا على القواد الذين ولينهم أمورهم فسميت أولا
وتانيا وثالثا ورابعا وخامسا الى عشرة فان اكتفيت فيما يبدئك ويطرقك لبعث واحد كان
معدا لم تحتاج فيه الى امتحانهم في ساعاتهم تلك وقطع البيع عليهم عند ما يرهقك وان
احتجت الى اثنين وثلاث وجهت منهم ارادتك ان شاء الله

وكل بخزائنك ودواوينك رجلا أميناصالحا ذا ورع حاجز دين فاضل واجعل معه خيلا
يكون مسيرها ومنزلها وترحالها مع خزائنك وتقدم اليه في حفظها والتوفر عليها واتهام من
يستولى على شيء منها على اضعافه والنهاون به والشددة على من دنا منها في مسير أو ضامها
في منزل . وليكن عامة الجنود والجيش الامن استصاحت للسير معها متنعجين عنها بجانبين لها
فانه ربما كانت الجولة وحادث القرعة فان لم يكن للخزائن ممن يوكل بها أهل حفظ لها
وذبح عنها أسرع الجند اليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يتراعى ذلك بهم الى اتهاب العسكر
واضطراب الفتنة فان أهل الفتن وسوء السيرة كثير وانما همتهم الشرفايك وان يكون
لاحد في خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك مطعم أو يجدوا الى اغتيالها ومررتها (٩)
ان شاء الله .

اعلم ان أحسن مكيدتك أثر في العامة وأبعد هاصوتا في حسن القالة ما نلت الظفر فيه
بحسن الروية وحزم التدبير ولطف الحيلة فلتكن رويك في ذلك وحركك على اصابته
لا بالقتال واطار التلف . وادسس الى عدوك وكاتب رؤسهم وقادتهم وعدهم الثنالات
ومنهم الولايات وسوغهم التراب وضع عنهم الاحن واقطع عنهم أعناقهم بالمطامع واملا

قلوبهم بالترهيب وان أمكنتك منهم الدوائر وأصارهم اليك الر واجع وادعهم الى الوئوب
بصاحبهم أو اعتراله ان لم يكن لهم بالوئوب عليه طاقة ولا عليك أن تطرح الى بعضهم كتباً
كأنها جوابات كتب لهم اليك وتكتب على ألسنتهم كتباً اليك تدفعها اليهم ويحمل بها
صاحبهم عليهم وتزلم عنده منزلة التهمة فلعل مكيدك في ذلك أن يكون فيها افتراق كلتهم
وتشتيت جاعتهم واحش قلوبهم سوء الظن من واليهم فيوحشهم منه خوفهم اياه على أنفسهم
اذا أيقنوا بانها من اياهم فان بسط يده بقتلهم وأوغ في دماهم سيفه وأسرع في الوئوب بهم
أشعرهم جميعاً بالخوف وشملهم الرعب ودعاهم اليك الحرب وتهاقتوا تحوكم بالنصيحة
وان كان متأنياً محتملاً رجوت أن تستميل اليك بعضهم وتستدعي بالاطمع ذوي الشر منهم
وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم ان شاء الله .

اذا تدانى الصقان وتواقف الجمعان واحتضرت الحرب فعبأت أصحابك لقتال عدوهم
فاكثر من لاحول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله والتفويض اليه ومسأله توفيقك
وارشادك وان يعزم لك على الرشد والعصمة الكائلة والحيطة الشاملة .

ومرجندك بالصمت وقلة التلفت الى المشارة وكثرة التكبير في أنفسهم والتسبيح
بضمايرهم وألا يظهر وانكسيرا الا في الكرات والحلات وعند كل زلفة يزدلقونها فاما وهم
وقوف فان ذلك من الفضل والجنب . وليكثر وامن لاحول ولا قوة الا بالله حسبنا الله ونعم
الوكيل . اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغى واكفنا شوكتة المستعدة وأيدنا
بلائككك الغالبين واعصمنا بعونك من الفضل والعجز انك أرحم الراحمين .

وليكن في عسكريك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة يطوفون عليهم يحضونهم على
القتال ويحرضونهم على عدوهم ويصفون لهم منازل الشهداء ونوابهم ويذكرونهم الجنة
ورضاء أهلها وساكنها ويقولون اذكروا الله بذكركم واستنصروه بنصركم . وان استطعت
أن تكون أنت المباشرة لتعبية جندك ووضعهم من رايانك ومعك رجال من ثقات فرسانك
ذو وزن وتجربة ونجدة على التعبية وأمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه هذا ان شاء الله
أيديك الله بالنصر وغلبك على القوة وأعانك على الرشد وعصمك من الزيغ وأوجب لمن
استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الاصفياء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

﴿ ومن الرسائل المفردات في الشطرنج رسالة عبد الحميد ﴾

أما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبيله وإيضاح معاملة باظهار فرائضه وبعث رسوله الى

خلفه دلالة لهم على ربوبيته واحتجاجا عليهم برسالاته ومقدمات اليهم بانذاره ووعيده لهلاك من هلك عن بيته وبجيمان حتى عن بيته ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه وقفي به رسله وابتنه لاحياء دينه المدارس من فضاله على حين انطست له الاعلام مخفية وتشقت السبل متفرقة وعفت آثار الدين دارسة وسطع رهج الفتن واعتلى ققام الظلم واستنهد^(١) الشرك واسدق^(٢) الكفر وظهروا ولياء الشيطان لطموس الاعلام ونطق زعيم الباطل بسكينة الحق واستطرق الجور واستنكح^(٣) الصدوق عن اخى واقطر^(٤) سلهب^(٥) الفتنة واستصرم لقاحها وطبقت الارض ظلمة كفر وغيابة فساد فصدع بالحق مأمورا وبلغ الرسالة معصوما ونصح الاسلام وأهله والالهم على المرشد وقادهم الى الهداية ومنبرهم اعلام الحق ضاحية مرشدالهم الى استفتاح باب الرحمة وعلان عروة النجاة موضعهم سبيل الغواية زاجرالهم عن طريق الضلالة محذرالهم الهلكة موعز اليهم في التقدمه ضار بالهم الحدود على ما يتقون من الامور ويخشون وماليه يسارعون ويطلبون صابرا نفسه على الاذى والتكذيب داعيالهم بالترغيب والترهيب حريصا عليهم متحننا على كافتهم عزيزا عليه عنهم رؤفاهم رحيا تقدمه شفقتهم وعنايتهم برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة أديانهم وتخفيفا وأصرا لا وزاعغتهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحا متنصحا أميناً مونا قد بلغ الرسالة وأدى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميله وأذل الشرك وأهله وأنجز الله له وعده وأراد صدق أسبابه في اكمله للمسلمين دينه واستقامة سنته فيهم وظهور شرائعه عليهم قد أبان لهم موبات الاعمال ومفطعات الذنوب ومهبطات الاوزار وظلم الشبهات وما يدعوا اليه نقصان الاديان وتستهوهم به الغوايات وأوضح لهم اعلام الحق ومنازل المرشد وطرق الهدى وأبواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخر لهم نصحا ولا ممتنع في ارشادهم غنا

فكان مما قدم اليهم فيه نبيه وأعلمهم سوء عاقبته وحذرهم اصره وأوعز اليهم ناهيا وواعظا وزاجرا الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها في ذلك من عظيم الاثم وموثر في الوزر مع مشغلتها عن طلب المعاش واضرارها بالعقول ومنعها من

(١) نهذ الرجل نهض واعدوه صمدله والمناهضة المناهضة في الحرب (٢) اسدق اظلم

(٣) يقال نكح النعاس عينه غلبها (٤) اقطر اشتد (٥) السلهب الطويل من الرجال ومن الخيل معظم وكاد

حضور الصلوات في موافقتها مع جميع المسلمين . وقد بلغ أمير المؤمنين ان ناسا من قبله من أهل الاسلام قد ألهجهم الشيطان بها وجمعهم عليها وألف بينهم فيما فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى عمامهم ملهية لهم عن الصلوات شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم وافترض عليهم من شرائع أعمالهم مع مداعتهم فيها وسوء لفظهم عليها وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس غير منكر ولا معيب ولا مستفزع عند أهل الفقه وذوى الورع والاديان والاسنان منهم فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره وعلم ان الشيطان عندما يش منه من يلوغ ارادته في معاصي الله عز وجل بمصر المسلمين وجمعهم صراحا وجهارا أقدم بهم على شبهة مهلكة وزين لهم ورطة موبقة وغرهم بمكيدة خبيثة ارادة لاستهواهم بالخدع واجتياهم ^(١) بالشبه والمراد الخفية المشككة وكل مقيم على معصية الله صغرت أو كبرت مستحلا لها مشيدا بها مظهر الارتكابه اياها غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها ولا خائف مكرها فها هو الارعب من حلول سطوته عليها حتى تلحقه المنية فتحتاجه وهو مصر عليها غير تائب الى الله منها ولا مستغفر من ارتكابه اياها فكم قد أقام على موبقات الآثام وكبار الذنوب حتى مد به مخرم أيامه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما في أعناقهم عليها وما لهم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فأذن ^(٢) بذلك فيهم وأشد في أسواقهم وجميع أنديةهم وأوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك في انهارك العقوبة لمن رفع اليه من أهل الاعتكاف عليها والاطهار للعبسها واطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين وافطمهم عما نهج جوابه من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانها لك بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتباع أمير المؤمنين ورأيه ولا يجدن أحد عندك هوادة في التقصير في حق الله عز وجل والتعدي لاحكامه فتحل بنفسك ما يسوءك عاقبة مغيبته وتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله واكتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام .

وله تحميد في أي العلاء الحرورى :

الحمد لله الناصر لدينه وأوليائه وخلفائه المظهر للحق وأهله والمذل لأعدائه وأهل البدعة والضلالة الذي لم يجمع بين حق وباطل وأهل طاعة ومعصية الا جعل النصرة والفتح والعاقبة

(١) اجتياهم حولهم عن طريق قصدهم (٢) آذنه الاسر وبه أعلمه

لاهل حقه وطاعته وجعل الخزي والذلة والصغار على أهل الباطل والخلاف والمعصية جدا
 يتقبله ويرضاه ويوجب به لامير المؤمنين وأهل طاعته الزيادة التي وعد من شكره
 والحمد لله على ما يتولى من اعزاز أمير المؤمنين ونصره وافلاجه واطهار حقه على ما وقع
 باعدائه وأهل معصيته والخلاف عليه من سطوانه ونقماته وبأسه فيما ولي أمير المؤمنين من
 موالاته من الاله وعداوة من بنى عليه وعاداه لا يكله في شيء من الامور الى نفسه ولا الى حوله
 وقوته ومكيدته فانه لا حول ولا قوة لامير المؤمنين الا به
 نحميد لعبد الحميد في فتح

الخدمة العلى مكانه المنير برهانه العز برسلطانه الثابتة كلماته الشافية آياته النافذة
 قضاؤه الصادق وعدده الذي قدر على خلقه بملكه وعزى سعادته بعظمته ودبر الامور
 بعلمه وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه مبتدعها بانشاءها ياها وقدرته عليها واستصغاره
 عظيمها نافذا ارادته فيها لا تجري الاعلى تقديره ولا تنهى الا الى تأجيله ولا تقع الاعلى سبى
 من حتمه كل ذلك باطافه وقدرته وتصريفه لا مدخل طاعته ولا سبيل طاعته ولا علم
 أحد بخفاياها ومعادها الا هو فانه يقول في كتابه الصادق وعنده مفاتيح الغيب الى آخر الآية .
 ولعبد الحميد في فتح يعظم فيه أمر الاسلام

أما بعد فالخدمة الذي اصطفى الاسلام ديننا ورضى شرائعه وبين أحكامه ونور هدا
 ثم كنفه بالعرز المؤيد وأيده بالظفر القاهر وآزره بالسعادة المنتجة وجعل من قام به داعيا
 اليه من جنده الغالبين وأنصاره المساطين ككافهر بهم مناوئا أو رتهم باعهم المأهولة
 وأموالهم المثرية ودارهم الفسيحة أو دولتهم المطولة أمرا حتمه على نفسه ثم جعل من عاندهم
 وابتنى غير سبيلهم مسلحا قد استهونه ذلة الكفر بظلمها وحيرة الجهالة بجوارها ونية الشقاء
 بغاوية وكلما ازداد والدعوة الحق اياء ازداد الحق اليهم ازديادا وعليهم عكوبا وفيهم اقامة الى
 أن يحل بهم عز الغلبة ونجاة المتجاوزين فيما شوقهم اليه محافطين على ما نذبهم له قد بذلوا
 في طاعة الله دعاءهم وقبلوا العروض عليهم في مبايعتهم بأنفسهم الجنة محمود صبرهم
 مسهل بهم عزهم الى خير الدنيا والآخرة

والخدمة الذي أكرم محمد صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ان اختار لموارث
 نبوته ما أصار الى أمير المؤمنين من تطويقه ما حل بحسن نهوض به وشج عليه ومنافسة فيه
 ان فعل وفعل (٤)

والحمد لله الذى تم وعده لرسوله وخليفته فى أمة نبيه مسدداً له فيها اعتراف عليه . والحمد لله
المعز لدينه المتولى نصر أمة نبيه المتخلى عن عداهم وناوآهم جدايز يدبه من رضى شكره
وجدايعلوجدا الحامدين من أوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف وجلت أياديه
فلا تحصى الذى جلنا ما لا قوة بنا على شكره إلا بعونه وبالله يستعين أمير المؤمنين على ذلك
واليه يرغب انه على كل شئ قدير .

ولعبد الحميد أيضاً

أما بعد فالحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وارضاءه ديناً للملائكة وأهل طاعته من
عباده وجعله رجة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه وأكرمهم وفضلهم وجعلهم
بما أنعم عليهم منه أولياء المقرين وحزبه الغالبين وجنده المنصورين وتوكل لهم الظهور
والفلق وقضى لهم بالعلو والتكبر وجعل من خالقه وعزب عنه وابتنى سبيل غيره أعداءه
الاقليل وأولياء الشيطان الاخسرين وأهل الضلالة الاسفلين مع ما عليهم فى دنياهم من
الذل والصغار . فاجعل لهم فيما من الخلدان والانتقام الى ما أعد لهم فى آخرتهم من الخزي
والهوان المقيم والعذاب الاليم انه عزيز بذوانتقام

وكتب عبد الحميد الى أخ له فى مولود ولد له وهو أول مولود كان

أما بعد فان مما أعرف من مواهب الله نعمة خصصت بزيته وأصعبت بخصيصتها كانت
اسرى من هبة الله الى ولد اسميته فلانا وأملت ببقائه بعدى حياة وذ كرى وحسن خلافة
فى حرمى واشرا كه اياى فى دعائه شافعا الى رب به عند خلواته فى صلاته ووجه وكل موطن
من مواطن طاعته فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدى وظهر به سرورى وتعطف عليه
منى أنسه الولد وتولت عني به وحشة الوحدة فانابه جذل فى مغيبى ومشهدى أحاول من جسده
بيدى فى الظلم وتارة أعاقه وأرشفه ليس بعدله عندى عظيمات الفوائد ولا منفسات الرغائب .
سرتنى به واهبلى على حين حاجتى فشد به أزرى ورحلتى من شكره فيه ما قد أدنى بشقل حل
النعم السالفة الى به المقرنة سراؤه فى الحب بمارات ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه
مخافة مجازاة المنايا ياه ووجلا من عواصف الايام عليه

فاسأل الله الذى امتن علينا بحسن صنعه فى الارحام تأديبه بالزكاء وحرسه بالعافية
أن يرزقنا شكر ما حملناه فيه وفى غيره وأن يجعل ما يهب لنا من سلامته والمدة فى عمره
موصولا بالزيادة مقرنا بالعافية محوطا من المكرود فانه المنان بالمواهب والواهب للمنى

لا شريك له . جعلني على الكتاب اليك اعلم ما سررت به علمي بحالك فيه وشركتك اياي
في كل نعمة اسداها لي ولي النعم وأهل الشكر أولى بالزبد من الله جل ذكره والسلام عليك
وكتب عبد الحميد عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة :
فان أمير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه وبلانه عنده في ولده وأهل لحته والخاص
من اموره والعام والجنود والقواصي والثغور والدماء من المسلمين على ما لم يزل ولي النعم
يتولاه من أمير المؤمنين حافظا له فيه ومكرماله بالحياطة لما ألهمه الله فيه من أمر رعيته
وعلى أعظم وأحسن وأكمل ما كان يحوطه فيه ويذبل عنه والله محمود مشكور اليه فيه
مرغوب . أحب أمير المؤمنين لعلمه بسرورك به أن يكتب اليك بذلك لتحمد الله عليه
وتشكره به فان الشكر من الله باحسن المواضع وأعظم المنازل فازد منه تزد به وحافظ
عليه وتحفظ به وارغب فيه بهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم فاقري
على من قبلك كتاب أمير المؤمنين اليك ليسر به جندك ورعيته ومن حمله الله النعم بامر
المؤمنين ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباده من سلامة أمير المؤمنين في بدنه ورأفته بهم
واعتائه بامورهم فان زيادة الله تعالى شكر الشاكرين والسلام

ولعبد الحميد الى مروان في حاجة

ان الله بنعمته على لما رزقني المنزلة من أمير المؤمنين جعل معها شكرها مقر ونابها
فهني تمني بالزيادة والشكر مصاحب لها فليست تدخلي وحشة من أبناء حاجتي وأنا أعلم انه
لو وصل الى أمير المؤمنين علم حالي أغنانني عن استزادته ولكنني تكنتني مؤن استنفضت
ما في يدي وكنت للخلف من الله منتظرا فاني انما أتقلب في نعمه وأتمرغ في فوائده وأعتصم
بساله مدبر وفه كان عندي

ولعبد الحميد في وصف الاخاء

فان أولى ما اعزز عليه ذو والاخاء وتوصل اليه أهل المودات مادعا سببا به صدق التقوى
وبنيت دعائمه على أساس البر ثم اتهد البنائين (٤) التواصل وشيده مستعذب العشرة
قادم قويا وصفي مرتقا وبخاصه (٥) الحقة منقطعة وسكنت به القلوب أيسنة وسمت
من مواصلة لهم مستعلية عن كل زائغ معتاف ومخوف عارض يحترم مسكة الاخاء ويختار
مر بوب الملقضا بما استعذبوا من محمود ثاقفه وازدياد افيا تعطوقابه من حلاوة جنه فاذا
استحكم لهم مدخور الصفاء بنبات أو اخيه وظهور أعلامه ومحصول مخبره وثقة مواده كان

سرورهم باعتلاقه وانتهاجهم بوجدانه وانماهم صلته وبذلهم رعايته وحياطتهم بمجودة بحيث نالوا من معرفته حظونه واستولوا عليه من مزية كرمه وتعرفوا من ذخيرة عائدته ومأمون حفاظه وكشف لهم عن نفسه مظهر اعلامه مبيد اذ فينته طارحاً قناع سره معلنا مكنون ضميره في نأى الدار وجدان (١) المجتمع باظهار ما استتر من المحاسن وبث في الخقب من المكارم قياما لهم بالنصرة وحياطا للمودة وترغيبا في العشرة فكان رأى كهف لجأ وأحوز حصن وأحصف جنة وأعون ظهير وأبقى ذخيرة وأعظم فائدة وأشرف كنز وأغفر صنعة وأقنى منظر وأيسر زهرة أكثر الاشياء ريبا وانماها وصلا وأمد لها سببا وأقواها أبدا وأحلاها ذوقا وأدعمها ثباتا وأرساها ركنا لا يدخل مستحقها سائمة ملال ولا كلال مهنة ولا تنبسط ونية ولا ضعف خور ونزول باثقة وأطروق طارقة من عوارض الاقدار وحوادث الزمان بل مواسيا في أزمتها متورطا في غمرات حقها (٢) مندرعا هائل بواقفها مستلحما (٣) نواظر مقاطعها حتى تصير به الاقدار الى تنهاها ويبلغ به القضاء مقدار غير منان النصره ولا يرم التعب يرى تعب غما ونصبه دعة وكافه فائدة وعمله مقصرا وسعيه مفرطا واجتهاده مضيا بعدل الولد في بره والوالد في شفقتة والاخ في نصرته والجار في حفظه والذخر في ملكه فإين المعدل عن مثله أو كيف الاصابة اشبهه أو انى عوض من فقدته جعنا الله وإياك على طاعته والفتنا بحبابه وجعل اخوتنا في ذاته

قد حددت لك أو اخي الاخاء متعبا ووصفته لك مخلصا وانتهيت بك الى غاية أهل العقل منه وما تواصل أهل الرأى عليه ودعا اليه الاخاء من نفسه منتظا به ضامنا له ما فرط في ذلك تفصيلا من أهله وداخله تضيق من حلاته وأحاطه أحكام وكنفه حفاظ من رعايته .

وافانى كتابك بمسائل من ذلك أعقلى محصور ورأى منقسم وذهنى فيما يتأهب به الامير . . . والله من خزر الترك واختلاف رسله الى جبال اللان والطبران وما والاها بنوافذ أمره ومخارج رأيه فانا مصيخ السمع للفظه عقل العقل عن سوى أمره محتضر الذهن في تدبيرهم ذهل القلب عن تفنيس القول وتشيعب الكلام في تصنيف طبقات الرجال ومن أين دخل عليهم نقص الاخاء وكيف خانهم موق الصفاء وقد صرحت لك عن رأى ذوى الصفاء وكشفت لك خباء الاخاء وجعلت لك القمودة أهل الحجب فلتق

(١) القحمة بضم القاف الافتحام في الشيء والمهلكة (٢) استلحم بمجهولا

روهنى في القتال

ما وصفت لك بقلب فهم عقول ذي ميزة يقظان وذهن جامع حافظ ذي ثقافة راع . أحضرك الله عصمة التوفيق وسددك الله لاصابة الرشد ومكن لك صدق العزيمة والسلام .

ومن رسائل عبد الحميد ما كتب عن مروان الى هشام يعزبه بامرأة من حظاياه (١) ان الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من انيسته وقرينته متاعه الى أجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفوس منها في المنقلب وارجع في الميزان وأسنى في العوض فالجدة وانا اليه راجعون .

وكتب موصيا بشخص يقول :

حق موصل كتابي اليك كحقه على اذ جعلك موضعا لأمه ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمه .

وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة :

حتى اعتراني خنادس جهاله ومهاوى سبل ضلالة ذال لاسبابه وسلماني قياده الى نزل من حميم وأصلية حجيم سوى ما انتجت الحفيظة في نفسه من عوائد الحك وقدمت الفتنة في قابه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناسبة ومبارزة لأمير المؤمنين بالمجاربة ومجاهرة للمسلمين بالمخالفة الى ان أصبح بفلاة قفر ونية صفر بعيدة المناط يقطع دونها النياط وكذلك الله يفعل بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون .

وكتب من رسالة أخرى الى أهله وهو منزه مع مروان :

أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها وشكاها مستزبدا لها وقد كانت أذاقتنا أواريق استحليناها ثم جحدت بنا نافرة ورحتنا مولية فلم عذبها وخشن لينها فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا فان تم البلية الى أقصى مدتها يسكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم ترجع اليكم بذل الاسار والنل شر جار . نأله الله الذي يعز من يشاء وبذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار أمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين

هذه الرسائل الاربع منقولة عن شرح رسالة ابن زيدون

وله من رسالة (١) كتب بها عن آخر خلفاء بني أمية وهو مروان الجعدي لفرق العرب حين فاض الجحيم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية .
فلانمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة الجحمية واثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة ونصحو من هذه السكره فسينضب السيل وتمحي آية الليل والله مع الصابرين والعاقبة للثقلين

رسالة عبد الحميد الى الكتاب (٢)

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين أصنافا (٣) وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم (٤) وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الادب والرواة (٥) والعلم والزانة بكم تنظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها ونصائحكم يصلح الله للخلاق سلطانهم ويعمر بلدانهم (٦) لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الامنكم فوقكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فامتنعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضافه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتناع خلال الخبر المحموده وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره ان يكون مليحا في موضع الحلم فهما (٧) في موضع الحكم (٨) مقداما في موضع الاقدام محجما (٩) في موضع الاحجام

(١) أوردها صاحب كتاب عنوان المرقصات والمطربات (٢) عارضنا هذه الرسالة التي أخذناها عن مقدمة ابن خلدون المطبوعة على نسختين مخطوطتين من المقدمة احدهما في مكتبة أجدزكي باشا والثانية في خزائنه كتب أحمد تيمور بك وهما من أسانيد العلم والادب في القاهرة (٣) نسخة : أضيفا (٤) خ في معاشهم (٥) خ الروءة (٦) خ بلادهم (٧) خ فهما (٨) خ الفهم (٩) خ محجما

مؤثر للعفاف والعدل والانصاف كتوما للأسرار وفياعند الشدة أمد عالم بما يأتي من النوازل يضع الأمور وموضعها والطوارق في أما كنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه (١) أخذ منه بمقدار (٢) من الحسن واحتمل على صرفه (٣) عما يهواه من القبح (٤) بأطف حيلة وأجل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت جوحا (٥) لم يهيجها اذا ركبها وان كانت شبو بالانقاها من بين أيديها (٦) وان خاف منها شر ودأقها من ناحية رأسها وان كانت حرة ونافق يرفق هواها في طرقها فان استمرت عطفتها يسيرا فيلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل (٧) لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم (٨) وداخلهم والكتاب بفضل (٩) أدبه وشر يف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس وينظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومدارائه وتقويم أودمه من سائس البهيمة التي لا تحب جروا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطا بالابقدر ما يصيرها اليه صاحبها الركب عليها .

الا فارقوا رحكم الله في النظر واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله بمن يحبتموه النبوة والاستئصال والجفوة ويصبر منكم الى الموافقة وتصبرون منه الى الموافقة والشفقة ان شاء الله تعالى .

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبناءه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تعملون في خدمتكم على التقصير وحفظه لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويدلان الرقاب ويضحيان اهلها ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب . وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتلف أعمالكم بما سبقت اليه تجاربكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير وأضعها بحجة وأصدقها حجة وأجدها عاقبة . واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ عمله ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه

- (١) خ فان لم (٢) خ مقدار (٣) خ لصفه (٤) خ من القبيح (٥) خ رموحا (٦) خ من قبل يديها (٧) خ دليل (٨) خ وخدمهم (٩) خ الفضل

وجوابه وليأخذ بجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل (١) عن إكثاره .
وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب ببدنه وعقله
وأديه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذي برز من جيل صنعته وقوة حركته انما هو
بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه (٢) أو مقالته (٣) الى أن يكلاه الله عز وجل
الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غيب خاف . ولا يقول أحد منكم انه
أبصر بالامور وأحجل اعب عما يكتفى به يعرف بغير ردة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته
ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدل لكل أمر عده وعتاده ويهيئ
لكل وجه هيشته وعادته . فتنا فساويا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين
وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم أجيءوا الخط
فانه حلية كتبكم واروا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والحجم وأحاديثها
وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه مهمكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام
كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها وذنيها وسفساف الامور ومحقرها فانها
مذلة للرقاب مفسدة للكتاب وزور هو اصنافكم عن الدماء (٤) وارثوا بانفسكم عن السعاية
والخميمة وما فيه أصل الجهالات واباكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلية من
غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالنسي هو أليق لاهل (٥) الفضل
والعدل والنبل من سلفكم وان نال الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه واسوه حتى يرجع
اليه حاله ويشوب اليه أمره وان أقعد أحدكم (٦) منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه
وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من
اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في الشغل
محمدة فلا يصرفها (٧) الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر
السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء
وهولكم أقدم منه لها . فقد علمتم ان الرجل منكم اذا محبه من يئذله من نفسه ما يجب له
عليه من حقه فواجب عليه أن يعتدله من وفائه وشكره واحتماله وخيره (٨) ونصيحته
وكتبان سره وتديراً أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق (٩) ذلك تبعاله عند الحاجة اليه

(١) خ للشاغل (٢) خ بحسن ظنه (٣) خ فعاله (٤) خ الدنات (٥) خ باهل
(٦) خ أحدكم الكبر (٧) خ يصفها (٨) خ وصره (٩) خ ويقعد ذلك بفعله

والاضطرار الى ماله . فاستشعر واذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسراء والضراء فتعمت التسمية هذه من (١) وسمي بها من أهل هذه الصناعة الشريفة . وادأولى الرجل منكم أوصير اليه من أمر خلق الله وعباله أمر فليراقب (٢) الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللظالم منصفا فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بهياله .

ثم ليكن بالعدل حاكما ولا لشراف مكرما وللقى موفرا وللبلاء عامرا وللرعية متألفا وعن أذا هم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حلما وفي سجلات خواجه واستقضاء (٣) حقوقه رفيقا وإذا حب أحدكم رجلا فلا يخبتر خلائقه فإذا عرف حسنها وبيعها أعانه على ما يوافق التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته . فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رعى بالهيب وراء ظهره ورأى ان صاحبه أعقل منه وأجل في طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا بكاذر (٤) على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته .

وحد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتسذلل لعزته والتحدث بنعمته . وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل . وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فذلك جعلته آخوه وتممته به . نولانا لله وإياكم يوم عشر الطلبة والكتابة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده فان ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) خ لمن (٢) خ فليراقب ربه (٣) خ استقصاء (٤) خ ولا تكثر على

القسم الثاني

الرسالة العذراء (١)

في موازين البلاغة وأدوات الكتابة كتبها أبو اليسر إبراهيم بن محمد بن المدر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فتق الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك ، وأطلق بالحق لسانك ، وشرف به بيانك ، وصل الى كتابك العجيب الذي استفهمتني فيه بجوامع تلك جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة ، سألتني أن أقف بك على وزن هندوبة المنة وحلاوته ، وحدود نغمة المعنى وجزائته ، ورشاقة نظم الكتاب ومشاكلته سرده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وصوله ، وسلامته من الزلل ، وبعد همامن الخطل . ومنى يكون الكتاب مستحقة اسم الكتابة ، والبلغ مسلح له معاني البلاغة ، في اشارته . واستعارته . والى أى أدوانه هو أحوج . وبأى آلاته هو أعمل . إذا حصص الحق . ودعى الى السبق . وفهمته وأثار اسم لك أيديك الله من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك . ويعبر عن جملة سؤالك . وإن طولت في الكتاب وعرضت وأطنبت في الوصف وأسهبته . ومستقص على نفسي في الجواب على قدر استصاكت في السؤال . وإن اخل به التيات الحال ، وسكون الحركة . وفتور النشاط ، وانتشار الروية ، وتقسيم الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان

اعلم أيديك الله أن أدوات ديوان جميع المحاسن وآلات المكارم طاعة متقادة لهذه الصناعة التي خطبتها وتالية تابعة لها وغير خارجة الى مجرد أحكامها ولادافعة لما يلزمها الاقرار به لها الاضرار منها اليها وبجزاعنها فإن تفاضلتك نفسك عليها ونازعتك همتك الى طلبها فاتخذ البرهان دليلا شاهدا والحق اماما قائدا يقرب مسافة ارتيادك ويسهل عليك

(١) منقولة من مجموع قديم من كتب الشيخ طاهر الجزائري وقد طبقتها على

الاصل ولم نظفر بنسخة ثانية لها

سبل مطالبها واستوهب الله توفيقا تستنجم به مطالبك ، واستمنحه رشدا يقبل اليك
بوجه مذهبك ، فاقصد في ارتيادك ، وتأمل الصواب في قولك وفعلك . ولا تسكن الى
مجرد قصد السابق باللجاج ، ولا تخرج الى اهمال حق الصيب بالمعاندة والانكار .
ولا تستخف بالحكمة ولا تصغر هاجث وجدتها فترحل مافرة عن موطنها من قلبك
وتظعن شاردة عن مكانها من بالك ، وتتعنى بعد العماراة من قلبك آثارها ، وتنظمس بعد
الوضوح اعلامها

واعلم ان الاكتساب بالتعلم والتكلف وطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب
الحكماء فان أردت خوض بحار البلاغة وطلبت أدوات الفصاحة فتصفح من رسائل
المقدمين ما نعتد عليه ومن رسائل المتأخرين ما ترجع اليه في تلقيح ذهنك . واستنجاح
بلاغتك . ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء
ما يتسع به منطقك . ويعذب به لسانك ويطول به قلبك

وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعاني العجم وحدود المنطق
وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقعاتهم وسيرهم ومكايدهم في حروبهم بعد
ان تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والشروط ككتب السجلات
والامانات فانه أول ما يحتاج اليه الكاتب وتمهر في نزاع آي القرآن في مواضعها واجتلاب
الامثال في أما كتبها واختراع الالفاظ الجزلة وقرض الشعر الجيد وعلم العروض . فان
تضمن المثل السائر والبيت الفابر مما يزين كتابتك ما لم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر
فان اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجللة رؤساء عيب واستهجان للكتب الا أن يكون
الكاتب هو القارض للشعر والصانع له فان ذلك مما يندى أبهته ، ويدل على براعته ،
وان شذوت من هذه العلوم ما لا يشغلك محله وتنقبت من هذه الفنون ما تستعين به على
اطالة قلبك وتقويم أودبياتك

بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، حلوا الشائل ، عذب الالفاظ ، دقيق الفهم
حسن القامة . بعيدا من القدماء خفيف الروح . حاذق الحس . مخنكا بالتجربة . عالما
بحلال الكتاب والسنة وحرامهما . وبالملك وسيرها وأيامها . وبالدهور في تقابها وتداولها .
مع براعة الادب . وتأليف الاوصاف . ومشاكلة الاستعارة . وحسن الاشارة وشرح المعنى
بمشله من القول حتى تنصب صوراً منطقية تعرب عن أنفسها . وتدل على أعيانها . لان

الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب طول القامة . وصغر الهامة . وخفة اللهازم . وكثافة اللحية . وصدق الحس . ولطف المذهب . وحلاوة الشبائل وملاحاة الزى حتى قال بعض المهابة لولده : نزيوازي الكتاب فان فيهم أدب الملوك ونواضع السوق

وخطب كلا على قدر رايته . وجلالته . وعلوه وارتفاعه . ونفطنه وانزياحه . واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام فاربعة منها للطبقة العلوية وأربعة دونها ولكل طبقة منها درجة ولكل قسمة حظ لا يتسع للكتاب البليغ أن يقصر بابلها عنها . وبقلب معناها الى غيرها : فالطبقة العليا الخلافة التي أعلى الله شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل . والطبقة اثنائية الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بقولهم وأستهم . ويرتقون الفتوق بأرائهم ويتجملون بأدبهم : الثالثة أمراء شعورهم . وقوادجيو شعهم . يخاطب كل امرئ منهم على قدره بما جعل من اعباء أمورهم . وجلال أعمالهم . الطبقة الرابعة القضاة فانهم وان كان لهم تواضع العلماء وحلية الفضلاء فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الامراء

أما الطبقات الاربع الاخرى فالملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب وافضالهم تفضيلهم فيها . واثنائية وزراءهم وكتائبهم واتباعهم الذين هم تفرع أبوابهم وبعنايتهم تستباح أموالهم : والثالثة هم العلماء الذين يجب توفيرهم في الكتب لشرف العلم وعلو درجة أهلهم . والرابعة لاهل القدر والجلالة والظرف والخلاوة والعلم والادب فانهم بضطر ونك بحدثة أذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادهم الى الاستتقاء على نفسك في مكاتبتهم

واستغنيانا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة لاستغنائهم بتجارهم عن هذه الآلات واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان تراعيها في مراسلتك اليهم في كتبك وترز كلامك في مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى أضعت ذلك لم آمن بك أن تعدل بهم غير طريقهم وتجري شعاع بلاغتك في غير مجراه وتنظم جوهر كلامك في غير شكله فلا يفيد المعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا جازلا لا تقا من كاتبته ومشابه المن راسلته

وان الباسك المعنى وان شرف وصلح لفظا مختلفا عن قدر المكتوب اليه لم تجر به عادتهم تهجين المعنى واختلال قدره وظلم لحق المكتوب اليه ونقص مما يجب له كما ان في امتناع تعارفهم وما انشرت به عادتهم وجرت به سنتهم وضع القدرهم وخروجهم من حقوقهم . وبلوغا

وبلوا إلى غير غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم ضمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها في كتب السادات والامراء والملوك على اتفاق المعاني مثل أبقاك الله طويلا وعمرك مليا وان كنا نعلم انه لا فرقان بين قولهم أطال الله بقاءك وبين قولهم أبقاك الله طويلا ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا وأنيب قدرافى مخاطبة الملوك كما أنهم جعلوا أكرمك الله وأبقاك أحسن منزلة في كتب الظرفاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتماله أن يكون فداء من الخير كما يكون فداء له من الشر ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : فداك أبى وأبى بكرهت أن يكتب بها أحد على أن كتاب العسكر وعوامهم فداوا ولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها في جميع محاوراتهم وجعلوها هجيرا هم في مخاطبة الشريف والوضيع والصغير والكبير ولذلك قال محمود الوراق :

كل من حل سرت من رامن الناب * س ومن يصاحب الاملاكا
لورأى الكلب ما تلا في طريق * قال للكلب يا جعلت فداكا
وكذلك لم يجزوا أن يكتبوا مثل أبقاك الله وأمتع بك الا الى الحرمة والاهل والتابع
والمنقطع اليك وأما في كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه ولذلك كتب
عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أحلت عماعهت من أدبك * أم نلت ما كافتهت في كتبك
أم هل ترى ان في التواضع للاخ * وان نقصاعليك في حسبك
أتعبت كفيك في معكاتبتي * حسبك مما يزيد في تعبك
ان جفاء كتاب ذى أدب * يكتب في صدره وأمتع بك
فكتب اليه محمد بن عبد الملك

أنكرت شيئا فاستفاعله * فلن تراه يخط في كتبك
فأعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات في أدبك
كيف أخون الاخوان أملى * وكل شئ أنال من سببك
ان يك جهلا أناك من قبلى * فعد بفضل على في أدبك

وأما صدور السلف فأنما كانت من فلان بن فلان الى فلان كذلك جرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العلاء بن الحضرمي وإلى أقيال اليمن وإلى كسرى وقيصر وكتب أصحابه

والتابعين كذلك حتى استخلص الكتاب هذه المحدثات من بدائع الصدور واستنبطوا لطيف الكلام ورتبوا الكل رتبة وجهاً وعلى تلك السنة الماضية إلى عصرنا هذا في كتب الخلفاء والأمراء وتبوا على ذلك المهاج في كتب الفتوحات والأمانات والسجلات وكل مكتوب إليه قدر ووزن ينبغي للكاتب أن لا يتجاوز به عنه ولا يقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الأحواس حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * صدق الحديث يقول ما لا يفعل

فهذا معنى صحيح في المدح ولكنهم أجابوا أقدار الملوك أن يمدحوا بما يمدح به العوام لأن صدق الحديث وانجاز الوعد وإن كان مدحاً فهو واجب على كل والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة وإنما يحسن مدحهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك أنك لاتزني بحليلة جارك وأنت لا تخون ما استودعت وأنت تصدق في وعده وتفي بعهده كان قد أتى بما يجب ولكن لم يصل بشأنه إلى مقصده وقال ما لا يستحسن مثله في الملوك

ونحن نعلم أن كل أمير تولى من أمور المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين غير أنهم يطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ونعلم أن الكيس هو العقل إذا عتبه ضد الحق ولكنك لو وصفت رجلاً فقلت : إن فلاناً لعقل كنت قد مدحت عند الناس ولو قلت إنه كيس كنت قد قصرت في وصفه وقصرت به عن قدره لا عند أهل العلم بالغة لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكامة إلا إلى حيث جرت منها العادة في استعمالها في الظاهر مع الحداثة والعزة وخساسة القدر وصغرا السن فقدر ويتأعن على رضى الله عنه أنه تبجح بالكيس حين بنى الكوفة وقال :

أما ترى كيف أمكيسا * بنيت بعدنا فمغيبا

حنا حصينا وأميرا كيسا

وقال آخر : ما يصنع الاحق المرزوق بالكيس ونعلم أن الصلاة : راحة غير أنهم قد حرموها الأعلى الأنبياء كذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه وسمع سعد بن أبي وقاص أخاه يلبي ويقول : يا ذا المعارج فقال نحن نعم أنه ذو المعارج ولكن ليس كذلك كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كنا نقول : لييك اللهم لييك : وكان أبو إبراهيم المزني قال في بعض ما طالب به داود بن علي خلف الإصهاني فقال : وإن قال كذا فقد خرج من الملة والحمد لله فاتقده عليه ذلك داود وقال : محمد الله على أن يخرج مسلم من الإسلام هذا موضع استرجاع وللمحمد مكان يليق به ونحن نقول على المصيبة أنا لله وأنا إليه راجعون .

فامثل هذه الرسوم والمذاهب واجوعلى آدابهم فلكل رسوم امثلوها وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وافتتاحها وخاتمتها وضع كل معنى في موضع يليق به وتخير لكل لفظة معنى يشا كلها وليكن ماتختم به فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل . وفي موضع ذكر البلوى نسأل الله دفع المذود ونسأل الله صرف السوء وفي موضع ذكر المصيبة بمثل انالله وانا اليه راجعون . وفي موضع ذكر النعم بمثل والحمد لله خالصا والشكر لله واجبا . فانها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها فانما يكون كتابا اذا وضع كل معنى في موضعه وعاق كل لفظة على طبقتهما من المعنى فلا يجعل أول ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ولا أوله في آخره فاني سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول لا ينبغي للكاتب أن يكون كتابا حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدم آخره .

واعلم انه لا يجوز في الرسائل ما أتى في آتى القرآن من الايصال والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لان الله سبحانه وتعالى انما خاطب بالقرآن أقواما فصحاء فهم واعنه جل ثناؤه أمره ونهيه ومراده والرسائل انما يخاطب بها قوم دخلاء على اللغة لاعلم لهم بلسان العرب وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى المتببس فانه ان ذهب على مثل قوله تعالى : واسأل القرية واسأل العير بل مكر الليل والنهار احتاج أن يبين بل مكر بل بالليل والنهار ومثله في القرآن كثير

ولا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر لان الشعر موضع اضطرار فاعتذر وفيه الاغراب وسوء النظم والتقديم والتأخير والاضمار في موضع الاظهار فن الحذف قول الخطيب (من صنع سلام) يريد سليمان بن داود وكقول الآخر (والشيخ عثمان أبو عفان) وكقول الآخر

وسائلة بشعبة بن سير * وقد علفت بشعبة العلوق

أراد ابن سيار وكقول النابغة (ونسج سليم كل قضاء زائل) يريد سليمان وكذلك ينبغي في الرسائل أن لا يصغر الاسم موضع التعظيم وان كان ذلك جائزا على مثل قوله دويمة وجذيل وعزيق . وما لا يجوز في الرسائل كلت اياك واعني اياك واساءة النظم في التأليف في الشعر كثير وان يكون الكلمة بشعة حتى اذا وضعت موضعها وقرنت مع أخواتها حسن حالها وراقت كقول الحسن بن هاني

(ذو حضر أقات من كد القبل) والكدة كلمة قلقة لاسيما في الرقيق والغزل والتشبيب غير انها ما وقعت في موضعها حسنت كما ان اللفظة العذبة اذا لم توضع موضعها نفرت قال :

رأت عارضاً جونا فقامت غريرة * بمسحاتها قبل الظلام تبادره
فأوقع الجلف الجاني هذه اللفظة غير موقعة لها وظلمها إذ جعلها في غير مكانها لان المساسي
لا تكون ولا تصلح للغرائر وأين كان عن قول الشاعر
غرائر ما حدثن يهدين انسة * فنافوه منهن غسسير غرائر
حديث لوان العصم تدعى به أنت * ودون يد الفحشاء حد البواتر
فتخبر من الالفاظ أرى هاؤنا : وأبزلها معنى ، وأليقها في مكانها ، وليكن في صدر
كتابك دليل واضح على مرادك وافتتاح كلامك رهان شاهد على مقصدك حيثما جريت
فيه من فنون العلم وزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات فان ذلك أبزل لمعناك
وأحسن لانساق كلامك ولا تظيان صدر كلامك اطالة تخرجه من حده . ولا تقصر به عن
حقه . ولوصور اللفظ وكان له حدا وقفك عليه غير انهم في الجلة كرهوا أن يزبدوا سطور
كتب الملوك على سطرين وهذه اشارة لاتعبر الا عن الجملة من المقصود اليه لان الاسطر
غير محدودة

واعلم ان أول ما ينبغي لك أن تصلح آلتك التي لا بد لك منها وأدواتك التي لاتتم صناعتك
الا بها وهي دواتك فابدأ بعمارتها واصلاحها وتخفيف اليفة ثقبة من الشعر والودح ثلاثيخرج
على حرف قلحك ما يفسد كتابك ويشغلك بتثقيته وخدم من اللداد الفارسي خمسة دراهم
ومن الصمغ العربي درهما وعفصا مسحوقا نصف درهم ورماد القرطاس المحرق درهمين
ثم تستحقها وتغربلها وتجمعها بيباض البيض ثم يندفقا واجعلها في الظل فاذا احتضت
اليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرتنه وحشوت به دواتك واذا انقعته في ماء السلق
حتى ينحل ويدوب وينتخم ثم أمددت من مائه دواتك كان أجود وأنيق ثم اختر بعد ذلك من
أنايب القلم الذي يصلح لكتابة القرطاس أقله عقد أو كنفه لحا وأجلبه فشر أو أعدله
استواء وتجنب الاقلام الفارسية ما استطعت فانها ما تصلح الا لالساكو اغدو والقوق

واجعل لقلحك راية حادة فان تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ناقص مروته
ومخل يظرفه وان قدرت ان لا تقطع القرطاس اذا فرغت من كتابك الا بخرطوم قلحك
فاقل فان ذلك أكمل لمروته وأبدع لظرفك وقطعك

. واستعمل لبري القلم سكيناطوا ويسيامدلى الحد وميض الطرف فيكون ذلك عوناً
لك على برى أقلامك فان محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس وأن قيل كأنه الرمح

الرديني فقد قال الكاتب كأنه القلم البحري . وتفقد الانوبة قبل يريكمها التلاتجعلها منكوسة وابرهامن ناحية نبات القصبه وارهب ما قدرت جانبي فملك ليرد ما انتشر من المداد ولا تطل شقه فان القلم لا يمج المداد من شقه الامقدار ما احتملت شتاه فارفع شبتيه ليجمعالك حواشي تحضيره وأما قط القلم فعلى قدر القلم الذى يعطاه الكاتب من الخط غير ان المسلسل لا يكاد يتسلسل الا بالقلم المربع القط كما ان كتب الملوك والسجلات لا تحسن الا بالقلم المحرف الكوفي واما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه والمقصود اليه في النوائب والمهمات

ورأيت كثيرا من الكتاب يختارون قلم الرجس لتجمده وتجانسه ومن اللازورد أبط منه وأقوم حروفا وأما الموشع والمولع والمديج والمنعم والمسهم فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه وأما حسن الخط فلا حمله قال على بن زبير النصراني الكاتب : أعلمك الخط في كلمة واحدة لا تكتب حروفا حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف المبدوء به وتجعل في نفسك انك لا تكتب غيره حتى لا تجعل عنه الى غيره . وياك والنقط والشكل في كتابك الان تمر بالحرف المعضل الذى تعلم ان المكتوب اليه يهجز عن استخراجاه فلا تيسر على الحرف أحب الى من أن يعاب بالنقط والاعجام . وقال المأمون لكتابه اباى والشونيز في كتبكم يعنى النقط ولذلك قال ابن هاني :

لم ترض بالاعجام حين كتبته * حتى كتبت السب بالاعراب

ولا تغفل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فقد قال أبو العيضاء ان بنى أمية هم الذين كانوا أمروا كتابهم فطر حوا ذلك من كتبهم فطرت عادة الكتاب الى يومنا هذا على ماسنوه . وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تجعلوا في كقدح الركب ولكن اجعلوا في أول الدعاء وأوسطه وآخره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولا وأوسطا وآخر

وأحب أن تجعل بدل الاشارة التراب فان النبي صلى الله عليه وسلم قال أثروا كتبكم فانه أنجح للحاجة ولا تدع التاريخ فانه يدل على تحقيق الاخبار وقر بها وبعدها وانظر الى ماضى من الشهر وما بقى منه فان كان الماضى أقل من نصف الشهر قلت الكذاليسلة مضت من شهر كذا وان كان الباقي أقل من النصف قلت الكذا أيضا بقيت وقد قال بعض الكتاب ان الماضى من الشهر ان تحصى والباقي لا تحصى لانك لا تدري أيتم الشهر أو ينقص وليس

هذا بشئ لان تاريخ الكتاب ليس من الاحكام في شئ وما على الكاتب ان يكتب الابحاطير
وتبين لا بما يظن

ولا تجعل سحاة مكتبك غليظة الافى العهود والسجلات التى تحتاج الى خواتمها
وطوابعها فان محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر أخبر عنهم ان عبد الله بن طاهر كتب
الى العراق فى اشخاص كاتب كان كتب اليه فكاتب وغلظ سحاة كتابه فرد الكتاب اليه
فقدم عليه راجيا لبره وجائزته فقال عبد الله بن طاهر : ان كان معك مسحاة فاقطع خزم
كتابك وانصرف وراءك ، وكذلك لا تعظم الطينة فى المثل من عظم الطينة فانه مظلوم
ولا تطعمها الا بعد عنواناتها فان ذلك مراد بهم وقد يجب عليك علم الصاق القراطيس ومحوها
ولم أر شيئا فى الصاقها اللطف من أن ينقع الصمغ العربى فى الماء ساعة حتى يذوب ثم يلصق به
وكذلك ماء الكثير والنشاستج ثم تطويه طيارقيقا وتجعله فى منديل نظيف ويرفع تحت
وسادة حتى يجف وأما محوها فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه غير أنه ينبغي له أن لا يلقط السواد
من القراطيس الا بمثل الشمع المسخن واللبن الممضوغ وما أشبههما ثم يكون لقطه رويدا
رويدا كلما لقط جانبا حوله الى الجانب الآخر

وأما قراءة الكتب المحتومة والتلطف للنقص خواتمها فمالا نذكره خوفا من سفية
وأما ضممين الاسرار حتى لا يقرأها غير المكتوب اليه ففيه أدب وقد تعلق العامة
بالقعى والاصهاني فيجب أن يبدل الحروف تبدلا يخفى وألطف من ذلك أن تأخذ لبنا طيبا
فككتب به فى قراطس فيذر المكتوب اليه عليه رما داحارا من رما د القراطيس فانه يظهر
وان كتب بماء الزاج وذرع عليه العفص المدقوق مجاز أو بماء العفص وذرع عليه شيئا من
الزاج أو ينقع شيئا من وشق ثم تكتب به ثم تثر عليه الرما د فانه يظهر وان أحبته لا يقرأ
بالتنهار و يقرأ بالليل فأكثبه بمرارة السلحفاة وان حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب فزن
اللفظة قبل أن تخرجها بعيزان التصريف اذا عرّضت والكلمة بعياره اذا صنعت فرما
مربك موضع يكون مخرج الكلام اذا حسب أنا فاعل أحسن من أنا فاعل واستفعلت
أحلى من فعلت

وأدر الالفاظ فى أما كتبها واعرضها على معانيها وقابها على جميع وجوهها حتى تقع
موقعها ولا تجعلها غليظة نافرة فتى صارت كذلك هجنت الموضوع الذى أردت تحسينه واعلم ان
الالفاظ فى أما كتبها كتر فمع الثوب الذى اذالم تشابه رقاعه تغير حسنه قال الشاعر :

ان الجديدا اذا ما زيد في خلقه • تبين الناس ان الثوب مرقوع
وارتد لكتابك فراغ قلبك وساعة نشاطك فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف
لان ساحة النفس بمكنوتها وجود الازهان بمنحزوتها انما هو مع الشهوة المفرطة في الشر
والهبة الغالبة فيه والغضب الباعث منه ذلك • قيل لبعضهم لا تقول الشعر قال : كيف أقوله
وأنا لا أغضب ولا أطرب • وهذا كله ان جريت من البلاغة على عرق ، وظهرت منها على
حظ ، فاما ان كانت غير مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تنضى مطيتك في
التماسها ، ولا تعجب بذلك في ابتنائها ، واصرف عنائك عنها ، ولا تطمع فيما باستعارتك
ألفاظ الناس وكلامهم فان ذلك غير مشرئك ولا مجد عليك ومن كان مرجعه فيها الى
اغتناب ألفاظ من تقدم والاستضاءة بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم يكن
معه أداة تولده من نبات قلبه وتناجح هذه الكلام الحر والمعنى الجزل فلم يكن من الصناعة
في غير ولا نغير

على ان كلام العظماء المطبوعين ودرس رسائل المتقدمين على كل حال عما يفتق الاسان
ويوسع المنطق ويشجع الطبع ويستثير كوامنه ان كانت فيه سجية قال العتابي : ما رأينا
فيما نصرفنا فيه من فنون العلم وسر ينافيه من صنوف الآداب شيئا أصعب مراما ولا أوعر
مسلكا ولا أدل على نقص الرجال ورجاحتهم واصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره من
الصناعة التي خطبتها والمعنى الذي طلبته وليس شيء أصعب من اختيار الالفاظ وقصدك بها
الى موضعها لان اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ولا يحسن في
مكان غيرها وتبميز هذه المعاني ومناسبة طبائع جهابذتها وما كاة أرواحهم جعلوا الكتابة
نبا وقرابة وأوجبوا على أهلها حفظها

سهل بن وهب : الكتابة نفس واحدة تجزأت في أبدان مفترقة ومن لم يعرف فضلها
وجهل أهلها وتعدى بهم رتبهم التي وصفهم الله بها فانه ليس من الانسانية في شيء • قالت
البرامكة : رسائل المرء في كتبه دليل على عقله وشاهد على غيبه قال الشاعر :

وتنكرود المرء في لحظ عينه • وتعرف عقل المرء حين تكتابه

آخر : وشعر الفتى بيدى غريزة طبعه • وبالكتب بيد عقله وبلاغته

الشعبي : يعرف عقل الرجل اذا كتب وأجاب • العتي : عقول الناس مدونة في
كتبهم • ابن المقفع : كلام الرجل وافتد عقله • وشبهت الحكماء المعاني بالغواني والالفاظ

بالمعارض فإذا كسب الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظاً رائقاً وأعاره مخرباً سهلاً كان للقلب آحلى والصدر أملئ ولكن بقاء عليه أن ينظمه في سلكه مع شقائه كاللؤلؤ المنشور الذي يتولى نظمه الحاذق والجوهرى العالم يظهر بأحكام الصنعة له حسنها وفيه ومنحة بهجة هي له كما أن الجاهل إذا وضع بين الجوهرتين خرزة هجن نظمه وأطفأ نوره . كان حبيب بن أوس ربحاً وقع على جوهرته فجعلها بين بعرتين قال الشاعر :

ولو قرنت بدر فآخر خزا * من الزجاج لقلنا بشما نظما

والياقوت حسن وهو في جيد الحسنة أحسن وكذلك الشعر الجيد موزون ولكنه من أفواه العظماء أتى والتاج الشريف بهى النظر وهو على الملك أبهى كما قال ابن الرقيات (يبتدل التاج فوق مقربة) قال أبو العتاهية لابن منذر : بلغنى أنك تقول الشعر في الدهر والقصيدة في الشهر فقال نعم لورضيت لنفسى أن أؤلف تأليفك وأقول : يا عتب يادرة الغواص : لقيت في اليوم والليلة ألف قصيدة وقال عمر بن لجأ لشاعر : أنا أشعر منك قال : ولم قال : لأنك تقول البيت وابن عمه وأنا أقول البيت وأخاه

فإن منيت بحب الكتابة وصناعتها والبلاغة وتأليفها وجاش صدرك بشعر معقود أودعتك نفسك إلى تأليف الكلام المنشور وتهيا لك نظم هو عندك معتدل وكلام لديك متسق فلا تدعوك الثقة بنفسك والمحب بتأليفك أن تهجم به على أهل الصناعة فإنك تنظر إلى تأليفك بعين الودلولده والعاشق إلى عشيقه كما قال حبيب :

ويشع بالاحسان ظناً لا كمن * هو بانيه وبشعره مفتون

ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء فمز وجابغيره فإن أصفوا إليه وأذنوا له وشخصوا بالأبصار واستعادوه وطلبوه منك وامتزج فأكشف من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه وانسبه إلى نفسك وإن رأيت عنه العيون منصرفة والقلوب عنه واهية فاستدل به على تخلفك عن الصناعة وتقاصر ك عنها واسترب رأيك عند رأي غيرك من أهل الأدب والبلاغة : فقد بلغنى أن بعض الملوك دعا انساناً إلى مؤانسته حتى ارتفعت الحشمة بينهما فأخرج له كتاباً قد غشاها بالجلود وجعل أطرافه بالبرسيم وسوى ورقه وزخرف كتابته وجعل يقرأ عليه كلاماً قد حبره فيه ونمقه عند نفسه وجعل يستحسن ما لا يحسن ويقف على ما لا يستنقل قراءته حتى أتى على الكتاب فقال له كيف رأيت ما قرأت عليك فقال أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه فقطن له ولم يعاوده إلى أن وقف به على تنوير

مسجور ثم قذف بالكتاب في النار وهذا رجل في عقله فضلة وفيه تمييز
وانما البلية فيمن اذا بينت له سوء نظامه واختياره ووقفته على سخافة لفظه هجره
وعاداك فاجعل هذا الاصل ميزانا تزن به مذهبك في رسالتك وبلاغتك ولا تخاطبن خاصا
بكلام عام ولا عاميا بكلام خاص فتي خاطبت أحدا بنفسه بريشا كاه فقد أجريت الكلام غير
بحرارة وكشفته وقصدك بالكلام الشر يف للرجل الشريف تنبيه أقدر كلامك ورفع
لدرجته قال :

فلم أمدحه تفخيا شعري * ولكني مدحت بك المديحا
فلما خرجت كلمة حتى زنها بميزانها فتعرف تمامها ونظامها ومواردها ومصادرها وتجنب
ما قدرت الالفاظ الوحشية وارفع عن الالفاظ السخيفة واقتضب كلاما بين الكلامين
الجاحظ : ما رأيت قوما مثل طريفة في البلاغة من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من
الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سويقيا : وقال خالد بن صفوان : أبلغ الكلام
ما لا يحتاج الى كلام وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المحدثج الذي صحت
مبانيه وحسن معانيه ودار على ألسن القائلين وخف على آذان السامعين ويزداد حسنا
على عمر السنين بتجلية الرواة وتنقية السراة والكتاب المستحق اسم الكتابة والبلغ
المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صنعة كتاب سالت على قلعه عيون الكلام من ينابيعها
وظهرت من معادنها وتدرج من مواطنها عن غير احتكراه ولا اغتصاب
حدثنا صديق للعناني قال له : عمل لي رسالة واستمدته مرة بعد أخرى فقال له : ما أرى
بلاغتك الاشاردة فقال له العناني : لما تناولت القلم تداعت على المعاني من كل جهة فاحسيت
أن أترك كل معنى يرجع الى موضعه ثم اجتنيت لك أحسنها * أملي يزيد بن عبد الله أخو دبنار
على كاتبه وأعجل عليه الاملال فتعثر فلم الكاتب عن تقييد اماله فقال متعشرا : اكتب
يا حمار فقال الكاتب : أصلح الله الأمير انه لما طلت شآبيب الكلام وتداقت سجيوله
على حرف القلم كل القلم عن ادراك ما وجب عليه تقييده فليزدكر الأمير عذري فكان
جوابه أبلغ من بلاغة يزيد . وكلما حاولي الكلام وعذب ورق وسهلت مخارجي كان
أسهل ولو جاني في الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه ولا سيما اذا كان المعنى
البديع مترجما للفظ موثق شريفا ومعبرا بكلام مؤلف رشيق لم يشنه التكلف بمسمة
ولم يفسده التعقد باستهلاكه كقول ابن أبي كريمة :

قفاه وجه حسن والذي * قفاه وجه يشبه الشمس
فهجن المعنى بتو عر مخارج الحروف وأخذ الحسن بن هاني فسهله وقال (بذ حسن الوجوه
حسن قفا كا) وكلاهما من حسان حيث يقول :

قفازك أحسن من وجهه * وأملك خير من المنذر
وانظر الى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :

شرست بل لست بل قابلت ذاك بهذا * فانت لاشك فيك السهل والجبل
وكتب عيسى بن طيبة كتابا الى بعضهم فعهده كلامه وجزا المقدار في التنقطع فوقع له

أني يكون بليغا * من اسمه كان عيا

وثالث الحرف منه * اذا كتبت مسيا

ودخل كاتب على مريض فوجده يتن غرج من عنده فوجد طاريا يقال له الشفانين
بباب الطاق فاستتره وبعث به اليه وكتب كتابا يتنقطع فيه ويذكر انه يقال له الشفانين شفاء
من الانين فاجابه لو عطست ضيا لم تكن عندى الانطيا فاقصر عن بعضك وسهل كلامك
ومثله بمحمد الموصلي بهجو حبيب بن أوس الطائي

أنت عندى عرنى * عرنى والسلام

شعر ساقيك ونف * نيك خزاي وعمام

وقفا تحلف مان * أعرفت فيه الكرام

أنا ما ذنبى ان الذ * نى فيسك الانام

وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قصة الى جعفر بن عبد الواحد القاضي وقال :
اكتب لي قصة سهلة بليغة الالفاظ فقلت له : دعني اكتب لك ما يصلح للقضاء فغضب وقال
ما أسأل ان تعطيني شيئا انما أسألك هذا المعنى الرخيص فاحتملت غيبه لتمام فكتبت له
قصة لاتصلح أن تدفع الاربعة بن الججاج يقرؤها والطرماس فلما حصلت بيد القاضي أراد
قراءتها فاذا هي مغلفة عليه فقال له : أنت كتبت هذه القصة قال : نعم قال : اذا فقرأها
فذهب ليقرأها فاذا هي بالسودانية استجما عليه فقال له : أصح الله القاضي انما أقرؤها
في بيتي فقال له : فاطلب حاجتك اذا في بيتك فرجع الى غضبان أسفا يشتم ويؤذى وسألني
أن أكتب له قصة على ما أرى فكتبت له كتابا يشبه أن يكون من مثله الى الفضاة فقرأها
وقضى حاجته وعلم انه لم يكتب واحدة منهما والكتاب اذا لم يكن شبيها بحاجة صاحبه كان

أحد الأسباب المانعة والمعاني كلها معتملة والكلام مشبعا ولكن سياسته ضمنية وتأليفه شديد الالاعلى جهابذته وفرسانه أمراء الكلام يصرفونه كيف شاؤوا ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ويكون اللفظ الاسبق الى الاسماع من معناه الى القلوب

الجاحظ : كان لفظه في وزن اشارته وطبعه في معناه في مطابقة معناه . ذكر الحسن ابن وهب أحمد بن يوسف فقال : ما كنت أدري ألفظه أنق أم معناه أو معناه أجزل أم لفظه . والمعاني وان كانت كامنة في الصدور فأنها مصورة فيها ومتصلة بها وهي كاللآلى المنظومة في أصدافها والنار المحبوعة في أعجارها فان أظهرته من اكنانه وأصدافه تبين حسنه وان قدحت النار من مكانها وأعجارها انتفعت بها والابقيت محجوبة مستورة وربما يستنار الكامن منها ويستخرج المنسمر من جواهرها بقدر حذق المستنيط وصواب حركات المستخرج وقصد اشارته ولطف مذاهبه وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ولا يصيب اشارته وكلما كان الكلام أقصع والبيان أوضح كان أدل على حسن وجه المعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر بالجلته الظاهر وإذا لم ينض بالمعنى الشر يف لفظه شريف جزل لم تسكن العبارة واضحة ولا النظام مذمقا والدال على المعنى أربعة أصناف لفظ وإشارة وعقد وخط

وذكر أرسطاطليس خامسا وهي التي تسمى النصبه وهي الحالة الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف الأربعة الناطقة بغير لفظ والمشييرة اليه بغير يد وذلك ظاهر في خالق السموات والارض وفي كل صامت وناطق وهي داخلة في جملة هذه المعاني الأربعة وخارجة منها بالخلية ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبها وخلية غير مشا كلمة لخلية أختها غير انها في الجملة كاشفة عن أعيان المعاني وأوضح هذه الدلائل صنفان منها وهما اللسان والقلم وكلاهما يترجان وبدلان على القلب ويستمليان منه ويؤديان عنه ما لا تؤدى هذه الاصناف الباقية

وأما اللسان فهي الآلة التي يخرج الاذا ان بهامن حد الاستبهام الى حد الانسانية ولذلك قال صاحب المنطق : حد الانسان الى الناطق وانما يبين عن الانسان اللسان وعن المودة العينان والله سبحانه رفع درجة اللسان فانطقه من بين الجوارح بتوحيده وما جعل الله من عبده عن شيء مثل من لم يعبر عنه

الاعور التيمى :

لسان الفتى اصف واصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(وقال آخر)

ان الكلام لى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

الطائي

وعما كانت الحكما قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد

للخط صورة معروفة . وحلية موصوفة وفضيلة بارعة . ليست لهذه الاوصاف لانه
ينوب عنها فى الايضاح عند المشهد ويفضلها فى المغيب وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله
عز وجل الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم واقسم به كما أقسم بغيره ثم اقسام بما يكتبه القلم
افصاحا عن حاله واعظاما لشأنه وتنبها لذكره فقال : وما يسطرون . ومن فضيلة الخط
انه لسان اليد ورسول الضمير ودليل الارادة . والناطق عن الخواطر . وسفير العقول
ووحى الفكر . وسلاح المعرفة . ومحاذنة الاخلاء على التناثى . وأنس الاخوان عند
الفرقة . ومستودع الاسرار . رديوان الامور . وزججان القلوب . والمعبر عن النفوس .
والمخبر عن الخواطر . ومورث الآخريين كرام الاول والنافل اليه مآثر الماضى والمخدلة حكمته
وعلمه والمسامر للعين بسر القلب . والمخاطب عن الناصت . والمجادل عن الساكت .
والمفصح عن الابهكم والمتكلم عن الاخرس الذى تشهد له آثاره بفضائله وأخباره بمناقبه
وقد وقعت البلاغة من العلم علو القدر وباذخ العز كآبى مسلم صاحب الدولة فرقت شمله
وبددت جمعه ونقضت برمه وأفسدت صلاحه وضععت بنيانه معذكائه وتفتنه ومكايده
ودهائه واصالة رايه وشدة شكيمته وامتناعه على أبى جعفر ونفاره عنه كيف استفزه ابن
المقفع وصالح بن عبد القدوس وجبل بن يزيد واستألوه بسحر ألفاظهم وبلاغة أقلامهم
حتى نزل من باذخ عزه وجاء مبادرا حتى وقع فى الشرك المنسوب له فتفرق جعبه وانظفا
نوره وصار خبرا سائرا ورسما وائرا ورفع القلم خاشع الطرف ، صغيرا لخطر ، لثيم الجئس ،
درج من عش التجارة ، ونشأ بين المعكيات والميزان ، كيف أشالت البلاغة بضبعيه ،
ورفعت من ناظره ، حتى شافته به عنان السماء ، ورفعت بناءه فوق البناء ، حتى طلبه
الراكب ، وقصده الطاب ، وخشعت له الرجال ، ولحظته العيون بالوقار ، وتمكن من
الصنائع ، ومدت نحوه الاصابع ، فشكرت منه اللفظة . ورجيت منه الاحظة ، كحمد

ابن عبد الملك بن الزيات وفيه يقول على بن الجهم :

أحسن من عشرين بيتا سدا * جعلك معنهم في بيت
مأحوج الملك الى مطرة * تغسل عنه وضرا الزيت
فاجابه محمد بن عبد الملك :

رقيت في القول الى خطه * قدرك فيها قد تعديت
قيرنم الملك فلم تنقه * حتى غسلنا القار بالزيت
ومدحه حبيب بن أوس مدحه ويصف قلعه :

لك القلم الاعلى الذي بنباته * تصاب من الامر السكلى والمفاصل

وكان محمد من أطف الناس ذهنا وأرقهم طبعاً وأصدقهم حساً وأرشقهم قلماً وأملحهم
إشارة إذا قال أصاب وإذا كتب أبلغ وإذا أشعر أحسن وإذا اختصر أغنى عن الإطالة
أمره الواثق أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم
وفوض ذلك لابن عمه اسحق بن ابراهيم فكتب أما بعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلف
ما في عينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في يديك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
سهل بن بركة بهجوا بنو حنظل النصراني الكاتب فقال :

باني وأمي ضاعت الاحلام * أم ضاعت الازهان والافهام

من صد عن دين النبي محمد * أله بأمر المسلمين قيام

الآنسكن أسيا فهم مشهورة * فينا فلك سبيو فهم أقلام

قال عبد الرحمن بن كيسان : استعمال الكلام أجدر بأحضر الذهن عند تصحيح
الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام ولم يختلف في شرف القلم وإنما اختلف
في كيفية البلاغة وماهيتها وقدم مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم وأحسن بيانهم فقال
صاحب اليونانيين : البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام . الرومي : البلاغة
وضوح الدلالة واتهاز الفرصة وحسن الإشارة . الفارسي : هي معرفة الفصل من الوصل .
الهندي : هي البصر بالجهة والمعرفة بمواضع الفرصة ثم أن يدع الافصاح بها الى الكناية عنها
اذ كان الافصاح أو عرطريقا ور بما كان الاطراق عنها أبلغ في الدرك وأحق بالظفر .
غيره : جامع البلاغة اتحاسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخلق بما التبس
من المعاني وغضو بمشارد عليك من اللفظ وتعدر ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته

أن تكون الشبائل معتدلة والالفاظ موزونة والالهيجة نقية فان جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام

وقيل لهندي ما البلاغة فانخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها أول البلاغة احتمال آلة البلاغة . وذلك أن يكون البليغ رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوكة بكلام السوقه ويكون في قواه فضل لا تنصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ويصعبها كل التصعب ويهذبها غاية التهذيب ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفاً حكيماً عالماً ومن قد تعود حذف فضل الكلام وأسقط مشترك اللفظ

أنوشروان لبزر جهر : متى يكون العبي بليغاً فقال : اذا وصف بليغاً

ارسطاطاليس : البلاغة حسن الاستعارة

بشر بن خالد : البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد عن خيس الكلام والدلالة

بالقليل على الكثير

خالد بن صفوان : ليس البلاغة بحفظة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها اصابة المعنى ، والقرع بالحجة .

عمر بن عبد العزيز : البليغ من اذا وجد كثيراً ملاءه واذا وجد قليلاً كفاءه . ابن عتبة : البلاغة دنو الماتخذ وقرع الحجلة والاستغناء بالقليل عن الكثير . بعضهم : اني لا كره للانسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله كما كره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه وعلمه . يكتفي من حظ البلاغة أن لا يؤثي السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤثي الناطق من سوء فهم السامع

عمر بن عبيد : ما البلاغة فقال : ما ببلغك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك فقال السائل ليس هذا أريد . فقال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال : ليس هذا أريد . قال النبي عليه الصلاة والسلام : انما عاشر الانبياء بكاؤن وكانوا يكرهون أن يزدب منطلق الرجل على عقله فقال له السائل : ليس هذا أريد قال : كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت فقال : ليس هذا أريد فقال : فكانك انما تزدب متخير اللفظ في حسن افهام انك اردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤنة عن المستمعين وتزوين تلك المعاني

في قلوب المرءين بالالفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت من الله سبحانه جزيل الثواب

التخليل بن أحمد : كل ما أدى الى قضاء الحاجة فهو بلاغة فان استطعت أن يكون لفظك لعناك طبقا لتلك الحال وفقا وآخر كلامك لاوله مشابها وموارده لمصادره موازنا فافعل واحرص أن تكون الكلامك متهما وان ظرف . ولنظامك مستريبا وان لطف . بمواناة آلتك لك ، وتصرف ارادتك معك . فافعل ان شاء الله

وهذه الرسالة عذراء لانها بكر معان لم تفتقرها بلاغة الناطقين ولا المستها كف المفوهين ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ولا سبق الى الفاظها أذهان الناطقين فاجعلها مثالا بين عينيك ومصورة بين يديك ومسامرة لك في ليالك ونهارك تهطل عليك شايب منافعها ويظلك منها بركايتها وتوردك منها هل بلاغاتها وتدل على مهيع رشدتها وتصدرك وقد نفع ظمؤك ينابيع بحر احسانها ان شاء الله عز وجل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رسالة ابن القارح

الى أبي العلاء المعري

(ظفرنا بهذه الرسالة في خزانه كتب أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري كتبه أبو حسن علي بن منصور الحلبي المعري وف القارح الى أبي العلاء المعري فاجاب عنها هذا في رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٤١ — ١٩٠٣ في مطبعة هندية . أما ابن القارح وكان يلقب بدوخلة فكان شيخا من أهل الادب راوية للاخبار حافظا لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قز وما بالنحو وكان ممن خدم أباعلى الفارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبد الرحيم وشعره يجرى مجرى شعر المعلمين قليل الخلاوة خال من الطلاوة وكان أخوه هدي به بتكرت في سنة احدى وعشرين وأربعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فلبثتني وفاته من بعد وكان يذكّر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال ياقوت : وعلي بن منصور وهذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى أبي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه أبو العلاء برسالة الغفران وذ كر اسمه فيها)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

استفتاحا باسمه ، واستنجاها ببركته ، والحمد لله المبتدى بالنعم ، المنفرد بالقدم ، الذي جل عن شبه المخلوقين ، وصفات المحدثين ، ولي الحسنات ، المبرأ من السيئات ، العادل في أفعاله ، الصادق في أقواله ، خالق الخلق ومبدئه ، ومبقيه ما شاء ومفنيه ، وصلواته على محمد وابرار عترته وأهليه صلاة ترضيه وتقربه وتذنيه وتزلفه وتخطيه

كتابي أطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل ومددته وأدام كفايته وسعادته وجعلني فداءه وقدمني قبله على الصحة والحقيقة وبعد القصد والعقيدة وأيس علي مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا على تنقص وخلافة وتحجب ومسامحة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقه له : كيف نجدك جعلني الله فداك وهو يقصد تحجيبا ويريد تعلقا ويظن انه قد أسدى جيلا يشكره صاحبه ان نهض واستقل وبكافته عليه ان أفاق وأبل عن سلامة تمامها

بحضور

محضور حضرته وعافية نظامها بالتشرف بشريف عزته وميمون تقيته وطلعته ويعلم الله
الكريم تقدست أسماؤه في لوحنت اليه أدام الله تأييده حنين الواله الى بكرها ، وذات
الفرخ الى وكرها . أو الحماة الى الفها . أو الغزالة الى خشفها . لكان ذلك مما تغيره اللىالى
والايام . والعصور والاعوام . لسكنه حنين الظمان الى الماء ، والحنين الى الامن والسليم
الى السلامة . والغريق الى النجاة . والفاق الى السكون . بل حنين نفسه النفيسة الى
الحمد والحب والبر . فلهذا انزاع الاستغاثات الى عناصرها ، والاركان الى
جواهرها . فلهذا ملا من العمر يؤنس برؤيته ، ويلقنى بحبل مودته ،
مرت كسارى الى أنى عساه . وأحدمسراه . وقرعينا ، ونعم بالا ، وكان كمن لم يمسسه سوء
ولم يتخرفه عدو . ولا يهكم راح ولا غدو . وعسى الله أن يمن بذلك بيومه أو بشائبه وبه
الثقة وأتانا . ألى الله على التداين والتوى والبعاد امتاعه بالفضل الذى استعلى على عاتقه
وغاربه . واستر على مشارقه ومغاربه . فن مر على بحره الهياج ، ونظر فى لآلآه بدره
الوهاج ، خلقت بين يديه بوقلمه مائة له وينوطبعه عن رساله الآن يلقى اليه بالمقاليد ،
أو يستوجهه اقبال من الاقاليد . فيكون منسوب اليه . ومحسوب باعليه . ونازل فى شعبه ،
وأحد أنجابه . وجزء من مشرارة تياره . وقراضة ديناره . وسمك بحره . وتمدغره ،
وهبات طاق فتير من . ليس التكحل فى العينين كالكحل ، خلقوا أسخياء
لامتساخين . ومن السخى من يقدح لاسيما وأخلاق النفس تلزمها الزوم الالوان للابدان ،
لا يقدر الا يفتى على السواد . ولا الاسود على البياض . ولا الشجاع على الجبن . ولا الجبان
على الشجاعة . قال أبو بكر العزرى :

يشرى ان القوم عن أم رأسه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه
يرزق معروف الجواد عدوه * ويحرم معروف البخيل أقرابه
ومن لا يكف الجهل عن بوده * فسوف يكف الجهل عن بوائبه
ومن أين لا باب محبوب السحاب ، وللغراب هدى العقاب ، وكيف وقد أصبح ذكره
فى مواسم الذكرا ذانا وعلى معالم الشكر لسانا فن دافع العيان ، وكابر الانس والجان ،
واستبد بالافك والبهتان ، كان كمن صلب بوقا حته الحجر ، وحاسن بقبا حته القمر ، وهذى
وهذر ، وتعاطى فمقر . وكان كحجموم بلسم فعفر ، ونادى على نفسه بالنقص فى البدو
والحضر ، وكان كما قال من يعنيه ولا يشك فيه :

كناطح صخرة يوما ليلقها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وزاده شرفا ليه قال : لعن الله ذا الوجهين لعن الله

ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل فتات

وردت حلب ظاهرها جاحا لله تعالى وحسها بعدان منيت بر بضها بالدرخين وأم

حبوكرى والفتكرين بل رميت بأبد الآباد والداهية الناد فلما دخلتها وبعد لم تستقر في

الدار وقد نكرتها لفقدان معرفة وجار وأنشدتها با كيا :

إذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها * فقدت حبيبا والبلاد كما هيا

كان أبو القطران المرار بن سعيد الفقعسي يهوى ابنة عمه بنجد واسمها وحشية

فأهداها رجل شامي الى بلد فغمه بمدها وساءه فراقها فقل من قصيدة :

إذا تركت وحشية أنجد لم يكن * لعينيك مما تبكيان طيب

رأى نظرة منها فلم يملك البكا * معاوز بر بوتحن كئيب

وكانت رياح الشام تكره مرة * فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فصلت من الرياح على الرياح كما حصل لأبي القطران من وحشية ثم وثم وثم وأجوى

ذ كره أدام الله تأييده من غير سبب جره وغير مقتض اقتضاه فقال الشيخ بالنحو أعلم من

سيبويه وباللغة والعروض من الخليل فقلت والمجلس بأز بلغني انه أدام الله تأييده يصغر

كبيره ويغزر صغيره فيصير تصغيره تكبيرا وتحقيره تكثيرا وهكذا شاهدت من شاهدت

من العلماء رحيم الله أجمعين وجعله وارثا طول أعمارهم وأمدوا وأضرها وأرغدها وما

ثم له حاجة دعت الى هذا ففتح النور وتوضح النور وأضاء الصبح لدى عينين كان أبو

الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة أدام الله حراسته كتب رسالة الى أعطائهم اورسالة

اليه أدام الله تأييده استودعنيها وسألني إيصالها الى جليل حضرته وأكون نافعا لا باعثا

ومجملها لا مؤجلا فسرقت عديلي رحلا الى الرسالة فيه فكتبته هذه الرسالة أشكوا موري

وأثبت شقوري وأطاعه طلع عجري وبجري ومالقيت في سفري من اقوام يدعون العلم

والادب والادب أدب النفس لأدب الدرس وهم أصفار منها جميعا وطم تصحيقات كنت

إذا رددتها عليهم نسبوا التصحيف الى وصاروا ألباعا لي قيمت أبا الفرج الزهرجي بأمد

ومعه خزانة كتبه فعرضها على فقلت كتبك هذه يهودية قد برئت من الشريعة الخنيفية

فاظهر من ذلك أعظاما وانكارا فقلت لها أنت على المغرب ومثلي لا يعرف بما لا يعرف وأبلغ

تيقن فقر أهو وولده وقال : صغرا الخبرا خبر وكتب الى رسالة يقرظني فيها بطبع له كريم
 وخلق غير ذميم قال المتنبي : أذم الى هذا الزمان أهيله : صغره هم تصغير تحقير غير تكبير
 وتقليل غير تكثير فنفث مصدورا : وأظهر ضميرا مستورا : وهو سائغ في مجاز الشعر وقائله
 غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه غير موضعه وخطابه به غير مستحقة وما يستحق
 زمان ساعده بلقاء سيف الدولة أن يطلق على أهله الذم وكيف وهو القائل بخاطبه
 أسير الى اقطاعه في ثيابه * على طرفه من داره بحسامه

وقد كان من حقه أن يجعلهم في خفارتها إذ كانوا مذسوبا بين اليه ومحسوبين عليه
 ولا يجب أن يشكوا عافلا ناطقا الى غير عاقل ولا ناطق إذا الزمان حركات الفلك الآن يكون
 ممن يعتقد ان الافلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدرى بمواقع أفعاله باقصد وارادات ويحمله
 هذا الاعتقاد على أن يقرب لها القرايين ويدخن الدخن فيكون مناقضا لقوله

فتبالدين عبيد النجوم * م ومن يدعى انها تعقل

أو يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم : (متبذيين بين ذلك لالى هؤلاء
 ولالى هؤلاء) أو بوشك أن تكون هذه صفته

حكى القطريلي وابن أبي الازهر في تاريخ اجتماعه على تصنيفه وأهل بغداد وأهل مصر
 يزعمون انه لم يصف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه ان المتنبي أخرج ببغداد
 من الحبس الى محاسن أبي الحسن علي بن عيسى الوزير رحمه الله فقال له : أنت أحمد المتنبي
 فقال : أنا أحمد المتنبي وكشف عن بطنه فأراه سلعة فيه وقال هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي
 فأمر بقلع جشكته وصفعه به خسين وأعادته الى محبسه ويقول لسيف الدولة :

وتعضبون على من نال رفدكم * حتى يعاقبه التفتيص والمين

كذب والله لقد كان يتحشش بالكارم ويتحكك بها ويحسد عليها أن تكون الامنة
 وبه وهذا غير قادح في طلاوة شعره ورونق ديباجته ولكني أغتاز على الزنادقة والملاحدين
 الذين يتلاعبون بالدين ويرمون ادخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون
 القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ويتطرفون ويتدنون اعجابا بذلك
 المذهب تيه مغن وظرف زنديق . وقتل المهدي بشارا على الزندقة ولما شهر بها وخاف
 دافع عن نفسه بقوله :

يا ابن نهيار أسي على ثقيل * واحتمال الرأسين عبء ثقيل

فادع غيري الى عبادة ربي * من فاني بواحد مشغول
واحضر صالح بن القدرس واحضر النطع والسياف فقال : علام تقتلني قال : على قولك
رب سر كتمته فكأنني * أخوس أو ثني لسانى عقـل
ولوانى أظهرت للناس ديني * لم يكن لى فى غير حبسى أكل
يا عدى الله وعدى نفسه

الستردون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر
فقال قد كنت زنديقا وقد تبثت عن لزندقة قال كيف وأنت القائل :
والشيخ لا يترك عاداته * حتى يوارى فى ثرى رmse
إذا ارعوى عادالى غيبه * كدى اضنى عادالى نكسه

وأخذ غفلته السياف فإذا رأسه يتدهأ على النطع . وظهر فى أيامه فى بلد خلف بخارا
وراء النهر رجل قصار أعور عمل له وجهان من ذهب وخوطب رب العزة وعمل لهم قرا فوق
جبل ارتفاعه فراسخ فاتفق المهدي اليه فأحيط به وبقلعه فخرق كل شئ فيها وجمع كل
من فى البلد وسبقاهم شرابا مسموما فأنابوا بجمعهم وشرب فلاحق بهم وعجل الله بروحه الى
النار . والصناديق فى اليمن فكانت جيوشه بالمدنخرة وسفهته وخوطب بالربو بـيـة
وكتب بها فكانت له دارا فاصد يجمع اليها نساء البندة كلها ويدخل الرجال عليهم ليلا قال
من يوثق بخبره دخلت اليها لانظر فسمعت امرأة تقول : يا بنى فقال : يا أمه تريد أن تضى
أمرولى الله فينا وكان يقول : إذا فعلتم هذا لم يميز مال من مال ولاد من ولد فتكونون
كنفس واحدة فغزاه الحسنى من صنعاء فهزمه وتحصن منه فى حصن هناك فانفذ اليه
الحسنى طبيبيا بمبضع مسموم فقصده به فقتله . والوليد بن يزيد أقام فى الملك سنة وشهرين
وأياما وهو القائل :

إذا مت يأم الحنيكل فأنكحني * ولا تأملى بعد الفراق زويا
فان الذى حسدته من لقاتنا * أأحاديث طسم ترك العقل واهيا
ورمى المصحف بالنشاب وخوفه وقال :

إذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل بارب خرقنى الوليد

وانفذ الى مكة بناء مجوسية اليبنى له على الكعبة مشربة فقات قبل تمام ذلك فكان
الحجاج يقولون : لبيك اللهم لبيك لبيك يا قاتل الوليد بن يزيد لبيك واحضر بنا بحجة من
ذهب

ذهب وفيها جوهرة جليلة القدر صورة رجل فسجد له وقبله وقال اسجد له يا عليج : فأت
ومن هذا قال : هذا ما نى شأنه كان عظيما اضمحل أمره لطول المدة فقلت لا يجوز السجود
الالة فقال : قم عنا وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور وفيها أقداح فقال
لندما : أين القمر الليلة فقال بعضهم : في الباطية فقال : صدقت أتيت على ما في نفسي
والله لا شربن اللفتجة يعني شرب سبعة أسابيع متتابعة وكان بوضع حول دمشق يقال له
البحر ا فقال :

تلعب بالنبوة هاشمي * بلاوحى أناه ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه في الباطية التي أراد أن يفتح بها * وأبو عيسى بن الرشيد القائل :
دهاق شهر الصوم لا كان من شهر * ولا صمت شهر ابعده آخر الدهر
ولو كان يعديني الامام بقدره * على ان شهر لا ستعدت دهرى على الشهر
عرض له في وقته صرع فمات ولم يدرك شهر اغيره أو الحمد لله * والجنابي قتل بمكة أوفى
وأخذ ستة وعشرين ألف حل خفا وضرب آلائهم وألقاهم بالنار واستعلك من النساء
والعلماء والصبيان من ضاق بهم الفناء كثرة وفور أو أخذ حجر الملتزم وظن انهم غناطيس
القلوب وأخذ الميزاب قال : وسمعت قائلا يقول للامام دحسان طوال يرفل في يديه وهو
فوق الكعبة : يارخة اقلعه واسرع يعني ميزاب الكعبة فعلمت ان أصحاب الحديث محفوف
فقالوا بقلعه غلام اسمه رجة كما محفوف ا على رضى الله عنه قوله تهاك البصرة بالريح
فهلك بالزنج لانه قتل علوى البصرة في موضع بها يقال له العقيق أربعة وعشرين ألفا
عدوهم بالقصب وحرق جامعها وقال في خطبته مخاطب الزنج : انكم قد أعتم بقبج منظر
فاشفعو بقبج بخبر ا جعلوا كل عام قفرا وكل بيت قبرا * قال يدمشق أبو الحسين
اليزيدى الوزير بن علي نسب جدى دخل واما داعى قال أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام
الطائي الكوفي : كنت بمكة وسيف الجنابي قد أخذ الحاج ورأيت رجلا منهم قد قتل جماعة
وهو يقول يا كلاب أليس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمنا أي أمن هنا فقلت له
يا فتى العرب تؤمنني سيفك أفسر لك هذا قال نعم قلت فيها خمسة أجوبة الاول ومن
دخله كان آمنا من عذاب يوم القيامة والثاني من الفرض الذي فرضت عليه والثالث خرج
مخرج الخبر وهو يز يد الامر كقولوه والمطلقات يتر بصن بانفسهن والرابع لا يقيم عليه
الحديث ا اذا جنى في الحل والخامس من الله عليهم بقوله انا جعلنا حرما آمنا وشخطف

الناس من حولهم فقال صدقت هذه اللحية الى توبة ؟ فقلت : نعم فخلاني وذهب
والحين بن منصور والحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعى كل علم وكان متهورا
جسورا يروم اقلاب الدول ويدعى فيه أصحابه الالهية ويقول بالحلول ويظهر مذهب الشيعة
للكلوك ومذهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعى ان الالهية قدحات فيه وناظره
على بن عيسى الوزير فوجده صفرا من العلوم وقال تعلمك لظهورك وفرضك أجدى عليك
من رسائل أنت لا تدري ما تقول فيها كم تكتب الى الناس تبارك ذوالنور الشعشعاني الذي
يلمع بعد شعشعته ما أحوجك الى أدب . حدثني أبو علي الفارسي قال رأيت الحلاج واقفا
على حلقة أبي بكر الشبلي أنت بالله مستفسد خشبة فنفض كمه في وجهه وأشد :

ياسر سر يدق حتى * يحل عن وصف كل حي
وظاهر اباطنا تبدي * من كل شيء لكل شيء
يا حلة الكل استغيري * فاعتذاري اذا الى

وهو يعتقد ان العارف ابن الله بمنزلة شعاع الشمس منها يداو اليها يعود ومنها يستمد
ضوءه أشد في الظاهر لنفسه

أرى جيل التصوف شر جيل * فقبل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه * كلوا كل اليها ثم وارقوا الى

وحرك يوما يده فانتثر على قول مسك وحرك مرة أخرى فانتثر دراهم فقال له بعض
من حضر من يفهم : أرقى دراهم معروفة أو من بك وخلق معي ان أعطيتني درهما عليه
اسمك واسم أيك فقال : وكيف هذا وهذا لا يصنع قال : من أحضر مائيس بحاضر صنع
مائيس بمصنوع وكان في كتبه اني مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود فلما شاع أمره وعرف
السلطان خبره على صحة وقع بضربه ألف سوط وقطع يديه ثم أحرق بالنار في آخر سنة تسع
وثلاثمائة وقال الحامد بن العباس : أنا أهلكك فقال حامد : الآن صحتك تدعى ما قرفت به
وابن أبي العذافر أبو جعفر محمد بن علي الشلمغان أهله من قرية من قرى واسط
تعرف بشلمغان وصورته صورة الحلاج ويدعى عنه قوم انه اله وان الله حل في آدم ثم في
شيث ثم في واحد واحد من الانبياء والاوصياء واذنعة حتى حل في الحسن بن علي العسكري
وانه حل فيه وكان قد استغوى جماعة منهم ابن أبي عون صاحب كتاب القشبية ومعه ضربت

عنقه وكانوا يبيعونه حرمهم وأولادهم يتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكان أحمد بن يحيى الراوندى من أهل مرو الروز حسن الاسترجيل المذهب ثم انسأخ من ذلك كله بأسباب عرضت له ولأن علمه كان أكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مردا عند صوته * ومن يقوم مستورا إذا خلعا

صنف كتاب التاج يحتاج فيه لقدم العالم فنقضه أبو الحسن الخياط

الزمرى يحتاج فيه لإبطال الرسالة نقضه الخياط .

نعت الحكمة سفة الله تعالى في تكليف خلقه أمره . نقضه الخياط .

الداغ يطعن فيه على نظم القرآن

القضيبي يثبت أن علم الله محدث وأنه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علما نقضه الخياط

الفريدي الطعن على النبي عليه الصلاة والسلام

المرجان في اختلاف أهل الاسلام

على بن العباس بن جريج الرومى قال أبو عثمان الناجم : دخلت عليه في عاتيه التي مات

فيها وعند رأسه جام فيه ماء مشلوج وخنجر مجرد لضرب به صدره خرج من ظهر فقلت :

ما هذا قال : الماء بل به حاقى ففعل ما يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد على الالم

نحرت نفسى ثم قال : اقص عليك قصتي تستدل بها على حقيقة تلى أردت الانتقال من

الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا أبا الفضل وهو مشتق من الافضال فقال اذا جئت

القنطرة فخذ على يمينك وهو مشتق من اليمين واذهب الى سكة النعيمة وهو مشتق من

النعيم فاسكن دار ابن المعافى وهو مشتق من العافية فخالفته لتعسى ونحسى فشاورت صديقنا

جعفرا وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت القنطرة فخذ على شمالك وهو مشتق

من الشؤم واسكن دار ابن قلابه وهى هذه لاجرم قد انقلبتي في الدنيا وأضرما على العاصف

في هذه السدرة تصبح سيق سيق فهذا نافي السياق ثم أنشدنى

أبا عثمان أنت قريع قومك * وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من أخيك فبأراءه * يراك ولا تراه بعد يومك

وألم به البول فقلت له البول لمع بك فقال :

غدا ينقطع البول * ويأتى الويل والوعول

ألا ان لقاء الله هـ هول دونه الهـسول

ومات من الفـد فارجو أن يكون هذا القول توبة له عما كان اعتقده من ذبحه نفسه
والرسول عليه الصلاة والسلام يقول من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحده يده
بيده يجأها بنفسه خالد الخلد في النار من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى على
منخريه في النار خالد الخلد من تحصى سما حشر يوم القيامة وسماه يده يتحساه خالد
مخلدا (١) في النار

قال الحسن بن رجا الكاتب جاءني أبو نعام إلى خراسان فبلغني أنه لا يصلي فوكت به
من لازمه أياما فلم ير دصلي يوما واحدا فعاتبته فقال : يا مولاي قطعت إلى حضرتك من بغداد
فأحملت المشقة وبعد الشقة ولم أره ينقل على فلو كنت أعلم أن الصلاة تنفعني وتركها يضرني
ما تركتها فأردت قتله فغشيت أن يحمل على غير هذا

وفي تاريخ كثيرة أنه أحضر المازيار إلى المعتصم وقبل قدومه بيوم سخط على الأفشين
لان القاضي بن أبي دوداد قال للمعتصم : أغرل ويطأ أمر أعزبية وهو كاتب المازيار
وزين له العيصان فأحضر كاتبه وتهدده المعتصم فأقرأه كتب إلى المازيار لم يكن في الأرض
ولا في مصر بليسة إلا أنا وأنت وبابك وقد كنت حريصا على حقن دمه حتى كان من أمره
ما كان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم فان هزمته وثبت
أنا بملكمهم في قرار داره فظهر الدين الأبيض فاجابه المازيار بجواب هو عنده سقط أحر
تجمع بين الأفشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكى عنه وقيل للمعتصم ان وراء المازيار
ملاجليلا فأنشد

ان الاسود أسود الغاب عنها هـ يوم الكربة في المـسـلوب لا الساب

ذكروا ان اثنين قتلوا ثلاثة آلاف وخمسمائة ذباح بالثياب الحر والخنائخ الطوال
وانهم وجدوا أسماءهم في وقعة وقعة وفي بلد بلد وكانوا يأخذون من كل واحد علامة خاتمه
أو ثوبه أو منديل أو تسكته أي الوادي فطم على القرى

قد لقيت من يجادلني ان عليارضى الله عنه وكذلك الحاكم (٢) وقد ظهر بالبصرة
من يدعى أنه جعفر بن محمد عليهما السلام وأنه متصل به وروجه فيه ومتصل به ولو استقصيت
القول في هذا الفن لطال جدا ولكن

(١) وقوع لفظ الخلد في هذه الاحاديث لتهديد (٢) كذا في الاصل

لا بد للصدور ان ينفتحا * ولذنى الصدر ان يبعثا
بل لو قلت كل ما أعلمه أ كنت زادى فى محبسى بل كنت أنشد
أجل رأسا قدم لث حله * ألافنى يحمل عنى ثقله
واستريح الى ان أنشد

لبس يشقى كلوم غيرى كلومى * مابه مابه ومابى مابى
ان شكوت العصر وأحكامه وذمت صروفه وأيامه شكوت من لا يشكى أبدا ،
وذمت من لا يرضى أحدا ، شيمته اصطفاء اللثام ، والتجامل على الكرام . وهمت رفع
الخالل الوضيع ، ووضع الفاضل الرفيع . اذا سمع بالحياء . فابشر بوشك الاقتضاء .
واذا أعار ، فأحسبه قد أعار ، فباين أن يقبل عليك مستبشرا ويولى عنك متجهما
مستشرا الا كلعج البصر واستطارة السر لم يخترق ذكر الوفاء مسامعه ، ولم يمس ماء
الحياء مدامعه ، ظاهره يبر ويونس ، وباطنه يسوء ويؤيس . يخيب ظن راجيه ،
ويكذب أمل عافيه . لا يسمع الشكوى ، ويشمت بالبلوى . قد ذمت سىا . وقعت
فيه أنا كالغريق يطلب معلقا ، والاسبهر يتدب مطلقا . واستحسن قول على بن العباس
ابن جريج الرومى

ألا ليس شيبك بالمنبت زرع * فهل أنت عن غيه مرتدع
وهل أنت تارك شكوى الزما * ن اذا شئت تشكوى الى مستمع
فشيب أخى الشيب أمسية * اذا ما تناسها ربهها هلع
كنت فى حال الحدائة أقرب الناس الى وأعزهم على وأقربهم عندى وأجلهم فى نفسى
مرتبة من قال لى نسال الله فى أجلك جعل الله لك أمد الاعمار وأطولها فلما بلغت عشر
الثمانين جاء الجزع والهلع فم ارتاع والتاع وأخلد الى الاطماع وهو الذى كنت أتمنى وتجننى لى
أهلى آمن صدوف الغواني عنى فانا والله عنهن أصدف وهن وأدوائهن أعرف اذ لست
من يشد تحسرا عليهن

للسود فى السود آثار تركن بها * لمعان البيض ثنى أعين البيض
وقول الآخر

ولما رأيت النمر عز ابن داية * وعشش فى وكريه جاشت له نفسى
ولا أنشد لاني عبادة البحرى

ان أيامه من البيض بيض * ما رأين المفاقر السود سودا
واذا المسهل ثار ثاروا غيوتا * واذا النقع ثار ثاروا أسودا
يحسن الذ كرعهم والاحادي * ش اذا حدث الحديد الحديد
بلدة تنبت المعالي قايث * غر الطفل فيهم أو يسودا

وهذه صفة معرة النعمان به أدام الله تأييده لآخات منه ومن النعمة عليه وعنده
فقد وجدت أهلها معترفين بعوارفه خلا أني العباس أحد بن خلف المتع أدام الله عزه فاقى
وجدت آثار تفضله عليه ظاهرة ولسانه رطبا بشكره وذ كره وقدملا السماء دعاء والارض
ثناء . قالت قر يش للنبي عليه الصلاة والسلام : اتباعك من هؤلاء المولى كبلال وعمار
وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبيدة وف وهانم وعبد شمس فقال نعم والله لأن كانوا
قليل لا يكثرن وأن كانوا أضعاء ابشر فن حتى يصبر والنجوم ما تهدي بهم و يقتدى فيقال هذا
قول فلان وذ كرفلان فلا تفاخر وني بأبائكم الذين موتوا في الجاهلية فلما يدهم الجعل
بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها فاتبعوني أجعلكم أنسابا والذي نفسي بيده
لنقدسمن كنوز كسرى وقيصر فقال له عمه أبو طالب ابق على وعلى نفسك فظن عليه
الصلاة والسلام انه ناذله ومسلحه فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي
على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعير يا كيا ثم قام فلما ولى
ناداه اقبل يا ابن أخي فاقبل فقال : اذهب وقل ماشئت فوالله لأسلحتك لسوء أبدأ فكان
عليه الصلاة والسلام يذ كر يوما ما اتى من قومه من الجهد والشدة قال : لقد مكثت أياما
وصاحي هذا يشير الى أني بكر بضعة عشرة ليلة ما لنا طعام الا البر بر في شعب الجبال

وكان عتبة بن غزوان يقول : اذ ذكر البلاء والشدة اتى كانوا عليهم بكة : لقد مكثنا
زمانا ما لنا طعام الا ورق البشام أكلناه حتى تقرحت أشدا اقتناوا لقد وجدت يوما مرة فجعلتها
بينى وبين سعد وما من اليوم أحد الا وهو أمير على كورة وكانوا يقولون فيمن وجد تمره
فقسمها بينه وبين صاحبه ان أسعد الرجلين من حصلت النواة في قسمه يلوها يومه وليته
من عدم القوت وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رعت غنجات أهل مكة لهم
بالقرار يط وابتدأ امره انه وقف على الصفا ونادى يا صباحاه فجأوا يهرعون فقالوا :
مادهمك ما طرقتك قال : بما تعرفوني قالوا : محمد الامين قال : أرأيتم ان فأت لكم ان
خيل لا قدرتكم في الوادي وان عسكر اقد غشيكم من الفجأ كنتم تصدقوني قالوا :

اللهم نعم ماجر بنا عليك كذا بقا . قال : فان الذي أتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا : لا اله الا الله واشهدوا اني رسول الله واتبعوني طمعكم العرب وتملكون الجحيم وان الله قال لي : استخرجهم كما استخرج جوك وابعث جيشا بعث خمسة أمثاله وضمن لي انه ينصرتي بقوم منكم وقال لي : قاتل بمن أطاعك من عصاك وضمن لي انه يغلب سلطاني سلطان كسرى وقيصر ثم انه عليه الصلاة والسلام غزانيك في ثلاثين ألفا وهذا من قبل الله الذي يجعل من لا شيء كل شيء ويجعل كل شيء لا شيء بحمد المائعات وجميع الجامدات بحمد البحر ثم يفجر الصخر ومماثلة في ذلك الاكتل من قال : هذه الزجاجة الرقيقة السخيفة أحك بها هذه الحبال الصلبة المنيفة ففرضها وتفضها وهذه الخلة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة المعدة وكذا حقيقة أمره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم اليه صلى الله عليه وسلم بالحديبية : لقد وردت على النجاشي وكسرى وقيصر ورأيت جنسهم وأتباعهم فمأرب أطوع ولا أوفر ولا أهيب من أصحاب محمد لمحمد هم حوله وكأن الطير على رؤسهم فان أشار بأمر يادروا اليه وان توضع أقسموا وضوءه وان تمخضوا لكو بالنعامة وجوههم ولحاهم وجلودهم (٤) وكانوا بهد موته أطوع منهم في حياته حتى لقد قال بعض أصحابه لا تسبوا أصحاب محمد فانهم أسلموا من خوف الله وأسلم الناس من خوف أسيا فهم فتأمل كيف استفتح دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فرأه العدو والولي وما كان مثله في ذلك الامثل من قال هذه الطباعة تعظم وتصير جبلا يغطي الارض كلها ثم أنذر الناس بها في حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوما ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال : لاتفعل يا عثمان فكأنك بمفتاحها يدي أضعه حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قاله : بل كثرت وعزت وأنا أستعين بعصمة الله وتوفيقه واجعلهم ماعينتي على دفع شهواتي وأشكوا اليه عكوفي على الاماني واسأله فهما المواعظ عبر الدنيا فقد عميت عن كلوم غيرها بما جشم على خواطري من الشغف ولست أجد مني منصفالي منها ولا حاجزا لرغبتى فيها عنها واين ودائع العقول وخزائن الافهام يا ولي الابصار صفحناعن مساوى الدنيا غمضا اعاجل موفقى التنغيص وترى اليه يد الزوال وتكنم له الآفات (٥) قال كثير :

كأنني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو تحشى بها العصم زلت
وأقول على مذهب كثير يادنيا في كل لحظة لطرف منك عبرة وفي كل فكرة قلى منك

حسرة يا سرقة الصفا و يا ناقضة عهد الوفا ما وفق لحظة من عرج نحوك ولا سعد من أثر المقام على حسن الظن بك هيهات يا معشراً ببناء الدنيا لكم في الظاهر اسم الغنى وفي الباطن أهل التقلل لهم نفس هذا المعنى كم من يوم لى أغركثير الالهة قد أصححت سماؤه وامتد على ظله تمدنى ساعاته بالمنى و يضحك لى بها عن كل ما هوى حتى اذا اتصل بكل أسبابى وامتزج سروره بفرحى وروحى وارتاقى نفسى على به الدنيا فعبت بالفتنيت الى الفتنه والنقص الى مدته فكسفت بهجته كسوفاً وأرهقت نضرته : وحشته الفراق وقطعتنا فراقى الآفاق بعد ان كنا كالأعضاء المؤتلفة والاغصان اللينة المنعطفة واحسرتى فى يوم يجمع شرى كفن ولحد

ضيعت ما لا بد منه * بالذى لى منه بد

وأشد قول ابن الرومى

ألا ليس شيبك بالمتزع * فهل أنت عن غيه مرتدع
فألقى وأبكى بكاء غير نافع ولا ناجع * ويجب أن أبكى على بكائى وأشد
لسانى يقول ولا أفعل * وقلبى يريد ولا أعمل
وأعرف رشدى ولا أهتدى * واعلم لكنتى أجهل

عرض على بعض الناس كاس خمر فامتنعت منها وقلت خلونى والمطبوخ على مذهب
الشيخ الاوزاعى وقالت لهم عرض ابراهيم بن المهدي على محمد بن خازم الخمر فامتنع وأشد
أبعد شيبى أصبو * والشيب للعجول حوب
سن وشيب وجهل * أمر لعمر ك صعب
يا ابن امام قالا * أيام عودى رطب
واذ مشى قليل * ومنهل الحب عذب
واذ شفاء القوائى * منى حديث وقرب
فالآن لما رأى نى * العذال ما قد أحبوا
وأنس الرشدى * قوم أعاب وأصبو
آليت أشرب خرا * ما حج لله ركب

وأقبلت على نفسى مخاطباً ولها معاتباً واخطاب لغيرها والمعنى لما لقد أمهلكم حتى كانه
أهلكم أما تستحيون من طول ما لا تستحيون فكأن كالوليد تقلبه يدا اللطف به على فراش
العطف

المعطف عليه تصرف اليه المتافع بغير طلب منه اصغره وتصرف عنه المضار بغير حذر منه
لججزه أما سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول في دعائه اللهم كلا في كلاءة الوليد
الذي لا يدري ما راد به ولا ما يريد ألا متعلق والأذلال ذبال دليله ألا معد مطية ورحلا ليوم
رحيله يا هلاه الدلجة الدلجة انه من لم يسبق الى الماء يظما أمام منعتك ما تنهى ضابك وغيره
عنيك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : اذا أحب الله عبد احب الله الدنيا وانت تشكوفي
اذا حيتك وتكره صيأتي اذا صلتك ألا لا تذبقتنا ليعز ألا فارلينا لا فارمنا يا من له يد
من كل شيء ارحم من لا بدله منك على كل حال الله يغني بشئ عن شئ وليس يغني عنه بشئ فلهذا
قال جبريل للخليل : ألاك حاجة قال : أما اليك فلا الله يستحق أن يسأل وان أغني لانه
لا يغني بشئ عنه أظعه لتطيعه ولا تطعه ليطيعك فتفتروا عمل . من ترك تديره لتديرنا أرحناه
حل من لواهب القلوب والهمم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

أنسيت ذكرا أحسبه * ينسون ذنبك عند ذكرك

وجفة وتهمم ولطالما * كانوا خلافاك طوع أمرك

وصبرت عند فراقهم * ما كان عنرك عند صبرك

تترك من اذا جفوتيه ونسيت ذكرك وتعديت حده وتركته نهيه وضيعت أمره وثبت
اليه وعولت في نفضله عليك عليه وقلت : يا رب قال : لك ليك (واذا سألك عبادي عني
فاني قريب) ان كان الذباب يوجهك فاتهمك : وان قطعت أنا أعضاءك فلا تهمني أنت
الذي اذا أعطيتك ما أملت تركتني وانصرفت (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى
بجانبه) يا وافي بالهمم كم أليس يقول لك ما غرك في تقول حلمك والالوا أرسلت على بقعة
لجعتني عليك اذا أردت أن تجمعني

أمن بعد شربك كأس النهي * وشمك ريحان أهل التقى

عشقت فاصبحت في العاشقين أشهر من فرس أباقا

ادنيأى من غمر بجر الهوى * خذى بيدي قبل ان أغرقا

أنالك عبد فكنوني كمن * اذا سره عبده أعنتا

كان ينفذ ادرجل كبير الرأس فيلى الاذنين اسمه فاذوه رأسه في الازمنة الاربعة
مكشوف لا يتورع عن ركوب مخزبة يقال له : يا فاذوه وملك نب الى الله فيقول : يا قوم
لم تدخلون بيني وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فكان في بعض السوارع

يوم اذ اهابا والشارع قد اتسع أسفله وضاق أعلاه والتقت جناحان فيه فتناوت جارة جارتها
مهراما النسل من يدها على رأس فاذوه فهرس رأسه وغلط كخطل الهريسة وأعجله عن
التوبة وكان لذا واعظ صالح يقول لنا الحذر وامية فاذوه

قال جبريل في حديثه : خشيت أن يتم فرعون الشهادة والتوبة فأخذت قطعة من
حال البحر فضررت بها وجهه يعني طينة والحال ينقسم ثمانية أقسام منها الطين فكيف
يصنع من عنده ان التوبة لا تصح من ذنب مع الإقامة على آخر فلا حول ولا قوة . بلغني عن
مولاي الشيخ أدام الله تعالى يده أنه قال : وقد ذكرت له أعرف فجزاه الذي هجا أبا القاسم
على بن الحسين المغربي فذلك منه أدام الله عزه رابع على خوف أن يستشرط بي وأن يتصورني
 بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو يتعريف التنكيرا نفع لي عنده لجلالة قدره
ودينه ونسكه وأنا أطلع طلبة لي عرف خفضه ورفعهم وفراداه وجمعه

كنت أدرس على أبي عبد الله بن خالويه رحمه الله وأختلف إلى دار أبي الحسين المغربي
ولمات ابن خالويه صافرت إلى بغداد ونزلت على أبي على الفارسي وكنت أختلف إلى
علماء بغداد إلى أبي سعيد السيرافي وعلى بن عيسى الرماني وأبي عبيد الله المرزباني وأبي
حفص الكتاني صاحب أبي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبلغت نفسي أغراضها جهدي والجهد عاذر ثم صافرت منها إلى مصر ولقيت أبا الحسن
المغربي فالزمني أن لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المشعل في كثرة الانصاف والحنو
والتحجاف فقال لي سرا أنا أخاف همة أبي القاسم أن تنزوبه إلى أن يوردنا ووردنا لا صدر عنه
وان كانت الانفاس مما تحفظ وتسكتب فاكبتها واحفظها واطلعت بها فقال لي يوما :
ما نرضى بالتحول الذي نحن فيه قلت : وأي تحول هنا أنا أخذون من مولانا خلد الله ملكه
في كل سنة ستة آلاف دينار وأبوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم فقال : أريد
أن تنصاري إلى أبوينا الكتاب والمواكب والمقارب ولا أرضي بأن يجرى علينا كالولدان
والنساء فأعدت ذلك على أبيه فقال : ما أخوفني أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه
وقبض على لحية وهامته وعلم أبو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة

وأنفذ إلى القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر فشرفتني بشريف خدمته فرأيت
الحاكم كلما قتل رئيسا أنفذ رأسه إليه وقال : هذا عدوي وعدوك يا حين فقلت من يرؤى
يربه والدهر لا يفتر به وعلمت أنه كذا يفعل به فامسأذنته في الحج فاذن غفرجت في سنة

سبع وتسعين وحجبت خمسة أعوام وعدت الى مصر وقد قتله فجاء في أولاده سرا يرومون الرجوع اليهم فقلت لهم خير مالي ولكم الحرب ولا ييكم بينفاد ودائع خمسمائة ألف دينار فاهربوا وأهرب ففعلوا وقلت وبلغني قتلهم بدمشق وأنا بابرطلس فدخلت الى انطاكية وخرجت منها الى ملطية وبها المايسطرية بخولة بذت سعد الدولة فاقت عندها الى ان ورد على كتاب أبي القاسم فسرت الى ميفارقين فكان يسرح سوا في ارتفاع قال لي يوما من الايام : مارأيتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لأردت ان ألعنك قلت : فالعني غائبا قال : لافي وجهك أشقى قلت : ولم قال : لخاقتك اياي فيما تعلم . وقلت له ونحن على أنس بيني وبينه على حرمت ثلاث البلدية وتربية أبيه على وتر بيني لاختونه قال : هذه حرم مهتكة البلدية نسب بين الجدران وتر بية أبي لك منة لنا عليك وتر بيتك لاختوي بالخلع والدنا نبرأ ردت أن أقول له : استرحت من حيث تعب الكرام نخبت جنون جنونه لانه كان جنونه مجنونا وأصح منه مجنون وأجن منه لا يكون وقد أنشد :

جنونك مجنون ولست بواحد * طيبا يداوى من جنون جنون

بل جن جنانه ورقص شيطانه

به جنة مجنونة غير انها * اذا حصلت منه البواعقل

وقال لي ليلة : اريد ان أجمع أوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يسمح لي مأرضاه فقلت : أنا أفعال من هذه الساعة قال : أنت جدي لها المحكم وعذيقها المرجب فاختذت القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد أشبهتني شمعة في صبايتي * وفي هلول ما ألقى وما أتوقع

نحول وحرقي في فناء ووحدة * وتسديد عين واصفرار وأدمع

فقال : كنت عمت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعني سرعة الخطر وتعطيني علم الغيب وقلت : أنت ذا كقول أبيك لي ولك والبتى الشاعر ولحسن الدمشقي ونحن في الطارمة اعمالوا قطعة فني جود جعلت جائزه كتبها فيها فقلت :

بلغ السماء سمويدي * تشديد في أعلى مكان

بيت علا حتى توا * ري في ذراه الفرقان

فانعم به لازلت من * ريب الحوادث في امان

فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخاع على وكان أبو القاسم ملولا والمولود بمامل

الملال وكان لا يمل أن يمل ويحقد حقد من لاتلين كبده ولا تنحل عقده : وقال لي بعض الرؤساء معاتباً : أنت حقود ولم يكن حقوداً فقلت له : أنت لاتعرفه والله ما كان يحق عوده ولا يرجع عوده وله رأي يزين له العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق بعيد من الطبع الذي هو للصدود وللتألف لوف ودود ، كانه من كبره قدر كركب الفلك واستوى على ذات الحبك ولست ممن يرغب في راغب عن وصلته ، أو ينزع الى نازع عن خلته ، فلما رأيت سادراً جارياني قلة انصاف على غلوائه محوث ذكره عن صفحة فؤادي واعتددت وده فيما سال به الوادي فني الناس ان رثت حبالك واصل * وفي الارض عن دار القلي متحول وأنشدت الرجل أي انا اعتذر بها في قطعي له :

فلو كان منه الخير اذ كان شره * عتبه القلنا ان خيرا مع الشر
ولو كان اذ لا خير لا شر عنده * صبرنا وقلنا لا يرش ولا يبرى
ولكنه شر ولا خير عنده * وليس على شر اذا دام من صبر

وبغضى له شهد الله حيأ وميتاً وأجبه أخذه محاريب الكعبة الذهب والفضة وضر بها دنائير ودرهم وسماها الكعبية وأنهب العرب الرملة وخوب بغداد وكم دم سفك وحريم اتهمك وحرقاً رمل وصبي أيتم وأنام معتدراً الى الشيخ الجليل من تقر يظه مع تقر يظي فيه لانه قد شاع فضله في جميع البشر ، وصار غرة على جبهة الشمس والقمر ، خلد ذلك في بدائع الاخبار ، وكتب بسواد الليل على بياض النهار ، وأنافى مكانة حضرته بمنظوم ومنثور ، كمن أمد النار بالشرر ، وأهدى الضوء الى القمر ، وصب في البحر جرعة ، وأغار سير الفلك سرعة ، اذ كان لا يحل النقص بواديه ، ولا يطور السهو بناديه

ولقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ان نعتها فقد عبتا وان وصفتها فأأنصفتها وأطر بنى يشهد الله اطراب السماع وبالله لو صدرت عن صدر من خزائنه وكتبه حوله يقرب طرفه في هذا ويرجع الى هذا فان القلم لسان اليد وهو أحد البلاغتين لكان ذلك عجيباً صعباً شديداً والله لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه اذا قرئت عليهم الكتب ولا سيما الكبار رجعوا الى أصولهم كالملابطين يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط والحبب الحبب والنادر القريب حفظه أدام الله تأييده لاسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الاذكياء المبرزين المنظوم وهذا سهل بالقول صعب بالفعل من سمعه طمع فيه ومن رآه امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثني أبو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه أذوردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزائنه وأخرج كتب اللغة وفرقها على أصحابه فيفتشونها ليحجب عنها وتركته وذهبت إلى أبي الطيب اللقوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ويده قلم الحرة فاجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب وقال أبو الطيب : قرأت على أبي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظا وقال لي أبو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خرف واجلس على دجلة أحفظها وأرى بها وأنا تعب وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذلك اني درست ببغداد وخرجت عنها وأنا طرى الحفظ ومضيت إلى مصر فامرحت نفسي في الاغراض البهيمية والاعراض المؤتمية وأردت بزعمي وخديعة الطبع المليم ان أذيقها حلوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الافهام اللطيفة وكنت أكتب خمسين ورقة في اليوم وأدرس مائتين فصرت الآن أكتب ورقة واحدة وتحكى عيناى حكامولما وأدرس خمس أوراق وتكل ثم دفعت إلى أوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا أدب . بل في فضة وذهب . فلو كنت اياها صرت باقلا وأضع كتابا عن يميني وأطلبه عن شمالي وأربد مع ضعفي أرتاد لنفسى معاشا بظهر غير ظهري بل كبير عقير وصلب غير صليب ان جالست فهو كالدمل وان مشيت فجعلتني دما ميل ومعى بقية نزررة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة أعطيته اياها ليعود على بما أرفعه به جسمي من الحركة وقلبي من الشغل وأنا أجد من أدفعها اليه وبق ان يردها إلى دفع رجل إلى صديق له جارية أو دعهما عنده وذهب في سفره فقال بعد أيام ان يأنس به وتسكن نفسه اليه : يا أخي ذهبت أمانات الناس أو دعنى صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربتها فاذا هي ثيب . ومن ظريف الاخبار ان بنت أختي سرقت لي ثلاثة وثمانين دينارا فلما هدها السلطان أطال الله بقاءه ومد مدته وأدام سموه ورفعته وأخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلتها فاعجبوا من هريستي وزبوني والله لولا ضعفي وعجزى عن السفر خرجت اليه منتشرقا فاجالسته ومحاضرتة فلما مذاكرته فقد يشت منها لاقداستولى على النسيان واحتوى على قلبي من الهموم والاحزان وإلى الله الشكوى لامنه وليس يحسن ان أشكوا من ربحنى إلى من لا يربحنى وليس يحكم من شكوا ربحا إلى غير ربحهم وكان أبو بكر الشبلى يقول : ليس غير الله غير ولا عند غير الله خير .

وقال يوما : يا جواد ثم امسك مفكرا ورفع رأسه ثم قال : ما أوقنى أقول لك يا جواد وقد قيل في بعض عبيدك

ولولم يكن في كفه غير نفسه • لجاد بها فليتنق الله سائله

وقد قيل في آخر

تراه اذا جثته مهلا • كانك معطيه الذي أنت سائله

ثم قال : بلى أقول يا جواد فاق كل جواد وبجوده جاد من جاد • ودخل ابن السهاك على الرشيد فقال له عظمي وفي يد الرشيد كوز ماء فقال : مهلا يا أمير المؤمنين أرايت أن أقدر الله عليك مقدرا فقال لن أمكنك من شربة لا ينصف ملكك أ كنت فاعلا ذلك قال : نعم قال : اشرب هناك الله فعاشر ب قال : أرايت يا أمير المؤمنين ان لو أسفت نفس هذا المقدر عليك فقال : لن أمكنك من اخراج هذا الكوز الابان أستبد بملكك دونك أ كنت فاعلا ذلك قال : نعم قال : فاتي الله في ملك لا يساوي الابولة وكيف أشكو من قاتني وعالي نيفا وسبعين سنة كان قيهي ذراعين فوكل في والدين حدين مشفقين يتناهيان في دقتهم ورقته وطيبه فلما صار اثني عشر ذراعا تولاوه وهو طعاعي فأتى جاعنى قط ولا أعرا في والذي هو يطعمني ويحقين خاطبر به بالادب فقال واذا مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانه تنفر من الاعراض والامراض وكل شيء يطرأ على الانسان لا يقدر على دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم والسرور والخصب والجذب والفقر فهو منه قدست أسماؤه ألا ترى انه لا يتوعد على فعله ولا يعاقب عليه وما يقدر على دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة فلا يقع منه البناء ويريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعدة لا يقدر على امساك يد ومن ليست به يقدر على امساك كها

كنت بتنبس وبين يدي انسان يقرأ ويحزن : (يوفون بالنذر ويخافون) ويبكي فخطرتلى خاطر فقلت أنا بصد هؤلاء اقوم صلوات الله عليهم أئالا أنذر ولا أنفى ولا أخاف شقاء ولا عناء ولو كنت أخاف ما أصبحت • • • محموما وكنته وحدثني من أثق به ولا أنهمه عن أبيه وكان زاهدا قال : كنت مع أبي بكر الشبلي ببغداد في الجانب الشرقي بباب الطاق فرأينا شاربيا قد أخرج حلاما من التنور كأنه بسرة نضجا والى جانبه قد عمل حلوى فالودجا فوقف ينظر اليهما وهو ساهم مفكرا فقلت يا مولاي : دعني آخذ من هذا وهذا ورقا فاقوا خبزا ومنزلى قريب تشرفني بأن نجعل راحتك اليوم عندي فقال : يا هذا أظننت اني قد اشتيتهمما

وأما

وانما فكرى في ان الحيوان كله لا يدخل النار الا بعد الموت ونحن ندخلها احياء
 يارب عفوك عن ذى شعبة وجل * كانه من حذار النار يحنون
 قد كان ذم افعالا مذممة * أيام ايس له عقل ولادين

تمت الرسالة والمحمد لله ذى الفضل وصلواته على محمد وخيرة الآل ما فرغت من هذه
 السوداء حتى نارت في السوداء وأما اعتذر من خطي فيها أو زلل فان الخطأ مع الاعتذار
 والاجتهاد والتحرى موضوع عن الخطي ومن ذا الذي يؤتى الكمال فيكمل . قال عمر
 ابن الخطاب : رحم الله امرأ أهدى الى عيوني واسأله أدام الله عزه تشرىني بالجواب عنها
 فان هذه الرسالة على ما بها قد استحسنه وكتبت عنى وسمعت منى وشرفتها باسمه
 وطرزتها بذكره والرسالة التي كتبها الزهري الى كانت أكبر الأسباب في دخولي الى حلب
 واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها ان شاء الله وبه الثقة وصلى الله على سيدنا محمد
 وعلى آله وسلم .

ملقي السبيل

﴿ سائحة للناس ﴾ ﴿ المعري وشبهه اور ﴾

من عهد بعيد بحث كتاب الشرق والغرب عن حياة الشاعر الحكيم أبي العلاء المعري وتأليفه وعرفوه بما يستحقه من الاجلال والتعظيم فلا حاجة ليراد ترجمته هنا . - الا ان لم نر أحدا أشار الى المشابهة الغريبة الموجودة بين فلسفة المعري ومذهب شبهه اور والحكيم الجرمانى .

ولدار ثور شبهه اور بمدينة دنسبيغ بالمانيا سنة ١٧٨٨ فاعتنت أمه بتثقيفه وكانت من مشاهير قصصى ذلك القرن فاحسنت تربته . وبعد ان تلقى العلوم بجامعة برلين وحصل على أعلى شهادتها أخذ يدون آراءه الفلسفية فألف عدة كتب أهمها (الارادة فى الطبيعة) و (أساس الحكمة) وأشهرها (فصول فى الحكمة فى الحياة) وفيه جمع شبهه اور حكمه فى أقوال موجزة وفصول قصار وصف فيها انعاب الحياة وآلام البشر على صورة تؤلم القارئ لانطباقها فى الغالب على الواقع . ومذهب شبهه اور ان جميع مشاق الانسان وانعابه الدنياوية الاصل فيها ما يسميه (ارادة البشر) يعنى شهوات طبيعتنا وحبنا التمتع والتلذذ بالحياة . وأوليس هذا رأى المعري عندما يقول : (انك الى الدنيا مصغ . وجهك للبشر مطغ . لو انك لشأنهم اذغ . أبغاك ما نأمله مصغ) ؟ ولولا خوف الاطالة لاوردنا شيئا كثيرا من تشابه أقوال الحكيمين . . توفي ارتور شبهه اور بفرنكفورت عام ١٨٦٠

ومن اطلع على طريقة هذا الفيلسوف الالماني يتقن ان معتقده وبأسسه من الحياة وتشاؤمه المستمر يطابق كثيرا مذهب المعري خصوصا فى غصه عن انعاب البشر وآلامهم وجسه أسقام الانسان كالباحث الماهر والطبيب العارف من غير حذر ولاشفقة على هذا النوع الانسانى وبدون أن يبين فى وصف الادوية التى ينفى اتخاذها واستعمالها للاتقاء وتسلية تلك المواجه . وهناك دلائق وتشابه آخر بين أبي العلاء وشبهه اور وهو كونهما لم يتزوجا وعاشا فى عزوبة مستمرة وعزلة وانقطاع مما أثر فى طبيعتهما وجعلهما يتشاكمان ويتقندان الهيئة الاجتماعية ويتناولان أهل الدين وأرباب الشعائر والنساء والاعتقاد ويسبئان الظن بالدنيا وساكنيها .

والفرق بين العالمين هو كون شينهاور استقل في علم الفلسفة ودراستها والتدوين فيها بخلاف المعري الذي لم يشتغل بالفلسفة من حيث هي علم وإنما كان يبحث عن أسباب الأشياء وتعليل وجودها فتخطر له خطرات حكمية تستحوذ على مخيلته وذنه الخلد فتسبكها فريحت الشعر يفة في تلك القوالب العجيبة التي تظهر من قصائده .

بقى علينا أن نتكلم على رسالة (ملقي السبيل) التي تقدمها اليوم الى محبي الآثار العربية والمولعين بنثر شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ونظمه . فالظاهر من هيئة هاته الرسالة وانشائها أن المعري ألفها في الدور الاخير من حياته زمن عزله وانقطاعه (حوالي سنة ٤٣٠ هـ) وقد زهد في الدنيا لكبره واقترب أجله . فكانه أراد الرجوع للباديء الدينية وسلك طريقة الوعظ والنسك وتمسك بالاعتقاد . وأين قوله زمن صغره لما كان في غزارة قواه وعنفوان شبابه :

صحكنا وكان الضحك مناسفاة * وحق اسكان البسيطة أن يكونا

تعطمتا الايام حتى كئأنا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

من اعترافه بالبعث والعاد في هاته الرسالة كقوله (وفي الآخرة يكون المجمع) وقوله (وعند الباري تكون الزلف) وهلم جرا .

أما أسلوب هذه الرسالة في مجله فهو يشابه كثيرا لهجة الخطب البليغة ذات الفصول القصار التي كان يلقبها خطباء العرب كسحبان وائل الباهلي وقس بن ساعدة وعامر بن الطفيل وأمثالهم بأسواق الجاهلية . واليك نموذجان من كلام قس بن ساعدة خطيب بني اباد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (رأيت بسوق عكاظ على جبل أحر يقول: (١) «أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا . من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هوأت آت في هذه آيات محكمات . مطرونيات . وآباء وأمهات . وذاهب وآت . ونجوم نور . وبحور لا تنور . وستف مرفوع . ومهاد موضوع . وليل داج . وسما ذات ابراج . ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون . أرضوا فاموا . أم حبسوا فناموا . يامعشر اباد . أين تعود وعاد . وأين الآباء والاجداد . أين المعروف الذي يشكر . والظلم الذي لم يشكر :

في الذاهبين الاولين * من القرون لذابصائر

لما رأيت موارد * للوت ليس لها مصادر

(١) كتاب (البيان والتبيين) لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج ١ ص ١١٩

ورأيت قوى نحوها • نغضى الاكابر والاصاغر

لا يرجع الماضى ولا • يبقى من الباقيين غابر

أيقنت انى لاحها • لفتح صار القوم صائر

وسوف يرى القارئ ما بين الكلام المتقدم وحل المعرى وعقده فى (ملقى السبيل)

من مطابقة المعنى ومشاكلة اللهجة •

أما النسخة التى اعتمدنا عليها فى النقل فهى محفوظة بمكتبة الاسكوريال من بلاد
الاندلس تحت نمرة ٤٦٧ وهى بخط الراوى لها القاضى الامام الشريف أبى محمد عبدالله
ابن القاضى أبى الفضل عبد الرحمن بن يحيى الديباجى العثمانى رسمها بالاسكندرية أوائل
القرن السادس وقد اعتنى رسمها ووضبط جملها بطريقة ثابتة مدققة وهى فيما اعتقده أقدم
نسخة لملقى السبيل ولا يبعد أن تكون هى التى عول عليها أدباء الاندلس فى معارضاتهم لها
فقد جاء فى نفح الطيب ان الحافظ أبى البريق السكلاعى الاندلسى المتوفى بالجهاد سنة ٦٣٤ هـ
عارض هذه الرسالة بتأليف سماه (مفاوضة القلب العليل ومناظرة الامل الطويل بطريقة
المعرى فى ملقى السبيل) • كما تحتوى مكتبة الاسكوريال نفسها على كتاب (نمرة ٥١٩)
من وضع الكاتب الشهير أبى عبدالله محمد بن أبى الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان
المرابطين عارض به (ملقى السبيل) أيضا • ومن جهة أخرى يوجد بمقدمة النسخة التى لدينا
وهى كما قدمنا صورة فوتوغرافية من الاصل الاندلسى كثير من الاجازات تنبئ بقراءة هذه
الرسالة على أسانيد متضلعين تلتحق رواياتهم بالراسم الاول نعى عبدالله الديباجى • وأقدم
توقيع من هذا النمط مؤرخ سنة ٥٦٢ وهو مما يستدل به أيضا على اهتمام الاندلسيين
بتأليف المعرى •

وعسى أن ننشر فيما بعد رسائل أخرى من وضع هذا الفيلسوف الشاعر واللهولى

التوفيق

تونس ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٩ ح • ح • عبد الوهاب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

أخبرني بملق السبيل هذه الشيخ أبو المظفر سعد بن أحمد بن حماد المعري رحمه الله عن
أبيه عن أبي العلاء ناظمها وكتب عبد الله بن عبد الرحمن العناني
قال الشيخ الامام أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري رهين الحبسين

الهمزة

كم يحني الرجل ويخطي • ويعلم ان حنقه لا يبطي •

نظمه (مخلع البسيط) (١)

ان الانام ليخطو • ن ويقرأ الله الخطيئة (٢)

كم يبطون عن الجية • ل وما مانياهم بطيئة

الاف

ابن آدم في سير وسري (٣) • بهجر بحرصه الكرى • وطالما كذب واقفري •

ليصل الى خبيس القرى (٤) • وانما يحصل على الثرى • كأنه لا يسمع ولا يرى •

نظمه (سريع)

أما يفيق المرء من سكره • مجتهدا في سيرة والسرى

نمت عن الاخرى فلم تنتبه • وفي سوى الدين هجرت الكرى

كم قاتل راح الى معشر • أبطل فيما قاله وافترى

على القرايم حمل أفعاله • وانما يأمل نزار القسرى

يفتقر الحى ويثرى وما • يصير الاجشوة (٥) في الثرى

اسمع فهذا قائل صادق • أراك عقباك فهـ لا ترى

(١) المقتبس : كذا في الاصل وصوابه من مجزوء الكامل (٢) جميع أبيات الرسالة

واردة في الاصل على وتيرة واحدة من غير فصل صدورها عن اعجازها ولا بيان البحر وهي

الطريقة المتبعة في المخطوطات القديمة (٣) السير بالليل (٤) القرى بالكسر الضيافة

أو ما يقدم للضيف (٥) الجارة المجموعة

الباء

يفتقر الى الله الارباب . وبال كافر يحل التباب ^(١) . وتنقطع بالموت الاسباب .
وفي الخالق تحار الالباب .

نظمه (رجز)

دانت لرب الفلك الارباب * وبالكفور يلحق التباب ^(٢)
كم قطعت لينة أسباب * وافترت برغمها الاحباب
الثاء

النفس تصرف وانصرفت . والاعضاء تألفت ثم تلفت . والاقضية بحق هتفت .
مأعيت المحلة لكن عفت . كم شفيت المدنفه فاشتفت .

نظمه (مجزوالرجز)

نفس الفتى في دهره * تصرف وانصرفت
تألفت أعضاؤه * وافترت اذ تلفت
أقضية الله دعت * فاسمعت اذ هتفت
مأعيت ديارهم * من الرزايا بل عفت
كم شفيت مريضة * من مرض فاشتفت
الثاء

من أعظم الحدث . سكنى الحدث ^(٣)

نظمه (متقارب)

يدوم القديم اله اسماء * ويفنى باقداره ما حسدت
وما أرغب المرء في عيشه * ولكن قصاراه سكنى الحدث

(١) انقص والخسارة والهلاك (٢) لابي العلاء آيات كثيرة تثبت حسن اعتقاده
بخالق جل جلاله وحمدة إيمانه في ذلك قوله :

مولاك مولاك الذي ماله * بدوخاب الكافر الجاحد
وقوله : والله حق وابن آدم جاهل * من شأنه التفريط والتكذيب
وقوله : توحد فان الله ربك واحد * ولا ترغبين في عشرة الرؤساء
زيادة على ما سيرد من هذا المعنى ضمن الرسالة (٣) الحدث : القبر

الحجيم

الحجب بجاهل مداج • يأسف لبين الاحداج ^(١) • ويعصى الملك والليل داج
وما هو من الحنف بناج •

نظمه (مخلع البسيط)

يا أيها العاقل المداجي • وليسه بالسفاه داجي
كأنما عينه اذا ما • تحمل الحى فى زجاج
كم أعمل الناجيات حوصا • وليس من حنفة بناج
رجا أمورا فلم تقدر • وكل من فى الحياة راجي

الحاء

ان ابن آدم لشحيح • سوف يمرض من القوم صحيح • نصف بعقله ريج • فاذا هو
لقى طريق • ثم يحفر له ضريح • ان ذلك هو التبرج

نظمه (مخلع البسيط)

يا أيها الممسك الشحيح • سيمرض السالم الصحيح
مالك لم تنتفع به عقل • هل عصفت بالعقول ريج
ان شيدا القصر فى سرور • فحده يحفر القصر ريج
يطرح الهم بالمنايا • من جمه فى الثرى طريق

الحاء

بكى على الميت مواخ • كان أجهل فى تراخ • فلتنه الصارخة عن الصراخ •

نظمه (مخلع البسيط)

فى الله آخى فتى لييب • وأسلم الهالك المواخى
بكى عليه فهل تراه • فى أجل دائم التراخى
اعتقد الحق واعتمده • لا تزرع الحب فى السباخى

الذال

أما بصرك خديده • وأما ثوبك خديده • وظلاك بقضاء الله مديد • وحولك العدد

والعديد ولكنك سواك السديد • طرقت وعدو وعيد • فهل تبدي أم وهل تعيد •
أم غريك ^(١) هو السعيد •

نظمه (وافر)

أرى ملكاً تحف به موال • له نظر إلى الدنيا حديد •
ضفارد الشباب عليه حتى • مضت حقب وملبه جديد •
يزول القيظ ^(٢) في صيف ومشى • ويستر شخصه ظل مديد •
وقت عدد لديه فن دروع • وأسياف ينوء بها عديد •
وكان السعد صاحبه زمانا • ولكن طالما شق السعيد •
بدا شخص المنون لناظره • وقيل له أتبدي أم تعيد •
تصعد في المراتب غير وان • وأحزته على الرغم الصعيد ^(٣) •
تفرقت الجيود ^(٤) فاجته • وأبطلت المواعد والوعيد •
الذال

أما العيش الناعم فيانه • ولكن سببه يجذ ^(٥)

نظمه (متقارب)

بلد الفتي غفلات الحياة • وليس بمتمصل ما ياله •
يمدله الظن آماله • ولكنها عن قليل تجذ •
العاجلة سبيل منقوده • وهي عند أهل الرشد منبودة • والانس بحق مأخوذة •
للاذرع تنفع ولا الخوذة ^(٦)

نظمه (سريع)

انفذ من الدنيا ولا تلتفت • فانها بالعنف منقوده •
حازنك فانبهها إلى أهلها • فهي لدى الاخيار منبودة •
ولا تمسسك بحبالها • تصبح من كفيك مجذودة •

(١) الفري : الحسن والبناء الجديد (٢) القيظ شدة الحر (٣) الصعيد : القبر
(٤) لعل الصواب : الجنود والافلامعنى للجيود هنا جمع جيد بمعنى العنق (٥) جذه
جذا فاجذ أي قطعه أو كسره فاقطع وانكسر (٦) الخوذة ونسب أيضاً المغفر هو ما يجعله
الحارب على رأسه ليقويه

مأخوذة مانعة في الوري * نفس بحكم الله مأخوذة

لا سقية أغنت ولا رقية * ولا تميات ولا عسوة

الراء

لقد هجرت الخدور • وغدر بها الزمان الخدور • فإذا الخدر عوضه قبر • هل ينفعك

جزع أو صبر • من بارتك بجري المقدور • وتفننى الشهب والبدور •

نظمه (مخلع البسيط)

تظهر أسرارها الخدور • بما قضى الواحد القدير

كم دار في خاطر ضمير • من فلاك دائب يدور

وضاق صدره بمشكلات • تضيق عن مثلها الصدور

يثبت فرد بلا قرين ^(١) • وتهلك الشهب والبدور

الزاي

لا تبرزى يا غانيه • فانها الدنيا القانيه • سترك بكاة ^(٢) والدالك • فلتمسك بالنسك

يداك • الورع ذهب ابريز • والحدث حوز حريز • قدتهلك فتاة ورود • وتلبت مسنة ترود •

نظمه (مخلع البسيط)

يموت قوم وراء قوم • ويثبت الاول العزيز

كم هلكت غادة كعاب • وعمرت أمها العجوز

أحوزها الوالدان خوفا • والقبر حوز لها حريز

يجوز أن تبطل المنايا • والخلد في الدهر لا يجوز ^(٣)

(١) مصحح هامشه (نظير) عوض (قرين) - (٢) الكاة : الستر الرقيق

(٣) ذكر العلامة الذهبي ضمن ترجمة المعري الحكاية الآتية عن القاضي أبي الفتح قال :

دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد اليه وأقرأ عليه فسمعتوه وهو ينشد من قلبه :

كم غودرت غادة كعاب • وعمرت أمها العجوز

أحوزها الوالدان حوزا • والقبر حوز لها حريز

يجوز أن تبطل المنايا • والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا (ان في ذلك لآية) ان خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس

السين

يا ابن آدم كم تحرس وتحترس • والموت أسد يفترس • ان كنت بجبل او واد • فان الاودية
مثل الاطواد • يسمعه امن الله داع • جل رب العظمة والابتداع •

نظمه (مقارب)

أيحترس المرء من حشفه • وماحاد عن يومه المحترس
هل الناس الا نظير السوا • م^(١) وآجالهم أسد تفرس
يحل الربى ويحل الوهود • ولا بد للربيع ان يندرس
السين

لاتك ذا طيش • واعجب لما ذهب^(٢) من العيش • ما فعل آدم وبنوه • كم أدرك الثمر
بجنته • يبدى التوفر أخو المعيشه • والجبل مثل الريشه • المنزل لاهر معروش •
وبالقدر تثل العروش •

نظمه (مخلع البسيط)

أين مضى آدم وشيث • وأين من بعده أنوش
مر أبقى تابعا أباه • ومد وقت فككم أعيش^(٣)
لاملك الارب عرش • نسل عن أمره العروش
خف من الخوف كل طود • حتى كان الجبال ريش
تطيش نبل الرماة منا • وأسهم الختف لانتطيش
ولم يزل للنسون جيش • تفل من ذكره الجيوش

وذلك يوم مشهود وما يؤخوه الا لاجل معدود يوم يأتي لاتكلم نفس الا باذنه فنهض شقي
وسعيد ثم صاح وبكى بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح
وجهه فقال : سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا كلامه فصبرت ساعة ثم
سلست عليه فرد وقال متى أتيت فقلت : الساعة ثم قلت : يا سيدي أرى في وجهك اثر غيظ
فقال : لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئا من كلام المخلوق وتلوت شيئا من كلام الخالق فلهعنتي
ما ترى فتحقت صحة دينه وقوة يقينه •

(١) السوام : الابل الراعية (٢) مخرج بالهامش (ذهب) بدل (وهب) (٣) وشابه
هذا المعنى قوله في محل آخر : تقضى الناس جيلا بعد جيل وخلفت النجوم كما تراها

يحت بالنعش حـالـوه * وشدهـما سارت النعوش
لاحبذا الانس والخطايا * وحبذا النفس والوحوش
الصاد

المرء مما وجبنا كص . والشخص للمحدث شاخص . ان ظل القانية لقالص . فهل
خلص الى الله خالص . ان دينك لوديعة في المحار . انما يدرك بغوص البحار . وعدم دين
في الانام . وكان كالحلم في المنام .

نظمه (سريع)

من ادعى النفسك على غرة * فقل له ما صدق الخارص
والنفسك مثل الجيم في بعده * والخلق ان يلفهـنا كص
كالدرة العذراء^(١) ماناها * الا امرؤ في بحر هاغاتص
في لجة قامصة سفنها * ويصرع المستمسك القامص
تلعب بالالواح أمواجها * كأنما مركبا راقص^(٢)
نحن كنبت عامه مجذب * وماؤه مستنكر ناقص
الصاد

دينك عنه المرض . ضاعت النافلة والمفترض . وخدعك هذا العرض . وجسمك
ضعيف عرض . لقد بعد منك القرض . وسوف يطلب المقرض .

نظمه (مفسر ح)

دينك مضنى أصابه سقم * وانخرق في ان يميتـه المرض
وهل ترجى لديك نافلة * من بعد ما ضاع منك مفترض
غرضت من هذه الحياة فهل * غسرك فيها ترومه غرض
تميل من جوهر الى عرض * والروح في جوهرها عرض^(٣)

(١) مقحم (الفراء) عوض العذراء (٢) وقریب من هذا قوله في بيتنم
الزروميات

يموج بحرك والاهواء غالبـة * لرا كبيه فهل للسفن ارساء
(٣) للمرى أقوال كثيرة في الروح والغالب على آرائه في هذا الشأن التردد والتشكك
في ما قلناه من ذلك قوله :

حزك الشيب ان تتوب فها * نبت فها لا تذكر الحرض

أقرضت عمر افا صنعت به * سوف يرد الانام ما اقترضوا

الطاء

فودك (١) علاه الشمط (٢) . والمرء ينقص ويغبط . كالطفل كهلك فها لا يغمط .
لقد عرف هذا النمط . والنفس تطعن ولا تضبط . واجرم من كفر يحبط . أين موفق لا يغلط .
والموت في العالم مسلط . وعائد الملك لا يقبط

نظمه (هزج)

الام الحرض (٣) والرغ * بة في أشيب كالأشمط

وكالطفل غدا الكهل * فاللكهل لا يغمط

ولا يغضب أخو الري * بة أن ينقص أو يغمط

فما الخاسر الاككا * فسر أعماله تحبط

بنى آدم ان تعصوا * فما أخسر من يقبط

مسر قديم وأمر غير متضح * فهل على كشفها للحق اسعاد

سيران ضدان من روح ومن جسد * هذاهبوط وهذافيه اصعاد

وقوله : والروح شئ لطيف ليس يدركه * عقل ويكن من جسم الفتى حرجا

سبعان ربك هل يبق الرشادله * وهل يحس بما يلقى اذا خرجا

أو ذاك نور لاجساد يحسنها * كما تبين تحت الليلة السرجا

قالت معاشر يبنى عند جنته * وقال ناس اذا لاقى الردى عرجا

وليس في الانس من نفس اذا قبضت * ساف الذين لديها طيها الارجا

واسعد الناس بالدينا أخوزهد * نافي بينها ونادى اذ مضى درجا

وقوله : والنفس أرضية في رأى طائفة * وعند قوم ترقى في السماوات

وكونها في طريق الجسم أحوجها * الى ملابس عنها وأقوات

وقوله : وأوصال جسم للقراب مآلها * ولم يدردار أين تذهب روحها

(١) الفود معظم شعر الرأس بما يلي الاذن وناحية الرأس وهو أول ما يشيب في الشعر

فيقال بدا الشيب بفوده (٢) الشمط بياض الرأس بحالط سواده وقيل بياض شعر الرأس

في مكان واحد (٣) مخرج بالهامش الجهل بدل الحرض

غبطتم

غبطتم صاحب الثروة * والزاهد لا يغبط
أما تغلط في الدهسر * بان توجد لا تغلط
الظاء

أما دينك فتنشط * وأنت على القانية متلظ * متقرب بالمين متعظ

نظمه (مخلع البسيط)

أصبحت في غمرة وهو * تحيي بالمين كي تحظى
احذر على الدين من تشظ * فالهرملي اذا تشظي (١)
لوهاب حوالظي مبي * ما احتاج حوصا ولا تلظي
فأبدل السائلين لينا * ولا تكن في الجواب فظا (٢)

العين

المرء خدعه الطمع * مرأى في الزمن أو مسمع * يدأب (٣) الرجل ويجمع * خلب
وميض يلمع * والعين للحذر تدمع * والسحب بالاقضية همع * وفي الآخرة يكون
المجمع (٤)

نظمه (سريع)

غرك ما يخذع من زخرف الدنيا فزاد الحرص والطمع
علمت ان الدهر في صرفه * مفرق عنك الذي تجمع
سمعت بالخطب وعابذ * هل كفك ما تبصر أو تسمع
تدمع جفناك على زائل * والعين للرغبة لا تدمع
كم أو مض البارق في عارض * فإني الكاذب اذ يلمع
سحب تجلى خالها دجها * عنكم وسحب بعدها همع

(١) تشظى أي تفرق وتشتت (٢) كأنما اقتبس من قوله جل من قائل (ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (٣) يدأب أي يتعب ويشق (٤) كثيرا ما اعترف
أبو العلاء في شعره بالبعث والمعاد فن ذلك قوله :

خلق الناس للمعاد فضات * أمة يحسبونهم للنفاذ
انما ينقلون من دار أعما * لى دار شقوة أو رشاد

(١٥ — رسائل)

الفين

انك الى الدنيا مصغ • وحبها للبشر مطغ • لو انك لشأتهام مغ • أبغاك ماتاً مله مبغ •

نظمه (خفيف)

صاغك الله للجمال بقلب • معرض عن نصيحة ليس يصنى
تكثر الاغوى في المقال ولو وفقت ما كنت للديانة ملنى
لم تزل تزجر الطفأة فلا تطغ غب الدنيا لثلك مطنى
لو بغيت الذى أراد بك الله لا عطاك فوق ما أنت تبغى

القاف

طال الكلف والكاف (١) فأين الخلف والسلف • ان العافية هي التلق • وعند
البارى نكون الزلف • الام تكذب وتحلف • ولا اثم لو ظهر أ كلف •

نظمه (مقارب)

كلفت بدنياك شر الكلف • فجاءتك مما صنعت الكلف
تبع الغواية وما أسلفوا • فهلا أخذت بقول السلف (٢)
وصدقت نفسك فى ظنها • وكم فائل مان (٣) لما حلف
تحلف مالك للوارثين • وكانوا بعلمك بشئ الخلف
ترجى الحياة وأسبابها • وتطلب (٤) عند المليك الزلف
ولو ظهر الانم للنظرين • لراعك فى الوجه منه كاف
اصححك فاذن (٥) الى من يقول • تلاف أمورك قبل التلف

القاف

قلبك معنى يخفق • يخاف من عاجلتك ويشفق • وبارئك هو الموفق • أصبحت من
عمرك تنفق • ترقع العنبر وتلفق • وأنت فى مطلبك تخفق • يطول تبك فهلا ترفق •

(١) بالاصل الكلف مكرر بالنصب - (٢) ومن قوله فى اللزوميات عايشابه هذا :

ولا تقولن اذا ما جئت مخزية • قول الغواة على هذا مضى السلف

لا تحلفن على صدق ولا كذب • فاي فـ يدك الا المأثم الحلف

(٣) مان الانسان أى كذب (٤) بالاصل ترك وخرج بالهامش اطلب التى أثبتناها

لناسبتها لى (٥) أذن أى أصنى •

نظمه (سريع)

ان خفق البارقي في عارض * فالقلب من روعته يخفق
تأسف ان انفتت مالا ولا * تأسف من عمرك اذ تنفق
تظلم من فقد الغنا مشفقا * ومن قبيح الائم لا تنفق
مرتقا في وطن حافظا * تسأل ما هان فسلاترق
يعود عن غيمك من شامه * وهو شديد ظمؤه مخفق

الكاف

سبح الهنا الفلك * وقديس البشر والملك * والجسم في العفري يستهلك * والمرء بالعارفة
يملك * والنهج للآخره يسلك *

نظمه (بحر الرجز)

سبح مع الشهب كما * سبح من قبل الفلك
قدس انسان على الارض وفي الجوملك
لانيك لبيت فكم * مات كريم وهلك
ماخير الغابر عن * دفينه أين سلك
مالك شيء واذا * أطعت فالرحمة لك

اللام

غرك تفصيل وجل * والحي خدعه الامل * سعيك فسد والعمل * مانفعك حجب
ولا رمل * كانيك بين الجهل عمل *

نظمه (سريع)

مازلت مشغولا بلا خشية * يغرك التفصيل بعد الجمل
تحملك الارض على ظهرها * وأنت سار فوق ظهر الامل
ما لي أرى عينيك لم تهمل * كأنما أنت مخلي همل
ما يشفع الحسن لاصحابه * ان حسن الوجه وساء العمل
زملت في مكة تبني الهدى * فهل تهاك السعي بعد الرمل

الميم

اني سمعت حل الصمم * أم لبيك أصاب اللمم * وتحسن للانيس اللهم * وفي التراب

طوى الرمم . وفي الباطن تخان الدم . على ذلك نمر الأمم .

نظمه (سريع)

مالك لم تصبغ الى عاذل * أحل في المسمع منك الصمم
اجاهل (١) أنت قتلحى على العصيان أم مس حجاجك اللهم
هتلك العليا هوت في الثرى * وشيعة الزاكي علواهم
لم تف بالذمسة للحروا حرم مراغ واقبات الدم
والذكر يبقى للفنى برهة * وان توارت في التراب الرمم
تيمم الخبير ولا ترهب السموت فلاموت تصير الامم
النون

لله الكرم والمغن . وعن بارتك نزول الظن . لا يترك من الموت الجن . وبالعاصف

براع الفن . (٢) لا تعصمك تلك الفن

نظمه (سريع)

ويحك لا تمن على منم * عليه فالحالق رب المن
فطن خير ابا الاخلاء والا فالحير يخفو (٣) الظن (٤)
يجنك القبر فلا تنف كالمجنون يبنى واقبات الجن
واقفن في خوفك رب العلا * وأنت في سرحك مثل الفن
انك قن (٥) للمليك حوى الملك فلا تعصم منه الفن (٦)
لتقرع السن غدا نادما * ان كنت ضيعت جيل السن
الهاء

المرء نهى فإنا انتهى . مازال في العاجلة يزدهى . ان قيل ما أحسن وما أبهى . فاين

صاحبك لما وهى . وطال ما نم ولها . ونال في العمر ما شتهى (٧) . ما بين غزلان

ومهى . دهاء الزمن فيمن دها . والله عمر بالهوى . مصورا القمر والسها .

(١) مخرج بالهامش أعاقل بدل أجاهل (٢) الفن الفن المستقيم جمعه أفنان وأفنانين

(٣) بالاصل يخفون وهذا غلط كثير ما يقع في المخطوطات خصوصاً القديمة منها (٤) (كذا)

(٥) الفن هو العبد الذي ملك أبوه من قبله (٦) جمع قن بالضم وهو الجبل أو قلة الجبل

(٧) هذه الجلة مخرجة بالهامش ومنبه عليها بعلامة وإن ألقناها بالاصل

نظمه (سريع)

المرء معتوب على فعله * كم سمع النهى فألا انتهى
زايه اللهو وزار البلا * وطالما عاينته مزدهى
باهى زمانا بالذى ناله * ثم أتى الموت فأين البهى
وهت عقود كان فى عصره * أحكمها لا عاقد ما وهى
ماشهوات الحى الأذى * ان نال من مدته ما انتهى
كان يرى فى غزل دائما * ما بين غزلان له أومهى
دهاء بالقدور لم يدفع السخط عن مهجته أذهى
سها عن الواجب فأغتاله * مصور البدر ورب السها
الواد

أما صعبك فقد غورا • عبوا فى المورد قار تورا • أبادتهم الاقضية حتى تورا • خلوا
للوارث ما احتورا • طواهم القدر فانطورا • ولا قتهم الآخرة بما تورا •

نظمه (سريع)

لا تغوى دنياك مستترا * فان أصحابك فيها غورا
عزلم فى سرهم (١) مورد * لو كان بروى مثله لارتورا
نادتهم الاقدار ياسا كنى الارض ألا تدون حتى تورا (٢)
خلوا أحاديثهم (٣) واحتوى * آخذ منيراث على ما حورا
انتشروا فى عيشهم أعصرا * ثم طواهم قدر فانطسورا
فلتحسن النية من بعدهم * فالناس يجزون على ما تورا
اللام والاف

كل غدا يتخدم أملا • يسىء فى ما بطن عملا • يصبح بسيفه مشتملا • لا يطلب رزقه
محتفلا • والرزق لا يترك متوكلا • لم يرد فى العالم حيلة •

نظمه (بسيط)

(١) مقعهم بأعلاه دهرهم بدل سرهم (٢) هذا البيت مخرج بالطرة ومكتوب بقلم
مغابر للأصل وخطه ردى جدا (٣) بالهامش أباطيلهم عوض أحاديثهم التى بالأصل

ما في البسيطة من عبد ولا ملك * الاحليف غناء يخدم الاملا (١)
 يحث نفسا عن الاحسان عاجزة * وقد أساء بعلم الواحد العمال
 فهل ترى الدهر أتى أو ترى ذكرا * يشابه امرأة في الخلق أو رجلا
 يروم بالسيف رزقا جاء في عنف * ما كان بخطوه في خفض لو انكلا
 يبني المعالي في أوفى مجاهدة * فان تخلف عنها اطف الخيلا
 ياسا كنى التريب ما عندي لكم خبر * فليت شعري عن المقبور ما فعلا
 لم تنامنكم برسسل مخبرة * ولا كتاب الينا منكم وصلا
 الياء

الحى بعد العيشة ردى • وجاء القدر فافدى • وشخصه بالقاضية ردى • لم يرزق
 النهل ان صدى • لكنه عن ذلك عدى • أظلمته العاجلة فاهدى • وجادته الاسمية
 فانهدى • وقتلته الحادثات فاولدى •

نظامه (سريع)

المسرء في أردية لونت * ماش ولكن بعد هذاردى
 فدى الاسارى زما ذاهبا * وجاء الموت فألا فدى
 فياردى العقل ان الفتى * لم يدفع المقدور حتى ردى
 ظل صده في الثرى ساكنا * ولم يصادف منهلا اذ صدى (٢)
 رنتله الاعداء ان غابت * صاحبها عن كل خير عدى
 كان الهدى يهدى الى قلبه * من سمعه لو انه يهتدى
 جادت له اسمية برهة * وعاد يساغص منه ما ندى
 لا يطلب الثار ليت ولا * يودى لعمر (٣) الله فمين ودى
 نجرت والحمد لله وحده

(١) ومعنى هذا البيت يشابه قوله في اللزوميات :

بحسن مرأى لبني آدم * وكاهم في الدوق لا يعذب
 ما فيهم برولا ناسك * الا الى نفع له يجذب

(٢) بالاصل : موردا ان صدى وعخرج بالهامش : منهلا اذ صدى وهو ما أثبتناه

(٣) بالاصل : لعمر والله

رسائل الانتقاد

كلمة للناس

بينما كنت في خلال العام الفارط أرسل رائد الطرف في بعض المخطوطات العربية القديمة عثرت على كتاب صغير الحجم جميل الخط عتيقه فقامت له فوجدته لمؤلف تونسي معهود من البغاء . واذ كان لي ولوع شديد بالاطلاع على ما أثر الادباء من بني وطني تعلقت رغبتي بتعريف هذا التصنيف . بيد أني لما أخذت أنلور شيق معانيه وأحلل دقائق مبانيه وجدت نقصا فادحا بين أوراقه أفسد عقد جله لحل بي من ذلك قلق عظيم . ثم بعد مدة وقعت في فهرست القسم العربي من مكتبة الاسكوريال بجزيرة الاندلس على اسم مقامة تحت عدد ٥٣٦ منسوبة الى أبي عبد الله محمد بن شرف القيرواني فأنجلي خاطري وبادرت في الحال اطلب نسخة منها من بعض زملائي المستشرقين . فلما وافقتني صورتها وطابقتها بالدي عاود في سروري الاول وقوي عزمي اذ كانت القطعة الاندلسية مطابقة للقسم الاول من النسخة التونسية بزيادة ما نقص . فاسرعت حينئذ الى النسخ وأتممت هاته بتلك حتى كمل والحمد لله كما نرغبه وهو ما تقدمه اليوم لطلاب الآداب العربية ومن المناسب ان نذكر شيئا عن الاصلين اللذين أخذنا عنهما . فالاول وهي النسخة التونسية تشتمل على ستين صفحة شرقية يلوح من شكل خطها انها من القرن السابع لكنها صعبة القراءة لان نظام اسما الحرف ودثور كتابتها دع مالحق الورق من العث الذي أهلك جانبها وافر منها .

أما القطعة الاندلسية التي أكلناها ما مضاع من التأليف فهي تحتوي على ثمان عشرة صفحة صغيرة الحجم اندلسية الخط قديمة النسخ كما يتبين ذلك من التاريخ الذي وضعه بعض المطالعين في الصفحة الآخرة حيث قال : (طالعت في موفى سنة خمس وخمسمائة) وبهذا يستدل على ان هاته القطعة كتبت زمن المؤلف اعمدة اقامته بالاندلس (حوالي سنة ٤٥٥) أوقرب بيا من عهده . ومهما كان الحال فهي أقدم من أختها التونسية لانها أخصر ولا تشتمل الاعلى المقامة الاولى

ويلاحظ لي ان مؤلفنا قصد بتدوين هذه الرسائل معارضة (كتاب العمدة) الذي وضعه زميله ومعاصره الحسن بن رشيق القيرواني كما سنبينه في ترجمته . الا ان الرسائل

المعارض بها كانت أطول وأكثراً وجدناه وأوردناه هنا . يؤيد ذلك ما جاء في سياق كلام ابن شرف في مقدمته للمجلس الأول حيث قال : (فاقمت من هذا النوع عشرين حديثاً) فالظنون أنه يقصد بالحديث مجالسه مع الأستاذ الموهوم الذي سماه (أبا الريان) كما اختلق الحريري في مقاماته شخص الحارث بن همام . واخترع الهمداني عيسى بن هشام . فعمسى أن يساعده في الحظ بالعثور على بقية هذا التأليف النفيس إن كان في عالم الموجودات .

وقد احترمت في الاستنساخ الطريقة التي أتى عليها الأصل في الرسم وضبطه الأمانة عليه أسفل المتن مع التعاليق . ولما كان الاعتراف بالمعروف فريضة وجب على أن أرفع شكرى الخالص لا كاتب البليغ والباحث المدقق محمد بدر الدين أفندي النعساني الذي أعانني بعلمه النيرة لازالة بعض مشكلات النسخة التونسية كما أقدم عبارات وودادى الى العالم المستعرب المتمكن صديق الأستاذ كارلونا ليو والذي أسعفنى بالحصول على صور القطعة الاندلسية وهو لا يزال يفيدنى بأشاراته العلمية وفكره الصائب فجز يا عنى خير خزاء واستولى توفيقى به أهتدى واليه أنيب

تونس

حسن حسنى عبد الوهاب

ترجمة المؤلف (١)

نبغ أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامى القيروانى نحو سنة ٣٩٠ من احدى البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربى الفاتح والقيروان اذ ذاك زاهية زاهرة بالعلوم رافلة بالمعارف والقنون فروى المعقول والمنقول عن افاضل ذلك العصر كابى الحسن القابسى وأخذ القنون الادبىة من أسانيدتها كابى اسحق ابراهيم الحصرى القيروانى ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما حتى برع فيها وأجاد فالحقه حينئذ المعز بن باديس الصنهاجى أميراً فرقية بدويان حاشيته لما رأى فيه من الذكاء والنجابة . وهناك التقى ابن شرف بجماعة من الكتاب البلغاء والشعراء الظرفاء الذين كان يجمعهم ديوان الملك مثل على بن أبى الرجال الكاتب رئيس قلم الانشاء وأبى على الحسن بن رشيق صاحب العمدة ومحمد بن حبيب القلاسى وغيرهم

وطيبي ان وجود ابن شرف فى مثل هذا الوسط دعاه الى تتبع الوجهة التى شب عليها وقوى نشاطه اذ كان أولئك الادباء الاجلاء يتسابقون فى التقرب بنظمهم ونثرهم الى الامير رغبة فى العطايا الهائلة والحببات الطائلة . وحصل عن هذا التنافس والتراحم حركة فكرية أدبية لم تر افرىقية مثله فى عصر من عصور السلطنة الاسلامية وصارت القيروان كعبة العلم التى يحج اليها العلماء من جميع اصقاع المغرب حتى من الابدلس . وقد خصص المعز لصحبته من بين هؤلاء الزعماء المتقدمين ابن شرف هذا وابن رشيق فكان يلتفت تارة الى الاول وأخرى الى الثانى وجرى بسبب ذلك بين هذين الادبيين مناقضات ومهاجاة رسمها كل منهما فى رسائل مستقلة ومقامات متنوعة علم يصل اليانها شائى فيما نعلم

حكى ابن شرف المترجم له فى كتابه (أبكار الافكار) قال : استدعانى المعز بن باديس يوماً واستدعنى أباعلى الحسن بن رشيق الازدى وكنا شاعرى حضرته وملازمى ديوانه فقال : أحب ان أصنعابن يدي قطعتين فى صفة الموز على قافية الغبن . فصنعنا حالاً من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذى صنعه

ياحبسنا الموز واسعاده * من قبل ان يعضغه الماضغ

قدلان حتى لا يحبس له * فالقم مـلا ن به فارغ

(١) اقتبست هذه الترجمة بتصرف من تأليفنا (الادب والادباء التونسيين)

سيان قلنا ما كل طيب * فيه والامشرب سائق

والذي صنعه ابن رشيق

موزر يبع أكله * من قبل مضغ الماضغ

فأكل لا كل * ومشرب لسائق

فالقم من لين به * ملآن مثل فارغ

بخال وهو بالغ * للخلق غير بالغ

فأمرنا الوقت ان نصنع فيه على حرف الذال فعملنا ولم يرأ أحدنا صاحبه ما عمل

فكان ما عملته

هل لك في موزاذا * ذقناه قلنا جـبـذا

فيه شراب وغذا * يربك كالماء القذى

لومات من تاذذا * به لقيـلـ ذابذا

وما عمله ابن رشيق

لله موز لذيذ * يعينه المتعذ

فواكه وشراب * به يداوى الوقيد

تري القذى العين فيه * كما يربها النيد

قال ابن شرف : فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحدا .

ولقد قال من حضر ذلك اليوم : ما ندرى من نهجب أمن سرعة البديهة أم من غرابة

القافية أم من حسن الاتفاق

وحكى المؤلف المترجم له أيضا في كتابه المذکور قال : (استخلصنا المعز يوما وقال :

أريد أن تصنعنا شعرا تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذي يكون على سوق بعض النساء

فأنت أمتحسنة وقد عاب بعض الضرائر بعضا به وكلهن قارتات كاتبات فاحب أن أريهن

هذا ودعى انه قد تم لاحتج به على من عابه وآسى به من عيب عليه . فانقر دكل منا وصنع

في الوقت فكان الذي قلت :

وبلقسية زينت بشعر * يسير مثل ما يهب الشحيح

رقيق في خلد لجة رداح * خفيف مثل جسم فيه روح

حكي زغب الخدود وكل خد * به زغب فعضوق مليح

فإن يك صرح بلقيس زجاجا * فن حديق العيون لها صروح

وكان الذي قال ابن رشيق :

يعيون بلقيسية إن رأوا لها * كما قدر أرى من تلك من نصب الصرحا

وقد زادها الزغب ملححا كمثل ما * يزيد خدود الغيد تزغيبها ملححا

فاشتد المعز على ابن رشيق قوله يعيون وقال : (أوجدت خضمها حجة بأن بعض الناس عابه) فانظروا ما أطف هذه المناضلات وما أحلى هذه الحكايات ولولا خوف الإطالة لزدنا من هذه طرفا تروق الخاطر .

واستمر ابن شرف على خدمة المعز إلى أن زحف عرب الصعيد من هلايبين ودياح وغيرهم واستولوا على غالب القطر التونسي بعدما خربوه ودمروه واضطر الأمير المعز إلى ترك القيروان أمام تلك القبائل المتوحشة (سنة ٤٤٩ هـ) وفر إلى المهديّة واتخذها دار ملكه وقد تبعه إليها شعراؤه وحاشيته . وفي خلاء القيروان يقول ابن شرف من قصيدة رنانة

بعد خطوب خطبت مهجتي * وكان وشك البين أمهارها

ذا كبّد أفلاذها حولها * وقسمت الغربة أعشارها

أطفأها ماسمت بالفلأ * قط فعاتت في الفلأ دارها

ولارأت أبصارها شاطئا * ثم جلت باللج أبصارها

وكانت الاستار آفاقها * فعاتت الآفاق أستارها

ولم تكن تعلو سربرا علا * إلا ذا وافق مقسارها

ثم عات فوق عشور الخطأ * ترمي به في الأرض أحجارها

ولم تكن تلاحظها مقالة * لو كملت بالشمس أشفارها

فأصبحت لا تنقي لحظة * إلا بان نجم مع أطمارها

وأقام ابن شرف مدة بالمهديّة مع زمرة شعراء الملك يخدم الأمير المعز وابنه تيمّا إلى أن رحل عنها فاصدا جزيرة صقلية لماسمع عن كرم أميرها واليه الحقه رصيفه ابن رشيق وقد قدمنا أنه كان وقع بينهما بالقيروان ما وقع بين جرير والفرزدق أو بين الخوارزمي وبديع الزمان . فلما اجتمعوا بصقلية تسامحوا وأقاموا بها زمنا ثم استنهض بومال ابن شرف رفيقه على جواز الاندلس فأنشد حينئذ ابن رشيق البيتين المشهورين بين الخواص والعام

ما يزهدنى فى أرض أندلس * سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب سلطنة من غير ملكة * كاهر يحكى اتقا خا صولة الاسد
فاجابه ابن شرف بدبهة

ان ترمك القرية فى معشر * قد جبل الطبع على بفضهم
قد ادهم مادمت فى دارهم * وارضهم مادمت فى أرضهم

واجتاز ابن شرف وحده الاندلس وسكن المرية وغيرها وتردد على ملوك طوائفها
كآل عباد باشبيلية وغيرهم وبهذه المدينة الاخيرة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م)
وخلف ابنا يدعى أبا الفضل جعفرا كان أدبيا مجيدا أيضا ورد له العماد فى خريدته والفتح
فى قلائده قصائد وقصولا تشهد له بطول الباع .

أما تاليف محمد بن شرف فكثيرة على ما نقله الينا المؤرخون فمنها كتاب (أبكار
الافكار) جمع فيه ما اختاره من نظمه ونثره وهو أنفس مصنفاته (مفقود وقد يوجد منه شئ
فى بعض كتب الادب) . ومنها كتاب (اعلام الكلام) به نخب وملح (مفقود أيضا) .
ثم (رسائل الانتقاد) والمفنون انه ألّفها بعد هجرته القطر التونسى كما يستفاد من سياق
كلامه فى مقدمتها . وغيرهما من هذه المصنفات الادبية النفيسة

وهانحن نأق هنا على منتخبات نثر وشعر من كلام محمد بن شرف يرى القارى براعة
هذا المؤلف الجليل ومكانته من الادب

فن نظمه فى السوق الى بلاد القبر وان مدة اقامته بالاندلس

يا قـبر وان ددت انى طائر * فاراك رؤية باحث متأمل
بالوشهدتك اذ رأيتك فى الكرى * كيف ارتجاع صباى بعد تكهل
واذا تجردلى أخ ومنادم * جددت ذكر أخ خليل أول
لا كثرة الاحسان تنسى حسرى * هيات نذهب على تنى بهال
لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل
وله فى شكوى الزمان

انى وان عزنى نيل المنى لارى * حرص الفنى خلة زيدت على العدم
تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كانتى صارم فى كف منهنزم
وأنشد فى المعنى

عتاب عسى ان الزمان له عتبي * وشكوى فكم شكوى ألانت له القلب
اذالم يكن الا الى الدمع راحة * فلا زال دمع العين منها ملسا سكب
وقال أيضا

وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كاشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تحالف مكتوب القضاء به * فكيف لي بقضاء غير مكتوب
ومن شعره في الحكم قوله

احذر محاسن أوجه فقدت محاسن * سن أنفس ولوانها أقمار
سرج تلوح اذا نظرت فانها * نور يضيء وان مسست فنار
وقوله

لا تسأل الناس والايام عن خبر * هما يثانك الاخبار تطفيل
ولا تعاتب على نقص الطباع أنا * فان بدر السبا لم يعط تسكيلا
لا يؤيسنك من أمر تصعبه * فالله قد يعقب التصعب تسهلا
بع من جفاك ولا تبخل بسلعة * واطلب به بدلا ان رام تبديلا
وصبر الارض دارا والورى رجلا * حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا
اذا ذهب الفتي سعد وجسد * تحامته المكاره والخطوب
وواقاه الحبيب بفروع عد * طفيليا وناد له الرقيب
وله أيضا

يا ثاويا في معشر * قد اصطفى بنارهم
ان تبك من شرارهم * على يدى شرارهم
أوترم من أحجارهم * وأنت في أحجارهم
قابضيت جارهم * ففي هواهم جارهم
وارضهم في أرضهم * ودارهم في دارهم

ومن كلامه في التغزل قوله في ليلة أنس

ولقد نعمت بيلة جدا الحيا * بالارض فيها والسماء مذوب
جمع العشاءين المصلى وانزوى * فيها الرقيب كأنه مرقوب
والكاس كاسية القميص كأنها * لونا وقدرامعصم مخضوب

هي وردة في خدده وبكاسها * تحت الفئاني عسجد مصبوب
منى اليه ومن يديه الى يدي * فالشمس تطلع بيننا وتغيب
وقوله أيضا

قامت تجر ذبول العصب والحبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولى الحصى من حايها نبذا * وتخط العنبر الوردي بالعفر
تلقت عن طلاوسنان وابتمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر
مالدالعين نوم بعد ما ذكرت * ليلاسمرناه بين الضال والسمر
تساقت الطل من فوق النحور به * تساقط الدر في اللبات والتفر
وله من خيرية سمية

خليل النفس لا تخلي الزجاجة * اذا بحر الدجى في الجو ماجا
وجاهر في المدامة من رأي * فافوق البسيطة من يداجي
أطع عنك الكرى والليل ساج * ودعنا نلبس الظلاء ساجا
وهات على اهتمام الروح راحا * بعدهم النفوس طافتراجا
اذا مريحها اتفد احمرارا * صيدنا المشترى فيها مزاجا
بكيت دما والقاصرات سوافر * فلاحت خدود كاهن مورد

وله

وقد وقف الواشون في كل دجنة * على محض فيه المدامع تشهد
يقول الى العاذل في لومه * وقوله زور وجهتان
ماوجه من أحبيته قبلة * قلت ولا قولك قسرا
قل للعنول لو اطلعت على الذي * عانيت به أعناك ما يعينني

وقال

أصدي أم للفرام تردني * وتلومني في الحب أم تفريني
دعني فلت معاقبا بجنائني * اذ ليس دينك لي ولاك ديني
وقال فيمن اسمه عمر

يا عدل الناس أسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالمجران والبين
أظنهم سرفوك القاف من قر * فابدلوها بعين خيفة العين
وله أيضا

غري جنى وأنا الماعقب فيكم * فكأنني سبابة المتندم

وقال يدهح استاذہ الکاتب بأالحسن علی بن أبی الرجال :

جاور علیا ولا تحفـل بحادثۃ * اذا درعت فلا تسأل عن الاسل
اسم حکامه المسمی فی القفال فقد * حاز العلیین من قول ومن عمل
فلما جد السید الحر الکریم له * کالنت والعطف والتوکید والبذل
زان العـلا وسواہ شأنها وکذا * تمیز الشمس فی المیزان والحـل
وربعاعابه ما یفـخـسـرون به * یثنانم الخصر ما یهوی من الکفل
سل عنه وانطق به وانظر الیه تجدد * مل المسمع والافواه والمقل
ومن نظمہ فی أنواع شتی : قال فی العود

سقى الله أرضاً أبنت عودك الذی * زکث منه أغصان وطابت مغارس
تغنى علیها الطیر والعود أخضر * وغنت علیہ العید والعود یا بس
وقال فی الدرهم والدينار

ألارب شیء فیہ من أحرف اسمه * نواه لنا عنه وزجر وانذار
فتنا بدینار وهما بدرهم * وآخوذاهم وآخوذانا

وقال من قصیدة فی وصف سیف

ان قلت ناراً أتندی النار ملهبة * أو قلت ماء أیرى الماء بالشرر
وله من أخرى

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجی * فبان باطراف الاسنة شائبا

ومن نثرهما کتبه مستعطف علی محبوس فی دین :

قد حکمت بسجن الاشباح . وهی سجون الارواح . فامن علی ماشئت منهما
بالسراح . فالحبس نزاع الارواح . والعقلة أخت القتلة . وكلاهما فقد . ومهر للخطوب
وقد . وانما ینهما نفس متصاعد . وأجل متباعد . فالحق منهما ما أجلت بما عجلت . وقد
آخرا الدین . الی یوم الدین .

ومن منشور کلامه فی (أبکار الافکار) :

لما فنی عمر الامس . وطفی سراج الشمس . لاحت بروق الثغور اللوامع . وجلجلت
رعود الاوتار فی المسمع . وبث غمارق وابن جامع . فلم یزل ذلك دأبنا . ما ألق سحابنا .
حتى مسأنا هجعة . وکلنا نقول بالرجعة

وله في القرابة : الوجه بين أقاربه . كالوادي بين مذانبه . تجذب من ماء وتطلب من ظمائه .
وفي العداوة : كم قاطعك من راضك . وقابحك من مالحك . وناقك من وافقك .
وناصبك من صاحبك . وحادك من وادك .

في أنواع شتى : الجود أنصر من الجنود . من يغفل بحاله . سمح بعرض آله . الباذل
كثير العاذل . الكريم كثير الغريم . احذر الكريم إذا افتقر . والثلثم إذا اقتدر .
احذر التقي إذا أنكر . والد كي إذا فكر . المظل أحد المنعين واليأس أحد الصنعين .
العشق أحد الرقين . والسلاو أحد العتقين . وقت الكلام أحد السفاحين . وموالاة القبل
أحد النكاحين . جميل الرد أحد الجودين . وبقاء الذكر أحد الخلودين . طول الجود
أحد القبرين . وبقاء الثناء أحد العمرين . بش النصير التقيصير . المتحاصر خاسر .
من كثر خبره . وجب هجره . من كرمت خصاله . وجب وصاله . سحابة صيف .
وزيارة طيف . الوسيلة جناح النجاح . رب عين إذا رأت زنت . لا كرم عن حرم .
المستلم أخزم من المسلم .

هذا ما قصدنا إيراده هنا على أن ما جمعناه من كلام هذا الأديب البارع هو أطول من
ذلك وقد لا فينا صعوبات حجة في نظم ما نشئت إذ لا يوجد تأليف يحوي تراجم فضلاء القطر
التونسي والله المسؤول الاعانة
ح . ح . ع

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن برحتك

قال أبو عبد الله محمد بن شرف القيراءاني هذه أحاديث صنعتها مختلفة الانواع . مؤلفة في الاسماع . غريبات المواسم . غريبات التراجم . واختلفت فيها اخبارا فصيحاً الكلام . بديعاً النظام . لها مقاصد طراف . وأسانيد طراف . يروق الصغير معناها . والكبير مفرها . وعزوتها إلى أبي الريان الصلت بن السككن من سلامان (١) . وكان شيخا هماً في اللسان . وبدر أعاني البيان . قد بقي أحقاباً . ولقي أعقاباً . ثم ألقته إلينا من باديته الازمات . وأوردته علينا العزمات . فامتحننا من علمه بحر اجاريا . وقد حننا من فهمه زنداواريا . وأدرنا من بره طرقات . واجتنبنا من ثمره طرقات . ونحن اذذاك والشباب مقبيل . وغفلة الزمان تهتل . واحتذيت فيما ذهبت اليه . ووقع نعر يضي عليه . من ث هذه الاحاديث ما رأيت الاوائل قد وضعت في كتاب كليله ودمنة فاضافوا حكمه إلى الطير الحواثم . ونطقوا به على ألسنة الوحش والبهائم . لتتعلق به شهوات الاحداث . وتستعذب بسمرة ألفاظ الحداث . وقد نجح هذا النحو سهل بن هرون (٢) الكاتب في تأليفه كتاب

(١) سلامان (يفتح أوله) ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق وبه مات نوفل ابن عبد مناف . قال حاتم :

إذا حال دوني من سلامان رملة * وجدت توالي الوصل عندي أبقرا
(من مجهم ما استعجم) لابي عبد الله البكري ج ٣ ص ٧٧٦ طبعة غوتنفن سنة ١٨٧٦) . وفيما يظهر لنا ان ابن شرف اختار سلامان الذي هو اسم منزل لبني شيبان بقدر كمال القليلة التي ينسب اليها أحد أساتذته وعسنيه أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني رئيس قلم الانشاء في دولة المعز بن باديس الصنهاجي كما ذكرناه في ترجمة المؤلف (٢) أبو عمر سهل بن هرون بن راهبون الدستيميسي أصله فارسي وانتقل إلى البصرة واتصل بخدمة المأمون فتولى رئاسة خزانة الحكمة ببغداد وكان حكيماً فصيحاً شاعراً شعوى المذهب شديد التعصب على العرب . وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته منها كتاب (قلة وعفره) وكتاب (نصمه وعصره) عارض بهما كليله ودمنة في ابوابه وأمثاله وزاد عليه بحسن النظم . أما كتاب (النمر والشعلب) الذي نسب إليه ابن شرف هنا فلم تقف على ذكره في تأليفه .

انخر والشطب وهو مشهور الحكايات . بديع المراسلات . ملبح المكاتبات . وزور أيضا بديع الزمان الحافظ الحمداني وهو الاستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين ^(١) مقامات كان يفشها بديها في أواخر مجالسه وينسبها إلى رابعة واهله بسميه عيسى بن هشام وزعم أنه حديثها عن بليغ بسميه أبا القتح الاسكندري وعدد هافيا بزعم رواتها عشر ون مقامة الا انها لم تصل هذه العدة اليها وهي متضمنة معاني مختلفة . ومبففة على معاني شتى غير مؤلفة . لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين من صرفها من هزل إلى جد . ومن نذالى ضد . فافت من هذا النحو عشرين حديثا أرجو ^(٢) ان يتبين فضلها . ولا تقتصر عما قبلها . ولعمري ما أشكر من نفسي . ولا أنسى على شيء من حسي . الاظفري بالاقول مما حاولته على ما أضرمته نيران الغربة من قلبي . وثلمته صعقات الفتنة من لبي . وقطعت أهوال البر والبحر من خواطري . وأضعفت الوحشة والوحدة من غرائزي وبصائري . لكن نية القاصد وسعة المقصود . أعانا ذا الود على اتخاف المودود . والله أسأل توفيقا .
ينهج لنا إلى الرشد طريقا .

فنها

قال محمد ^(٣) وجاريت أبا الربان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم واسلامهم ^(٤) واستكشفت عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقة في قديمهم وحديثهم ^(٥) فقال الشعراء ^(٦) أكثر من الاحصاء وأشعارهم أبعد من شقة الاستقصاء . فقلت

(١) بديع الزمان توفي سنة ٣٩٨ ومقاماته تبلغ أربع مائة كما ذكره ابراهيم الحصري القيرواني في كتابه (زهر الآداب) حيث قال (ان الذي سبب للبديع تأليف مقاماته هو انه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب باربعين حديثا ذكرانه استنبطها من يتابع صدره وأنتجها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بالفاظ بعيدة وحشية فحارضه البديع باربع مائة مقامة . . .) الا ان المتداول الآن بين الناس نجس من مقامة فقط بالمظنون ان في عصر ابن شرف لم يصل إلى افريقية سوى عشرين منها (٢) بالاصل . أرجو (٣) من هنا فقط تبدى النسخة الاندلسية (٤) والنسخة الاندلسية : في ذكر أهل النظام . ومنازلهم في الجاهلية والاسلام (٥) هذه الجملة مفقودة من النسخة الاندلسية (٦) بالنسخة الاندلسية : عدد الشعراء

لأعتبك^(١) باكثر من المشهورين . ولأذا كرك الافى المذكورين^(٢) مثل الضليل والقتيل . وليد وعبيد . والنوابغ والعشوء^(٣) والاسود بن يعفر . وصخر النى^(٤) وابن الصمة دريد . والراسى عبيد . وزيد الخيل . وعامر بن الطفيل . والفرزدق وجور . وجيل بن معمر وكثير . وابن جندل . وابن مقبل . وجول . والاخطل . وحسان فى هجائه^(٥) ومدحه . وغيلان فى ميتة وصيده . والهللى أبى ذؤيب^(٦) وصحيم ونصيب . وابن حنزة الوائلى . وابن الرقاق العاملى . وعنترة العيسى . وزهير المرى^(٧) وشعراء فزارة . ومفلح بنى زرارة . وشعراء تغلب . ويثرب . وأمثال هذا النمط الاوسط كازمخ . والطرمخ . والطبرى والدمينى . والكميت الاسدى . وحيد اللالى . وبشار العقيلي . وابن أبى حفصة الاموى . والبة الاسدى . وابن جبلة الحلمى . وأبى نواس الحكمى . وصريع الانصارى . ودعبيل الخزاعى . وابن الجهم القرشى . وحبيب الطائى والوليد البحرى . وابن المعتز العباسى . وعلى بن العباس الرومى . وابن رغبان الحمصى . ومن الطبقة المتأخرة فى الزمان . المتقدمة فى الاحسان . كاتى فراس ابن جردان . والمتنبى بن عبدان . وابن جدار المصرى . وابن الاحنف الحنفى . وكشاجم الفارسى . والصنوبرى الحلى . ونصر الخبز دزى^(٨) . وابن عبدربه القرطى . وابن هاتى الاندلسى . وعلى بن العباس الايادى^(٩) التونسى . والقسطلى قال أبو الريان : لقد سميت مشاهير . وأبقيت الكثير . قلت بلى : ولكن ما عندك فيمن ذكرت . قال : اما الضليل^(١٠) مؤسس الاساس . وبنياه^(١١) عليه الناس . كانوا يقولون اسيلة اخلدحتى قال أسيلة بجري الدمع . وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وجيداء وتامة

(١) وبالنسخة التونسية : أعنتك وهو الاولى (٢) من ولاد كزالى المذكورين مفقود من النسخة الاندلسية (٣) بالنسخة الاندلسية : العشى (٤) بالنسخة الاندلسية : ومن سواه من العمى (٥) بالنسخة الاندلسية : فى أهاجيه (٦) بالنسخة التونسية : وأبودؤيب الهللى (٧) بالنسخة التونسية : المزنى وهو أيضاً صحيح (٨) بالنسخة التونسية : الخبزى (٩) بالنسخة الاندلسية : الايادى وعلى بن العباس الايادى هذا من فحول الشعراء التونسيين خدم شعراء الامراء العبيديين وأواسط القرن الرابع وكان معاصر الابى القاسم محمد بن هاتى الاندلسى (١٠) الضليل هو امرؤ القيس بن حجر الكندى حامل لواء شعراء الجاهلية (١١) بالنسخة التونسية : بنيانه

والعنى وأشباه هذا حتى قال بعيدة مهوى القرط ^(١) وكانوا يقولون في الفرس السابق بلحق
الغزال والظلم وشبهه حتى قال قيد الاوابد ^(٢) ومثل هذا كثير . ولم يكن قبله من فطن لهذه
الاشارات والاستعارات غيره فامتثلوه بعده . وكانت الاشعار قبل سواذج . فبقيت
هذه جداول تلك نواهج . وكل شعر بعدما خلاها فغير رائق النسيج . وان كان التهج
وأما طرفه فلو طال عمره . لطال شعره . وعلا ذكره . ولقد خص باوفر نصيب من الشعر .
على أيسر نصيب من العمر . فلا أرجاء ذلك النصيب بصوف من الحكمة . وأوصاف ^(٣)
من علو الهمة والطبع مع الحاذق . وجواد سابق

وأما الشيخ أبو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة . عن جنان الاصلة . فلا تسمع له
الا كلاما فصيحاً . ومعنى مينا صريحاً . وان كان شيخ الوقار . والشرف والفخار .
لبادئات في شعره وهي دلائله . قبل ان يعلم قائله . وأما العبسى ^(٤) فمجيد في أشعاره .
ولا كملقته فقد انفردها انفراد سهيل . وغبر في وجوه الخيل . وجمع فيها بين الحلاوة
والجزالة . ورقة الغزل وغلظة البسالة . وأطال وامستطال . وأمن السامة والكلال
وأما زهير فأي زهير . بين لهوات زهير . حكم فارس . ومقامات الفوارس .
ومواظ الزهاد . ومعتبرات العباد . ومدح يكسب الفخار . ويبقى بقاء الاعصار .
ومعانيات مرة تحسن . ومرة تنحشن . ونارة تكون هجوا . وطورا تكاد تعود شكرا .

(١) لم نعرف في شعرا مرى القيس على هذه الجملة ولا التي قبلها . وأول من استعمل لفظ
القرط في نظمه هو عمر بن أبي ربيعة حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما النوفل • أبوها واما عبد شمس وهاشم
كان الاخطل هو أول من وصف الخلد بالسهولة وذلك في قوله :

أسيلة مجرى الدمع اما وشاحها • بخار واما الخجل منها فاجرى
(٢) اشارة الى قول امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها • بمنجرد قيد الاوابد هيكل
وهذا البيت يعد من ابتداعات امرئ القيس ومختراعه

(٣) من هنا يتبدى النقص بالنسخة التونسية فاعلمنا ماضع من النسخة الاندلسية

(٤) العبسى هو عنقبة بن شداد

وأما ابن حلزة (١) فسهل الخزون . قام خطيباً بالموزون . والعادة ان يسهل شرح الشعر بالنثر . وهذا أسهل السهل بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضواء (٢)

من منادوم من محبب ومن تصحى بالخييل خلال ذاك رغاء

فلما اجتمع كل خطيب ناثر . من أول وآخره : يصفون سفرانهم ضوا بالاسحار . وعسكرا تنادى بالنهوض الى طلب النثار : مازادوا على هذا ان لا ينقصوا منه ولم يقصروا عنه وسائر قصيدته في هذا السلك شكاية وطلاب نصفه : وعتاب في عزة وأنفة : وهو من شعراء وائل واحداً سنة هاتيك القبائل . وأما ابن كثوم فصاحب واحدة بلا زيادة أنطقه بها عز الظفر : وهزه فيها جن الاشرف فمقعت زعوده في ارجائها : وجهجت رحاها في أنثائها وجعلتها تغلب قبلتها التي تصلى اليها : وماتها التي تعتمد عليها فلم يتركوا اعيادها ولا خلعوا عبادتها الا بعد قول القائل :

أطى بنى تغلب عن كل مكرمة * قصيدة قالها عمرو بن كثوم (٣)

على انها من القصائد المحققات واحدى المعلقات : وأما النابغة زياد فاشعاره الجياد لم يخرج عن نارجوانحه حتى تناهى نضجها ولا قطعت من منوال خواطره حتى تكاثف نسجها : لم تنهلها ميعة الشباب ولا وهاء الاسباب ولا لوم الا كسباب فشهره وسائط سلوكه وتيجان ملوك

وأما النابغة الجعدي فنقى الكلام شاعر الجاهلية والاسلام واستحسن شعره أفصح

(١) هو الحارث بن حلزة بن مكر وه بن يزيد الليشكري البكري أحد شعراء الجاهلية المجيدين (٢) البيتان من معلقته المشهورة التي مطلعها :

أذنننا بينها أسماء * رب ناءيل منه النواء

يقال انه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح وكان يذ شده من وراء سبعة ستور فامر عمرو برفع الستور عنه استحسانا لها . وتروى أجعوا بدل أبرموا .

(٣) قائل البيت مجهول واتبعه ابن قتيبة بيت آخر وهو :

يفخرون بهامد كان أولهم * بالرجال لشعر غير مسوم

الناطقين ودعاه أصدق الصادقين وكان شاعرا في الافتخار والثناء قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء وكان مغلوبا فيه في الجاهلية وطريدي ليلى الاخيلية

وأما العشي باجمعهم فكلمهم شاعر ولا كيمون بن قيس شاعر المدح والهجاء واليأس والرخاء والتصرف في الفنون والسمي في السهول والحزون نفق مدحه بنات الخلق وكان في فقر ابن المذلق وأبكي هجوه عاقمة (١) كاتبكي الامة

وأما الاسود بن يعفر فاشعر الناس اذا نذب دولقزالت أو بكى حالة حات أو وصف ربعا خلا بعد عمران أو دارا درست بعد سكان فاذا سلك هذا السبيل فهو من حشو هذا القبيل كعمرو وزيد وسعد وسعيد

وأما حسان فقد اجتمعت بواكر غسان ثم جاء الاسلام وانكشف الاظلام فجاحش عن الدين وناضل عن خاتم النبيين فشعر وزاد وحسن وأجاد الا ان الفضل في ذلك لرب العالمين وتسيد الروح الامين

وأما دريد بن الصمة فصمة صمم وشاعر جشم وغزل هرم وأول من تغزل في رثاء وهزل في حزن وبكاء فقال في معبد أخيه قصيدته المشهورة يرثيه :

أرث جديدا الحبل من أم معبد (٢) وهي من شاجيات النوائج وباقيات المدايح

وأما الراعي عبيد الجبل على وصف الابل فصار بالراعي يعرف ونسى ماله من الشرف

وأما زيد الخيل فخطيب سجاعة وفارس شجاعة مشغول بذلك عما سواه من المسالك

وأما عامر بن الطفيل فشاعرهم في الفخار وفي حياة الجار وأوصفهم لكرامة

وابعهم لحيدة شيمة

وأما ابن مقبل فقد يم شعره وصليب نجره ومغلى مدحه ومغلى قدحه

وأما جبرول فخيفت هجاءه شريف تناؤه صريح بناؤه رفع شعره من الثرى وحط من

الثريا وأعاد بلهافة فكره ومثانة شعره فبيع باللقاب فخرا يتي على الاحقاب ويتوارث

في الاحقاب

(١) هو عاقمة بن علاثة هجاءه أعشى مجهول دقا عان عامر بن الطفيل بابيات طالعتها :

عالمم ما أنت الى عامر لنا * قض الاوتار والوتر

(٢) قال ابن الكلبي : لا أعلم مرثية أوطأ نسيب الا قصيدة دريد بن الصمة (عمدة :

باب الرثاء) أرث جديدا الحبل من أم معبد * بعافية قدأ خلفت كل موعده

وأما

وأما أبو ذؤيب فشديد أمير الشعر حكيمة : شغل في الشعر بحدثه وقديمه وله المزية النقية السبك المتينة الحبك بكي فيها بنية السبعة ووصف الجار فطول وهي التي أولها

أمن المنون وريبه تتوجع (١)

وأما الأخطل فسم من سعود بنى مروان . صفت لهم امرأة فكره . وظفر وأباليدع من شعره . وكان باقعة من حاجاه . وصاعقة من حاجاه

وأما الدارمي همام (٢) فجوهر كلامه . وأغراض سهامه . إذا فتخر بملك ابن حنظلة . وبدارم في شرف المنزلة . وأطول ما يكون مدى إذا تطاول اختيار جري رعليه بقليله على كثيره . وبصغيره على كبيره . فإنه يصادمه حينئذ ببعر ماد . ويقاومه بسيف حاد

وأما ابن الخطمي (٣) فزهدي غزل . وحجري جدل . يسبح أولافى ماء عذب . ويطمح آخرافى صخر صلب . كلب منابحة . وكبش مناطحة . لاتقل غرب اسانه مطاولة الكفاح . ولاندى هامته مداومة النطاح . جارى السوابق بحطية . وفاخر غالب بعطية . وبلغته بلاغته الى المساواة . وحلته جوائته على المجازاة . والناس فيهما فريقان . وفيهما عند قوم فرقان

وأما القيسان (٤) وطبقتهما فطبقة عشقة . توقه . استحوذت الصبابة على أفكارهم واستفرغت دواعي الحب معاني أشعارهم فكلامهم مشغول بهواه لا يتعداه الى سواء

وأما كثير فحسن النسيب فصيححه لطيف العتاب مليحه شعبي الاغتراب قريبه جامع الى ذلك رقائق الظرفاء وجزالة مدح الخلفاء

وأما الكميت والرماح ونصيب والطرماح فشعر امرأ معاصرة ومناقضات ومفاخرة

(١) وبقية البيت : والدهر ليس بمعتب من يجزع (٢) الدارمي همام هو الفرزدق الشاعر المشهور (٣) ابن الخطمي هو جري بن عطية بن الخطمي التميمي الشاعر المشهور المتوفى سنة ١١٠ وكانت بين جرير هذا والفرزدق مهاجاة ونقائض مثبتة بتأليف خاص (٤) أولهما : قيس بن الملوح مزاحم بن قيس العامري المشهور بمجنون ابلى وأشعاره فيها متداولة بين الناس . وثاني القيسين هو قيس بن ذريح الكناني رضيع الحسن بن علي بن أبي طالب توفي في حدود السبعين للهجرة . وغالب أشعاره في معشوقته ابنت الحبيب

فمنصب أمدح القوم والطرماع أهجهم والرماع أنسبهم نسباً والكميت أشبههم تشبيهاً وأما بشار بن برد فأول المحدثين وآخر المخضرمين ومن لحق الدولتين عاشق سجع وشاعر جمع . شعره بنفق عندي بات الخجل . وعند قول الرجال فهو يلين حتى يستعطف . ويقوى حتى يفتكف وقد طال عمره وكثر شعره وطما بحره ونقب في البلاد ذكره .
وأما ابن أبي حفصة ^(١) فمن شعراء الدولتين ومن حظى بالنعمتين ووصل إلى الفنى بالصلتين وكان درب المعول درب المقول والشعراء ومنجب فصحاء .

وأما أبو نواس . فأول الناس في خرم القياس وذلك أنه ترك السيرة الأولى . ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجدهزلاً والصعب سهلاً فهلهل المسرد وبلبل المنضد وخطخل المتجد وترك الدعائم وبنى على الطامى والعائم . وصادف الأفهام قد نكلت وأسباب العربية قد تخلصت وانحلت والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت . فإلى الناس إلى ما عرفوه . وعلقت نفوسهم بما ألّفوه فتهادوا شعره وأغلا شعره . وشغفوا بأسخفه وكلفوا بأضعفه . وكان ساعده أقوى ومراحه أضوا لكنه عرض الانفق وأهدى الأوفى وخالف فشهري وعرف وأغرب قد ذكر واستظرف والعوام تختار هذه الأعلام وأسواقهم أوسع الأسواق فشعر أبي نواس نافق عنده هذه الأجناس كاسد عند نقد الناس وقد فطن إلى استضعافه وخاف من استخفافه . فاستدرك بفصيح طرده طرفاً أحد اللسان وحدوده وهو محدود في كثرة التظاهر على من غرض منه بالحق الظاهر ليس إلا خلفه روح المجنون وسهولة الكلام الضعيف الملاحون على جمهور العوام لأعلى خواص الأنام .
وأما صريع ^(٢) فكلامه مرصع ونظامه مصنع وجملة شعره هيجة الأصول مصنعة
الفصول قليلة الفضول

(١) هو أبو السمط مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ولد سنة ١٠٥ وتوفي عام ١٨١ ببغداد وله نوادر كثيرة (٢) صريع الفوائى لقب لشاعر من الأول القظامي واسمه عمير بن شييم ابن أخت الأخطل سمى بذلك لقوله :

صريع غوان راقهن ورقنه • لدن شب حتى شاب سود اللوائب
والثاني وهو الذي قصده ابن شرف هنا هو مسلم بن الوليد الأنصاري من شعراء الدولة العباسية لقبه الرشيد بصريع لقوله :

وأما العباس بن الاحنف فمعتزل بهواه وبمعزل عما سواه دفع نفسه عن المدح والهجاء ووصفها بين يدي هواء من النساء قدر في الشغف كلامه وثقت قوة الطبع نظامه فلارقة العشاق وجودة الخداق

وأما داعبل فقديم مقبل اليوم مدح وغدا قدح يحيد في الطريقتين ويسبي في الخليقتين وله أشعار في العصبية وكان شاعر علماء وعام شعراء

وأما علي بن الجهم فربيع الفهم راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ونادم الخلفاء وله في الغزل الرصافية وفي العتاب الدالية ولولم يكن له سواه مال كان أشعر الناس بهما وأما الطائي حبيب فتكاف إلا أنه يصيب ومتعب لكن له من الراحة نصيب وشغله المطابقة والتجنيس حينذاك أو ليس جزل المعاني مرصوص المعاني مدح ورتاؤه لا غزله وهجاءه طرفانقيض وخطابسماء وحضيض وفي شعره علم جم من الذنب وجملة وأقرة من أيام العرب وطارت له أمثال وحفظت له أقوال ودبوانه مقرر وشعره متلو قال ابن بسام أما صفة هذه الأبي تمام فتصفة لم يكن عطفها حاجة ولا تعلق بذيلها عصبية حتى لو سمعها حبيب لا اتخذها قبلة واعتدها ملة فالام من أدب وإن أوجع ولا سب من صدق وإن أقنع وأما البحتري فلفظه ماء ثجاج ودرر جراج ومعناه سراج وهاج على أهداء منهاج يسبقه شعره إلى ما يجيش به صدره يسر مراد: ولين قياد إن شربته أرواك وإن قدحت أرواك طبع لا تكلف يعييه ولا العناد يثنيه لا يعل ككثيره ولا يستكاف غزيره لم يهفأ أيام الحلم ولم يصف زمن الهرم

وأما ابن المعتز ذلك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات المثالية والاستعارات الشكلية والاشارات السحرية والعبارات المجرية والتصاريح الصنوفية والطرانق الفنونية والافتخارات الملوكية واللمعات العلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق وخير الشعر أكرم رجلا * وشعر الشعر ما قال العبيد (١) وأما ابن الرومي (٢) فشجرة الاختراع وثمره الابتداع وله في الهجاء ما ليس له في الاطراء

هل العيش الآن تروح مع العبا * وتدفو صريع الكاس والاعين النجل
ومولد مسلم بالكوفة ووفاته سنة ٢٠٨ هجرية وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع (١) البيت للفرزدق هجاءه نصيبا وقديرى: أشرف رجلا عوض أكرم رجلا
(٢) هنا ينهى النقص الذي بالنسخة التونسية

فتح فيه أبوابا ووصل منها أسبابا وخلع منه أثوابا وطوق فيه رقابا يبقين أعمارا وأحقابا يطول عليها حسابها ويعحق بها أثوابه ولقد كان واسع العطن لطيف القطن الان الغالب عليه ضده المربة وقوة المرة

وأما كشاجم حكيم شاعر وكاتب ماهر له في التشبيهات غرائب وفي التأليفات عجائب يجيد الوصف ويحققه ويسبك المعنى فيرققه ويروقه

وأما الصنوبري ففصيح الكلام غريبه مليح التشبيه عجيبه مستعمل لشواذ القوافي يغسل كدرتها بياض فهمه الصوافي فتجلو وتبدق وتعذب وترق (١) وهو وحيد (٢) جنبه في صفة الازهار وأنواع الانوار وكان في بعض أشعاره يتخالم وفي بعضها يتشاجم وقدمدح وهجאותر (٣) وشجأوا أعجب شعره وأطرب وشرقي وغرب ومدح من أهل افريقية أمير الزاب جعفر بن علي (٤) منفق سوق (٥) الآداب فوصله بالفدينار بعثها اليه مع نفقات التجار (٦)

وأما الخبز رزي (٧) فخام الشعر ماجنه رائق اللفظ بائبه كثيرة محاسنه صحيحة أصوله ومعادنه رائقة الهزة مائلة الى العزة نليه عن الحب الخيانة وبروقه الوفاء والصيانة وله على خشونة خلقه وصعوبة خلقه اختراعات لطيفة وابتداعات ظريفة (٨) في ألفاظ كثيفة وفصول قليلة الفضول نظيفة حتى ان بعض كبار الشعراء اهتمت أشياعه من مبادئه واهتمت طرفا (٩) من معانيه وهو من معاصريه فقل من فطن لمراميه

وأما أبو فراس بن حمدان ففارس هذا الميدان ان شئت ضرباوطعنا أولفظا ومعنى

(١) بالنسخة التونسية فيجزل وبدق ويعذب ويرق (٢) وبالنسخة التونسية : جيد جنبه (٣) بالنسخة الاندلسية : سر بدل ثرا (٤) هو أبو علي جعفر بن علي بن أحمد ابن حمدان أمير الزاب من أعمال افريقية ومؤسس مدينة المسيلة بالمغرب وقد حارب به الامير بلكين المناهجي صاحب القبروان واستظهر عليه ففر جعفر الى الاندلس وبها قتل سنة ٣٦٤ هـ ولابي القاسم محمد بن هاني الشاعر الاندلسي في جعفر المذكور مدائح فائقة تراجع في ديوانه (٥) بالنسخة التونسية : سام عوض سوق (٦) من بعثها الى التجار مفقود بالنسخة الاندلسية (٧) الخبز رزي و يروي أيضا الخبز أرزي هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن ميمون الشاعر البصري المتوفى سنة ٣١٠ هـ (٨) بالنسخة الاندلسية : طريقة (٩) بالنسخة الاندلسية : نظرفا عوض طرفا

ملك زمانا وملك أوما وكان أشعر الناس في المملكة وأشعرهم في ذل الملكة (١) وله
الفخر يات التي لاتعارض والاسريات التي لاتناقض (٢)

وأما المتني فقد شغلت به اللسن وسهرت في أشعاره العيون الاعين وكثر التناسخ
لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش في قعره عن جانه (٣) ودره وقطال
فيه الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تفلو (٤) في مدحه وعليه خوارج تتعايا في جرحه
والذي أقول ان له حسنات وسيئات وحسانه أ كثر عددا وأقوى مددا وغرائبه طائفة
وأمثاله شائرة وعلمه فسيح وميزه صحيح بروم فيقدر وبدرى ما يورد ويصدر
قال أبو الريان (٥) هذا ما عذرى في شعراء المشرق وقد سميت لي من متأخري شعراء
المغرب من اعمرى لاي بعد عن معاصره ولا يقصر عن سابقهم

فاما ابن عبدربه القرطبي وان بعدت عنك دياره (٦) فقد صاقتنا أشعاره ووقفنا على
أشعار صبوته الانيقة وتكفيرات توبته الصدوقه ومدائح المروانية ومطاعنه في العباسية
وهو في كل ذلك فارس بممارس وطاعن مداعس واطعان في شعره على علم واسع ومادة فهم
مضى مناصح ومن تلك الجواهر نظام عقده وترك لمن يتجمل به بعده

وأما ابن هاني محمد الاندلسي ولادة القيرواني وقادة واقادة فرعدي الكلام سردي
النظام متين (٧) المياني غير مكين المعاني يحفو بعطنها عن الاوهام حتى تكون كنقطة
النظام الا انه اذا ظهرت معانيه في جزالة مبانیه رمى عن منجنيق يؤثر في النيق وله غزل
قفرى لا عذرى لا ينفع فيه بالطيف ولا يشفع فيه (٨) بغير السيف وقد نوه به ملك الزاب
وعظم شأنه باجل الثواب وكان سيف دولته في اعلاء منزلته من رجل يستعين على صلاح
دنياه بفساد أخراه لرداءة عقله ورقة دينه وضعف بقيقه ولو عقل لم أضق عليه (٩) معاني
الشعر حتى يستعين عليها بالكفر

- (١) بالنسخة الاندلسية : الملك عوض الملكة (٢) بالنسخة الاندلسية تناهض
(٣) بالنسخة الاندلسية : جأته (٤) بدل جانه (٥) بالنسختين تفلو (٥) من قال
أبو الريان الى فاما ابن عبدربه مفقود من النسخة الاندلسية (٦) بالنسخة التونسية :
وان بعدت عناذ كره (٧) من متين الى كنقطة النظام مفقود من النسخة الاندلسية
(٨) بالنسخة الاندلسية : يشبع بدل يشفع (٩) بالنسخة التونسية : عنه بدل عليه

وأما القسطلی (١) فشاعر ماهر عالم بما يقول تشهد له العقول بأنه المؤخر بالعصر المقدم في الشعر حاذق (٢) بوضع الكلام في مواضعه لاسيما اذا ذكر ما أصابه في الفتنة وشكا ماداهه في أيام المحنة وبالجملة فهو أشعر أهل مغربيه في أبعاد الزمان وأقربه وأما على التونسي فشعره المورّد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب وهو بحسبى الغرب يصف الحمام فيروق الانام ويشبب في عشقته ويحبب ويعدح فيمنح أكثر ما يمنح هذا ما عتدى في المتقدمين والمتأخرين على احتقار المعاصر واستصغار المجاوره فحاش لله من الاوصاف بقلة الانصاف للبعيد والقريب والعدو والحبيب قلت : يا أبا الريان (٣) أكثر الله مثلك في الاخوان ووقاك محمدور الزمان ومرور الحدثنان فلق قد سبكت فهما وحشيت علما (٤)

قال محمد : قلت لابي الريان في مجلس عقيب هذا المجلس : يا أبا الريان لقد رأيت لك تقدما صيبا ومرمى عجيبا ولقد أربغ في ان أنال منه نصيبا قال : النقد هبة للموالد . وفيه زيادة طارف الى تالد ولقد رأيت علماء بالشعر ورواة له ليس لهم نقاد في نقده ولا جودة فهم في رديده وجيده وكثير ممن لاعلم له يظن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه قلت أنا شديد لرغبة الى فضلك في ان تسهجنى من ميم : وعقلك ما استهدى بسراجيه على مستقيم منهاجه فاقف من سرائره على بعض ما وقفت واعرف من مفاخره ومعانيه جزاء ما عرفت قال : نعم أول ما عليه تعتمد وایاه تعتقد أن لانسجج باستحسان ولا باستقبح ولا باستبراد ولا باستملاح حتى تدم (٥) النظر وتستخدم الفكر واعلم ان الجملة في كل شيء موطن زلوق ومركب زهوق فان من الشعر ما بالألفظه المسماع ويرد على السامع منه فعاقد فلا يبرك

(١) القسطلی هو أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلی الاديب المطبوع المتوفى سنة ٤٢٩ هجرى والقسطلی نسبة الى قسطلية إحدى الولايات بجزيرة الاندلس (٢) بالنسخة الاندلسية : بوقع بدل بوضع (٣) من قوله أكثر الله الى محمدور الزمان مفقود من النسخة الاندلسية (٤) أنها انتهت النسخة الاندلسية وفي آخرها ما نصه : (نجزت المقامة بأسرها والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وسلامه هـ) ثم عقب ذلك بخط غير منقوط (طالعتني في موفى سنة خمس وخمسة) وعليه فتكون النسخة الموجودة الآن باسبانيا كتبت قريبا من عهد المؤلف (٥) نعم مثل نعم

شماخة مبناه وانظر الى ما في سكناه من معناه فان كان في البيت ساكن فذلك المحاسن وان كان خاليا فاعده جسماليا وكذلك اذا سمعت الفاظا مستعملة وكلت مبتذلة فلا تجهل باستضعافها حتى ترى ما في أضعافها فكم من معنى عجيب في لفظ غبر غريب والمعاني هي الارواح والالفاظ هي الاشباح فان حسنا فذلك الحظ المدوح وان قبح أحدهما فلا يكن الروح

قال : وتحفظ عن شيئين أحدهما أن يحملك اجلال القديم المذكور على الجبله باستحسان ما تستمع له والثاني أن يحملك اصغارك المعاصر المشهود على التهاون بما أنشدت له . فان ذلك جور في الاحكام وظلم من الحكام حتى تعحص قلوبها خيفت وتحكم لها وأعليهما وهذا باب في اغتلاقه استصعاب وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه انعاب وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تشبث القلوب بسيرة القديم ونفارها من المحدث الجديد فقال حاكي القولهم : انا وجدنا آباءنا على أمة . وقال : لن نعبد الاما وجدنا عليه آباءنا وقد قلت أنت :

أغرى الناس بامتداح القديم * وبذم الجديد غير ذميم (١)

ليس الا لانهم حسدوا الحسنى ورقوا على العظام الرميم

وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا * ويرى للاوائل التقديما

ان ذاك القديم كان جديدا * وسيفدو (٢) هذا الجديد قديما

فلا يركع أن تجرى على منهاج الحق في جميع الخلق فيه قامت السموات والارض وبه أحكم الابرام والنقض وسأمثل لك في ذلك مثالا واملا أسماءك مقالا وفهمك عدلا واعتدالا

(١) أورد البيهقي العلامة الشريشي في شرحه الكبير لمقامات الحريري وروي : أوقع

بدل أغرى والحديث بدل الجديد ومالوا عوض رقوا وقوله (ذميم) أصلها (غير الذميم)

كما أنه أورد لفظ (ورقوا) في البيت الثاني والاحسن عندي ان تقرى (فرقوا)

(٢) بالاصل : سيفدوا

هذا امرؤ القيس أقدم الشعراء عصرًا . ومقدمهم شعراؤذ كرا . وقد اتسعت
الاقوال في فضله اتساعا لم يقف غيره بعثله حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شعره
لا يكتبو (١) وحسام نظم له لا ينبو (٢) . وهيات من البشر الكمال . ومن الآدميين
الاستواء والاستدلال . يقول في قصيدته المقدمة . ومعلقته المفعمة

ويوم دخلت الحدر خدر عنبرة • فقالت لك الويلات انك مرجلي

فما كان أغناه عن الاقرار بهذا وما أشك (٣) غفلته عما أدركه من الوصمة به وذلك
ان فيه أعدادا كثيرة النقض والبخس منها دخوله متطفلا على من كره دخوله عليه .
ومنها قول عنبرته لك الويلات وهي قوله لا تنال الخسيس . ولا يقابل بهاريس . فان
احتج محتج بانها كانت رأس منه قيل له لم يكن ذلك لان الرئيسة لا تترك بعبير يد رج
أو (يمو) ت (٤) اذا ازداد عليه ركوب راكب بل هو بعبير فقير حقير فان احتج له بأنه صبر
على القول من أجل انها معشوقة قيل له وكيف يكون عاشقا لها من يقول لها
فذلك حبلى قد طرقت ومرضعا • فاهيتها عن ذى غمام محول

وانما المعروف للعاشق الانفراد بمشوقته واطراح سواها كالقيسين في ليلي ولبني
وغيلان عمة وجيل يثبته وسواهم كثير . فلم يكن لها عاشقا بل كان فاسقا (٥) . ثم أهجن
هجنة عليه . وأسخن سخنة لعينه . اقراره باتيان الحبلى والمرضع . فاما الحبلى فقد
جبل الله النفوس على الزهد في اتيانها . والاعراض عن شأنها . منها ان الحبلى علة وأشبه
العلل بالاستسقاء . ومع الحبلى كود اللون . وسوء الغذاء . وفساد النكهة . وسوء الخلق
وغير ذلك ولا يميل الى هذا من له نفس سوق . دع نفس ملوكي . وأعجب من هذا ان
البهائم كلها لا تنظر الى ذوات الحمل من أجناسها . ولا تقرب منها حتى تضع أحمالها . أو تفارق
فصلانها . ثم لم يكفها أن يذكر الحبلى حتى افتخر بالمرضع وفيها من التلويت بأوضار
رضيعها . ومن اهتزأها واشتغالها عن احكام اغتسالها . وقد أخبر ان ذا التماسم المحول

(١) بالاصل : يكتبوا (٢) بالاصل : ينبوا (٣) كذا بالاصل ولعله يجب قراءتها

أشد (٤) هنا أثر كل أرضة أفد اللفظ (٥) قال أبو فرج قدامة بن جعفر في نقد الشعر
اني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله فذلك حبلى (البيت) ويذكر ان هذا معنى فاحش
وليس غاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب
مثلا كدائه في ذاته . وهذا يعارض انتقاد ابن شرف على البيت المتقدم

متعلق بها بقوله فاهيتها عن ذى غمام محول وأخبرنا ظمروا ولدها لا ظمروا ولا مريض سواها
فدل بذلك على انها حقيرة وقيرة . ومثل هذه لا يصير (١) اليها من لهمة وهذه الصفات كلها
تستقدرها نفس الصالح والمملوك . وقد قال أيضا في موضع آخر من هذا الباب من
قصيدة أخرى

سموت اليها بعد ما نام أهلها • سمو حباب الماء حالا على حال

فقلت لحاك (٢) الله انك فاضحي • أأنت ترى الممار والناس أحوال (٣)

حلفت لها بالله حلفه فاجر • لنا موافقان من حديث ولا صالى (٤)

فأخبره هنا أنه حين القدر عند النساء وعند نفسه برضاه قولها لحاك الله فحصل على
لحاك الله من هذه ولك الولاية من تلك فشهد على نفسه انه مكر وه مطرود غير مرغوب
في مواصلة . ولا محروس على معاشرته . ولا مريض بمشاكلته . ثم أخبر عن نفسه انه
رضى بالخنث والفجور . وهذه أخلاق لا أخلاق لها . ثم أقر في مكان آخر من شعره
بما يكتمه الاحرار . ولا ينم بفتحها الا الاوضاع الاشرار فقال :

ولما دتوت تسديتها • فتوبان سبت وثوباً باجر

وأى غفر في الاقرار بالفضيحة على نفسه وعلى حبه وأين هذا من قول يعقوب الخزيمى

ولا أسأل الولدان عن وجه جارتى • بعيدا ولا أزعاه وهو قريب

وانه سهل عليه كل هذا حرصه على ما كان ممنوعا منه وذلك انه كان مبغضا الى النساء
جدا . مفر وكامن ملك عصبتها لاسباب كثيرة ذكر . وكل من حرص على نيل شئ فنع
منه فعلا . ادعاه قولا . وله أشباه فيما أتاه . يدعون ما دعاه . افكار وزورا . وكفيا
وجفورا . منهم الفرزدق وهو القائل

هماد لياني من ثمانين قامة • كما انقض بازاقم الريش كاسره

فهذا أول كذبة ولو قال من ثلاثين قامة لكان كاذبا لتقصير الارشية عن ذلك

وقد قرعه جويره في قوله :

تدليت تزنى من ثمانين قامة • وقصرت عن باع العلى والمكارم

وكان مفر ما بالزنا مدعيافيه . وقد بلى بموانع تصدفعه . منها ما شهر به من النيمة

(١) بالاصل يصيروا (٢) في بعض نسخ ديوان امرى القيس : سباك عوض لحاك

(٣) بالاصل أحوال (٤) بالاصل : صال

بمن ساعده . والادعاء على من باعده . منها دمامته ومنها اشتهاه . والمشهور يصل الى شهوة يتبعها ريبة . فكان يكثر في شعره من ادعاء الزنا . واستدعاء النساء . وهن أغلاظ عليه من كبد بعر . وأبغض فيه وأهجى له من جرير . وخذا طرف هؤلاء الاجناس . وهو سحيم عبد بنى الحساس . أسود في شملة . دنسة قلة . لا يوا كله الغرثان . ولا يصاليه الصرد العريان . وهو مع ذلك يقول (١)

واقبلن من أقصى البيوت بعدنى * نواهد لا يعرفن خلقا سوائيا
يعدن امرضا هن أهيجن ما به * الانما بعض العـ وائد دائيا
توسدن ككفا وتحنو بمصم * على وترى رجلها من ورائيا

فانت تسمع هذا الاسود الشن وادعاءه . وتعلم ان الله لو اخلى الارض . فلم يبق رجلا في الطول ولا في العرض . لم يكن هذا الزغة الزقة عند ادراك السودان الا كبرة بعر . في معر بعر . والمنوع من الشيء حريص عليه . مدع فيه . والمعد بمجاهواه . كانم له مستفن يبلوغ مناه . ودليل على ذلك ان المرقش الاكبر (٢) كان من أجل الرجال

(١) هو سحيم عبد بنى الحساس بن هند شاعر مخضرم من الطبقة الاولى توفي في نصف القرن الاول للهجرة وكان اسود وكلامه فصيح الا انه قليل وغير مدون . وأحسن شعره قصيدته التي أولها :

عميرة ودع ان ترحت غاديا * كفى الشيب والاسلام لارناها
وهي التي اقتبس منها ابن شرف الايات المارة . وقد ورد منها في كتاب الاغانى (طبعة مصر ج ٢٠ ص ٥) القطعة الآتية لاغير :

تجمعن من شتى ثلاثا وأربعا * وواحدة حتى كملن ثمانيا
واقبلن من أقصى الخيام بعدنى * بقيت ما أبقيت نضلا يمانيا
يعدن امرضا هن أهيجن داءه * الانما بعض العوائد دائيا
(٢) المرقش الاكبر واسمه عمرو وقيل عوف بن سعد بن مالك انتهى نسبه لبكر بن وائل شاعر جاهلي لقب بذلك لقوله :

الدار قفر والرسوم كما * رقت في ظهر الادب قلم
وهو أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبه ابنة عمه أسماء . وكان المرقش يحسن الكتابة الجبرية كما ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

وكانت للنساء فيه رغبة • وشدة محبة • وكان كثير الاجتماع بهن • والوصول اليهن
وله في ذلك أخبار مروية ولم يكن في أشعاره صفة شيء من ذلك • فحسبك بذلك صفة على
ما قلناه • فان قال قائل : انما وصفت عن امرئ القيس عيوباً من خلقه لا في شعره قلنا :
هل أراد بما وصف في شعره الا الفخر • فان قال : لم يرد ذلك وانما أراد اظهار عيبه قلنا
فاجق الناس اذا هو • ولم يكن كذلك • وان قال : نعم الفخر قلنا : فقد نطق شعره
بقدر ما أراد وتزجم وترجم ^(١) عنه قريضة باقبح الاوصاف فاي خلل من خلل الشعر أشد
من الانعكاس والتناقض • وكل ما يخزي من الشعر فهو من أشد عيوبه قال : ومن كلام
امرئ القيس المخلخل الاركان • الضعيف الاستمكان • المتزلزل البنيان • قوله :

أمرخ خيامهم أم عشر * أم القلب في أثرهم منحدر
وشاقد بين الخليط الشطر * ومن أقام من الحى هر ^(٢)
وهر تصيد قلوب الرجال * وأقلت منها ابن عمرو حجر

فانت تسمع هذا الكلام الذى لا يتناسب • ولا يتواصل ولا يتقارب ولا يحصل منه معنى
ولا فائدة سوى ان السامع يدري انه يذ كر فرقة من أحباب لكن ذلك عن ترجمة مججمة •
مضطربة منقطة • سأل عن الخيام أمرخ ^(٣) هي أم عشر ^(٤) وليست الخيام مرخا
ولاعشر وانما هما عودان ^(٥) • فان أراد في مكان هذين الخيام فقد نقض عمدة الكلام

(١) كذا بالاصل - (٢) ورد هذا البيت في بعض نسخ ديوان امرئ القيس بتقديم
عجز البيت على الصدر وفي بعضها بتغيير (شاقد بين الخليط الشطر) بالمصراع الاق :
(أم الظاعنون بها في الشطر) (٣) المرخ بالفتح شجر سريع الوري يقتدح به والمرخ
بالكسر الشجر اللين الرقيق (٤) العشر : شجر فيه حواقيق لم يقتدح الناس في أجود منه
ويحشى في المخاد ونخرج من زهره وشعبه سكر وفيه حرارة • قال أبو حنيفة (والعشر من
العضاء وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق صعد في السماء • وفي الصحاح
(ومرته نفاخة كمنفاخة القتاد الاصفر) (أقرب الموارد) (٥) قال ابن رشيق (كتاب
العمدة باب التثني) • • ومن أعجب التثني قول امرئ القيس • أمرخ خيامهم (البيت)
يقول انزلوا نجدا الذى من نباته المرخ أم الفور الذى من نباته العشر وان الاعراب يعملون
خيامهم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي
ينزلون به • • ولا أرى الاعراب تذ كر ذلك كثيرا في أشعارها

لان مرخه وعشره أتي بهما نكرتين فاشكل بذلك . وانما يجوز لوجهاهما مرفقه بالانف واللام والوزن لا يساعده على ذلك ، ثم قال :

أم القلب في أثرهم منحدر

وليس هذا السؤال من السؤال الاول في شيء الا من بعد بعيد . واحتيال شديد . وقال بعد هذا :

وشافند بين الخليط والشر * وعن أقام من الحى هر

فأني بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى . وذلك القليل لا غريب ولا عجيب . وهو كنه ذكر فراق . ثم رجع الى ان هرفقمة تصيد قلبه وقلب غيره فابطل باقمتها كل ما قال من اخبار الفراق ونقضه وجعل بكاء المتقدم لغريبي . ثم قال : وأقلت منها ان عمرو حجر

حسن عنده أن يخبران الناس قد صادت هرفلوب جيعهم الا قلب حجر أيبه . وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التي ما باحدا حاجة اليها ^(١) . ومع هذا فقد أورد أصحاب الاخبار ان هرهذه كانت زوجة أيبه حجر فانظر ما في جملة هذه الايات من الركاكات . وقلة الافادات . فانها لا تفيد قلامة . ولا تهزئامة . ولستنا ننكر بهذه العيوب وزارتها . ما أقررنا له من الفضائل وندارتها . وتستجد من لا يصدق معاصرا . ولا يصدق على متقدم متأخرا . يبنى على ضعف أسسه . ويفديه من الجهل والعيب بنفسه . فاذا اعترضك من هذا الخط متعرض فاعرض عنه ودعه على أخلاقه . مستمتعا بخلاقه . واتبع المسلك الذي أوضحته لك

قال أبو الريان وفضلاء الشعراء كثير جدا ولكل سقطات . وسأفكك على بعضها لعظيم المؤنة في الاطاحة بها ليس الا لاوضع بذكرها منها من مناهج النقد لاحوا على بغض الفصحاء . ولا قصدنا الى تهجين الصرخاء . وأيقرة غبة لنا في ذلك وهم جرثومة فروعنا . وبهم افتخار جيعنا .

(١) جاء في عمدة ابن رشيقي (باب الاستعارة) : فنها قول امرئ القيس وهرفصيد

قلوب البيت . . . فكان لفظه هرواستعارة الصيد معها مضحكة هي جينة ولوان أباه حجر من قارات بيت ما أسف على افلاته منها هذا الاسف . . . لاعلى ان امرأ القيس أتي باخطا على جهته ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في هذين البيتين

قال زهير بن أبي سلمى على ما وصفناه به ووصفه غيرنا من العلو والرفعة . في هذه الصنعة . من مذهبه الحكمية . ومعلته العلمية :

رأيت المنايا خبط عشواء من نصب • تمته ومن تخطى يعمر فيهم
وقد غلط في وصفها بخبط العشواء على أننا لانتالبه بحكم ديننا . لأنه لم يكن على
شرعنا . بل نطلبه بحكم العقل فنقول إنما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم
ينجو (١) وقد علم هو وعلم العالم . حتى البهائم . أن سهام المنايا لا تخطئ شيئا من الحيوان حتى
يعمها رشقها فكيف يوصف بخبط العشواء رام لا يقصد غرضا من الحيوان إلا أقصده حتى
يستكمل رمياته . في جميع رمياته . وإنما دخل الوهم على زهير موت قوم غبطة وموت
قوم هرما وظنوا طول العمر إنما سببه أخطاء المنية وسبب قصره أصابها وهيات الصواب
من ظنهم لم يؤخر أهرم إلا أنها قصده خين قصده أصابته . ولوان الرماة تهتدي كاهنتها •
لما أت أيدىها باقصى رجائها
وقال زهير أيضا في مذهبه :

ومن لا يذعن حوضه بسلاحه • يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وقد تجاوز هذا الحق الباطل وبنى قولاً ينقضه جريان العادة . وشهادة المشاهدة .
وذلك أن الظلم وعرة مرأ كبه . مذمومة عواقبه . في جاهليته وإسلامنا . غرض في
شعره عليه وإن كان إنما أشار في شعره إلى أن الظالم رهب فلا يظلم فهذا قياس ينفسد وأصل
لبس يطرده كمن رهبه من هو أضعف منه وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة وقد يظلم الظالم
من يغلبه فيكون ذلك سبب هلا كه مع قباحة السمة بالظلم والمثل إنما يضرب بما لا يضر
وقد كانت له مندوحة واتسع في أن يقول يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم فهذا أصح وأسلم
لمن لا يظلم ولا يظلم ٧

قال أبو الريان : وقال زهير أيضا وهو من أطيب شعره وأملحه عند العامة وكثير من
الخاصة فهنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك منهم الحق أبلغ قال :
تراه إذا ما جئتته متللا • كأنك تعطيه الذي أنت سائله (٢)

(١) بالاصل ينجو (٢) البيت من قصيدة طويلة مدح بها حصن بن حذيفة بن بدر
الفزاري وأولها
صلى القلب عن سلمى وأقصر باطلا • وعري أفراس الصابور واحله

مدح بها شريفاً أي شريف بفعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض الدنيا إليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهمم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تهال وجوههم وتسرف نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الانبهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همه وصغر نفس وكثير من ذوى النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رزق ما لا عفو ولا منة منبيل ولا يدمع مستطيل لانه عند نفسه أكبر منه ولان قدر المال يقصر عنه فكيف يمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانه يتهال وجهه ويمتلى سرور قلبه اذا أعطى سائله مالا هذا نقض البناء ومحض الهجاء والفضلاء يفخرون بضدها قال بعضهم :

واستبغفراح اذا الدهر سرفى * ولا جزع من صرفه المتقلب
وانما غر زهيرا و غر المستحسن بينه هذا ما جيلوا عليه من حب العطاء وما جرت به عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء وليس كل الهمم تستحسن ذلك ولا كل الطباع تسلك هذه المسالك * قال أبو الریان وقال زهيراً يضام مدح سادة من الناس فتمهم بأنواع القدم وأكثر الناس على استحسان ما قال بل أظن كلهم على ذلك وهو قوله :
على مكترهم حق من يمدحهم * وعند المقلين السحابة والبذل^(١)
فاول ما ذمهم به اخباره ان فيهم مكترين ومقلين فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقلتهم الاموال حتى يستووا في الحال ويشبهوا في الكرم والحال الذين قال فيهم حسان الملمحين فقيرهم ، يغنيهم * والمشدقين على اليتيم المرمل^(٢)
المرمل القليل للمال وارمل الرجل اذا قل زاده وكما قال غيره
الخالطين فقيرهم يغنيهم * حتى يعود فقيرهم كالكاكي
وكما قال الخرنقي^(٣)

- (١) البيت من القصيدة التي مدح بها سنان بن أبي حارثة المري ومطلعها :
صحا القلب عن سلمي وقد كاد لا يسلم * واقفر من سلمي الثعانيق فاثقل
(٢) جاء هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت (طبعة تونس سنة ١٢٨١ ص ٧٢)
على الصورة التالية : والخالطون فقيرهم يغنيهم * والمنعمون على الضعيف المرمل
(٣) هي الخرنقي بنت بدر بن هقان أخت طرفة بن العبد لامة وكانت شاعرة جاهلية جليلة توفيت قبل الاسلام بنحو سبعين سنة

الخالطين لجينهم بنضارهم * وذوى الغنى منهم بذى الفقر
فهذا كله وايك غاية المدح النقي من القدح ثم استمع ما في هذا البيت سوى هذا من
الخلل والزلل قال :

على مكترهم حق (١) من يعترهم * وعند المقلين الساحة والبذل
ففي هذا القسم الاول عيوب على المكثرين منهم نهاضيها القريب كما قدمنا
ورعوا حق الغريب وصلة الرحم أولى ما بدى به ومن كرام العرب حيتها لدوى أنسابها
وذبحا عن أحبابها والاقرب فالاقرب وما فضل عن ذلك فلا بعد ثم أخبرنا المكثرين
ليس يسمعون باكثر من الاستحقاق في قوله

على مكترهم حق من يعترهم
ومن أعطى الحق قائما أنصف ولم يفضل بما وراء الانصاف والزيادة على الانصاف
أمدح ثم أخبرني البيت ان المقلين على قدر قصور أيديهم أكرم طباعا من مكترهم على قدرهم
في قوله :

وعند المقلين الساحة والبذل

والبذل مع الاقلال مدح عظيم وإيثار والساحة إعطاء غير اللازم فمدح بشعره هذا
من لا يحظى منه بطائل . وذم الذين يرجو (٢) منهم جزيل النائل وهذا غاية الغلط في
الاختيار وفي ترتيب الاشعار ولزهر غير هذا من السقطات لولا كافة الاستقصاء هذا على
اشتهاره بأنه أمدح الشعراء وأجزل الوافدين على الاشراف والامراء وسيتعمى المتعصب له
عن وضوح هذا البيان وسينكر جميع هذا البرهان ويجعل التفتيش عن غوامض الخطأ
والصواب استقصاء وظلما ومطالبة وهضا وزعم ان جميع الشعر لو طاب هذه المطالبة لبطل
صحيحه وانجم فصيحته والباطل الذي زعم والحال الذي به تكلم قال سليم سليم
والكليم كليم وانما سمع المسكين أن أملح الشعر ما قلت عباراته . وفهمت اشاراته ولحت
لمحه وملحت ملحه ورققت حقائقه وحقت رقائقه واستغنى فيه بلحمه الدالة عن
الدلائل المتطاولة وأمثال هذا الكلام في استعمال النظام فتوهم ان خلل الشعر وزله
وضعف أركانه وتناقض بنيانه وانقلاب لفظه لغوا وانعكاس مدحه هجوا داخل فيما قدمنا
من الاوصاف المستحسنة من لمح اشاراته وملح عباراته فعامل هذا الصنف بعطفك عنهم

(١) في عدة نسخ من ديوان زهير ورد لفظ رزق بدل حق (٢) بالاصل يرجوا

للأعطف ورفمك عليهم الألف وأعرض عنهم بالفكر والذكركبيرا وإن لم تكن من أهل
الكبر وفيما اطلعتك عليه من شعر هذين الفحاحين والمتقدمين القديمين ما يغني عن
التفتيش على سقطات سواهما فقم على ما تراه - ترى - وأعلم أن كل الصيد في جنب
الفرأ قال أبو الريان : ومن عيوب الشعر الحسن الذي لا تسعه فدهة العريسة كقول
الفرزدق

وعض زمان يا ابن مر وإن لم يدع * من الملل الامسحتا أو مجلف
فرفع مجلفا وحقه النصب وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضريح لا يسمن
ولا يغني من جوع وكقول جرير الخطفي

ولو ولدت فقيرة جرير وكاب * لسب بذلك الجرير والكلابا
فنصب الكلاب بغير ناصب وقد تحيل أيضا بعض النحويين على وجه الإفشاء أحسن
منه فأحذر هذا ومثله وإياك وما يعتذر منه فسيح من العذر فكيف بضيق ضحك . قال :
ومما يعاب به الشعر ويستعجنه النقد خشونة وف الكلمة كقول جرير

وتقول يوزع قد دببت على العصا * هلا هزئت بغير نايابوزع (١)
وهذا البيت في قصيدة من أحلى قصائد جرير وأملحها وأجزها وأفصحها . فثقلت
القصيدة كلها بهذه اللفظة والفرزدق أيضا لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها في شعره
قال : ويكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير أوله كقول الفرزدق
ومأمثله في الناس الاممكا * أبوأمة حتى أبوه يناسبه (٢)

يمدح به إبراهيم بن هشام الخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك فعني هذا الكلام
أن إبراهيم بن هشام مأمثله في الناس حتى الاممكا يعني هشام أبوأمة أي جده هشام لأمه
أبو إبراهيم هذا الممدوح فهو خاله أخوأمة فهو يشبهه في الناس لا غير وهذا غاية التعقيد
والتشديد وليس تحته شيء سوى أنه شريف كابن أخته شريف
قال أبو الريان : ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لأنه يخرج عن نغته شعرا وإيس

(١) البيت من قصيدة في مدح بعض بني أمية قيل لما وصل جرير في إنشاده إلى هذا
البيت قال له الأمير الممدوح - أفسدتها يوزع (٢) في رواية يقاربه بدل يناسبه
وقال صاحب كتاب الصنائع البيت في مدح هشام بن اسماعيل

ما يقع لمن نعت بشاعر • فاما الاقواء • والايطاء • والسناد • والا كفاء (١) •
والزخاف • وصرف ما لا ينصرف فكل ذلك يستعمل الان السالم من جميع ذلك أجل
وأفضل قال : ومن عيوبه المنومة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقار بها مثل
قول الكميت :

حتى تكامل فيها الدل والشنب (٢)

وكما قال بعض المتأخرين في رثاء :

فانك غيبت في حفرة • تراكم فيها نعيم وحوور

وان كان النعيم والحوور من مواهب أهل الجنة فليس بينهم ما في النفوس تقارب •
ولالفة تراكم مما يجتمع بين الحور ولا النعيم • ومثله قول بعضهم :

والله لولا ان يقال تفسير • وصبا وان كان التصابي اجدرا

لأعاد تفاح الخدود بنفسجا • لثمي وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة • وقد أجاد في جمعه
بين الكافور والعنبر لانهم من قبيل واحد • ولوقال :

لأعاد ورد الوجدتين بنفسجا • لثمي وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف • وأحسن الرصف • ليكون الورد من قبيل البنفسج • فهذا
النوع فاقتد • وهذا الشرع فاعتمد

قال أبو الريان : ولفضل المولدين مقطعات مختلفات في أشعارهم إذا كرك منها في
أشياء لتستدل بها على أغراضك لالطلب الزلات • ولا لاقتفاء العثرات • كان بشارتقباين
طبقات شعره فيصعد كبيرها • ويهبط قليلها كثيرها • وكذلك كان حبيب بن أوس
الطائي فإذا سمعت جيدهما كذبت ان رديهما طهما • وإذا صح عندك ان ذلك الردي
لهما أقسمت ان جيدهما الغيرهما • قال : وما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة مثل
قول حبيب أول قصيدة :

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعا وبعضها منصوبا وبعضها

مخفوضا • والا كفاء ان يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر • والايطاء
اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) •

(٢) وبكتاب الصناعتين : خود تكامل فيها الدل والشنب

هن عوادى يوسف وصواحه • فعزما فقدما أدرك الشأوطالبه (١)

ومثل قول ذلك الجن أول قصيدة:

كانها يا كانه (٢) خال الخ • لمة وقف الطلوك اذبنما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو وردى قال : ويعاب أيضا
الافتتاحات التطير بها • والكلام المضاد للفرض كابتداء قصيدة أبي نواس التي أنشدها
الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهينه بني ثمانه الدار الجديدة فدخل اليه عند كمالها وقد جلس
للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده

أربع البلى ان الخشوع لبادى (٣) • عليك وانى لم أخنك ودادى

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وتناظر الناس بعضهم الى بعض ثم عمادى نخم

الشعر بقوله سلام على الدنيا اذا ما فقدتم • بنى برمك من رائجين وغادى
فكمل جهله وتم خطوه وزاد القلوب المتوقفة للخطوب سرعة توقع • وأضاف
لتنفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع • وأراد أن يمدح فهجاء ودخل ليسر فهجاء •
قال : وقرب من هذا ما وقع للثني في أول شعر أنشده كافورا

كنى بك داء ان ترى الموت شافيا • وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فهذا خطاب بالكاف بفتح ولا سبأ في أول لقيه • وفي ابتداء واستعطف ورقيه •
وفي هذا البيت غير هذا من العيوب سند كره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء أنشده بعض
الامراء في يوم المهرجان فقال :

لا تقبل بشرى ولكن بشرى ان • وجه من أهوى ووجه المهرجان (٤)

(١) قال أبو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) (لما نظر أبو العميل في

قصيدة أبي تمام هن عوادى يوسف وصواحه • فعزما فقدما أدرك الثار طالبه

استدزل ابتداء هافا قسط القصيدة كلها حتى صار اليه أبو تمام ووقف على موضع

الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه (٢) روى ابن رشيق في العمدة -

ما كانه بدليا كانه - (٣) جاء في ديوان أبي نواس : البلاء عوض البلى • ولباد

بدل لبادى - (٤) وردعز البيت في كتاب الصناعتين هكذا : غرة الداعي ووجه المهرجان

وقائل البيت أبو مقاتل أنشده الداعي فأوجعه الداعي ضرباً ثم قال : هلاقت :

ان قتل بشرى فعندى بشرى ان

فأمر بأخواجه واستطار بافتتاحه وجرمه أحسنه : قال أبو الرمان : ولو كان هذا الشاعر
حاذقاً لكان إصلاح هذا الفساد أسير الأشياء عليه وذلك بأن يعكس البيت فيقول :

وجه من أهوى ووجه المهرجان * أى بشرى هى لابل بشرى

قال : ويقبح جدا الاتيان بكلمة القافية مجعلة لا ترتبط بما قبلها من الكلام
وإنما هى مفردة لحشو القافية كقول بعضهم :

فبلغت المنى برغم أعاديك * وأبقاك سالماً رب هود (١)

فأنت ترى غشاة هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شئ فخص هوداً عليه
السلام وحده أضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن

قال : ويقبح أيضاً الجفاء فى التشبيب على الحبيب والتضجر ببعده . وغلظة العتاب
على صده . كقول أبي نواس

أجارة بيتينا أبوك غيسور * وميسور ما يرجى لديك عير (٢)

فإن كنت لا خلا ولا أنت زوجة * فلا برحت منا عليك ستور

وجاورت قوماً لا تزاور بينهم * ولا قرب إلا أن يكون نشور

فلم أسمع بأوحش من هذا النسيب . ولا أخشن من هذا التشبيب . وذلك قوله
إن لم تدوني لى زوجة ولا صديقة فلا برحت مناستور للتراب عليك ولا كان جارك ما عشنا
نحن إلا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون إلى يوم النشور على أن كلامه يشهد عليه
بأنه شاك وإنما المعروف فى أهل الرقة والظرف . والمعهود من أهل الوفاء والعطف .
أن يفسدوا أحبابهم بالنفوس . من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته البصرية
وآدابه البغدادية . حتى اختار القدر على الوفاء . وبلغت به طباعه إلى إجفاء الجفاء .
فاعلم هذا وإياك أن تعمل به

(١) قائل البيت أبو عدى القرشى زوروا قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) :

ووقت الختوف من وارثوا * ل وأبقاك صالحاً رب هود

(٢) هذه الايات من قصيدة فريدة مدحها أبو نواس الخفيف بن عبد الحميد الهيمى

ثم المرادى أمير مصر . وقد يوجد بعض اختلافات فى روايتها منها فى البيت الثانى : خلها

وهو الصديق أو صاحب بدل خلا . وروحة بدل زوجة . ودونى عوض منا وفى البيت

الثالث : وصل بدل قرب

قال : ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس . في شعر الناس . فمنها سرقة اللفاظ . ومنها سرقة معان . وسرقة المعاني أكثر لانها أخفى من الالفاظ . ومنها سرقة المعنى كله . ومنها سرقة البعض . ومنها سرورق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو أحسن السرقات . ومنها سرورق بزيادة اللفاظ وقصور عن المعنى وهو أقبحها . ومنها سرقة محضه بلا زيادة ولا نقص والفضل في ذلك للسرورق منه ولا شيء للبارق كسرقة أبي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى أبي الشيص بكلامه . قال أبو الشيص :
وقف الهوى في حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم ^(١)
فسرقة الحسن بكلامه فقال :

فاجازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير ^(٢)
فهذا هذاعلى ان يتأبى الشيص احلى وأطبع ومع حلالة جزالة . وقد ذكر عن الحسن انه قال ما زلت أحسد أبا الشيص على هذا البيت حتى أخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همة . وهذه القصيدة يناضل أصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه مقرين بأن ليس له أفضل منها . ولا لهم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقص بفهمك واعمل فكرك على ما وصفناه من أبواب السرق ما وجدته في أشعار لم أذكرها يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدوا لك جميع ما رسمناه قال : وما يقع في عيوب الشعر ويغفل الشاعر عنه ويجوز له الامر فيه اصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي احتجب فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد أيضا عنه مثل قول المتنبي : كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام على انه اعماشكاداءه ووصفه بالعظم فعادشا كيان نفسه وجعلها أعظم الداء لانه أراد كفى بدائك داء فقلط وقال : كفى بك داء فصار كفى بالسلامة داء فالسلامة هي الداء بر يد طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تعالى : وكفى بنا حاسبين فأنه هو أعظم شهيد بغير عمل انتهى نفسه أعظم الداء ولم يرد الاستعظام دائه واصلاح هذا الفساد . وبلوغه الى المراد . ان يقول :

كفى بالمانيا ان تسكن أمانيا * وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

- (١) قصيدة أبي الشيص التي طالعها هذا البيت لعدم أن أبلغ ما قيل في التشبيب
(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان أبي نواس على هذه الصورة :
ولكن يسير الحمد حيث يسير

فيعود الداء المستعظم كما أراد وتزل خشونة ابتدائه . وشدة جفائه . اذ خاطب الممدوح بالكاف فجعله داء عظيم في أول كلمة سمعها منه . وقد تأدب خواص الناس وكثير من عوامهم في مثال هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضا بما يحسن ذكره قلت للابعدويا كذا أو كذا للابعد

ومن عيوب هذا القسم أيضا ان قائله قصد الى سلطان جديد والى . كان يحتاج فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به أعنى سيف الدولة وأغناه بعد فقره وشرفه ورفعه . وأدنى موضعه . فورد على كافور هذا في مرتبة شريفة . وخطة منيفة فجعل بجهله يصفه في أول بيت لقيه به انه في حالة لا يرى منها المنية . أو يرى المنية أعظم أمنية . وعلم كافور بذلك ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وأنه كفر بالنعمة من المنعم عليه وأراه ان جميع ما عمل له به من الجاه الواسع . والغنى القاطع حقير لديه . صغير في عينيه . فعلم كافور في هذا الوقت انه عن لا تزكولديه الصنيعة وان عظمت . ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت . ولم يكن في خلق كافور من الصبر على اساع البذل . ولا من الرغبة في أهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة من ذلك فزهده فيه بعد رغبة وعمله بالقليل . وشاوقه بالجزيل . ورأى المتنبي ان الاسود ليس له في قلبه من الحب والقرب ماله عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا أكثر من التعتب والعتاب ما يعطفه عليه فأضاع وضاع . وكان يتوقع الايقاع . ولكفران النعم نقم . ثم نجاه ركوب ظهرا للهرب وأقبل يصترف لسيف الدولة بالذنوب . وكان لحنه وشعره شريفين . وعقله ودينه ضعيفين . ومع ذلك فسقط طاقه كثيرة الا ان محاسنه أكثر وأوفر . والمرء يهجز لا محالة وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بهجته فيقول من ذلك ما يصف به ناقته :

فقيت تسد مستداني نيا * أسادها في المهمة الانضاء

ويقول في الممدوح :

أني يكون أبا البرية آدم * وأبوك والثقلان انت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها البيت لا يتعلق بشئ مما قبله فيما يظهر ولا فيما بعده بشئ

كانك ما جاددت من بان جوده * عليك ولا قاومت من لم تقاومت

ومثل هذا كثير وهذه الاجناس من أبيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء .

وأطاعت غوامضها بعد استعصاء . فهي مذمومة السلك . وإن اطلعت منها على أبزل الافادة فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة . وكان أيضا يغفل عن اصلاح أشياء من كلامه على قرب ذلك الاصلاح من الفهم . مثل قوله برقي أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أخت يا بنت خير أب * كناية بهما عن أشرف النسب

فجعل يا أخت خير و بنت خير كناية عن أشرف النسب والكناية لا تكون الا لعل تنسج فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فيأبى ال شرف النسب يورى عنه تورية المعاييب . ويكنى عنه والتصریح به من المفاخر والمناف . وقد غفل عن اصلاح هذا بلفظ فصيح . ومعنى صحيح . قد كاد يبرز من الجنان . الى طرف اللسان . وهو لو فطن اليه يا أخت خير أخت يا بنت خير أب * غنى هذا وذاعن أشرف النسب

قال أبو الريان : وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء المجيدين من التفسير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومعنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتم بها الجوده بحث وصحة قياس . لم تحتج الى كشف عيوب اشعار الناس . ولعل قائل يقول مال على هؤلاء وترك سواهم لميله على من بكت . ولتفضيله من عنه سكنت . فقل لمن قال ذلك الامر ، على خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالأفضل . والاشهر فالأشهر . اذ كانت أشعارهم هي المروية . فالحجة بهم وعابهم هي القوية . فقد نفلته على من ميسل عليهم . الى ميسل بالحق اليهم قال أبو الريان : فاما نقد المستحسن فتمثيله لك يعظم وينسج لكثرة فلا يسعنا ايراده ولكن ماسلم من جميع ما أوردناه فهو في حيز السلام . ثم تنسج طبقات الجوده فيه . وأحسن منه ما اعتدل مبناه . وأغرب معناه . وزاد في محمودات الشعر على سواه ثم يمدح الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة . ثم لامدح ولا كرامة

قال محمد فقلت : لله درك يا أبا الريان فما ألين جانبك . وما أقرب غائبك . وما ألح طالبك . وما أسعد صاحبك . فقال : أنجح الله مطالبك . وقضى ما ربك . وصنى من القدى مشاربك . وبث في الحواضر واليوادى مناقبك

تمت المقامة المعروفة بمائيل الانتقاد

باطلف الفهم والاقتصاد

والحمد لله أولا وآخرا وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

كتاب العرب

أو الرد على الشعوبية

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة من أهل القرن الخامس (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: جعلنا الله وإياك على النعم شاكرين . وعند المحن والبلوى صابرين . وبالقسم من عطائه راضين . وأعدنا من فتنة العصبية وحجة الجاهلية وتحامل الشعوبية فأنها بفرط الحسد ونقل الصدر دفع العرب عن كل فضيلة ، وتلحق بها كل رذيلة ، وتغلو في القول ، وتسرف في الذم ، ونهت بالكذب وتكابر العيان ، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف وتقص من النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر بالشجاء . وتطرف منه على القذى . وتبعد من الله بقدر بعدهما عن قرب واصطفي . وفي الإفراط الهلكة ، وفي الغلو البوار ، والحسد هو الداء العياء . أول ذنب عصي الله به في الأرض والسماء . ومن تبين أمر الحسد بعدل النظر أوجب مسخه على واهب النعمة وعداوته لمؤتي الفضيلة لأن الله تعالى يقول (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) فهو تبارك وتعالى بأسط الرزق وقاسم الحظوظ والمبتدئ بالعطا والمحسود آخذ ما أعطى وجار إلى غاية ما أجرى .

وقال ابن مسعود : لاتعدا و انعم الله قليل ومن يعادي نعم الله قال : حاسد الناس وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمي .

(١) وجده الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق في مكتبة المرحوم شاكر افندي الجزاوي الدمشقي في مجموعة كانت موقوفة ونجز وقفها معنونا عليه بكتاب ذم الحسد تأليف العلامة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى بخط مسند الشام في عصره الشيخ إبراهيم الجبيني الحنفي جامع الفتاوى الخيرية - من رجال القرن الثاني عشر - وقد نسخها رحمه الله على أصل مخروم الآخر حتى كتب في آخر نسخته مأماله : هذا آخر ما وجدته الخ .

وقال ابن المقفع . الحاسد لا يرحح زار يا على نعمة الله لا يجدها من الا ويكدر على نفسه ما به فلا يجدها المعما ولا يزال ساخطا على من لا يترضاها ومنه سخطا لما لا ينال فوقه فهو مكظوم هلع جزوع ظالم أشبه شئ بمظلم محروم الطلبة منقص الميضة دائم السخطة لا يعاقبهم له يقنع ولا على ما لم يقسم له يغاب والمحسود يتقلب في فضل الله مباشر السرور مهنلا فيه الى مدة لا يقدرد الناس لها على قطع واتقاض ولو صبر المحسود على ما به وضمر لجرنه كان خيرا له لانه كلما هرخصه الله وكلما نبج قذفه بجبره وكلما أراد أن يظني نور الله أعلاه الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . ولقد راقنا ثلث

واذا أراد الله شرفا سبيلة * يوما أتناح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طبيب عرف العود
ولم أرفى هذه الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد انتصبا للعرب من السفلة والحشوة
وأوباش النبط وابناء اكرة القرى فلما أشرف العجم وذووا الاخطار منهم وأهل الديانة
في عرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف انبائا بنا .

وقال رجل منهم لرجل من العرب : ان الشرف نسب والشريف من كل قوم نسب
الشريف من كل قوم : وانما هجت السفلة منهم بدم العرب لان منهم قوما يحلو بالجدية
الادب فجالسوا الاشراف وقوم انسموا باسم الكتابة فقر بوا من السلطان فدخلتهم
الأنفة لآدابهم والغضاضة لا قدرهم من لؤم مغارسهم وخبت عنانصرهم ففهم من الحق
نفسه بأشرف العجم واعتزى الى ملوكهم وأساورتهم ودخل في باب فسيح لاجاب عليه
ونسب واسع لا مدافع عنه ومنهم من أقام على خساسة يناطح عن لؤمه ويدعى الشرف
للجم كما يليكون من ذوى الشرف ويظهر بغض العرب ينتقصها ويستفرغ مجهوده
في مشامها واطهارها مثاليها وتحريف الكلم في مناقبها ولبساتها نطق وبهممها أنف
وبآدابها تسلط عليها فان هو عرف خيرا ستره وان ظهر حقره وان احتمل التأويلات صرفه
الى أقبحها وان سمع سوا نشره وان لم يسمعه فتر عنه وان لم يجده فخره فهو كما قال
القاتل :

ان يعلموا الخير يخفوه وان علموا * شرأذيع وان لم يعلموا بهتوا

ومن ذار حكا الله صفا فلم يكن له عيب وخلص فلم يكن فيه شوب .
وقيل لبعض الحكماء : هل من أحد ليس فيه عيب فقال : لا لان الذي ليس فيه عيب

هو الذي لا يموت وعائب الناس يعيبهم بفضل عيبه . وينتقصهم بحسب نقصه . ويذبح عوراتهم ليكونوا نمر حكاة في عورته ولا شيء أحب للفاسق من زلة العالم ولا إلى الخامل من عثرة الشريف قال الشاعر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه • مراد لعمرى إن أردت قريب
وقال آخر : وأجرأ من رأيت بظهر غيب • على عيب الرجال ذوو العيوب

وقد كان زياد بن أبي سفيان حين كثر طعن الناس عليه وعلى معاوية في استلحاقه عمل كشافي المثلث لولده وقال : من غيركم فقرعوه بنقصته . ومن ندد عليكم فأبدهوه بمنزلة . فان الشر بالشر يتيق ، والحديد بالحديد يفلح .

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى أغرى الناس بمشائم الناس وأهلجهم بمثالب العرب وحاله في نسبة وأبيه الأقرب إليه حال نكراه أن نذكره فأنك كون كمن أمر ولم يأتمر ، وزجر عن القبيح ولم يزدجر ، وهي مشهورة ولكن كرهنا أن تدون في الكتب ونحطد على الدهر ، ولا سيما وهو رجل يحمل عنه العلم ويحتج بقوله في القرآن • ومن أعقب قلبا وأنصت فكرامن أراد أن يجعل الحسنة سببة ، والمنقبة مثابة . ويحتاج لإخراج الباطل في صورة الحق فيقصده من المناقب لئلا يفسد قوس حاجب يضحك منها وزرى بها ويذهب في ذلك إلى خسارة العود وقلة ثمنه وهذا لو كان على مذاهب التجار والسوق في الرهون والمعاملات لرجع بالعيب على الآخذ لا على الدافع لان الدافع لا يألو أن يدفع أحقر ما يجد في أكثر ما يأخذ والمغبون من غير بالاصغير عن الكبير وانما رهن عن العرب بما ضمنه عنهما من كفا الذي عن مملكته حتى يحياوات تكشف عنهم السنة ولو كان مكان القوس مائة ألف رأس من الغنم عن هذا السبب ما كان القوس الأحسن بالدافع والقابل لان سلاح الرجل هي عزه وشرفه واسلام المال أحسن من اسلام العز والشرف • وقد يدفع الرجل خاتمه وبرده وأورده عن الامر العظيم فلا يسلحه خوفا من السبة وأنفق من العار •

قال أبو عبيدة لما قتل وكيع بن أبي سود النخعي قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان : بلغ ذلك سليمان وهو بمكة وهو حاج خطب الناس بمسجد عرفات وذكر غدر بني تميم وأسراهم في الفتن وتوهمهم على السلطان وخلافهم له فقام القرزدق ففتح رداؤه وقال : يا أمير المؤمنين هذا رداي رهنا بوفاء تميم ومقامها على طاعتك فلما جاءت بيعة وكيع قال القرزدق :

فدى لسيوف من نعيم وفي بها * رداى وحلت عن وجوه الالهام
يريد الاله من سعي التيمى ورهطه وهذا سيار بن عمرو بن جابر الفزارى ضمن
لبعض الملوك ألف بعيردية آييه ورهته قوسه فقبلها منه على ذلك وساقها اليه وفيه
يقول القائل :

ونحن رهنا القوس ثم تخلصت * بالف على ظهر الفزارى أقرعا
وسيار هذا هو جدهم الذى تنافر اليه عامر وعلقمة . ومن هذا الباب قول جوان
وذكر اجتماعه مع نساء كان يألفهن :

ذهبن بمساوى وقد قلت انه * سيوجد هذا عندكن فيعرف
يظن من لا يعرف هذا الخبر ان سلبه المسواك فاعتد عليهن وأخبرهن انه سيوجد
عندهن ويعرف لقدر المسواك عندهن وعنده . ولان الاعراب أنظر قوم فى النافه الحقيقير
الذى لا خطر له وكيف يظن بهو بهن هذا وبلد نجد مستحلس بضروب من شجر المساوليك
لا تحصى فكيف يبخل على نساء هواهن يعود هو يسطلى به ويختبر ويطلب بشجره
ومنى احتاج الى مسواك منه لم يتكلفه ثمن ولم يبعد فى طلبه . والمعنى ان نجد مختلف منابته
فنه ما ينبت الاسحل ومنه ما ينبت الاراك ومنه ما ينبت البشام فاهل كل ناحية منهم
يستاكون بشجر بلدهم وكان جوان العود معروفا هؤلاء النساء يزورهن على حذر من
مزار بعيد وهو يستقن من الشجر ما ينبت فى بلده ولا ينبت فى بلدهن فلما أخذن سواكه
ليتنكرنه ويسترحن اليه كما يفعل المتحابون قال : ان هذا سيوجد عندكن واذا وجد علم
انه ما ينبت به البلد الذى أسكنه فاستدل به على زيارتى يا كن ويقصد لقول القائل :

أيا ابنة عبيد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
فيتعاضدك بالشعر ويستعزى بالبردين والفرس الورد ويعارض ذلك بملوك فارس
وأسمائها وتيجانها وبان ابرويزارتبط تسعائة وخمسين فيلا على مرابطه وبلغت
محدثه (؟) التى كان يشرف بها على الداخل عليه ألف انا من الذهب وخدمته ألف جارية
وقد جهل هذا معنى الشعر وأخطأ فى المعارضة ونفر عما ليس له فيه حظ ولا نصيب .
اما معنى الشعر فان أباعبيدة ذكر ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر
فانخرج بردى محرق وهو عمرو بن هند وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فيأخذها مقام عامر
ابن احيمر بن بهلة فأخذها فأنزروا واحد وارندى بأخر فقال له : بم أنت أعز العرب
فقال

فقال : العز والعدد من العرب في معد ثم زار ثم في مضر في خندف ثم في عجم ثم في سعد
ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهلة فن أنكر هذا من العرب فلينا فرني فكت الناس فقال
النعمان : هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في اهل بيتك وفي بدتك فقال : أنا ابو عشرة
وعم عشرة وخال عشرة يعني بني الا كابر عن الا صاغر والا صاغر عن الا كابر فاما نافي بدني
فهذا شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال : من أزالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم
اليه أحد من الناس فذهب بالبردين فسمى ذا البردين قال الفرزدق :

فنام في سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتهدل

لهم وهب النعمان ثوبي محرق * بمجدد عد العديد والمحصل (٤)

وأما الفرس الورد فان الخيل حصون العرب ومنبت العز وسلم المجد وثمال العيال وبها
قدرك الثأر وعابها نصيد الوحش وكانوا يؤثرونها على الاولاد بالبن ويتدونها بالافنية
للطلب والحرب وقد كنى الله عنها في كتابه بالخير لافيها من الخير فقال حكاية عن نبيه سليمان
صلى الله عليه وسلم (اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الخيل
وبها كان شغل سليمان عن الصلاة حتى غربت الشمس وقال طفيل :

وللخيل أيام فمن يصطبر لها * ويعرف لها أيامها الخير يعقب

وقال آخر :

ولقد علمت على توفى الردي * ان الحصون الخيل لامدر القرى

اني وجدت الخيل عزا ظاهرا * تنجي من الغمي ويكتفن الديجي

ويستقن بالثغر الخوف طلائعا * وتبين للصعلوك جنة ذى القنا

باتوا باصاثرهم على أكتافهم * وبصيرتي يعدو بها هتد وأي

والبصرة الدم يريدانهم لم يدركوا الثأر فنقل السماء على أكتافهم وانه قد أدرك ثأره
على فرسه وحديثي محمد بن عبيد قال : حدثني سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة عن
عروة البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (الخيل معقود في نواصيها
الخير الى يوم القيامة)

قال أبو محمد : وليس لاحد مثل عتاق العرب ولا عند أحد من الناس من العلم بها
ما عندهم وسأذكر من ذلك شيئا فيما بعد ان شاء الله . واذا كان للرجل منها جواد مبركريم
شهر به وعرف فقيل العسجدي ولا حق وداحس والورد . وليس أعجب من سرير كسرى

وجفر الجهم به وتصويرهم إياه في الصخور الصم وفي رعان الجبال . وإذا رأيت العرب تنسب إلى شيء خسيس في نفسه فليس ذلك إلا معنى شريف فيه كقولهم طريدة بنت صمصمة عممة الفرزدق ذات الخمار فمن لم يعرف سبب الخمار ههنا يظن أنها كانت تحت مردون نساء قومها فنسبت إلى الخمار لذلك قال أبو عبيدة : كانت هندية بنت صمصمة تقول من جاء من نساء العرب باربعة مثل أر بعني يحول لها أن تضع عندهم تخارها فصرمتي لها أي صمصمة وأخني غالب ونالى الأقرع بن حابس وزوجي الزبرقان بن بدر فسميت ذات الخمار لذلك .

وقال : كان هندی بن أبي هالة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا أكرم الناس أربعة أي رسول الله وأبي خديجة وأخني فاطمة وأخني القاسم فهؤلاء الأربعة لا أر بعنتها وأما خطوه في المعارضة فإن صاحب البردين لم يكن ملك العرب فيعارضنا عنه بملك الجهم ولم يدع أحداً كان للعرب في دولة الجهم مثل ملكها وأموالها وعددها وسلاحها وحريها وديباجها فيحتاج أن يذ كوفيلة أبرويز وجواربه وفرشه وقد كان هذا الأولئك كذا كرم جعله الله هؤلاء فابتزوه واستابوه والتحوهم كما ملتحى القضيبي والناسخ أفضل من المفسوخ . وأما غره بما ليس له فيه حظ ولا نصيب فأنما يفخر بملك فارس أبناء ملوكها وأبناء عمالهم وكتائبهم وحجائبهم وأساورتهم . فمارجل من عرض الجهم وعوامهم لا يعرف له نسب ولا يشهر له أب فاحظه في سرير كسرى وتاجه وحريه وديباجه وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى ولا مظل ولا مأوى . فان قال : لاني من الجهم وكسرى من الجهم فرحباً بالمثل المبتدل ابن جارا النجار ولو قال أيضاً : لاني من الناس وكسرى من الناس كان وهذا سواء وما هو بأولى بهذا السبب من العرب لأن العرب أيضاً من الناس .

قال أبو عبيدة : أجريت التحليل فطلع منها فارس سابق فجعل رجل من النظارة بكبر وينب من الفرخ فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى أهذا السابق فرسك فقال : لا ولكن اللجأ إلى .

وقال المسعودي : قدم علينا العرب وكانوا يأتون ببضائعهم فأبيعها وأقوم بحوائجهم وكانوا يقولون : رحم الله أباك ديناراً فكنت لا آلوهم عناية فقلت لهم : أخبروني عن السبب بينكم وبين أبي قالوا : كان يساومنا مرة بانان فقلت لهم : هل كان اشتراها منكم قالوا : لا قلت : الله أكبر قالوا : وما ذاك قلت : لو اشتراها حارت رحا ونسباً .

وقد كانت الجهم رحل الله في ذلك الزمان طبق الأرض شرقاً وغرباً وبراً وبحراً

الاحمال معدة واليمن أفكل هؤلاء أشرف فابن الوضعاء والادنياء والكساحون والحجامون
والدباغون والخارون والرعاع والمهان وهل كان ذوو الشرف في جملة الناس الا كاللعة في
جلد البعير وأين ذراريهم وأعقابهم أدرجوا جميعا فلم يبق منهم أحد وبقي أبناء الملوك
والاشراف .

وأعجب من هذا اذا عاؤهم الى اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم ونفرهم على العرب
بانه لسارة الحرة وان اسمعيل أباء العرب لهاجر وهي أمة وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنبا * ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا بهراء من وطن * لكنهن البني الاسرار أو طان
أرض تبني بها كسرى مناسكه * فبابها من بني اللخناء انسان

فبنوا الاسرار عندهم الحجم من ولد اسحق واسحق لسارة وهي حرة وبنوا اللخناء
عندهم العرب لانهم من ولد اسماعيل واسماعيل لهاجر وهي أمة قالوا : واللخناء عند العرب
الامة قالوا بل الطويل طولا والبعث والثبور من هذه العداوة ولا ياء الله والانباذ القبيحة
اصفوة الله وقد غلطوا في التأويل على اللغة وليس كل أمة عند العرب لخناء انما اللخناء من
الاماء الممتهنة في رعي الابل وسقيها وجمع الحطب وحله واستقاء الماء والحلب وأشياء ذلك
من الخدمة كما يقال الامة الوكعاء وليس كل أمة وكعاء واعاقيل لخناء لنتن رعيها ويقال
لخن الخناء لخن لخن اذا تغير رعيها وتغير .

وأما مثل هاجر التي طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل دفر وارتضاها للخليل
فراشا ولطيبين اسمعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام أما وجعلهما لها سلالة فهل يجوز
للمحدثين ان يطلق عليها اللخن ولو لم يكن الا ان ملك القبط متع بها سارة وكانت
أنفس امائهم واطفئهم واحظاهن لديه لقد كان في ذلك دليل على انها لم تكن من الاماء اللخن
ولو جاز ان يطلق على كل أمة لخناء لجاز أن يقال لكل شريف ولده أمة هذا ابن اللخناء
كما يقال هذا ابن الامة وقد ولدت الاماء الخلفاء واختيار والابرار ومثل علي بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

حدثني سهل بن محمد قال : حدثنا الاصمعي قال : كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ
أمهات الاولاد حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة ففانوا أهل المدينة فقها وورعا فغرب الناس في
السراري والنساب لا يعرفون لاهل فارس ولا للنبيط في اسحق بن ابراهيم حظا لان اسحق

تزوج رفقابنت ناحور بن تارح وتارح هو آزر ورفقابنت عمه فولدت له عيصو ويعقوب
توأمن في بطن واحد فيعة وب هو امرائيل الذي ولد الاسباط كلهم وكانوا اثني عشر رجلا
وأولادهم جميعا يدعون بني اسرائيل وهم أهل الكتاب ليس لهؤلاء فيهم سبب ولان سبب
وعيصو هو أبو الروم وكان الروم رجلا أصفر شديد الصفرة في بياض ومن أجل ذلك سميت
الروم بني الامقر . قالوا : وكانت أم الروم بنت اسمعيل بن ابراهيم ولد لمن الروم خمسة نفر
فكل من بارض الروم من نسل هؤلاء الرهط قالوا : ولما سبقة يعقوب الى دعوة اسحق
فصارت النبوة في ولده دعا عيصو بالنعاء والكثرة فالروم كلهم من ولده وبعض الناس يزعم
أضغان الاشبان من ولده وقالوا : النبط بن ساه وح بن ارغوب فالغ بن عابر بن شالح بن
ارنخش بن سام بن نوح ويقال انه ابن ماش بن سام بن نوح قالوا : وأهل فارس من ولد
لاوذين ارم بن سام بن نوح وكان كثير الولد فنزل أرض فارس فاجتاس الفرس كلهم من
ولده فليس بين هؤلاء وبين اسحق بن ابراهيم على ما ذكر النسابون نسب يجمعهم الاسام
ابن نوح والناس يجمعون في ولادة شيث بن آدم ثم في ولادة نوح ثم ينشعبون فولد نوح
أربعة نفر سام وحام ويافت ويام فاما يام فهلاك بالطوفان فلا عقب له وهو الذي قال له أبوه :
(يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) وأما حام فإن أباه لعنه ودعا عليه بان يكون عبدا
لاخويه تخملت ذريته وسقطت فيه فهم النوبة وفزان والزغاوة وأجناس السودان والسند
والقبط وأما يافت فإن أباه دعا له بالنعاء والكثرة فولد الصقالب والترك ويأجوج ومأجوج
وأما عدد الرمل والحصى في مشارق الارض . فاما سام فبارك عليه فاشرف الناس من ولده
منهم العماليق ومنهم الجبابرة وفراعنة مصر وملوك فارس ومن ولد سام الانبياء جميعا
بعد نوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم ومن بعده الى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .
فالعرب وفارس يتسارون في هذه الجلالة وتفضلها العرب بعدها بانهم من ولد اسمعيل بن
ابراهيم فهي أدنى من خليل الله دناوة وأمس بهرجا .

ثم تتساوى العرب وفارس في ان الفريقين ملكوا وتفضلها العرب بان قواعد ملكها
نبوة وقواعد ملك فارس استلاب وغلبة . وتفضلها العرب بان ملكها ناسخ وملك فارس
منسوخ وتفضلها بان ملكها متصل بالساعة وملك فارس محدود وتفضلها العرب بان
ملكها داخل في أقاصي البلاد داخل في آفاق الارض وملك فارس شطية منه ليس فيه الشام
والجزيرة ولا خراسان في أكثر مددهم ولا اليمن الا في أيام وهزر وسيف بن ذي بزن .

ومن عجب أمرهم أيضا فخرهم على العرب بأدم بقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تفضلوني عليه فأنما أنا حسنة من حسناته ثم بالانبياء وأنهم من الهجم الأربعة نفر هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وفي هذا القول وضع الفخر على غير أساس ومن أسس بنيانه على الباطل والغرور أو شك أن يتداعى وإن يخر وظلم للعرب فاحش ومنه ادعائهم آدم كأن العرب ليسوا من ولده ومنه انتحالمهم موسى وعيسى وزكريا ويحيى وأشباههم من بني إسرائيل وليس بين فارس وبين بني إسرائيل نسب على ما بينت لك ومنه دفعهم العرب عن قريتهم هؤلاء الانبياء وهم بنو عمومتهم وعصبتهم لأن العرب بنو اسمعيل ابن ابراهيم باجماع الناس فهم بنو أخي اسحق بن ابراهيم وأولى به وأحق بشرفه وأولى بموسى وعيسى ودادود وسليمان وجميع الانبياء من ولده وقال الله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) فأل ابراهيم هم ولد اسحق وولد اسمعيل ثم قال : (ذرية بعضهم من بعض) فاعلمنا ان العرب وبني إسرائيل شيء واحد في النسب وفيما أوحى الله الى موسى : اني ساقم لبني إسرائيل من اخوتهم مثلك أجهل كلامي على فيه : يريد انه يقيم لهم من العرب نبيا مثل موسى يعني نبيا محمد اصاب الى الله عليه وسلم وهذا علم من اعلامه ونجته من حجبنا على أهل الكتاب من كتبهم فان قالوا في ذلك انه يقيم لهم من بني إسرائيل نبيا مثل موسى وقالوا : ان بني إسرائيل بعضهم اخوة بعضنا كذبهم النظر لانه لو أراد ذلك لقال لهم : من أنفسهم ومنهم كما أن رجلا لو أراد أن يبعث رسولا من خندف لم يقل سأبعث رسولا من اخوة خندف فان كان دفعهم ولد اسمعيل عن تشابك نسبهم بولد اسحق لنزول اسمعيل الحرم ونكاحه في جرحهم فان الديار قد تنشاء والرجال قد يتباين والرجل قد يشكح في البعيد وقد يرولد له من الاماء ولا تنقطع الارحام والانساب وان كان اسمعيل نطق بالعربية فليس اختلاف الناس في الالسننة يخرجهم عن نسب آبائهم واخوانهم وعشائرتهم فهؤلاء أهل السريانية قد خالفوا في اللسان أهل العبرانية وهذه الروم كفرت بالله ولا شيء أقطع للعصمة من الكفر وتكلمت بالرومية ورغبت عن لسان آبائهم وليس ذلك بمخرجها عن ولادة اسحق بن ابراهيم على ان اسمعيل لم يكن أول من نطق بالعربية وانما تعلمها وانما أصل العربية لا يمن لانهم من ولد يعرب بن قحطان وكان يعرب أول من تكلم بالعربية حين تبليت الالسنن بابل وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن تبعه من أهل بيته ثم نطق بعده نمود بلسانه وشخص حتى نزل الحجر .

حدثني أبو حاتم قال : حدثني الأصمعي قال : أخبرنا أبو عمر وابن العلاء قال : سمع قبائل قديمة طسم وجديس وعهينة ونجم (بالجيم وبالحاء) وجم والعماليق وقحطان وجوهرهم وثمود .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا ابن أبي الزناد عن رجل من جرهم قال : نحن بدء من الخلق لا يشاركنا أحد في أنسابنا يقول من قدمنا فهو لاء قدماء العرب الذين فتح الله ألسنتهم بهذا اللسان وكانت أنبياءهم عربا هود وصالح وشعيب .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه أنه سئل عن هوداً كان أبا اليمن الذي ولد لهم قال : لا أولئك منه أخوال اليمن في التوراة فلما وقعت العصبية بين العرب وغرت مضر بابيها اسمعيل ادعت اليمن هودا ليكون لهم والد من الانبياء . (قال) وأما شعيب من ولد رهط من المؤمنين تبعوا إبراهيم لما هاجر الى الشام ولم يكن يثبت لهم نسب في بني اسرائيل ولم تكن مدين قبيلة ولكنهم أمة بعث اليها فلما بوأ الله اسمعيل الحرم وهو طفل وانبط له زمزم صرت به من جرهم رفقة فرأوا ما لم يكونوا يبعدونه وأخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله ومأمر الله بأدفيه وفيها فقبروا بالمسكان ونزلوه وضمو اليهم اسمعيل فقتلهم ومع ولدانهم ثم أنكحوه فسكلم بلسانهم فقيل لنطق بالعربية الا ان الياء زيدت في الاسم فحذفت في النسب كما تحذف أشياء من الزوائد وغير كما تفسر أشياء عن أصولها والدليل على ان أصل اللسان لليمن انهم يقال لهم (العرب العاربة) ويقال لغيرهم (العرب المتعربة) يراد بالداخلية في العرب المتعلقة منهم وكذلك معنى التفعّل في اللغة يقال تنزّر الرجل اذا دخل في زار وتعضّر اذا دخل في مضر وتقيس اذا دخل في قيس وقال الشاعر:

وقيس عيلان ومن تقيسا

ولو كان كل من تعلم لسانا غير لسان قومه ونطق به خارجا من نسبهم لوجب ان يكون كل من نطق بالعربية من الهجيم عربيا (وسأقول في الشرف باعدل القول وأبين أسبابه ولا أغس أحدا حقه ولا أتجاوز به حده) فلا معنى لنسب في الهجيم ان أدفعها عما تدعيه لها جهلها وأني أعنتها عما تقدم اليها سافاتها وأختصر القول وأقتصر على الصيون والنكت ولا أعرض للاحاديث الطوال في خطب العرب وتعدد ادبياتها وفدات أثرها على ملوك الهجيم ومقاماتها فان هذا وما أشبهه قد كثّر في كتب الناس حتى أخلق ودرس حتى مل لاسيا وأكثر هذه الاخبار لا طريق لها ولا نقلت من الثقة والمعروفين أيضا فتخبر عن

التكلف وتدل على الصنعة وأرجو أن لا يطلع ذو والعقول وأهل النظر منى على إشارهوى ولا تعدم لثوبه وما أتبرأ بعده من العثرة والزلة إلا ان يوفقني الله وما التوفيق إلا به .
وعدل القول في الشرف ان الناس لأب وأم خلقوا من تراب وأعيدوا الى التراب وجروا في مجرى البول وطووا على الاقدار فهذا انسبهم الاعلى الذي يردع أهل العقول عن التعظيم والكبرياء ثم الى الله مرجعهم فتقطع الانساب وتبطل الاحساب الامن كان حسبه تقوى الله وكانت مآنته طاعة الله .

وأما النسب الادنى الذى يقع فيه التفاضل بين الناس في حكم الدنيا فان الله خلق آدم من قبضة جميع الارض وفي الارض السهل والخرن والاجر والاسود والخيث والطيب يقول الله عز وجل : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه والذى خبت لا يخرج الا نكدا)
فجرت طبائع الارض في ولده فكان ذلك سببا لاختلاف غرائزهم ففهم الشجاع والحبان والبخيل والجواد والحي والوقاح والحليم والجول والدمث والعبوس والشكور والكفور وسببا لاختلاف ألوانهم وهيااتهم ففهم الابيض والاسود والاسمر والاجر والاقرش والوسيم واخفيف على القلوب والثقيل والمحب الى الناس من غير احسان والمبغض اليهم من غير ذنوب وسببا لاختلاف الشهوات والارادات ففهم من يميل به الطبع الى العلم ومن يميل به الى المال ومن يميل به الى اللهو ومن يميل به الى النساء ومن يميل به الى الفر وسية .
ثم يختلفون أيضا في ذلك ففهم من يسرع الى فهمه الفقه ويبطئ عنه الحساب ومنهم من يعلق بفهمه الطب وينبوع عنه النجوم ومنهم من يتيسر له الدقيق الخفي ويعتاص عليه الواضح الجلى ومنهم من يتعلم فنانا من العلم فيرسخ في قلبه زخوخ النقر في الحجر ويتعلم ماهو أخف منه فيدرس دروس الرق على الماء ومن طلبه المال من يطلبه بالتجارة ومن يطلبه بالجرابة ومن يطلبه بالسطان ومن يطلبه بالكيمايا فيتلف باطمع الكاذب والتماس الحمال أكلة المال ومن طلبه النساء من يريد الملهفة ومن يريد الضناك ومن يريد الفرة الصغيرة ومن يريد النصف الوثيرة وأعجب من هذا من ربحا حب اليه العجوز قال الشاعر :

عجوز عليها كبرة وملاحة * أقاتنى بالرجال عجوز

عجوز لو ان الماء ملك يمينها * لما تركتنا بالمياه نجوز

ومن أوم الغرائز ان من الناس من يحب الدم كما يحب غيره المدح ويرتاح للهجاء

كأبرناح غيره للثناء ومنهم من يضرب ذم قومه وسب نفسه وآبائه وشتم عشيرته منهم عميرة ابن جعيل التغلبي وهو القائل :

كس الله سي نعل ابنة وائل * من اللؤم اصغاراً بطياً نصوصاً
ومنهم الحرمازي (١) وهو القائل :

ان بني الحرماز قوم فيهم * عجز وتسلط على أخيه
فأبعت عليهم شاعراً يحزيمهم * يعلم منهم مثل علمي فيهم
ومنهم القحيف وهو القائل في أمه :

يا ليتما أمنا شالت نعماتها * إيماء إلى جنسية إيماء إلى نار
ليست بشيبي ولو أسكنتها هجرا * ولا برياً ولو حلت بذى قار
تلهم الوسق مشدوداً أشظته * ككأيماء وجهها قد طلى بالقار
خرقاء في الخير لا نهدي لوجهته * وهي صناع الأذى في الأهل والجار
ومنهم الخطيئة هجاء أباه وأمّه ونفسه فقال في أمه :

تسحق فاقعدى مني بعيداً * أراح الله منك العالمينا
ألم أوضح لك البغضاء مني * ولكن لأخالك تعقلينا
أغر بالإذا استودعت سرا * وكانوا على المتحدثينا
وقال لآبيه :

لحاك الله ثم لحاك حقاً * أبا ولحاك من عم وخال
فبئس الشيخ أنت على الخمازي * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
جعت اللؤم لأحياك ربي * وأبواب السفاهة والضلال
وقال لنفسه :

أبت شفتاي اليوم الاتكلم * بشر فإدري لمن أنا قائله
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه * فقيح من وجه وقبح حامله

وأقرب عينه بن التماس العجلى مادحاً فقال عيئة لوكيله : اذهب معه إلى السوق فلا
يشيرن إلى شيء ولا يسوون به إلا شربته فلهما انصرف عنه قال :

(١) يقال له الكذاب الحرمازي واسمه عبيد الله بن الأعور وقيل له الكذاب
لكذبه اهـ من طبقات الشعراء للأزف

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فبيان لاذم عليك ولاحد

ومن لؤم الغرائز أيضا في الناس ان منهم من يؤثر ربح الكرايس على ربح اليلنجوج ورجح الخشوش على نفحات الورد ، ويحتاج من النساء لذات القبيح والدفر ، ويكسل عن الحسنات العطر ، ومنها ان الرجل يكون في رخاء بعد بؤس وسعة بعد ضيق فيسأم ما هو فيه ويرغب عنه الى ما كان عليه ، وقال اعرابي قدم المصر فحسنت حاله :

أقول بالمصر لماسا في شبي * الاسبيل الى أرض بها جوع

الاسبيل الى أرض بها غرث * جوع يصدع منه الراس برقوع

وهذا وأشباهه من لئيم الغرائز كثير في الامم وهذه الطبائع هي أسباب الشرف وأسباب الخول فذو الهمة نسمو به نفسه الى معالي الامور وترغب به عن الشائتات فيخاطر في طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف في ابتغاء المكارم بكرمته ، ويركب الهول ويدرع الليل ، ويحط الى الخسيس ، وتأبى نفسه الاعلوا حتى يسعد بهيمته ، ويظفر ببغيته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته ، ومن لاهمة له جثامة لئيمته لا كلة وبرضى بالدون ويستطيب الدعة وان أعدم لم يأثم من ذل السؤال والجبان يفر عن أمه وأبيه وصاحبه وبنيه والشجاع يحمي من لا يناسبه بسيفه وبق الجار والرفيق بمحبته والبخيل يبخل على نفسه بالقليل والجواد يحد من لا يعرفه بالجزيل وقال الله عز وجل (فأفلح من زكاه) وقد خاب من دساها) يريد قد أفلح من أنعم نفسه بالمعروف وأعلاها وقد خاب من أسقطها بلئيم الاخلاق وأخفاها وقد يكون الرجل مخالفا لآبيه في الاخلاق وفي الشئان أو في الهمم أو في جميع ذلك لعرق نزعه من قبل أجداده لآبيه وأمه وقال الشاعر :

وأشبهت جدك شر الحدود * والعرق يجرى الى النائم

ومن الناس الشريف الحسب وذلك الذي جمع الى محاسن آيائه محاسن نفسه ومنهم الشريف ولا حسب له وذلك اذا كان لئيم النفس ومنهم من لا شرف له ولا حسب وذلك اذا كان لئيم النفس لئيم السلف

وقال قيس بن ساعدة : لا قضين بين العرب قضية ما قضى بها أحد قبلي ولا يردها أحد بعدي (أبما رجل ربحي رجلا بلاءة دونها كرم فلا لؤم عليه وأبما رجل ادعى كرمادونه لؤم فلا كرم له) يعني ان أولى الامور بالمراء خصاله في نفسه فان كان شريفا في نفسه وآبؤه لكلام لم يضره ذلك وكان الشرف أولى به وان كان لئيم في نفسه وآبؤه كرام لم ينفعه ذلك

ومثله قول عائشة : كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به : وقال الشاعر في مثله :

ومن يك ذا لؤم ومجد بعده * فالولى به من ذاك ما كان أقربا
فاللؤم عودا بعد مجده * ولا مجد معدودا إذا اللؤم عقبا

والحسب مأخوذ من قولك حسبت الشيء أحسبه حسبا إذا عدده وكان الرجل الشريف يحسب ما ثرائه ويعده رجلا رفيعا لقلة حسبه أى آباءه يعدون وفضائل تحسب فالمصدر مسكن والاسم مفتوح كما تقول هدمت الخائط هدمافنسكن المصدر وتقول لما سقط الى الأرض هدم فتفتح الدال من الاسم وكذلك الامم فيها أمة كرم بلبانها كالعرب فانها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتدب والتعابير بالبحل والقدرة والسفة وتتزهد من الدناءة والمذمة وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة وتوجب للعجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما توجب للحميم والشفيق فر بما بذل أحدهم نفسه دون جاره ووقى ماله بماله وقتل حيمه . منهم كعب بن مامة وكان إذا جاره جارفات بعض لحته وداه وإذا مات له بعير أو شاة أعطاها مكان ذلك مثله . ومنهم عمير بن سلمى الخنفي أحد أوفياء العرب وكان له جار غافله أخوه قرين الى امرأته فاشتد الرجل في حفظ امرأته فقتله وكان عمير غائبا فلما قدم وخبر بذلك دفع قرين الى ولي المقتول فقتله واعتذر الى أمه وعظم جرمه فقالت :

تعد معاذرا لا عذر فيها * ومن يقتل أخاه فقد الأما

ومن أعجب أمر في الجوار قصة أبي حنبل حارثة بن مر وكان الجراد سقط بقرب بيته فقصد الحى اصيده فلما راهم قال : أين تريدون قالوا : نريد جارك هذا فقال : أى جبراني قالوا : الجراد فقال : أما أجمعنا موهلى جارافوانة لا نصلون اليه ثم منع منه حتى انصرفوا ففخر بعضهم فقال :

لنا هضبة ولنا معقل * سعدنا اليه بصم الصعاد
ملكناه في أوليات الزمان * من بعد نوح ومن بعد عاد
ومنا ابن مر أبو حنبل * أجار من الناس رجلا الجراد
وزيد لنا ولنا حاتم * غيات الورى في السنين الشداد

وقال قيس بن عاصم يذكر قومه :

لا يفتنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن
وقال مسكين الدارمي :

نارى ونار الجار واحدة * واليه قبل تنزل القدر
ماض جار الى بجاورنى * أن لا يكون لبابه ستر
وقال الخطيب بن محمد محاسن قومه :

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أو فوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جروا بها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها * وان غضبوا جاء الحفيظة والجند
أقلوا عليهم لأبالا بيكم * من اللوم أرسدوا المكان الذى سدوا
ولهم الضيافة عامة شاملة في جميع البادين منهم والايثار على النفس والجود بالموجود
وأفضل العطاء جهد المقل

وقال عثمان بن أبى العاص : لدرهم يخرج به أحدكم من جهد فيضه في حق خير من
عشرة آلاف درهم يخرجها أحدا نغيضا من فيض : ولولا ما تواصوا به من الضيافة
وتحاضوا عليه من الايثار لمات الخير وأبدع به دون غايته وقال ارطاة بن سهية :
وما دون ضيقى من ثلاث حوزة * الى النفس الا ان تصان الحلائل
وقال ابن أبى الزناد : قال عبد الملك بن مروان : ما يسرنى ان أحدا من العرب ولدنى
الاعروة بن الورد لقوله :

وانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى اناؤك واحد
أنهز أمني ان سمئت وان ترى * بجسمى من الحق والحق جاهد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحس قراح الماء والماء بارد
يريد انه يقسم قوته على أضيافه فكانه قسم جسمه لان اللحم الذى ينبت ذلك الطعام
يصبر فيه ويحس قراح الماء فى الشتاء ووقت الجذب والضييق لانه يؤثر بالابن فتوقف على
هذا الشعر وعلى ما فيه من شريف المعانى
وقال آخر :

اذا ما علمت الزاد فالتمس له * أكى لا فاقى غير آكله وحدى
بعيد اقصيا أو قريبا فاقى * أخاف من ذمات الاحاديث من بعدى

فكيف يسبغ المرء زادا وجاره * خفيف الملى بادی الخصاصة والجهد
واعل الطاعن أن يقول في هذا الموضوع: فإن هومن ذكر مرزد وحيد الارقط
وهجائهم بالاضیاف وأین هومن مطاعهم بالخيشة من الحيات والضباب والیرایع والهلز
وشربهم القظ والمجدوح وأكل میاسرهم لحوم الابل حنیدا غیر فضیح ونیا والعروق
والعلاقی وسقط المائدة لا یعافون شیأ ولا یتقدرون أكل السباع ونهش الكلاب ویفخر
عليهم باطعمة اللحم وحلواتها وآدابها على الطعام وكأها بالیارحیین والسكین فاما هذان
الشاعران اللذان بهجوان الاضياف ویصفانهم بكثره الاكل وجودة اللقم فان أحدهما
كان فقیرا ضعیفا الحال فاذا نزل به الضیف لم یجد بدا من ایشاره بقلیل ما عنده أو مشارکته
فيه فی بیت طاریا ویصبح جائعا ویجش صدره بما حل به والشاعر بمنزلة المصدور لا بدله
من أن ینفث فی ستریح الی ذکر لقم الضیف ووصفأ کله وحیدشه قال هو أو غیره یذکر
الضیف :

تجهز حکفاه ویمجد رحلقه * الی الزور ما ضمت الیه الانامل
یقول وقد ألقى المراسی للفری * ابن لی ما الحجاج بالناس فاعل
فقلت له ما ان لم یسطرقتنا * فکل ودع الاخبار ما أنت آكل
أنا ناول لم یعد له سحبان واث * بیانا وعلمنا بالذی هو قائل
وقال یضایذ کر الاضياف :

باتوا وجلتنا الشهرین یدهم * کان أظفارهم فی الساکین
فاصبحوا والنوی عالی معرهم * ولیس کل النوی یلقی المسا کین
أراد من الاضياف من یأكل الثمر بالنوی وهذا یدل علی شدة فقره . وأما مرزد
فكان شرهما فهو ما الشره رفیق البخل وهو القائل :

لبکت بصاعنی صاع عجوی * الی صاع سمن فوقه یتربع
فقلت لبطنی ابشر الیوم انه * حوی أمتا نعو ز وترفع
فان یمک مصورا فهدا دواؤه * وان یمک غرنا فذا یوم یشبع
وقال الحطیئة :

أعددت للضيغان کلبا ضاریا * عندی وفعل هراوة من ارزن
ومعاذرا کذبوا وجهها باسرا * وتشکیا عض الزمان الالزن

وهذا شر القوم وليس من الناس صنف الا وفيه الخير والشر على ذلك أسست الدنيا
وعليه درج الناس ولولا أحدهما ما عرف الآخر وانما يقضى باغلب الامور ويحكمون بأشهر
الاخلاق . وليس في ثلاثة من الشعراء أو أربعة ما هدر مكارم أخلاق آلاف من الناس
وبدد صنائعهم . فهذا كعب بن مامة أثر بنصيبه من الماء رفيقه الهرى حتى مات عطشا .
وهذا حاتم الطائي قسم ماله بضع عشرة مرة ومضى في سفره على عنزة وفيهم أسير فاستغاث به
ولم يحضره شيء فاشتراه من العنزيين بخلافه وأقام مكانه في القدي حتى أدى فداءه . وكل نفر في طي
فهو راجع الى نزار ولهم الجبلان وهما بنجد وأخذهم بأدابهم وتخلقهم بأخلاقهم . وهذا
عدي شاطر ابن دارة الشاعر ماله . وهذا معن في الاسلام كان يقال فيه حدث عن البحر
ولا حرج وعن معن ولا حرج . وأناه رجل يستحمله فقال : يا غلام أعطه فرسا وبرذونا
وبغلا وعيرا وعيرا واربعة ولو عرفت مكرها غير هذا الاعطيتك . وهذا نهيك بن
مالك بن معاوية باع اباه وانطلق بأمانها الى منى فأنهم والناس يقولون مجنون فقال :

لست بمجنون ولكني سمح * أنهم كم مالى اذا عز القمح

وهذا شيء يكثر جدا ويقسم القول فيه ويخرج الكتاب من فيه باستقصائه وكان
غرضنا في هذا الكتاب أن ننبه بالقليل من كل شيء في عيون الاخبار . وأما تعييرهم إياهم
بخبث المطعم كالملحز والحيات وخبث المشرب كالغزو والمجدوح فان هذا وأشباهه طعام
المجاوع والضرورات وطعام نازلة الفقر والفلات وقال الشاعر :

اذا السنة الشهباء حل حرامها

يريدانهم يأكلون فيها الميتة وقال الراعي :

الى ضوء نار يشتوى القدا أهلها * وقد يكرم الاضياف والقديشتوى

وانما كان يكون هذا عيبا لو كانت العرب مختارة له في حالة اليسر كما يختار بعض
الحجم الدباب وبهم عنه غنى والسرطين والدجاج لهم معرضة فاما حال الضرورة فالناس
كلهم يعسرون فن لم يجد اللحم أكل البر بوع والضرب ومن لم يجد الماء شرب المجدوح والفظ
قال الاصمعي : أغبر على ابل حريشة فذهب فركب بحيرة فقيل أتركب الحرام فقال :
يركب الحرام من لاحتلاله وقال الشاعر :

يالتى نعلين من جلد الضبع * كل الخداء يحتذى الحافى الوقع

وما يدلك على ان أهل الثروة منهم على خلاف ما عليه الصعاليك والغتر قول الشاعر :

فالحلم الغراب النابزاد * ولاسرطان النهار البريض

فانتفى من أكل لحوم الغرابان وغيرهما قوما

وقال آخر لامرأته :

أ كنت دما ان لم أرعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فلو كان شرب المجدوح عنده محمود لم يجعل يمينه شرب الدم كما يقول القائل شركت

بأنه ان لم أ فعل كذا وكذا

وقال آخر :

نعاف وان كانت خا صا بطوننا * لباب النقي والجباب المجردا

يريد انه يرغب وان كان جائعا عن أكل الخبز بالنقر الى أكامه بالشحم ونزل رجل من

العرب فقدم اليه جراد فعا فيها وأنشأ يقول :

لحي الله يتقاضى بعد هجعة * اليه دجوجى من الليل مظلم

فابصرت شيخا قاعدا بقنانه * هو العسير الا انه يتكلم

أتانى بريقان الدبا فى انائه * ولم يك فى برق الدبالى مطعم

فقلت له غيب اناك واعتزل * فهل ذاق هذا الا بألك مسلم

وأما أكلهم العلابى والعروق والمحم التى وتركهم طيبة الاطعمة والاطبخة وحسن

الادب عند الاكل فهذه العمري هو الاغلب على من الاغلب عليه الفقر فاما ذوو النعمة

واليسار والاقدار فقد كانوا يعرفون أطيب الطعام ويأكلونها يأخذون باحسن الادب

عليها

فالمضيرة لهم واسمها يدلك على ذلك تطبخ باللبن الماسر وهو الحامض فاشتق

اسمها منه

والمرسة لهم سميت بذلك لانها تهرس أى تدق ويقال للدق المهراس

والوشيقة لهم والعامية تسميها العشيقة سميت بذلك لانها توشق أى تقطع صفارا

والعصيدة لهم سميت بذلك لانها تصد اذا عملت أى تلوى وكل شئ ألويته فقد عصده

ومنه قيل للمائل عنقه عاصد وقال مررد :

لبكت بصامى حنطة صاع عجوة * الى صاع صمن فوقه بتريع

وهذا هو العصيدة وقال أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جده ان :

له داع بمكة مشعل * وآخر فوق دارته ينأى

الى روح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد

وهذا هو الفالوذ وهم أوصف الناس للطعام وألطفهم في ذكره . حدثني أبو حاتم قال :
حدثني الأصمى قال : حدثنا أبو طفيلة قال : حدثنا شيخ من أهل البادية قال : ضفنا
فلانا بحنطة كانتا منا قير النفران وتمر كانتا أعناق الوران يوحل فيها الضرس
وحدثنا الأصمى أيضا عن اعرابي أنه قال : تمرنا خرس فطس يغيب فيه الضرس كأن

نواهن السن الطير تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : قال شيخ من أهل المدينة : فأتاني بمرقة كان فيها
مشقاف لم أرا كبد اطافية فغمست يدي فوجدت مضة فددتها فامتدت حتى كاني أزمز
في ناي . ولهم أطبخة كثيرة ومن أطبختهم الفسانية وهي لانعرفها عامتنا كالخيسة والريكة
واخزيرة واللفيفة تركت ذكرها واقتصرت على ما تعرف وكانوا يقولون : أطيب اللحم
عوده : يريدون أطيبه ماوى العظم كأنه عاذبه . وكانوا يقولون اذا أكلتم فسموا وادنوا
يريدون بادنوا كلوا ما بين أيديكم وكانوا يكرهون أكل الدماغ ويرون استخراجه رغبا
وحرصا وقال قائلهم :

ولا يتقى المخ الذى فى الجناجم

ومن قبائل العرب من يعاف ألية الشاة ويقولون هي طبق الاست وقال قائلهم :

وللوت خير من زيارة باخل * يلاحظ أطراف الا كيل على عمد

وكانوا يعدحون بقلة الا كل وقال أعشى باهلة :

تصكفيه حزة قلذ ان ألم بها * من الشواء ويروى شربة الغمر

ويعيبون بالشرة والنهم والسكل ويقولون للبخیل الا كول ابرماقرونا ير بدانه لا يخرج
مع أصحابه شيئا وبأكل تمرتين وأهل البرم الذى لا يسير مع القوم وقال بعض الرجاز :

تسألنا عن بعلها أى فتى * خب جبان واذا جاع بكى

لاحطب القوم ولا القوم سقى * ولا ركاب القوم ان ضلت بنى

وبأكل التمر ولا يلقى النوى * ولا يوارى فرجه اذا صطفى

كانه غرارة ملاى حشا

وقال الاخنف : جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام فاني أبغض أن يكون الرجل وصافا لبطنه وفرجه

وان من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي وقال قائلهم : اقلل طعاما، نحمد مناما ، وقال أيضا : غلبت بطني فطنتي

وقال عرو بن العاص لما وى يوم حكم الحكمان : أ كثر والطعام فوالله ما بطن قوم الا فقدوا بعض عقولهم ، ومامت عزمة رجل بات بطينا

ومثل هذا كثير لمن تتبعه فكيف تكون المعرفة بالطعام والادب عليه الا كواصفنا فاما تركهم انضاج اللحم فلا أعلمه الا في موضع واحد وهو اذا سافر واوغزوا فانهم يتحدحون بترك الانضاج لجملة الزماع وقال الشماخ :

وأشعث قد قد السفار قيصه * يحجز الشواء بالعصا غير منضج

وقال الكميت :

ومرضوفة لم تون في الطبخ طاهيا * عجلت الى محورها حين غرغرا

ولم يزل الشرب اذا اجتمعوا الاحداث من أولاد الملوك وغيرهم يبادرون بالانشيل قبل النضج

قال اعرابي نحر بعيره وشرب :

علاني انما الدنيا علل * ودعاني من ملام وعذل

وانشاما غبر من قدر يكا * واسقاني أبعاد الله الجلل

وأما كلهم سقط المائدة فانه اكرام للطعام واعظام للنعمة وجنس من الشكر لواهبا ونيله في الزايل استخفاف به واصغيره ونجس بمؤنيه حتى عطيته ، ومن وهب لك شيأ فصفته وعظمته سمحت لك نفسه بالزيادة منه ، وان احتقرته وازدريته كان حريا ان يقطعه والطعام أعظم نعم الله على خلقه بعد معرفته لانه مثبت الروح وعسك الرمق فمن صانه فقد عظم نعمته واستوجب زيادة الله ومن امتنه في غير ما خلق له فقد صغرها واستوجب سخط الله

حدثنا يزيد بن عمر وقال : حدثنا أيوب بن سليمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : ولا أعلمه الا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : اكرموا الخبز

الخبز فان الله سخر له السموات والارض وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم بكل سقط المائدة
ورغبنا فيه

والحجب عندي من قوم نخلتهم الاسلام ونبههم محمد صلى الله عليه وسلم ثم تابعت الاخبار
عنه بشئ أمر به وأنهى عنه فيعارضون ذلك بالعيب وبالطعن من غير ان يعرفوا العلة
ولان يكون لهم في الانكار له نفع أو عليهم في الاقرار به ضرر

وأما كلهم باليارحين والسكين ففسد للطعام ناقص للذنه والناس يعلمون الامن عائد
منهم وقال بخلاف ما تعرضه نفسه ان أطيب أنا كول ما باشرته كف آكله ولذلك خلقت
الكف للبطن والتناول والتقدير من اليد المطهرة ضعف وعجب وأولى بالتقدير من اليد الرقيق
والبلغم والتخاع الذي لا يسوغ الطعام الابيه وكف الطباخ والخباز تباشره والانسان ربما
كان منه أقل تقدر أو أشد أنسا

وأما الشجاعة فان العرب في الجاهلية أعز الامم أنفعا وأعزها حرمها وأجهاها نوقا
وأخسها جانبا وكانت تغير في جنات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها وأخذ
الرهن منها والعجم تفخر بأسورة فارس ومرازبها وقد كان لعمري لهم البأس والتجدة
غير ان بين العرب وبينها في ذلك فرق فمنه ان العجم كانت أكثر أموالا وأجود سلاحا
وأحسن بيتا وأشد اجتماعا وكانت تحارب برياسة ملك وسياسة سلطان وهذه أمور تقوى
المنة وتشد الاركان وتؤيد القلوب وتثبت الاقدام والعرب يومئذ منقطعة ليس لها نظام
ومتفرقة ليس لها لئام وأكثرها يحارب راجلا بالسيف السكيل والرمح الذليل والفارس
منها يحارب على الفرس العربي الذي لا سرج له وعلى السرج الرث الذي لا ركاب له والاغلب
على قتال العجم الرمي والاغلب على قتال العرب السيف والرمح وهما أدخل في الجدد وأبعد
من الفرار وأدل على الصبر

وشجعاءهم في الجاهلية مثل عتيبة بن الحارث بن شهاب صياد الفوارس وبسطام بن
قيس وبجير وعفاف ابني أبي مليل وعامر بن الطفيل وعمر بن ود وأشباههم وفي الاسلام
مثل الزبير وعلى وطلحة ورجال من الانصار وعبد الله بن حازم السلمي وعبد بن الحصين
وقال : ما ظننت ان أحدا يعدل بالف فارس حتى رأيت عباد الليلة كابل وقطري بن الفجاعة
وشبيب الحر وري وأمثال هؤلاء معدد الرمل والحصى ليس منهم أحد اذا أنت توقفت على

أخباره وحاله في شجاعته الاوجدته فوق كل أسوار والرجليون للعرب خاصة

قال ابو عبيدة : رجليو العرب المشهورون المنتشرون وهب الباهلي وسليك بن عير السعدي وأوفى بن مطر المازني وكان الرجل منهم يلحق بالظبي حتى يأخذ بقرنيه وإذا كان زمان الربيع جعلوا الماء في بيض نعام مثقوب ثم دفنوه فإذا كان الصيف وانقطع الغزو غزواهم أهدي من القظافياتون على ذلك البيض ويستثرونه ويشربونه

وحدثني أبو حاتم قال : حدثني الأصمعي أن السليك كان يعد وفتقع سهامه من كنانته بالارض فترتز وكان يقول في دعائه اللهم : اني أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة وقرأت في كتب الجهم أن بهرام جور كان في حجر ملك العرب بالبادية فلما بلغه هلاك أبيه وأن الفرس عزمواعلى أن يملكوا غيره سار بالعرب حتى نزل السواد وطالبهم بالملك وجادلهم عنه حتى اعترفوا له بالحق وملكوه

وقد كان كسرى أغزى بنى شيبان جيشا فاقتتلوا بذي قار فهزمت بنو شيبان أساورة كسرى فهو يوم ذى قار ثم كان من أمر العرب وأمر فارس حين جمعهم الله لقتالهم بالامام وساسهم بالتدبير ما لا حاجة بنا الى الاطالة بذكره اشهرته

ومما يدل على تعززالقوم في جاهليتهم وأنفتهم وشدة حبيبتهم أن ابر ويزملاك فارس وأشد هاسطوة وأنحانافي البلاد خطب الى النعمان بن المنذر احدى بنائه فردده رغبة بها عنه ولم يزل هار بامنه حتى ظفر به فقتله

وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق من الجبابرة المنصور بالطير الا بابل لم يزالوا ولاته وسدته والقائمين لاموره والمعظمين لشعاره وكان يقال لهم أهل الله وجبر أن الله لنزولهم الحرم وجوارهم البيت وكان فيهم بقايا من الخنيفية يتوارثونها عن اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها حج البيت الحرام وزيارته والختان والغسل والطلاق والعنق وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والرضاع والصهر

وقد كان حاجب بن زرارة وقد على كسرى فرأى الجهم ينكحون الاخوات والبنات فسولت له نفسه التماسيهم والدخول في ملتهم فنكح ابنته ثم قدم على ذلك فقال :

لخاله دينك من أغلف * بحمل الخوات لنا والبنات

أجشت على أسرى سوء * وطوفت جيدي بالخزيات

وأبقيت في عنق سسبة * مشاتم يحيين بعد الممات

فتاة تجلها شـيخها * فبس الشيخ ونم الفتاة

ومما كان يقي فيهم من الخنيفة إيمانهم بالملكين الكاتبين حدثني بعض أصحابنا عن عبد الرحمن بن خالد النافذ قال : كان الحسن بن جهور رمولى المنصور خرج الى بعض ولده سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كتابا كان لعبد المطلب بن هاشم كتبه بخطه فاذا هو مثل خط الفداء واذا هو باسمك اللهم ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الجبري من أهل زول صنعاء عليه ألف درهم فضة طيبة كيلا بالخدمة ومتى دعاهم أجا به شهد الله بذلك والملكان : وقال الاعشى :

ولا تحسبني كافرالك نعمة * على شاهدي يا شاهد الله فاشهد

قوله على شاهدي أى على لسانى شاهد الله يعنى الملك

ومن ذلك أحكام كانت في الجاهلية أقرها الله في الاسلام لا يبعد أن تكون من بقايا دين اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها دية النفس مائة من الابل ومنها اتباع حكم المال في الخنثى ومنها اليئونة بطلاق الثلاثة وللزوج على المرأة في الواحدة والاثنين فهذه حاظا في الجاهلية مع أحوال كثيرة في العلم والمعرفة سند كرها جملها بعد ان شاء الله ثم أتى الله بالاسلام فابتعث منها النبي صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء وخاتم الرسل وناسخ كل شرعة وحائز كل فضيلة ونشر عدها وجمع كلتها وأمدّها بملائكته وأيدها بقوته ومكن لها في البلاد وأوطأها رقاب الامم وجعل فيها خلافة النبوة ثم الامامة خالدة تالدة حتى يأتي المسيح صلى الله عليه وسلم فيصلى خلف الامام منها فاردة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها وخطبها وهي يومئذ لا يحجم فيها فقال (كنتم خيرا أمة أخرجت للناس) فلها فضل هذا الخطاب والام طراد اخلافة عليها فيه وأما قوله لبني اسرائيل : (وفضلتكم على العالمين) فانه من باب العام الذي أريد به التخاص كقوله حكاية عن ابراهيم (وأنا أول المسلمين) وحكاية عن موسى (وأنا أول المؤمنين) وقد كانت الانبياء قبلهما مؤمنين ومسلمين فاعلم ان ما أراد موسى زمانه وكذلك قوله (وفضلتكم على العالمين) يريد على زمانهم وقوله لفرش : (أ هم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) ليس فيه دليل على ان أهل اليمن خير من قريش في الحسب ولا انهم مثلهم وهم من ولد ابراهيم صلى الله عليه وسلم ومن القرية التي اصطفى الله على العالمين

وليس لليمن والد من الانبياء دون نوح وانما خاطب الله بها مشركي قريش وعظهم عن قبلهم من الامم اهل الكعبة لخصيته وحذرهم أن ينزل بهم مثل ما أصابهم فقال (أهم خير) من أولئك الذين كانت فيهم التبابعة والملوك ذوى الجنود والعديد فاهلككناهم بالذنوب والخير قد يقع في أسباب كثيرة يقال هذا خير الفارسين يريد أجلدهما وهذا خير العودين يريد أصلبهما وكانت قريش كما قال الله قليلا فكثرهم ومستضعفين فأيدهم بنصره وخائفين ان تتخطفهم الملوك فآمنهم بحرمه بما رخصه لهم وأراد من تمكينهم واعلاء كلمتهم واظهار نوره لهم وتغيير عمالكم الامم لهم ومن ذامن المسلمين يصح اسلامه ويصح عقده يقدم على قريش أو يعادل بها وقد قضى الله لها الفضل على جميع الخليقة اذ جعل الائمة منها والامامة فيها مقصورة عليها لأن تكون انبياءها والامامة هي التقدم وهذا نص ليس فيه حيلة لتأول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الائمة من قريش) وروى وكيع عن الاعمش عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس تبع لقريش في الخير والشر وروى وكيع عن سفيان عن ابن خشيم عن اسمعيل عن عبد الله عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قريشا أهل صبر وأمانة فمن بغاهم الغوائل كبه الله لوجهه يوم القيامة وروى عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن سهل بن أبي حنيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تعلموا من قريش ولا تعلموها وقد موافقريشا ولا تؤخروها وروى يزيد بن هرون عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن طلحة بن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان لقريش قوة رجلين من غير قريش قيل للزهري ما معنى بذلك قال : فضل الرأي قال : وكان يقال قريش الكتبة الحسبة ملح هذه الامة علم عالمها طباقي الارض وحدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن أبيه عن ابراهيم عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يقوم من أحد الا لما شئى وحدثني يزيد بن عمرو قال : حدثنا نصر بن خلف الضبي قال : حدثنا علي بن عبد الله بن وثاب المدني عن مطرف بن خويلد الهذلي قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا وهو يقول :

أني امرؤ مجربى حين نفسي • لا من ربيعة أبائي ولا مضر

فقال : ذاك أصرع لحدك وأبعدك من الله ورسوله

وحدثنا محمد بن عبيد قال : حدثنا أبو زيد شجاع بن الوليد قال : حدثنا أبو قابوس

ابن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قال : قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداي الله قال :

لا تبغض العرب فتبغضني

وروى محمد بن بشر العبدي قال : حدثنا أبو عبد الرحمن عن حصن بن عمير عن مخارق

ابن عبد الله بن جابر عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي

وروى حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا اختلف الناس فالحق في مضر

وروى أبو نعيم عن الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب

ابن أبي وداعة والمطلب بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خلق الخلق

فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقا فجعلني في خيرهم فرقة وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة

وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا

ثم يتناول العرب في شرف الطرفين أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة فانهم لم يزالوا

في أكثر ملك الحزم لقاحا لا يؤدون إلى أحدنا ولا خراجا وكانت ملوك الحزم قبل ملوك

الطوائف تنزل بلخ • ثم نزلوا بابل ثم نزل ازدشير بابك فارس فصارت دار ملكتهم وصار

بخراسان ملوك الهياطة وهم الذين قتلوا فيروز بن بزدجود بن بهرام ملك فارس وكان

غزاهم فكادوه في طريقه بمكيدة حتى سلك سبيلا معطشة مهلكة ثم خرجوا إليه فأسروه

وأكثر أصحابه فسألهم أن يمنوا عليه وعلى من أسرمه وأعطاهم موتة من الله أن لا يغزوهم

ولا يجوز حدودهم ونصب حجر بينهم وبين بلادهم جعله الحد الذي حلف عليه وأطلقوه فلما

عاد إلى مملكته أخذته الانفة والحية بما أصابه فعاد لغزوهم ناكثا لا يمانه غادر ابذمتة وحل

الحجر الذي كان نصب أمامه في مسيره بتأول أنه ما تقدم الحجر فإنه لم يجزه فلما سار إليهم ناشدوه

الله وأذكروه ما جعل على نفسه من عهده وذمته فإني الإلحاجا ونكشافوا قهوه فقتلوه

وقتلوا جانه وكأنه واستباحوا عسكره وأسر واضعته ولبشوا في أيديهم أسرى ثم أعتقوهم وأطلقوهم وغبروا بعد ذلك زمانا طويلا وقتلوا كسرى ابن فيروز وهذا شيء يخبر به عن فارس فيما دونوا في سيره لو كهم من أخبارهم ومن أقر بهذا على نفسه عدوه وأباحه لخصمه فإظنك بما ستر وزير من أمره

وكان فيما حكى كوامن الكلام له اثر بين ملك الهياطلة وبين فيروز كلام أحببت أن أذكره في هذا الموضع لأدل به على حكمة القوم وحزمهم في الأمور وعلمهم بما يكيد الحروب قالوا : لما التقى الفريقان ثم تصافوا للقتال أرسل اخشنوار ملك الهياطلة الى فيروز أن يسأله ان يبرز فيما بين الصفيين ليحكمه فخرج اليه فقال اخشنوار : قد ظننت أنه لم يدعك الى مقامك هذا الا لانهم بما أصابك ولعمري الآن كنا احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمت منا أعظم منه وما ابتدأناك ببني ولا ظلم ولا أردنا الا لدفعك عن أنفسنا وسحرنا واقعد كنت جدبرا ان تكون من سوء مكافأتنا عليك وعلى من معك ونقض العهد والميثاق الذي أكدت على نفسك أعظم أنقا وأشد امتعاضا بما لك منافاة أطلقناكم وأتم أسارى ومننا عليكم وأتم مشرفون على الهلكة وحقن دماءكم وبنوا على سفكها قدرة وانما نخبرك على ما شرطت لتابل كنت الراغب اليها فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك ومثل بين هذين الامرين فانظر أيهما أشد عارا وأقبح سمعا ان طلب رجل أمر فلم يتح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغية واستمكن منه عدوه على حال جهده منه وضيقه من معه فن غلبهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطلحوا عليه فاصطبر بلكر والقضاء واستعجيا من القدر والنكت أم ان يقال نقض العهد وختر بالميثاق مع اني قد ظننت انه يزيدك الحاجة ما تنق به من كثرة جنودك وماتراه من حسن عديتهم وما أجدني أشك في انهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم عارفون بانك قد جلتهم على غير الحق ودعوتهم الى ما يسخط الله فهم في حو بنا غير مستبصرين ونياتهم اليوم في مناصحتك بدخولة فانظر ما غناء من يقال على هذه الحالة وما عسى أن تباع نكايته في عدوه اذا كان عارفا انه ان ظفر قمع عاروان قتل قال الذار

فأنا أذكرك الله الذي جعله على نفسك كفيلا ونعمتي عليك وعلى من معك

بعد يأسكم من الحياة واشرافكم على الممات وادعوا الى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء
 بالعهد والاقتداء بآياتك الذين مضوا على ذلك في كل ما أحبوا أو كرهوا فاجدوا عواقبه
 وحسن عليهم أثره ومع ذلك انك لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لبغيتك فينا وانما
 التمس منا أن نرا التمس منك مثله وتبادى عدو العله يمنح النصر عليك فدونك هذه
 النصيحة فبالله ما كان أحدم من أصحابك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها ولا يحرمك
 منفعتها مخرجها منى فإنه لا يزرى بالنافع عند ذوى الرأى أن تكون من الاعداء كما لا يحب
 المضار اليهم أن تكون على أيدى الاولياء ونحن نستظهر بالله الذى اعتذرنا اليه وثقنا
 بما جعلت لنا من عهده اذا استظهرت بكثرة جنودك وازدهتك عدة أصحابك واعلم أنه
 ليس يدعونى الى ما تسمع من مقاتلى ضعف أحسه من نفسى ولا قلة من جنود ولكنى
 أحيت أن ازداد بك حجة واستظهارا وازداد به للنصر اه

رسالة رشيد الدين الوطواط

فيما جرى بينه وبين الامام الزمخشري من المناورات
عني بنشرها أحد بك تيمور

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العلامة رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري المشهور بالوطواط الى
الامام سيد الدين بن نصر الحافى :

طلبت مني زينك الله تعالى بأنوار المزاي ، وجمالك من كل حادثة ملحة ، وكل طارقة
مهمة ، ولا أخلاك من نحر نجتبه ، وجيلى ذكرتك نسيه ، وجزيل أجرتك نسيه ، وأثر
جهل نجتبه ، أن اهدى اليك ، وأملى عليك . ما قال جارتك سقى الله ثراه فى كتاب
الكشاف فى وجه انتصاب شهر رمضان وما قلته من الاعتراض على كلامه واستبعاد مدعاه
عن مرامه مما جرى بيني وبين أعز أصحابه أفضل القضاة يعقوب الجندى من السؤال
والجواب وهأنام طبق فيما أقوله مفصل السداد والصواب وقد ذهب من عندي الى جاراتك
وأخبره بما قلت فانصف وانصت وأبدى خضوع الاستماع والصدق وانباغ الحق وقال له :
ذكرنى هذا الامر بعض أيام فراغى حتى أصلح من كتابى هذا الفصل وأغير هذا
القول فانه غلط شنيع وخطأ فظيع الا أنه مرض فى تلك المدة ونزلت به المنية ، وما حصلت
ذلك الامنية

وقد علم كل من شاهد أحوالى مع جارتك فى كنت عنه معظم القدر مفخم الامر
مقبول الكلمات ، متبوع الاشارات ، لم يرمنى كلمة فى أى علم الاقيدها بينانه ، وضبطها
فى جنانه ، وأثبتها فى دقاته ، وأحكمها فى خواطره ، وعددها غنيمة من غنائم عمره ،
ونجيمه من تمام نحره : وقد جرى بيني وبينه فى حياته ، وأوقات راحته ، مما يتعلق بقنون
الادب ، وأقسام علوم العرب ، مسائل أكثر من أن يحصى عددها أو يستقصى أمدها
رجع فيها الى كلامي ، ونزل على قضيتي وأحكامي ، فالسعيد من اذا سمع الحق سكنت
شفاشقى لجابه ، وسكنت صواحقى حجاجه

فإنها مسألة الظبي التى هى جمع ظبة فانه يكتب بخطه انها من ذوات الياه وأصلها ظبية
فقلت

فقلت انا : انهم من ذوات الواو وأصلها ظبوة فلما امتدت المناظرة ، واشتدت المذاكرة ، بعثت اليه كتاب الصحاح يصدق قولي فهبجن الكتاب وقال انه محشو بالتحريفات ، مشحون بالتصحيفات . فبعثت اليه سر الصناعة لابن جنى فقال : هو رجل وأنارجل فبعثت اليه كتاب العين فوضع للحق عنقه ، وسلك مناهج الانصاف وطرقه ، واسترد خطه ومزقه تمزيقا ، وخرقه تخريقا ، بمرأى ومسمع من صدر الأئمة ضياء الدين أدام الله اجلاله ، وزاد اقباله

ومنها مسألة كلا الرجلين اذ كتب في حالة الجرح والاضافة لظاهر بالالف فقلت الصواب ان يكتب بالياء وأبدت قولي بنص ابن درستويه في كتابه الموسوم بكتاب الكتاب وجري هذا بحضرة الامام الاجل زين المشايخ البقالى أدام الله سعاده ، وحرس سيادته ومنها مسألة نسر وفرق في تشبيهما بغير ألف ولام في شعري فأنكره وقال : لا يجوز هذا في الشعر ولا في غيره فأرى به ذلك في شعر المعري وأبى تمام فقال : أخطأ حتى أراه سلمان يتيه ، وصدى صوته ، الامام نحر الاسلام المؤذى ذلك في شعر الاعشى فعند ذلك لانت خشوته ، وسهلت خزوته

ومنها مسألة الجمع بين الضرب المحذوف والضرب الصحيح في شعر واحد من الطويل وقم له في ديوانه في قوله ،

جوار فر يد العصر خير جوار * ودار فر يد الدهر أكرم دار

ثم قال :

فله من جار حردنا جواره * ولله من فرد لله من دار

فضرب الاول محذوف وضرب الثاني صحيح ولا يجوز اجتماعهما في هذا البحر باتفاق العرب وضيئ فلما نبهته لهذا على لسان تلميذه المحسن الطالقة في طلب ديوانه وغيره هكذا (ولله من نار وموقد نار) فاستقام وزنه

ومنها مسألة الحادي عشرة والثانية عشرة

ومنها مسألة التهجئة ومنها مسألة تجريد الامالة ومنها مسألة ادخال الوليد بن الوليد في جملة الكفرة من أولاد الوليد بن المغيرة وسيأتي ذكره في رسالته الى الخاتمى ولو نقلت ما في كتابي من المعكنونات ، ونثرت ما دخرت في خزائن المنخرنات ، طال الكلام ، وكنت الاقلام ، وانما ذكرت هذا القدر اليسير لي لم قتيان هذه الخطة

ان هذا الامام كان صبوراً على سمرارة الحق ، وحرارة الصدق ، مع انه رب هذه البضائع ، وصاحب هذه الوقائع .

فصل قوله قرأ أبي شهر رمضان بالنصب على تقدير صوموا أو على الابدال من أياما معدودات أو على انه مفعول أن صوموا وأقول قولاه الاولان صحيحان لامطن فيهما وأما الثالث فوضع بحث اذ لا يجوز مثله البتة لانه لو كان كازعم كان شهر رمضان تمة لان صوموا وان كان مجموعها في حكم مبتدأ واحد وصار تقديره صوم رمضان خير لكم وليس بجائز أن تجعل المبتدأ نصقين وتفصل بينهما وتدخل الخبر في وسطهما ما أن يكون خبرا لمبتدأ متأخر عن المبتدأ وهو الاصل أو مقدما عليه بشرط التعريف وغيره من الشروط وهذا هو الفرع واما أن يكون واقعا بين شرط من المبتدأ أفليس من كلام العرب كقول القائل لمن ينفعه اللحم : أن تأكل اللحم خير لك صحيح وقوله : خير لك ان تأكل اللحم صحيح فاما قوله أن تأكل خير لك اللحم فغير صحيح وهذا قول الذي استحسنه جارا لله والله أعلم بكتابته ، واعرف بأسرار خطابه

وقد كتبت هذه الرسالة فعليك بحفظها عن هؤلاء الذين لا يفهمون الدقائق ، ولا يعلمون الحقائق ، فاني حررتها لامثالك من ذوى الفهم والهداية ، وأشكالك من أولى العلم والدراية ، لاهؤلاء الذين عميت أبصارهم وبصائرهم ، وصدئت أفكارهم وخواطيرهم ، فان رياض العلم لا تنفع للمجانين ، وحياض الرحمة لا تدفق للشياطين ، والسلام

منتخب من عهد ازدشير بن بابك الملك

في السياسة

عني بنشره أحمد بك تيمور منقولاً عن نسخة كتبت سنة ٧١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من ملك الملوك ازدشير بن بابك الى من يخاف من الملوك

السلام عليكم ان من أخلاق الملوك الانفة والجرأة والبطر والعبت وكلما دامت سلامة الملك في ملكه قوت هذه الاخلاق عليه حتى يغلب عليه سكر الملك الذي هو أشد من سكر الخمر فيظن انه قد آمن من التكببات والعثرات فيبسط يده ولسانه بالقبيح فيفسد باعتياده جميع ما أصلحه الملوك قبله فتعود المملكة خراباً .

وأفضل الملوك الذي يتذكر في عزه الذل وفي أمنه الخوف وفي قدرته العجز فيجمع بين بهجة الملوك وحذر الرعية ولا خير الا في جمعهما فان رشاد الملك خير من خصب الزمان

الدين أساس الملك . والملك حارس الدين . فلا يقوم أحدهما الا بالآخر

اياكم أن تهاونوا بمن يطلب الرئاسة باظهار الزهد والغضب للدين فما اجتمع الناس على رئيس في الدين الا انتزع ما في يد الملك من ملكه فان الناس الى رئيس الدين أميل . فتعهدوا طبقات الناس وتفقدوا جماعاتهم فان فيهم من قد حقرتم وجفونتم

واذا أذن الملك للعقلاء من مناصحي دولته في انتهاء ما يتجدد عندهم من النصائح التي لا يعلمها خواصه أو يعلمونها ويكتمونها انفتحت له أبواب من الاخبار المحجوبة عنه فيحذر وزراؤه وخواصه من الاتفاق على ما يستر ونه عنه ولا يقدمون على أمر يكرهه خوفاً من أن يطاع به فيأمن مكايدهم وتسلم الرعية من ظلمهم

ومن غلبت عليه خواصه حتى منعوا عنه الناس فلا يصل اليه الامن يحبون أطبقت ظلم الجهالة عليه

ولا ينبغي للملك أن يعتقد ان تعظيم الناس له هو بترك كلامه والان اجدا لهم له هو

بالتباعد عنه ولا ان محبتهم هي بموافقة على جميع ما يحبه وانما تعظيمهم له بتعظيم عقله وصواب سياسته واجلالهم له اجلال منزلته من الله بما يحريه على يده ولسانه من العدل ومحبتهم له بما يتألفهم بكرم خلقه وصادق المحبة هو الذي يعينه على العدل وحسن التدبير بمحض النصيحة

ان في الرعية وحلة السلاح من الاهواء الغالبة والفجور ما لا بد للملك معه من أن يقرن بباب الرأفة باب الغلظة وباب الانعام بباب الانتقام فان القصاص من المفسدين حياة لبقية الامة . ومن لم يقم حدود الله تعالى فيمن له فيه هوى لم تثبت هيئته في قلوب الخاصة والعامة ولن يستطيع الملك أن يقوم العامة حتى يقوم الخاصة

وان من كان من الملوك فلينا قدر تبوا الناس أربع طبقات فالامراء والجنود صنف والعباد والفقهاء صنف والكتاب والحكام صنف والتجار والفلاحون صنف فلم يكتفوا صنفانها أن يدخل في الصنف الآخر لتتفرغ كل طبقة للقيام بما يلزمها وليس أضر على الملك من رأس صار ذنباً أو يد مشغولة وجدت فراغاً من شغلها وخير الملوك من بحث العيون على نفسه ليعلم عيوبها فيكون أعلم بعيوب نفسه من غيره ثم يجتهد في مداواة عيب بعد عيب حتى لا يجد أحدهم مطعناً فهذا الذي تمت سيادته وان ابتهاج الملك المسدد الرأي القاهر طواه بوفور عقله وشرف نفسه بارتفاعها من النقائص أعظم من سروره بملكه

ومن الرعية من يقارب الملك في مأكله وملبسه وشهوته وليس فيهم من يقدر كقدره على اجتناء المحامد واصلاح الرعية بالعدل عليها وتأمين السبل وصيانة الحرم وكف أيدي الظالمين فاجتهدوا معشر الملوك في بسط العدل الذي لا تقدر عليه الرعية وتنافسوا في اقتناء الذكر الجليل

وليس للملك أن يبتخل فانه لا يخاف الفقر واذا عرف بالبخل انقطع الرجاء من خبره فانسلت الايدي من طاعته ولا يجتهد أحد في خدمته وانحلت النيات عن مناصحته ولا ينبغي له أن يغضب لان الغضب مع القدرة يوجب السرف في العقوبة ثم يعقب الندامة مع ما فيه من الطيش والخفة وقبح السمعة ولا ينبغي له أن يلعب لان اللعب واللعب من أعمال الفراغ والفراغ من عمل السوق وفي ذلك من ذهاب الوقار واسقاط الهيبة ما يتنافى جلال السيادة

وليس له أن يحسد الاملوك الام على حسن التدبير واصابة السياسة ومكارم الاخلاق ولا ينبغي له أن يجبن عند وجوب الافدام فان الشجاعة عز وهي من أهم شروط الملك زين الملك أن يحفظ نظام أوقاته المقدرة لاشغاله وركوبه وراحة يده فتكون معينة لا تختلف فان في اختلافها خفة وليس للملك أن يخف ويبنى أن يكون حذره لمن بعد عنه أكثر من حذره لمن قرب منه وان يتقى بطانة السوء أشد من اتقائه لعامة السوء

ومن الناس صنف أظهر وا الزهد في الجاه ولم يتقر بواب الخدمة وادعوا التواضع وهم قد أسروا التكبر واستدعوا الى أنفسهم الجاه بوعظ الملوك وقد ينفعهم ذلك عند المغفلين فيقربون منهم من حسن ظاهره وتلطف حتى اعتقدوا صوابهم تعظيمه وان كان ناقصا في عقله عبد الشهواته متهاقنا على الرئاسة فان أسكنه الملك قيل قد استقل الموعظة وان أطلق لسانه قال بوعظه بين الملاء ما أفسد حال الدولة فالرأي أن لا يهمل الملك أمر هذه الطائفة فانهم أعداء الدول وآفات قوية على الملوك

اعلموا انه لا بد لكم من سخطه على بعض أنصاركم ونصاحكم وأعدائكم ولا بد من رضى يحدث لكم عن بعض أعدائكم المعروفين بالغش لكم فاذا فعلتم ذلك فلا تنقبضوا عن المعروف بالنصيحة ولا تسترسلوا الى المعروف بالغش وقد خلفت عليكم رأيي اذ لم أقدر على تخليف بدني فاقضوا حق بالتمسك بعهدي والسلام على أهل الموافقة من يأتي عليه هذا العهد من الامم .

كتاب الادب والمروءة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين قال صالح بن جناح * اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسما وتسمى بالشيء الواحد أشياء فاذا سمعنا ذكر شيء فاذكره باحسن أسمائه فان ذلك من المروءة وانما المرء بمروءته فالمرءة اجتناب الرجل ما يشينه واجتناب ما يزينه وانه لا مروءة لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا عقل له ولا عقل لمن ظن ان في عقله ما يفتنه ويكفيه عن غيره وشتان ما بين عقل وافرعه خسون عقلا كلها وافر مثله وأوفر منه ومن عقل وافر لاقادة معه وفي ذلك أقول شعرا

وما أدب الانسار شي كعقله * ولا زينة الاجسن التأدب

وقال ان الافدة مزارع الالنس فنهاما ينبت مازرع فيه من حسن ولا ينبت ما سمج ومنها ما ينبت ما سمج ولا ينبت ما حسن ومنها ما ينبت جميع ذلك ومنها ما لا ينبت شيئا وان من المنطق لها هو أشد من الحجر وأنفذ من الابر وأمر من الصبر وأحر من الأسنة وأنكد من زحل ولربما احتقرت كثيرا منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ما هو أحر منه وأمر وأفزع وأنكد وفي ذلك أقول شعرا

لقد أسمع القول الذي كاد كلنا * يذكر فيه الدهر قلبي يصدع

فايدي تلن أبداه منى بشاشة * كافي مسرور بما منه أسمع

وما ذاك من عجب به غير اتنى * أرى ان ترك الشر للشر أقطع

وقال في ذي الوجهين من أظهر ما نحب أوتكره فانما يقاس ما أضرب بما أظهر لانك لا تقدر أن تعرف ما أسر وقال

ليس المسىء اذا تغيب سوءه * عندي بمنزلة المسىء المعلن

من كان يظهر ما أحب فانه * عندي بمنزلة الامير المحسن

والله أعلم بالقلوب وانما * لك ما بدالك منهم بالأسن

ولقد يقال خلاف ذلك اما * لك ما بدا لك منهم بالاعين
وقال في الصدود ا ما بعد فقد ا حضررتي من صدك ما آتستى من ودك ولم يزل يجرى
في لحظك ما يدخلنى في رفضك ويدلنى على غل صدرك وفي ذلك أقول شعرا
نظل في قلبه البغضاء ككامة * فاقالب يكتنمها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محبتها * من كان من حزبا أو من يعادها
عينك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاها ما كنت أدريها
ان الامور التي تخشى عواقبها * ان السلامة منها ترك ما فيها
وقال في كثرة المال وقلته لا تستكثر مال أحد ولا تستقله حتى تعلم ما عياله فان
من كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر

وقال في ذكرا الاحق ودخوله فيما لا يعنيه : وأ كثرهم دخولا فيما لا يدخل فيه وأرضاهم بما
لا يكفيه - عدوه أعلم بسره من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه ولا يثق بمن نصحه
ولا يثق من خدعه ولا يأمن الا من يخونه ولا ينصف الا من يحفظه ولا يكرم الا من
يهمنه أشبه شئ خلقا بالثيم ان أحسنت اليه لم يشكر وان أسأت اليه لم يشتر لا ينفعك من
وجه الاضرك من وجوه : ان أقبل عليك لم يسرك وان أدبر عنك لم يضرك ان أفسد شئاً
لم يحسن ان يصلحه وان أصلح شئاً أفسده ان أحببته فرأى منك حسنا لم يحسن ان يفسره
وهو مع ذلك بخطئه أشد اعجابا من العاقل بصوابه ان جلس الى العلماء لم يزد الا جهلا
وان جلس الى الحكماء لم يزد الا طيشا وانما جعل نفسه المحدث لهم يكلفهم أن يكونوا
المنتمين له أعيال الناس اذا تكلم وأبداهم اذا تعلم وأصحبهم لمن يشينه وأرفضهم لمن يزينه
وأشدهم في موضع اللين وألينهم في موضع الشدة وأجبنهم في موضع الشجاعة ان افتقر
عجب من الناس كيف يستغنون وان استغنى عجب من الناس كيف يقتفرون لا يفهم ان
حدثته ولا يفقه ان أفهمته ولا يقبل ان وعظته ولا يذكر ان ذكرته وفي ذلك أقول
شعرا

المرء يصرع ثم يشقى دأؤه * والحق داء ليس منه شفاء

والحق طبع لا يحول مركب * ما ان لاحق فاعلمن دواء

وقال في ذكرا الهوى : ان من الناس من اذا هوى عى ومنهم من اذا هوى أبصر مرة
وعى أخرى ومنهم من اذا هوى لم يكذب يخفى عليه شئ وهو الليب العاقل الحليم الكامل

الذى ان أعجبه أمر نظر الى هواء وعقله فان اتفقا اتبعهما وان اختلفا اتبع عقله وترك هواء وكان أمره معتدلا يشبه بعضه بعضا وقليل ما هم وفي ذلك أقول شعرا .

املك هواك اذا دعاك فرما * قادا الحليم الى الهلاك هوا
الله يسعد من يشاء بفضله * واذا أراد شقاءه أشقاء

وقال ايضا في اناس تحسن وجوههم عند حاجاتهم وتغير وجوههم عند غناهم شعرا

أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم اليانا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن اوجهم علينا
ومنهم من سيمنع ماله * ويغضب حين يمنع ماله منا
فان يك فعلهم شحا وفعلى * قبيح مما مثله فقد استورنا

وقال فيمن فعل أمر الا يحسن ان يحتمل له : اعلم ان من قاتل بغير عدا أو خاصم بغير حجة أو صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخضم نفسه وقتل نفسه فان ابتليت بقتال أحد أو خاصمته أو مصارعته فأحسن الاعداد له واعرف مع ذلك عدته وأبصر حجته واخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك فان رأيت تقدما والا كان التأخر قبل التقدم خيرا من التندم بعد التقدم وفي ذلك أقول شعرا

اذا ما أردت الامر فأعرفه كله * وقه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو صالما من ندامة * فلا خير في أمرأتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة أو عدة أو قوة فتحكون عدته هي التي تقتله وقوته التي قصره وحجته التي تخسره وذلك انه ربما أدل فقاتل قبل ان يعلم أهو أعدا أم الذي يقاتله وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه فاذا هو قد قتل أو صرع أو خضم فلم ينفعه جودة عدته ولا قوة حجته حين أتى الامر من غير جهته وفي ذلك أقول

اذا ما أتيت الامر من غير وجهه * تصعب حتى لا ترى منه مرثقا
فان الذى يصطاد بالفخ ان عتا * على الفخ كان الفخ أعنى وأضيقا

وقال في الذى يعاتب الناس بغير مودتهم ويوجب حق نفسه عليهم : لا تدع الناس الى برك واجلال أمرك وتعظيم قدرك بالمعاقبة ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجبهم منهم وانظر الامر الذى أكرم به من هو أبعد منك وقرب به من أنت أقرب منه فالزمه فانك ان تلزمه لم تحتاج معه الى معاقبة ولا استبطاء حتى لانك ان دعوتهم الى تكرمك بغير

فانستوجب التكرمة به فاعمد دعوتهم الى اهاثتك اما بكلام يحركك واما بفعال تفدحك
وان دعاهم الى ذلك فضلك أجابوا اما بثناء يرفعك أو بجزاء ينفعك
وقال في معرفة الاخوان انك لن تعرف أخاك حق المعرفة ولن تجربته حق التجربة ولن تجرب به
حق التجربة وان كنتما في دار واحدة حتى تسافر معه أو تعامله بالدينار والدرهم وتقع في شدة
أو تحتاج اليه في مهمة فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته فانظر فان كان أكبر منك فالتخذه أبا
وان كان أصغر منك فالتخذه ابنا وان كان مثلك فالتخذه أخا وكن به أوثق منك بنفسك في بعض
المواطن وقال كن من الكريم على حذر ان أهنته ومن اللئيم ان أكرمته ومن العاقل
ان أسرجته ومن الاحق ان مازحته ومن الفاجران عاشرته ولا تدل على من لا يحتمل
ادلالك ولا تقبل على من لا يحب اقبالك وكن حذرا كأنتك غر وكن ذا كرا كأنتك
ناس والزم الصمت الى أن يلزمك التسكلم فإكثرت من يندم اذا نطق وأقل من يندم اذا
لم ينطق واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة منطقتك وقلة زلللك وسعة عفوك وقلة
حيلتك ومنفعة قوتك وحسن تخلصك واعلم أن بعض القول أغمض من بعض وبعضه
أبين من بعض وبعضه أخشن من بعض وبعضه ألين من بعض وان كان واحدا فان
الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو أخشن من الحديد وان الكلمة الخشنة لتخش من
القلوب ما هو ألين من الحرير وان أعظم الناس بلاء وأدومهم عناء وأطولهم شقاء من
ابتلى بلسان مطلق وفؤاده مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت واعلم ان
ليس يحسن أن تجيب من لا يسألك ولا تسأل من لا يجيبك وفي ذلك أقول شعرا (١)

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تخمي صفوه ان يكدر

ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدر

وقال في الرفق بالدواب ان رفق الرجل بدوابه وحسن تعاوده لها وقيامه عليها
عمل من أعمال البر وسبب من أسباب الغنى ووجه من وجوه المروءة وقال التدبير مع المال
القليل خير من المال الكثير مع سوء التدبير وانما المنفقون ثلاثة جواد مبذر وكريم
مقدر ولئيم مقتر وفي ذلك أقول شعرا

رب مال سينم الناس فيه * وهو عن ربه قليل الغناء

كان يشقى به وينصب حيناً * ثم أمسى لعشر غراباً

(١) نسبة هذين البيتين الى نفسه من قبيل الوهم فانها من قصيدة النابغة الجعدي

ماله عندهم جزء اذا ما * أنعموا فيه غير سوء الثناء

رب مال يكون غما وذا * وغنى يعد في القسراء

وقال في تصنيف الطعام اذا كنت ممن يؤكل طعامه وتحضر مأثدته ويؤكل معه فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من ألب الناس في عمله وأنظفهم في يديه ولا تدع اعلامه ان أحسن ولا تذاره ان أساء فان تعبتك عليه خبر من تعبت الناس عليك واعلم ان لكل شئ غاية وان غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنقاء والاكثر من الماء حتى يستوى اليدان والرجع والنظر فانه لا طيب أطيب من الماء ولوانه المسك ومأشبهه من الاشياء وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء أثوابه وانما يكون التقدر في الحقي من الرجال والنساء وبه يستدل على بلادهم وفي ذلك أقول شعرا

ولا خير قبل الماء في الطيب كله * وما الطيب الا الماء قبل التطيب

وما أنظف الا حار في كل مطعم * وما أنظف الا حار في كل مشرب

* وقال في صفة العدو والصديق : احرص أن لا يراك صديقك الا أنظف ما تكون ولا يراك عدوك الا أحسن ما تكون فاما الصديق فان كان الذي أعجبه منك خلقك أو خلقك ولهما كان يعجبك فكلما ازددت حسنا كان حبه لك أكثر ورغبته فيك أوفر [وأكثرك عنده وأكبر لك في صدره] ^(٢) وأدوم له على عهدك وأما العدو فليس شئ أعجب اليه من دمايتك وخساستك فأحقر منه وأظهر الجليل فليس شئ أعجب اليه من الممكن منك فانظر أن لا يكون شئ أعجب اليك من التحصن منه

وقال في العقل والادب : اعلم ان العقل أمير وان الادب وزير فان لم يكن وزير ضعيف الامير وان لم يكن أمير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف فان الصيقل اذا أعطى السياف أخذته فصقله فعاد جالوا والاعضاء يعتمد عليه ويلتجأ اليه فالصيقل الادب والسيف العقل فاذا وجد الادب عقلا تفقه ووقفه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف واذا لم يجد عقلا لم يعمل شيئا لانه لا يصلح الا ما وجد وان من السيوف لما يصقل ويسقى ويختم ثم يباع بادنى الثمن ومنها ما يباع بزيته دراهم بزر جدا وذلك على نحو الحديد وجودته أو رداءته وكذلك الرجلان يتأديبان بادب واحد ثم يكون أحدهما أنفذ من الآخر اذا مضاعفة وانما ذلك على قدر العقل وقوته في الاصل وفي ذلك قلت شعرا

(٢) وجدت هذه الجملة بالاصل من غير نقط فليعلم

وقد يصلح التأديب من كان عاقلاً * وإن لم يكن عقل فلن ينفع الادب
 وقال في المراء : إذا اجتمع أهل نوع فتذاكروا على نوعهم ذلك فلم يكن أصل كل
 واحد منهم أن ينفع بما أسمع ويتنفع بما سمع فاعلم أن تذاكرهم ذلك من أول المراء يصدع
 العلم ويوهن الود ويورث الجود وينشئ الشجاعة وينقل القلب وفي ذلك
 أقول شعرا

نحجب صديق السوء وأصرم حباله * فإن لم تجد عنه عحيصا فداره

وأحب صديق الخير واحذر مراده * تنسل منه صفو الود ما لم تماره

وقال في الحكمة : أما ما يسمع من كثير من الحكمة فإن أوله شيء يخطر على الأفئدة
 إذا خطر وهو أصغر من الخردلة وأدق من الشعرة وأوهن من البعوضة ثم تحركه الالسنه
 وتنبذه الأفئدة كما يحاك البرد وكما يمد النهر فيعود أكثر من الكثير وأوثق من الحديد
 وأثمن من الجوهر وأحسن من الذهب وأنفع من كليهما لأنه يزيد في المنطق ويذكر
 الذهن ويعين على الإبداع ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء
 فيتنفع به اللطيف وينبل به السخيف ويتزبد به الكفيف ويتأيد به الضعيف
 ويزداد به الأيدقوة في منطقة وبلاغة في كسبه فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبهم
 وللبلغاء في بلاغتهم وكتبهم وللكرماء في بشاشتهم وللشعراء في قصائدهم فإذا كنت
 ممن يؤلف حكمة أو يضع رسالة أو يذكرك في مهملة فلا تسكمه قلبك ولا تتركه ذهنك
 فإنه إذا أكره كل ووقف ولكن إن كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ
 له والتأخر عنه على التقدم فيه فإن الذهن يحجم كما يحجم البئر ويصفو كما يصفو الماء

وقال في الكلام واخرجه : اعلم أن مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها ما هو أزهى من الذهب
 والفضة ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه درهم وفي ذلك أقول شعرا

وما الحجر الكبير أعز فنيا * ظفرت به من الحجر الصغير

وكم أبصرت من حجر خفيف * صغير يبيع بالثمن الكثير

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق : كن أسهل ما تكون وجهها وأظهر ما تكون
 بشرا وأقصر ما تكون أمدا وأحسن ما تكون خلقا وألين ما تكون كنفها وأوسع
 ما تكون أخلاقا فإن الأيام والأشياء عقب ودول فإن أنكرت منها شيئا يوما ما كان
 [ما] أنكرت منها شيئا أخيرا على أهل السماتة وعلى أهل الصفاء واحذر أن تحزن من

يحبك وتفرح من بحبك فلم أرفى مصاب الدهر مصيبة أوحش من تغيير النعمة وإن
أنت لم تنكر منها شيئاً ودامت لك بما تريد فإمن الدنيا شيئاً تناله بدعة ورفق الأوهو
أهنا عاينيل تبع ونصب فإمن كفى وعوف فإيصنع بالفضب والتضايق وانهماهم
العمر ونكد الدهر وفي ذلك أقول شعرا

ما تم شيئ من الدنيا علمت به * إلا استحق عليه النقص والغير
ولا تفسير من قوم نعيمهم * إلا تكدر منه الورد والصدر
فعدا غما ولن تلقى امراً أبداً * [اغم] من ملك أيام يفتقر
وقال في الكذب

كذبت ومن يكذب فإن جزاءه * إذا ما أتى بالصدق أن لا يصدق
وقال فيه أيضاً

إذا ما رأيت المرء حلوا لسانه * كذوبا فاقن أنه لا حياله
ولا خير في الإنسان أن لم يكن له * حياء ولا في كل من لا وقاله
وقال في الاخوان

ليس من كان في الرضاء صديقا * وعدو الصديق بعد الرضاء
عدة في أخائه لصديق * إنما ذاك عدة الاعداء
لو ظفرنا بذي أخاء أمين * لاشترينا أخاه بالفضلاء
لو وجدنا أخا متينا آمينا * لاختصنا أخاه بالشفاء

أما الرفقاء في السفر والجلساء في الخضر والخلطاء في النعم والشركاء في العدم
فاحفظ مصاحبتهم وواظب على أخائهم وفي ذلك أقول شعرا

وكنتم إذا صحبت رجال قوم * محبتهم وشيئ من الوفاء
فأحسن حين يحسن محنهم * واجتنب الاساءة أن أساؤا
وابصر ما يعيبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء
أو يد رضاهم أبداً أو آتى * مشيتهم وأترك ما أشاء

لا تبدئن أحداً بصغير مما يكره ولا بكبيره ولا بقليل مما يسخط ولا بكثيره فإن
ابتدأك أحد بهن من ذلك فقد ردت على الاتصار منه فصفوت وأتصرت فأحسن
جميع ذلك إلا أن العفو أكرم والاتصار أعز وكلاهما حظ وفي ذلك أقول شعرا

(فأذات باب بحمدته فيما علمت عليه من طرق الصواب .. ك

وأى الناس أألم من سفيه * يقول ولا يخاف من الجواب

وقال فى الجهل: يا لك والجهل قائمًا تجهل على ثلاثة رجل أنت أعز منه ورجل هو أعز منك ورجل أنت وهو فى العز سواء فاما جهلك على من أنت أعز منه فلو لم وأما جهلك على من هو أعز منك خيف وأما جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين ولن يفترقا إلا مفضوحين أو مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء الحلیم أرزن والجهول أنقص وفى ذلك أقول شعرا

ماتم علم ولا حسلم بالأدب * ولا تجاهسل فى قوم حليمان

ولا التجاهل الاثوب ذى دنس * وليس يلبسه الاسفيهان

وقال فى رؤية الرجل وخبره ان من الناس من يجهبك حين تراه وتزداد عند الخيرة اعجابا [به] ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخبر تكون له أكثر بغضا ومنهم من يجهبك مخبره ولا يجهبك منظره ومنهم من يجهبك منظره ولا يجهبك مخبره وفى ذلك أقول شعرا

ترى بين الرجال العين فضلا * وفيما أضمروا الغيب الغيبين

ولون الماء مشتبه وليست * تخبر عن مذاقته العيون

فلا تجهل بنطق قبل خبر * فعند الخبر تنصرف الظنون

وقال أيضا فى ذلك

وما صور الرجال بها امتحان * وما فيها المعتبر بيان

ولكن فعلهم ينبيك عنهم * به تجب الكرامة والخوان

وما الانسان لولا أصغراء * سوى صور يصورها البنان

وقال أيضا

لم أزل أبفض كل امرئ * وجهه أحسن من خبره

فهو كالنصن يرى ناضرا * ناعما يهجب من زهره

ثم يبدو بعده نمر * فيكون السم فى ثمره

وقال فى النهى عن القبيح * واذا رأيت من أحدا أمرا فتهيته عنه فلم بحمدك ولم يذم نفسه على مكانه أو يحدث حدثا تعلم انه قد انتفع بمقالتك فان ذلك عيب

آخر قد بدالك منه لعله أقبح من الذي نهيته عنه وفي ذلك أقول شعرا

ولانهيت غويا من غوايته * الاستزاد كاني كنت أغريه

ولانهصحت له الاتبيين لي * منه الجفاء كاني كنت أغويه

وقال في المؤاخاة * لاتواخ أحدا الا على اختيار منك له وارتضاء منك به واتفاق منه لك

فاذا اتفق أمر كما كذلك فاعلم ان كلا كما يحسن ويسىء ويصيب ويخطئ ويحفظ ويضيع

فوطن نفسك على الشكر اذا حفظ وعلى الصبر اذا أضاع وعلى المكافأة اذا أحسن وعلى

الاحتمال والمعاينة اذا أساء فان معاينة الصديق اذا أساء أحب الى الحلیم من القطيعة في

معاشرة من تواخيه وفي ذلك أقول شعرا

واذا عتبت على امرئ أحبيته * فتوق ضارعتيه وسبابه

والن جناحك ما استلان لوده * وأجب أخاك اذا دعا لجوابه

واحرص أن تعرف موقعك من كل أحد حتى من أيبك وأمك فان من السخافة أن

تكون لأكيك فيما يحب ويكون لك فيما تكره وما أقبح أن تكون له فيما يكره

ويكون لك فيما يحب واعلم ان من تنفعك صداقته ولا تضرك عداوته الكريم الذي ان

أحسنت اليه كافاك وان أسأت اليه عاتبك وامان تضرك عداوته ولا تنفعك صحبته فهو

الجاهل السفیه اللئيم وفي ذلك أقول شعرا

من الناس من ان يرض لا تنتفع به * ولكن مني يسخط فاشتت من ضرر

ضعيف على الاعداء لكن قلبه * أشد اذا لاق الصديق من الحجر

وقال في تقاب الدنيا شعرا

انما الدنيا سراج * ضوءه ضوء معار

بينما غصنك غصن * ناعم فيه اخضرار

اذ رماه الدهر يوما * فاذا فيه اصفرار

وكذا لك الليل يأتي * ثم يمحوه النهار

وقال في المدارة * اذا هيبت بلدا أهلها على غير ما تعرف وأنت على غير

ما يعرفون فالزم كثيرا من المدارة فإما كثر من داري ولم يسلم فكيف من لم يكن منه

مدارة وفي ذلك أقول شعرا

يا ذا الذي أصبح لا والدا * له على الارض ولا والده

قدمت من قبلهما آدم * فاني نفس بعسده خالده
ان جئت أرضاً أهلاً كلهم * عور فغمض عينك الواحدة
وقال لا تقاتلن أحداً نجد من قتاله بدا فأنما الحق ان غلب ولا غالب الا الله وان آخر
الدواء السكي فلا تجعله أولاً وفي ذلك أقول شعراً
وكم رأينا من أخى غبطة * أصبح مسروراً وأمسى حزينا
وكم فتى يركب طاحونة * للحرب قد أصبح فيها طاحينا
وقال في الاعسار والايثار

كم من صديق لنا أيام دولتنا * وكان يمدحنا قد صار يهجوننا
اي لا عجب ممن كان يصحبنا * ما كان أكثرهم الا يراؤنا
لم ندر حتى انقضت عنا امارتنا * من كان ينصحننا أو كان يهوننا
من كان ينصفنا ما كان يصحبنا * الا ليخمد عنا عما بأيدينا
وقال في الصلة والتفضل * لا يسكن من وصلك أحق بصلتك منك بصلته ولا من
تفضل عليك أولى بالتفضل منك عليه فأنما أنت وهو كرجلين ابتدرا كرومة فقصر
احدهما وبلغ الآخر فأنما القاصر قصر عن حظ نفسه وأما البالغ فبلغ بجميل أمره
وعظيم قدره

* وقال في القدر اذا كان الرجل ليبيبا فاعلم انه كامل ولكن لن يقدمه ذلك الى
ما كان يطالب ولن يؤخره عما كان يحاذر الا بقدر يلحق به ما طلب ويسبق به ما يحذر
وان من الناس من يؤتى منطقاً وعقلاً ولا يؤتى مالا ومنهم من يؤتى مالا ولا يؤتى غيره
فيحتاج مع ماله الى عقل ذي العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل الى مال ذي المال
ورفده وينهض هذاهنا (١) وهذاهنا (٢) فليس لاحدهما اذا غنى عن الآخر فاحوج
المالك الى السوق وأحوج السوق الى الملك

* وقال في التفاضل لا تقل فلان أغنى مني وأنا أكرم منه فانه لو جمع العقل والشدة
والشجاعة والمال واشياء ذلك لقوم وبقي قوم لا شيء لهم طامحوا ولكن الله عز وجل قال
أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات فإوتي بعضهم عقلاً وبعضهم قوة وبعضهم مالا مع أشياء مما يكون فيه

صلاحهم وبه معاشهم ثم أخرج بعضهم الى بعض فعاشوا وانما مثل الرجل ورزقه ومثل عقله وأدبه ومروءته وحكمه كمثل الرأى ورميته فلا بد للرأى من سهم ولا بد للسهم من قوس ولا بد لقوسه من وتر ولا بد لجسيم ذلك من قدر يبلغ به مارشوق ويصيب به ما يبلغ ويجوز به ما أصاب والا فلا شئ فالرأى الرجل والرمية الرزق ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ولا شئ من ذلك الا بقدر وفي ذلك أقول شعرا

ما القوس الا عصافى كف صاحبها * يرى بها الضان أو يرى بها البقر

أو عودبان وان كانت معقفة * حتى يضم اليها السهم والوتر

وان جعت لها هذين فهي عصا * حتى يساعد من يرى بها القدر

وقال : ان حسن السميت وطول الصمت ومشى القصد من أخلاق الاتقياء وان سوء السميت وترك الصمت ومشى الخيلاء من أخلاق الاشقياء فاذا مشيت فوق الارض فاذا كرهت تحتها وكيف كانا فوقها وكيف حلوا بطنها وكيف كانوا انما واعلم ان ابن آدم أعز من الاسد وأشد من العمدمان تصبه أدنى شوكة وأدنى مرض وأدنى مصيبة فاذا أصابه شئ من ذلك وجدته أهون من الذرة وأمهن من البعوضة فلا يفررك تجبره وتكبره وتفرعه واستطائه وفي ذلك أقول شعرا

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا * فكم تحتها قوم هم منك أرفع

فان كنت فى عز وحز ومنعة * فكم طاح من قوم هم منك أمتع

* وقال فى الغنى والقنوع : ان الغنى فى القلب قن غنيت نفسه وقلبه غنيت بداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه وفي ذلك أقول شعرا

اذا المرء لم يقنع بشئ فانه * وان كان ذامال من القمر موقر

اذا كان فضل الله يغنيك عنهم * فانت بفضل الله أغنى وأيسر

* وقال فى الرأى والمشاورة : اذا استشيرت فرائد أحدهم فكن آخر من يشير فانه أسلم لك من الصلف (١) وأبعد لك من الخطأ وأمكن لك من الفكر وأقرب لك من الخزم وفي ذلك أقول شعرا

ومن الرجال اذا زكت أحلامهم * من ينشأ اذا استشير فيطرق

حتى يجول بكل واد قلبه * فبرى ويعرف ما يقول فينطق

فبذلك يطلق كل أمر موثق * وبذلك يوثق كل أمر يطلق

ان الخليم اذا تفكك لم يكد * يخفى عليه من الامور الاوق

وقال في النهي عن مجالسة أهل الاهواء والبدع ومخادنتهم: أما هذه الاهواء فاني لم أر
أحد ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمي لان أمر الله أعز من ان تلحقه العقول ولم أر اثنين
تكلم فيها الا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبها على دفعها الا بالنسبة والمغالطة
واما بالنصيحة فلا ومن غلط في هذا أو مثله فاعلم ان نفسه وعليها يخط واياها يخدع أو أراد أن
يخدع ربه والله أعز من أن يخدع لقد ثبت ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبيه موسى
صلى الله عليه وسلم لا تتجادل أهل الاهواء فيوقعوا في قلبك شيئاً يوردك به الى النار فهذا أمر
نهى عنه موسى عليه السلام وقد أعطى التوراة فيها هدى الله وقد كلف الله موسى تكليماً
فكيف يغيره من أهل الاهواء ولم يزل الصالحون يقتنوه عن الهوى والمرء فيه والجذل به
ولم أرقيا ساقط تم ولا كلاماً صريح الا وفيه كلام بعد كثير فالسنة أن لا يتكلم في شيء من
الاهواء بالهوى وبغير الاتباع لا يكتب المتزلة والسنة للرسول الصادقة وفي ذلك أقول شعراً
اذا أعطى الانسان شيئاً من الجدل * فلم يعطه الا لكي يمنع العمل

وما هذه الاهواء الا مصائب * يخص بها أهل التعمق والعال

وقال في النجاة: اياك والنجاة فانها لا تترك مودة الا فسدتها ولا عداوة الا جددتها
ولا جاعة الا بددتها ولا ضغينة الا وقددتها ثم لا بد من عرفها أو نسب اليها أن يتحفظ
من مجالسته ولا يؤتى بتناحيته وأن يزهدي مناقشته وأن يرغب عن مواصلة وفي
ذلك أقول شعراً

تمشيت فينا بالغيم وانما * يفرق بين الاصفياء الغمام

فلا زلت منسوباً الى كل آفة * ولا زال منسوباً اليك اللوائم

وفي مثله أقول

كالسيل في الليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه

فالويل للبعد منه كيف ينقصه * والويل للود منه كيف يبيله

وقال اذا قيل لك أي شيء أطول فقل الكلام واذا قيل لك أي شيء أقصر فقل الكلام
لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لالف كلمة وقد يكون جواباً لالف كلمة وأكثروا
تدرك الكلام حتى تذره ولن تذره حتى تحذره وفي القول خطأ كثير وبعضه صواب

وان الصمت منه لأصوب فترك منه ما لا تنتفع بأخذه وخدمته ما لا تقدر على تركه
واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذره كما تحذر غائلته

وقال في تأديب النفس اذا أبصرت بعض ما تكره من غيرك فأسرع الرجعة منه قبل
أن يبصره منك من يستريه واحد الله الذي أحسن اليك وبصرك عيوب نفسك ونهيك
للرجوع من غيرك واذا أخبرك بغيرك صدق قبل أن يخبرك به عدو فاحسن شكره
واعرف حقه فان خبر العدو نعييب وخبر الصديق تأديب وفي ذلك أقول شعرا

وان يهلك الانسان الا اذا أتى * من الامر ما لم يرضه نصحاؤه

وقال في الحاسدين * اعلم انك لن تلقى من الخير درجة ولن تبلغ منه مرتبة ولن تنزل
منه منزلا الا وجدت فيه من يحسدك وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكما فانه ان حكم لم يحكم
الا عليك وان قصد لم يقصد الا اليك وان دفع لم يدفع الا حقدك وفي ذلك أقول شعرا

ولو كنت مثل القدح ألفت قائلا * ألا ما لهذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النصل ألفت قائلا * ألا ما لهذا النصل ليس بصارم

(١) ثم أدب صالح بن جناح بفضل من شئ الروح ومجرى الرياح الملك الوهاب الفتح
وذلك في سلخ شهر ذي القعدة سنة ١٠٨٦ والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تنبيه

لم تقف على ترجمة صاحب هذا الكتاب فيما بين أيدينا من الكتب وانما رأيناه ذكرنا
في كتاب العلم للمحافظ ابن عبد البر . حيث قال أحسن ما قيل في الصمت ما ينسب لعبد الله
ابن طاهر وهو

اقال كلامك واستعن من شره * ان البلاء ببعضه مقرون

واحفظ لسانك واحتفظ من عيه * حتى يكون كأنه مسجون

وكل فؤادك باللسان وقل له * ان الكلام عليك كما موزون

فزانه وليك محكما في قلة * ان البلاغة في القليل تكون

وقد قيل ان هذا الشعر لصالح بن جناح والله أعلم وهو أشبه بمن ذهب صالح وطبعه

هكذا وجد في الاصل المتقول عنه

يقول راجي غفران المساوي رئيس لجنة التصحيح بمطبعة

(دار الكتب العربية الكبرى) نحمد الزهري الغمراوي

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان عفا في الجنان وألهمه رشده لمصالح الحياة وأفاض عليه نور المعارف حتى أتقن كل شيء أثناءه والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكل الخلق عامدا وفضلا وأهداهم لسبل الخير ودلالة وعملا وعلى آله المطهرين وأصحابه ذوي القدر المكين (أما بعد) فقد تم بحمد تعالى طبع كتاب رسائل البلغاء وهو كتاب جمع من رسائل فضلاء الكتاب الفصحاء ماهو البغية المشودة لنبلغاء العصرين والمنحة المهداة لذوي الفضلاء الكاملين فكل رسالة منه فيها من جواهر الآيات ما يتحلى بها جيد من غاص في لجج معانيها ومن شوارق الأنوار ما استطاع أشعته على من يسرح النظر في محاسن مبانيها تعطي الأديب منيته بلطف عباراتها وتقوم عوج الأريب بكرم إشاراتها وتسد آراء ذوي الحل والعقد بقويم سياستها وتظهر النفوس من أدراان الهوى بعظيم نصيحتها فكل الطبقات لهم فيها امر توى كريم وبفضاها مشتق من كل خلق ذميم فأنعم به من كتاب لم ينسج له على منوال وأكرم بها من فكرة جمعت شوارق الفضل في أحسن عقال وقد بذل حصة الناشر جهد المستطيع في تصحيح هذه الرسائل وأفرغنا العناية في جعله طبق الأصل في الدقائق والجلال غير شرح لبعض الرسائل وزيادة كتاب الأدب والمروءة الذي لهن من اسمه أوفى نصيب ومن المحاسن ما يهجز عنه الأريب فجاء الكتاب ليس له مثيل ويهجز عن حصر محاسنه كل قيل وذلك

بمطبعة (دار الكتب العربية الكبرى) في شهر

جداى الثانية من سنة ١٣٣٩ هـ

على صاحبها أفضل الصلاة

وآتم التحية

آمين

